سماحة آية الله العظمى السيد
السيد محمد تقي المدرسي

من هدى القرآن

الجزء الثامن

سورة الفاتحة - سورة البقرة - سورة آل عمران

دار القارئ

بسم الله الرحمن الرحیم

من هدى القرآن

کاتب:

آیت الله سید محمد تقی مدرسی

نشرت فی الطباعۂ:

دار محبی الحسین (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیۂ باصفهان للتحریات الکمبیوتریۂ

الفهرس

من هدى القرآن المجلد ۸

اشاره

سرشناسه:مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور:من هدی القرآن/ محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر:تهران: دار محبی الحسین، ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری:ج ۱۸

شابک:۱۸--۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۱۵-X۱۹-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۳۱۶-۲۰-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۱۱۷-۲۱-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۱۴-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۷۱۱-۱۵-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۵۱۲-۱۶-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۳۱۳-۱۷-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۱۱۴-۱۸-۶۶-۱۰-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۴۷-۱۱-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۲۸-۱۲-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۰۹-۱۳-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۹۱۰-۸۲-۰۶-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۶۳-۰۷-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۴۴-۰۸-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۲۵-۰۹-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN ۳-۰۳-۹۶۴-۵۶۴۸-۰۰۰۰۱۱۸-۰۴-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۱-X۰۵-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN ؛ ۱۸--۱۱۷-۲۱-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN ۳۱۳-۱۷-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۱۱۴-۱۸-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۱۵-X۱۹-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۳۱۶-۲۰-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN ۰۹-۱۳-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۹۱۰-۱۴-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۷۱۱-۱۵-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۵۱۲-۱۶-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN ۲۵-۰۹-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۶۶-۱۰-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۴۷-۱۱-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۲۸-۱۲-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN ۱-X۰۵-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۸۲-۰۶-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۶۳-۰۷-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN۴۴-۰۸-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN ۳-۰۳-۹۶۴-۵۶۴۸-۰۰۰۰۱۱۸-۰۴-۹۶۴-۵۶۴۸-ISBN

وضعیت فهرست نویسی:فهرستنویسی قبلی

یادداشت:عربی

یادداشت:کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است

یادداشت:کتابنامه

موضوع:تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره:BP۹۸/م ۴م ۸ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی:۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی:م ۷۷-۱۲۵۶۱

ص :۱

اشاره

سوره الحج

اشاره

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

فضل السوره:

عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال :

«من قرأ سوره الحج فی کل ثلاثه أیام،لم تخرج سنه حتی یخرج الی بیت اللّه الحرام.و ان مات فی سفره دخل الجنه. »

الاسم:

و انبثق اسم السوره من أحکام فریضه الحج التی وردت فی هذه السوره.

ص:۵

الإطار العام

أولی آیات سوره الحج تصور لنا أهوال الساعه بهدف بث روح التقوی من اللّه.

و لعلّ التقوی من الأهداف التی تحققها کل السور القرآنیه،الاّ ان انعکاساتها علی الحیاه تختلف،و قد سبق الحدیث عند التدبر فی سوره البقره انّ آیاتها تهدف بیان صبغه اللّه التی جعلها للامه المسلمه،و التی تتجسد فی التقوی.و تکاد تکون سوره الحج تأکیدا علی تلک الصبغه،حیث أنها تشرع بأمر الناس بالتقوی،و تذکرنا بمناسک الحج،و واجبات الجهاد،و تنتهی ببیان خصائص الامه الاسلامیه.

و لکن هذه السوره التی اختلف المفسرون فی أنها نزلت بمکه أو المدینه،أو فیهما معا تتمیّز عن سوره البقره-فیما یبدو لی-فی انها شفاء للقلب من أمراض الغفله و الجدل و الجهل و النفاق،و هی تعالج أیضا الأعذار التی یلجأ إلیها الإنسان هربا من المسؤولیه!مثل التظنّی و التمنّی،و الاتکال علی عباده الأوثان،و الخوف من

الطغاه،و الخشيه من الهزيمه أمام قوتهم.

كيف يشفى اللّه بآيات هذه السوره تلك الأمراض،و يطهر القلب من الأعذار و المانعه عن التقوى؟ فيما يلى نتذكر معا الحقائق التى نستوحيها من التدبر فى آيات هذه السوره التى تفيض هيبه و جلالا:

نرى فى بدايتها هزه عنيفه تزلزل قناعات الإنسان،السادر فى الغى،الغافل عن المصير الفظيع الذى ينتظره.

ثم يعالج السياق التبرير القديم الجديد،الذى تلجأ اليه النفس البشريه هربا من عظمه المسؤوليه و هيبه الجزاء..و ذلك هو الجدل فى اللّه بغير علم،و الريب فى البعث باعتباره مستحيلا.

و بعد التذكره بقدره اللّه على النشور- أو ليس قد خلق الإنسان أطوارا؟!- يعالج حاله الجدل بغير علم،و حاله الايمان الحرفىّ،حيث يهدف صاحبه المصالح العاجله،و يحذره بأنه الخاسر فى الدنيا و الآخره.

و يهدينا السياق القرآنى الى ضلاله من يظن بان اللّه لا ينصره فى الدنيا و الآخره،أو ليس هو السلطان الحق للسموات و الأرض،و هو الذى يفعل ما يشاء؟! و هو الذى يفصل بين الناس-على اختلافهم-بالحق.

ثم يبين جزاء المؤمنين،و عقاب الكفار،و بالذات الذين يصدون عن المسجد الحرام..ذلك البيت الذى بناه إبراهيم و يجب قصده ابتغاء مرضاه الرب.

ان من أعظم حكم الحج بث روح التقوى فى القلب،لتطهيره من درن الشرک، و ذلک عبر ذکر اللّه،و إطعام البائس و الفقیر،و تطهیر البدن من التفث.

و هکذا یبدأ السیاق بذکر الحج من آیه(۲۶)،و یستمر ببیان جانب هام من التقوی،هو تعظیم حرمات اللّه و احترام شعائره،و ینهی عن الأوثان،و یأمر برفضها عبر الحنفیه التی تعنی الطهاره و النقاء.

ان تعظیم شعائر اللّه من تقوی القلوب،و الهدف من الذبح تنمیه التقوی،عبر ذکر اللّه علیها.و قد حدد اللّه لکل امه منسکا،لیذکروا اللّه علی نعمائه.

و أسمی درجات التقوی حاله الإخبات حیث یذکرنا السیاق بصفات المخبتین،من خشیه اللّه و الصبر و اقامه الصلاه و الإنفاق.

و خلال آیات(۳۸-۴۱)یذکرنا السیاق بالجهاد الذی هو حصن المقدسات، و درع الحرمات.و العلاقه وثیقه بین الحج الذی یسمی بجهاد الضعفاء و الجهاد،أو لیسا یهدفان معا إعلاء کلمه الحق،أحدهما بصوره سلمیه،و الثانی بالدفاع الدامی؟! و لعل الإذن بالجهاد فی هذا السیاق لتکمیل جوانب التقوی،حتی لا یتبادر الی الذهن ان التقوی تعنی العزله و التقوقع و الرهبنه..و عموما یبدو ان هذه الآیات هی سنام السوره.

ثم یعالج السیاق تبریرا شیطانیا آخر حیث یظن المکذبین بالرسالات ان تأخیر العذاب دلیل إهمال اللّه لهم.بینما ینبغی السیر فی الأرض للنظر فی عواقب المکذبین الذین أملی اللّه لهم ثم أخذهم أخذا شدیدا،بینما أسبغ علی الصالحین نعمه ظاهره و باطنه.و السیر فی الأرض لا ینفع الذین یسعون فی آیات اللّه معاجزین،و هم

يعاندونها و يتحدونها و لكن لهم عذاب شديد.

و يداوى الذكر الحكيم قلب البشر من التمنيات التى هى أرضيه وساوس الشيطان،و اللّه سبحانه يؤيد أنبياءه فينسخ ما يلقى الشيطان.ثم يحكم آياته.

و علينا ان نعالج هذه التمنيات بآيات القرآن،حتى لا تكون فتنه لنا.

و لكن القلب المريض و القاسى يستقبل ما يلقيه الشيطان فيه عند التمنى فيضل عن الصراط السوى.

و الكفار يترددون فى ريبهم.و لهم عذاب شديد.

و هناك عذر شيطانى آخر تعالجه آيات الذكر و هو اليأس،حيث يتساءل المرء:

ماذا ينفع القيام للّه و المطالبه بالحقوق الضائعه؟.

بلى..الذين يهاجرون فى سبيل اللّه،و يدافعون عن أنفسهم ضد البغى ينصرهم اللّه،و لا يعجز اللّه شىء فى السموات و الأرض،أو ليس هو الملك الغنىّ الحميد الرؤوف الرحيم،و إنه يحيى و يميت؟! و لكى نعالج حاله اليأس لا بدّ من النظر فى آيات قدره اللّه و رحمته.

و لعلّ ما يعوق الإنسان عن العمل هو الجدل فى الدين،و اللّه نهى عنه،و نبّئنا بأنه قد جعل لكل امه منهجا و منسكا،و انه عليم بكل شىء.

و الشرك ملجأ المبررين حيث يزعم المشرك بأنّ الاعتماد على الشركاء ينجيه من المسؤوليات،و لكن القرآن يذكرنا بان أولئك لم يخلقوا ذبابا،و انهم لا يقدرون على مقاومته.

و فى الدرس الأخير من السوره يبيّن اللّه كيف يصطفى الرسل من الملائكه و من

الناس..و انه المهيمن عليهم،فلا يزعم البعض بأنهم انصاف آلهه.

و فى ختام السوره نقرأ آيه كريمه تحدد ملامح الأمه الاسلاميه،و تأمر بالجهاد كما ينبغى.

ص:١٠

[سوره الحج (۲۲): الآیات ۱ الی ۷]

اشاره

بِسْمِ اَللَّهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . يٰا أَيُّهَا اَلنّٰاسُ اِتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ اَلسّٰاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (۱) يَوْمَ تَرَوْنَهٰا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمّٰا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذٰاتِ حَمْلٍ حَمْلَهٰا وَ تَرَى اَلنّٰاسَ سُكٰارىٰ وَ مٰا هُمْ بِسُكٰارىٰ وَ لٰكِنَّ عَذٰابَ اَللّٰهِ شَدِيدٌ (۲) وَ مِنَ اَلنّٰاسِ مَنْ يُجٰادِلُ فِي اَللّٰهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطٰانٍ مَرِيدٍ (۳) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاّٰهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَ يَهْدِيهِ إِلىٰ عَذٰابِ اَلسَّعِيرِ (۴) يٰا أَيُّهَا اَلنّٰاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ اَلْبَعْثِ فَإِنّٰا خَلَقْنٰاكُمْ مِنْ تُرٰابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَ نُقِرُّ فِي اَلْأَرْحٰامِ مٰا نَشٰاءُ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّٰى وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلىٰ أَرْذَلِ اَلْعُمُرِ لِكَيْلاٰ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَ تَرَى اَلْأَرْضَ هٰامِدَةً فَإِذٰا أَنْزَلْنٰا عَلَيْهَا اَلْمٰاءَ اِهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (۵) ذٰلِكَ بِأَنَّ اَللّٰهَ هُوَ اَلْحَقُّ وَ أَنَّهُ يُحْيِ اَلْمَوْتىٰ وَ أَنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۶) وَ أَنَّ اَلسّٰاعَةَ آتِيَةٌ لاٰ رَيْبَ فِيهٰا وَ أَنَّ اَللّٰهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي اَلْقُبُورِ (۷)

اللغه

۱[زلزله]:الزلزله شده الحرکه علی الحال الهائله و قیل ان أصله زلّ فضوعفت للمبالغه.

۲[تذهل]:الذهول عن الشیء دهشا و حیره.

۳[مرید]:المتجرد للفساد،و قیل ان أصله الملاسه فکأنه متملس من الخیر.

ص:۱۱

۵[نطفه]:المنی-ماء الرجل.

[علقه]:قطعه دم جامد.

[مضغه]قطعه لحم بمقدار ما یمضغ من اللحم.

[مخلقه]:مستویه الخلقه.

[أرذل العمر]:أسوء العمر و أخبثه(الهرم).

[ربت]:أی زادت و أضعفت نباتها.

[البهیج]:الحسن الصوره.

ص:۱۲

معایشه الساعه سبیل الإصلاح

هدی من الآیات:

فی الآیات الاولی من هذه السوره یهزّ السیاق القرآنی ضمیر الإنسان هزّا عنیفا بتصویر اللحظات الحرجه الاولی لوقوع الساعه،حیث یذهل الإنسان و یبتعد ذهنیا عن کل العوامل التی کانت تضله فی الحیاه.

و نسأل:لماذا یضل الإنسان؟ لأنه یحب المال و الجاه و الولد و ما أشبه،فاذا به فی تلک اللحظات یذهل عن ماله و ولده..،لان الساعه أدهی و امر،و أکبر و أعظم من کل تلک الأمور،فالمرأه تذهل عمن ترضعه،و الحامل تضع ما تحمله،و کل إنسان یکون کالسکران و لکن لیس بنشوه الخمر و انما هو سکر العذاب،و هیبه الساعه.

بعد ان یهز القرآن ضمیر الإنسان بهذا الهول الرهیب یقول له:أتعرف لماذا تتورط فی مثل هذا الهول؟و کیف تخلص نفسک منه؟!

ص:۱۴

انما تتورط لأنك اتبعت إلها غير اللّه من دون علم،و كذلك لأنك غفلت و لهوت حينما يريد الإنسان ان يختار فراشا لبيته أو لونا لغرفته أو ساعه يلبسها أو اى شىء آخر،تراه يفكر و يخطط و يسأل و يستشير،و لكن حينما يريد أن يعبد إلها غير اللّه، فانه يعبده من دون تفكير أو بحث،و بالتالى يتورط فى ذلك الموقف العظيم بالاسترسال.

اما كيف يتخلص الإنسان من هذا الهول؟فهو لا يكون إلاّ عبر الايمان باللّه وحده،و الايمان بالبعث و النشور.

ان كل إنسان مفطور على الايمان بالبعث،و بما انه معرّض لوساوس الشيطان الذى يزرع الشك فى قلبه،فهو يكفر ان لم يحاول قمع تلك الوساوس،و يقمع القرآن هذا الشك بقوله:« كَمٰا بَدَأْنٰا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ».

ان النظر الى سلسله الحياه الماضيه يهدينا الى المستقبل،لأن السنه واحده تنطبق على الماضى و الحاضر و المستقبل،فاذا أردت ان تعرف المستقبل فارجع قليلا-الى الوراء و انظر اليه كيف كان؟ خلق الإنسان من تراب ثم من نطفه،فعلقه فمضغه،و بعد الولاده كان فى حاله تطور،فمن الطفوله الى الشباب الى الهرم الى الوفاه،و هذا التطور يسير حسب قانون و تدبير رشيدين،من لدن اله قدير مبدع،فلكى تعرف مستقبلك انظر الى بدايه خلقك،فبعد ما كنت ضعيفا فى رحم أمك قويت و سوف تعاد كذلك فى أرذل العمر،أو ليس الذى انشأك فى ظلمات الأرحام،و فى الحياه خلقا بعد خلق بقادر على انشائك من بعد موتك؟!

ورد فى بعض الأحاديث عن يوم القيامه: ان الأرض تصبح كرحم الام ينشأ الإنسان فيها كما ينشأ فى رحم أمه،و إذا كان الإنسان يولد من بطن امه ولاده،

فانه فی ذلک الیوم ینبت من الأرض نباتا. و الفارق:ان الناس فی الدنیا یولدون بالتدرج اجیالا الا انهم یوم القیامه یولدون جمیعا.

و قدره اللّه فی الأرض تتجلی فی شیء یأمرنا ربنا بالتدبر فیه و هو ان اللّه یصنع الأشیاء بمختلف الصور،فهم لم یخلق نوعا واحدا من الحیوانات و انما خلق کل شیء بمختلف الاحجام و الألوان،کل هذه الحیوانات و الکائنات خلقها و دبّر أمرها و صورها حتی أننا لا نتصور شیئا الا و قد خلقه الرب،أو لیس الذی استطاع ان یخلق کل شیء بقادر علی ان یبعث الإنسان فی الآخره مره أخری،کما خلقه اولا فی رحم أمه؟! و فی نهایه الآیات یذکرنا اللّه بأمرین:

الاول:ضروره الایمان بقدره اللّه.

الثانی:ضروره الایمان بیوم القیامه.

ذلک ان الایمان بقدره اللّه هو الطریق للایمان بالبعث،فکلما شککنا فی البعث لا بد ان ننظر الی آیات قدره اللّه،لان الشک فی البعث ناتج من الشک فی اللّه، و الذی یعرف اللّه حقا لا یشک فی البعث.

بینات من الآیات:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیمِ تشیر بسم اللّه الی ان الحیاه و ما فیها مخلوقه من قبل اللّه سبحانه،و قائمه به، لذلک فاننا کلما بسملنا علی أمر فان توجّه هذه البسمله یکون نحو ذلک الأمر،فاذا قلت بسم اللّه أقوم یعنی ان قیامک باللّه،و إذا قلت:بسم اللّه أنام،یعنی ان نومک

باللّه،و هكذا.

و تختلف سور القرآن الحكيم فى معانيها العامه،لذلك فان كل(بسمله)فى بدايه كل سوره تشير الى ان كل شىء هو قائم باللّه،فعند ما نحج فانه باسم اللّه، و هدف الحج هو تقوى اللّه،و التقوى بدورها من اللّه و باللّه،و عند ما نصوم فإن صيامنا باسم اللّه،و هدف الصيام هو تقوى اللّه،و التقوى بدورها من اللّه و باللّه..

و هكذا عند ما نصلّى و نقوم بأى واجب آخر.

[۱] يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ الهدف من سوره الحج هو تكريس التقوى التى هى أعلى درجات الايمان بالمسؤوليه.ففى سوره الأنبياء-التى سبقت سوره الحج-كان الحديث عن المسؤوليه،اما هذه السوره،فالحديث فيها عن التقوى باعتبارها مرحله متقدمه من الايمان.

من الصعب على الإنسان ان يؤمن بمسلّمات،و يظن انها قواعد راسخه يستطيع ان يقيم عليها بناء أفكاره،من الصعب عليه ان يؤمن بغيرها،حتى و لو كانت أقوى،و هنا-بالضبط-يمكن خطأ الإنسان إذا تأسره مسلمات فكريه توجه كل حياته و يزعم انه ضعيف امامها،كلا ان الإنسان أقوى من مسلّماته،و علم الإنسان أنفذ من سابقياته الذهنيه،و مما يعتقد به مجتمعه و آباؤه،و ان الايمان بالساعه و زلزالها و أهوالها يحطم المسلمات،و السابقيات الذهنيه،و يعطى البشر قدره هائله للتفكير من جديد.عبر جسر الشك المنهجى فيما يزعم انه من الحقائق المسلمه.

[۲] يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ فلا تستطيع المرضعه ان تفكر انئذ-لهول الساعه-برضيعها.

وَ تَضَعُ كُلُّ ذٰاتِ حَمْلٍ حَمْلَهٰا وَ تَرَى النّٰاسَ سُكٰارىٰ وَ مٰا هُمْ بِسُكٰارىٰ وَ لٰكِنَّ عَذٰابَ اللّٰهِ شَدِيدٌ ان الحامل تجهض و يسقط جنينها،و المرأه لا تجهض الا إذا كانت تمر بهول عظيم،و ترى كل إنسان كالسكران،لا يستطيع ان يستوعب ما يجرى حوله،قد شغلته نفسه عن الآخرين،و اسكره العذاب حتى صار فاقدا لقدراته الفكريه.

ان تصور هذه الأهوال المروعه كفيل بايقاظ القلب الغافل.و هكذا كان السلف الصالح

فقد جاء فى قصه نزول هاتين الآيتين من سوره الحج ما يلى:

نزلت الآيات من أول السوره ليلا فى غزاه بنى المصطلق و هم حيّ من خزاعه، و الناس يسيرون،فنادى رسول اللّه صلى الله عليه و آله فحثوا المطى حتى كانوا حول رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقرأها عليهم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليله،فلما أصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب و لم يضربوا الخيام و الناس بين باك أو جالس حزين متفكر،فقال لهم رسول اللّه صلى الله عليه و آله :أ تدرون اى يوم ذاك؟قالوا:اللّه و رسوله اعلم،قال:ذلك يوم يقول اللّه لآدم:ابعث بعث النار من ولدك،فيقول آدم:من كم كم؟فيقول عز و جل: من كل الف،تسعمائه و تسعه و تسعين الى النار و واحدا الى الجنه،فكبر ذلك على المسلمين و بكوا فقالوا:فمن ينجونا يا رسول اللّه؟فقال صلى الله عليه و آله :أبشروا فان معكم خليقتين:يأجوج و مأجوج ما كانتا فى شيء الا كثرتاه،ما أنتم فى الناس الا كشعره بيضاء فى الثور الأسود،أو كرقم فى ذراع البكر،أو كشامه فى جنب البعير،ثم قال:

انى لأرجو ان تكونوا ربع أهل الجنه فكبروا،ثم قال:انى لأرجو ان تكونوا ثلث أهل الجنه ثم قال:انى لأرجو ان تكونوا ثلثى أهل الجنه فان أهل الجنه مائه و عشرون صفا ثمانون منها أمتى،ثم قال:و يدخل من أمتى سبعون ألفا الجنه بغير حساب.

[۳] وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ يُجٰادِلُ فِى اللّٰهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ و قوله« يُجٰادِلُ فِى اللّٰهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ »اى من دون تفكير فى ذلك الإله الذى يجب عليه ان يطيعه.

ان الجدال بالباطل لشاهد على حاله الاستقرار الكاذب،الذى لا يرضى صاحبه التحول عنه،حيث يزعم انه يهدم أساس حياته،أو يخالف عزته الشخصيه،بينما الاحساس بزلزال يوم القيامه،يجعل المؤمنين قادرين على مراجعه افكارهم فى ضوء العقل و الوحى و استقبال الحقائق الجديده بلا حميه و لا اعتزاز بالإثم،و الباطل.

و يزعم الكفار انهم يحافظون على كرامتهم،حين يعتزون بأفكارهم الباطله بينما يفقدون استقلالهم و كرامتهم بذلك،إذ انهم يتبعون شيطانا مريدا.

وَ يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطٰانٍ مَرِيدٍ متجردا عن كل خير متمحضا فى الفساد و الإفساد.

[۴] كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاّٰهُ بإرادته و جعله واليا عليه.

فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَ يَهْدِيهِ إِلىٰ عَذٰابِ السَّعِيرِ من المستحيل ان يكون ذلك الشيطان المريد هاديا لاتباعه،لان اللّه قدر ان يكون مضلاّ لمن اتبعه،و ان نهايتهما هى السعير.

[۵] يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنّٰا خَلَقْنٰاكُمْ مِنْ

ص:۱۹

تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ان كنتم فى ريب من البعث فانظروا الى ماضيكم هل باستطاعتكم ان تقولوا:

ان اللّه لا يقدر على خلقنا من جديد؟فكيف استطاع إذا ان يخلقكم أطوارا،بعد ان لم تكونوا شيئا؟! و جاء فى القرآن و السنّه ان الإنسان قد خلق مرتين،مره فى عالم الذر حيث خلق كل الناس من تراب،و مره أخرى حينما أودعهم الأصلاب،ثم الأرحام.

فبعد ان تقذف النطفه فى رحم الام،نجدها تتحول بعد فتره الى قطعه دم،تعلق برحم الام(علقه)ثم الى ما يشبه اللحمه الممضوغه(مضغه).

مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ قد تحددت معالمهما كالعينين و الرأس و الأطراف،أو غير مخلّقه لا تلبث ان تسقط من الرحم قبل ان تتحدد معالمها.

لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ليفهم الإنسان بأن التطورات التى تحكم وجوده،دليل على انه مدّبر و ان اللّه هو المدّبر الحكيم له و للخلق.

وَ نُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ان المضغه تستمر فى الرحم الى ان يشاء اللّه و يأذن للجنين بالولاده،و بقاء الجنين فى الرحم ليس محدودا بمده تسعه أشهر،فقد يولد قبل هذا لذلك قال:(و نقرّ فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمّى).و من معانى(و نقرّ)اى نكتب،لأنه كما ورد فى الأحاديث ان سعاده الإنسان و شقاءه يكتبان عليه و هو فى بطن امه.

ثُمَّ نُخْرِجُكَمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ كانت بدايه الآيه تبين تطور الجنين فى الرحم،اما هنا فتبين تطوره بعد ان يولد طفلا،حيث يتحول بعدئذ الى شاب يافع قد بلغ أوج قوته(أشده).

وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّى كأن يموت بمرض أو بحادث أو بقتل،و ليست له حيله فى وفاته،انما تكون بأمر اللّه و تقديره.و قد يبقى طويلا فى الحياه ليعود ضعيفا كما بدأ.

و الواقع ان الزمن ليس دائما فى مصلحه الإنسان،و ان الإنسان ليس أبدا فى تكامل ذاتى،كيف و هو إذا بلغ أرذل العمر يعود كالطفل فلو كان تكامله ذاتيا، كان لا بد ان يعود دائما و لا ينتكس.

حقا:ان أهم ما يفقده البشر بكبر سنه هو علمه.العلم-فى ذات الوقت- أعظم نعمه يسعى البشر نحوها و يحاول المحافظه عليها،لأن العلم يميّزه عن سائر الخليقه،و حين يفقد علمه لا يعود ذا كرامه فى أهله و ولده و مجتمعه،أو لا يكون ذلك شاهدا على ان تكامل البشر ليس من ذاته؟! وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلاٰ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَ تَرَى الْأَرْضَ هٰامِدَةً كأنها موات.

فَإِذٰا أَنْزَلْنٰا عَلَيْهَا الْمٰاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ان تلك الأرض الميته عند ما تستقبل الأمطار فانها تزيد و تنمو عليها النباتات.

و النباتات ليست ذات شكل واحد،و لو كانت الطبيعه هى التى تحكم الحياه اذن لكانت عمياء و لكان كل شىء على صوره واحده،و لكن تلك المواد الواحده- التراب-الأملاح-الماء-النور-تتحول الى عده أنواع من النباتات، بل ان اللّه يخلق من كل نوع زوجين لضمان استمرار كل فصيل و نوع-ثم ان متانه الصنع لا تمنع جماله.

[۶] ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ إذ لا حق لسواه،و انه حق لا ريب فيه و فى قدرته،و بما انه الحق-كل الحق -فهو أحق ان يتبع.

وَ أَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتىٰ وَ أَنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [۷] وَ أَنَّ السّٰاعَةَ آتِيَةٌ لاٰ رَيْبَ فِيهٰا وَ أَنَّ اللّٰهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ أولئك الذين كانوا فى القبور يبعثون للحساب بقدره اللّه سبحانه،تلك القدره التى تتجلى اليوم فى بعث البذور-الكامنه فى جوف الأرض-بالنسبه للبذور كالقبر للميت؟و لكن فكما يحيى ربنا بالماء البذره و كذلك يحيى سبحانه الإنسان و هو فى قبره.

من هنا

جاء فى الحديث :

«إذا أراد اللّه أن يبعث الخلق أمطر السماء على الأرض أربعين صباحا فاجتمعت الأوصال و نبتت اللحوم »

[سوره الحج (۲۲): الآيات ۸ الى ۱۴]

اشاره

وَ مِنَ اَلنّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِى اَللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لا هُدىً وَ لا كِتابٍ مُنِيرٍ (۸) ثانِىَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اَللّهِ لَهُ فِى اَلدُّنْيا خِزْىٌ وَ نُذِيقُهُ
يَوْمَ اَلْقِيامَهِ عَذابَ اَلْحَرِيقِ (۹) ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ وَ أَنَّ اَللّهَ لَيْسَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيدِ (۱۰) وَ مِنَ اَلنّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اَللّهَ عَلى حَرْفٍ فَإِنْ
أَصابَهُ خَيْرٌ اِطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَهٌ اِنْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ خَسِرَ اَلدُّنْيا وَ اَلْآخِرَهَ ذلِكَ هُوَ اَلْخُسْرانُ اَلْمُبِينُ (۱۱) يَدْعُوا مِنْ دُونِ اَللّهِ
ما لا يَضُرُّهُ وَ ما لا يَنْفَعُهُ ذلِكَ هُوَ اَلضَّلالُ اَلْبَعِيدُ (۱۲) يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ اَلْمَوْلى وَ لَبِئْسَ اَلْعَشِيرُ (۱۳) إِنَّ اَللّهَ
يُدْخِلُ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ جَنّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهارُ إِنَّ اَللّهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ (۱۴)

الایمان بین المجادلین و الحرفیین

هدی من الآیات:

تبین آی الذکر هنا جانبا من حقیقه الایمان،و مواقف الناس تجاهه.فمنهم المجادلون،و منهم الحرفیون الذین لا یصمدون امام الفتنه،و منهم المؤمنون حقا الصالحون عملا.

و تشیر الآیه الاولی الی الحجه التی بدونها یصبح الجدال فی اللّه باطلا.و هی العلم و الهدی،أو الکتاب المنیر.

و من لاـ یملک حجه فهو غیر مؤمن،بل مستکبر عن الحق یثنی عطفه و یسعی لإضلال الناس عن سبیل اللّه،و جزاؤه الخزی فی الدنیا حیث یشمله الصغار و الهوان.اما یوم القیامه فله عذاب الحریق،جزاء وفاقا بما جنته یداه.

اما الذین لم تترسخ فی افئدتهم حقیقه الایمان التی تقاوم الفتن،و تتحدی الضغوط،فتراهم یعبدون اللّه علی طرف السبیل،تطمئن نفوسهم إذا أصابهم الخیر

ص:۲۴

بايمانهم و ينقلبون الى هاويه الجحود ان أصابتهم الفتنه و تعرضوا لضغط.فيخسرون الدنيا و الآخره ذلک هو الخسران المبين.

ان هؤلاء يميلون مع رياح السلطه و الثروه فيدعون من دون اللّه ما لا يضرهم و لا ينفعهم،من أصنام حجريه أو بشريه-ذلک هو الضلال البعيد.

بلى انهم يضرون أنفسهم بدعوه الأصنام التى هى قياده سوء و صحابه سوء.أما الذين يعبدون اللّه باطمئنان و سكينه،و يتحدون الفتن و الضغوط،فلهم من ربهم الجزاء الحسن،جنات تجرى من تحتها الأنهار ان اللّه يفعل ما يريد.

بينات من الآيات:

اشاره

[۸]الحجه بين اللّه و خلقه العقل،و منه العلم و المعرفه،و منه الهدى،و العقل يدل صاحبه الى اتباع الكتاب المنير و من لا يملک هذه الحجه،فانما يجادل فى اللّه باطلا.

وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ يُجٰادِلُ فِي اللّٰهِ فيقول:هل اللّه قادر على ان يبعث الموتى،أو يفعل ذلک؟و لماذا؟ و نستوحى من الآيه:ان الايمان بالنشور فرع الايمان باللّه،و بأسمائه و منها القدره و الحكمه،بل الايمان بسائر حقائق الدين انما هو فرع لمعرفه اللّه،كما ينبغى ان يعرف،بعظمته و حكمته و رحمته بعباده.

بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لاٰ هُدىً وَ لاٰ كِتٰابٍ مُنِيرٍ ما هى حقائق هذه الكلمات التى من تمسک بواحده منها فاز؟ أ:العلم،و هو ضوء العقل،و هو انكشاف الحقائق للقلب بنور اللّه،حيث

يغنى صاحبه من اتباع دليل أو التماس حجه.

ب:الهدى و هو مستوى أقل من العلم،كمن يمشى فى الصحراء تائها و إذا به يجد علامه من بعيد تدلّه على الوجهه التى يجب عليه ان يتبعها.و الفرق بين المستويين(العالم و المهتدى)ان العالم يمتلك خريطه مفصله يمكنه الاعتماد عليها فى مسيره الى اللّه،فهو لا يحتاج الى علامه،اما المهتدى فهو كمن يتبع و ميض نور يسير على هداه.

ج:الكتاب المنير قد لا يكون الإنسان عالما و لا مهتديا،فيكون سائرا على هدى عالم آخر،كما لو ان جماعه من الناس يسيرون فى صحراء خلف دليل،و الدليل هو العالم،و قد يكون الدليل هو الكتاب فهم يسيرون معه انى اتجه.

[۹] ثَانِیَ عِطْفِهِ لِیُضِلَّ عَنْ سَبِیلِ اللّهِ اى مائلا ما بين منكبه و رقبته تعبيرا عن التكبّر و الاعراض،لما يواجه به من الحق،فهو أبدا مولّ عنه،و يسعى لإضلال الناس عن سبيل اللّه،و سبيل اللّه هو الايمان به و العمل الصالح خالصا لوجهه.

لَهُ فِی الدُّنْیا خِزْیٌ لعلنا نستوحى من الآيه:ان من يجادل فى اللّه،يبتلى فى الدنيا بخزى أعده اللّه له لا يمكنه الفرار منه،فاما فشل ذريع،أو ميته سوء،أو فضيحه عند الناس،أو لعنه ابديه.أو ليس قد اختار لنفسه الذلّه باتباع إبليس و طاعه الطغاه،و الخضوع للأثرياء؟ وَ نُذِیقُهُ یَوْمَ الْقِیامَهِ عَذابَ الْحَرِیقِ النتيجه فى الآخره لن تكون أحسن منها فى الدنيا،بل هى أشد و اسوأ..كلما

ص:۲۶

تنضج جلودهم تبدل بجلود غيرها،ليذوقوا العذاب الحريق.

[۱۰] ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ و اليـدان تعبير عن كل الجوارح،فهـذه حكمه اللّه،انه يترك الإنسان فى الـدنيا يقترف ما يريـد و يجرم ما يشاء و لكنه يقف له بالمرصاد يأخذه بذنبه حين يشاء.

وَ أَنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِظَلاّٰمٍ لِلْعَبِيـدِ لأنه سبحانه قـد أعطاك عقلا،و بعث إليك رسـلا،و أوضح لك طريقك،و بيّن لك كيف تعمل،و كيـف تـوفّر لنفسـك العزّه فى الـدنيا و النعيـم فى الآخره،ان الرب قـد أراد العزه للخلق حيـن أمرهـم بعبـادته،و رفض عبـاده المخلوقين،و لكنهم ظلموا أنفسهم فاخذهم بما كانوا يكسبون.

و ربمـا توحى هـذه الآيه بان اللّه لا يأخـذ عباده بما ينوون القيام به من السيئات، بل بما يقومون به فعلا.و لـذلك جاء التعبير بما قدمت يداك.

الاتباع على حرف:

[۱۱]كـان ذلك واقع المجادلين فى اللّه باطلا..و هناك طائفه ثانيه يتحـدث عنها السـياق هنا،و هم طائفه الحرفين التى تؤمن باللّه ظـاهرا و لكنهـا على شـك،فـان أصـابهم خير اطمـأنت نفوسـهم و ركنت اليه،و ان أصـابهم شـر تردوا الى مهـاوى اليـأس و سوء الظـن،انهـم كمـن يمشـى على طرف الهـاويه يسـقط فيهـا بأقـل زله قـدم، و يزعم هؤلاء:ان مقيـاس الحق مـا يحصـلون عليه من المنافع،فاذا ما أوتوا قدرا من المال و السلطه إذا هم مع الحق امّا إذا محّصوا بالبلاء من قبل اللّه نكصوا على أعقابهم.

وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّٰهَ عَلىٰ حَرْفٍ

و الحرف هو:الحافه و الطرف.

فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ان هـذا الاطمئنان ليس باللّه،و انما بـذلك الخير الـذى اصابه، فهو يتبع قياده الرسول ما دام يسبغ عليه الخير.

وَ إِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ و لعل الانقلاب على الوجه تعبير عن التغيير كليا و بصوره فجائيه،حيث يقطع علاقته بالمؤمنين تماما،و يقف فى صفوف الكفار كاملا.

يتحدث اللّه عن هؤلاء قائلا:

خَسِرَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ لان الإنسان الذى يمشى على شك لا يصيب من الدنيا متاعا،و لا ينال فى الآخره اجرا،لأنه فى الدنيا كان مع المؤمنين و هم عـاده مـا يكونون مبتلين بالشدائـد، و يعيشون ظروفـا صـعبه من الفقر و الحرمان و المطارده،اما فى الآخره عنـد ما يهب اللّه الأجر للمؤمنين لا يحسب منهم،لأنه ممن كان قلبه متعلقا بالكفار فهو نائل ما ينالونه.

و يؤكد القرآن و بشده على عذاب هؤلاء،لان أكثر الناس الذين يدّعون الايمان انما هم من هذه الطائفه،فهم يصلون فى ظروف السـلم و الهـدنه،امـا إذا جـدّ الجـدّ و أصـبحت الصـلاه جريمه يعاقب عليها القانون،فهم ليسوا مستعدين للصـلاه،انهم مع تقلبات السياسه أو الاقتصاد أو المجتمع،كالريشه فى مهب الرياح.

و لقد فسرت كلمه(حرف)فى الأحاديث بأنه الشك،و ابرز مظاهر الحرفيه فى

ص:٢٨

حیاه هؤلاء ان انتمائهم الی القیادات الرسالیه یخضع لقانون الحرفیه،فمتی ما وجدوا القیاده فی حاله انتصار کانوا معها،و متی ما کان العکس انفضوا عنها.

و لذلک جاء فی أحادیث کثیره و مأثوره:ان الحرفیین هم أولئک الذین یشکون فی القیادات الالهیه،إذ ان الطاعه المطلقه للرسول و أوصیائه من الائمه و بعدهم الفقهاء،هو ابرز مظاهر الایمان.و لذلک تجد السیاق یحدثنا عن مسأله الولاء فی الآیات التالیه.

[۱۲]مقیاس الایمان الحق الانتماء الی القیاده الالهیه،و الثبات معها و طاعتها فی الظروف الصعبه رغم مخالفتها للأهواء و المصالح الذاتیه.

و ابرز مظاهر الحرفیه فی الایمان الشک فی القیاده الربانیه عند ما تأمر بعمل صعب،أو یخالف قرارها هوی النفس،أو حینما تتعرض لنکسه أو هزیمه.و ان مصیر الحرفیین الارتماء فی احضان القیادات الجاهلیه،کالسلطات الطاغوتیه،أو الأحزاب الملحده،أو الفئات المنحرفه.و هذا یعتبر شرکا ظاهرا فی منطق القرآن.

و هو فی ذات الوقت ضلال بعید.

یَدْعُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ ای من دون اللّه،و القیاده التی أمر اللّه باتباعها.من نبی مرسل أو امام معصوم،أو قائد منصوب من قبله.

مٰا لاٰ یَضُرُّهُ وَ مٰا لاٰ یَنْفَعُهُ ذٰلِکَ هُوَ الضَّلاٰلُ الْبَعِیدُ أحیانا یتبع الإنسان قیاده لا تنفعه و هو یحسب أنها تفیده بل هو ینفعها باتباعه لها،أو لیس الضلال أن یعبئ الإنسان طاقاته من أجل لا شیء،فلا نفع و لا دفع للضرر؟!

و أبعد من هذا الضلال أن ينتمى البشر الى قياده تضر و لا تنفع.

[۱۳] يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ حيث يتراءى لهذه الفئه من الناس ان القيادات الجاهليه توفر لهم قدرا من العزه،و الثروه،الا ان العاقبه هى الفقر و الاستعباد.

لَبِئْسَ الْمَوْلىٰ القائد.

وَ لَبِئْسَ الْعَشِيرُ الصاحب.

و لعل هذه الآيه تكشف لنا انه لا يجوز للإنسان ان يأذن للآخرين باتباعه ان لم يعرف فى ذاته الكفاءه،و لا يجوز له ان يعتذر بقوله:ان الناس هم الذين نصبونى إماما و قائدا لهم،بل يجب عليه ان يعتزل عن هذا المنصب،و إذا لم يعتزل فانه ممن يقول اللّه« لَبِئْسَ الْمَوْلىٰ ».

[۱۴] إِنَّ اللّٰهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ و هم الذين آمنوا باللّه ايمانا راسخا،و ترجموا ايمانهم الى ممارسات عمليه،و سلوك صالح.

إِنَّ اللّٰهَ يَفْعَلُ مٰا يُرِيدُ لأنه قادر مريد مطلق القدره و الاراده،يفعل ما يريد،لا ما يريده غيره،و من

مظاهر إرادته الحكيمه حسن جزائه للمؤمنين الصالحين،و سوء عقابه للمجادلين فيه،و الشاكين فی أنبيائه و أوليائه.

أو ليس الأولی بنا إذا ان نسعی الی جنان الرب التی وعدنا إيّاها ان كنا مؤمنين صادقين؟و أيّه جنات هی التی بشر اللّه عباده بالغيب؟دعنا نستمع الی أئمه آل البيت عليهم السّلام و هم يفسرون القرآن،و ينقلوننا الی رحاب تلک الجنات التی بشر بها القرآن.

إِنَّ اللّٰهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ الی قوله تعالی وَ لِبٰاسُهُمْ فِيهٰا حَرِيرٌ

حدثنی أبی عن ابن أبی عمير عن أبی بصير قال :قلت لأبی عبد اللّه عليه السلام :جعلت فداک شوقنی فقال:يا أبا محمد من أدنی نعيم الجنه أن يوجد ريحها من مسيره ألف عام من مسافه الدنيا،و أن ادنی أهل الجنه منزلا لو نزل به الثقلان الجن و الانس لوسعهم طعاما و شرابا،و لا ينقص مما عنده شيئا،و ان أيسر أهل الجنه منزله من يدخل الجنه فيرفع له ثلاث حدائق،فاذا دخل أدناهن رأی فيها من الأزواج و الخدم و الأنهار و الثمار ما شاء اللّه مما يملأ عينه قره و قلبه مسره،فاذا شكر اللّه و حمده قيل له:ارفع رأسک الی الحديقه الثانيه ففيها ما ليس فی الاولی، فيقول:يا رب اعطنی هذه،فيقول اللّه تعالی:ان أعطيتكها سألتنی غيرها، فيقول:رب هذه فاذا هو دخلها شكر اللّه و حمده،قال:فيقال:افتحوا له بابا الی الجنه و يقال له:ارفع رأسک فاذا قد فتح له باب من الخلد و يری أضعاف ما كان فيما قبل فيقول عند مضاعف مسراته:رب لک الحمد الذی لا يحصی إذ مننت علیّ بالجنان،و أنجيتنی من النيران،قال أبو بصير:فبكيت و قلت له:

جعلت فداک زدنی قال:يا أبا محمد ان فی الجنه نهرا فی حافتيه جوار نابتات،إذا مر المؤمن بجاريه أعجبته قلعها و أنبت اللّه عز و جل مكانها أخری،قلت:جعلت فداک زدنی قال:يا أبا محمد المؤمن يزوج ثمانمأه عذراء،و اربعه آلاف ثيب،و زوجتين من الحور العين.قلت:جعلت فداک ثمانمأه عذراء؟قال:نعم ما يفترش منهن

شیئا الا وجدها کذلک.قلت:جعلت فداک من أی شیء خلقن الحور العین؟ قال:من تربه الجنه النورانیه و یری مخ ساقها من وراء سبعین حله کبدها مرآته و کبده مراتها،قلت:جعلت فداک أ لهن کلام یتکلمن به فی الجنه قال:نعم.

کلام لم یسمع الخلایق اعذب منه،قلت:ما هو؟قال یقلن بأصوات رخیمه:

نحن الخالدات فلا نموت،و نحن الناعمات فلا نبأس،و نحن المقیمات فلا نظعن،و نحن الراضیات فلا نسخط،طوبی لمن خلق لنا،و طوبی لمن خلقنا له، و نحن اللواتی لو أن قرن أحد بنا،علق فی جو السماء لأغشی نوره الأبصار. (۱)

۱- ۱) بح ج ۸ ص ۱۲۰.

[سوره الحج (۲۲): الآیات ۱۵ الی ۲۲]

اشاره

مَنْ کٰانَ یَظُنُّ أَنْ لَنْ یَنْصُرَهُ اَللّٰهُ فِی اَلدُّنْیٰا وَ اَلْآخِرَهِ فَلْیَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَی اَلسَّمٰاءِ ثُمَّ لْیَقْطَعْ فَلْیَنْظُرْ هَلْ یُذْهِبَنَّ کَیْدُهُ مٰا یَغِیظُ (۱۵) وَ کَذٰلِکَ أَنْزَلْنٰاهُ آیٰاتٍ بَیِّنٰاتٍ وَ أَنَّ اَللّٰهَ یَهْدِی مَنْ یُرِیدُ (۱۶) إِنَّ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ اَلَّذِینَ هٰادُوا وَ اَلصّٰابِئِینَ وَ اَلنَّصٰاریٰ وَ اَلْمَجُوسَ وَ اَلَّذِینَ أَشْرَکُوا إِنَّ اَللّٰهَ یَفْصِلُ بَیْنَهُمْ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ إِنَّ اَللّٰهَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ (۱۷) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَللّٰهَ یَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِی اَلْأَرْضِ وَ اَلشَّمْسُ وَ اَلْقَمَرُ وَ اَلنُّجُومُ وَ اَلْجِبٰالُ وَ اَلشَّجَرُ وَ اَلدَّوَابُّ وَ کَثِیرٌ مِنَ اَلنّٰاسِ وَ کَثِیرٌ حَقَّ عَلَیْهِ اَلْعَذٰابُ وَ مَنْ یُهِنِ اَللّٰهُ فَمٰا لَهُ مِنْ مُکْرِمٍ إِنَّ اَللّٰهَ یَفْعَلُ مٰا یَشٰاءُ (۱۸) هٰذٰانِ خَصْمٰانِ اِخْتَصَمُوا فِی رَبِّهِمْ فَالَّذِینَ کَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِیٰابٌ مِنْ نٰارٍ یُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ اَلْحَمِیمُ (۱۹) یُصْهَرُ بِهِ مٰا فِی بُطُونِهِمْ وَ اَلْجُلُودُ (۲۰) وَ لَهُمْ مَقٰامِعُ مِنْ حَدِیدٍ (۲۱) کُلَّمٰا أَرٰادُوا أَنْ یَخْرُجُوا مِنْهٰا مِنْ غَمٍّ أُعِیدُوا فِیهٰا وَ ذُوقُوا عَذٰابَ اَلْحَرِیقِ (۲۲)

اللغه

۱۵[بسبب]:السبب کل ما یتوصل به الی الشیء.

[یغیظ]:ما أوجب غیظه من المشکله و الفتنه التی وقع فیها.

۱۷[الصابئین]:هم خلیط من الأدیان،و قیل لکل خارج من الدین الی دین آخر صابئ.

[المجوس]:عبده النار کان لهم نبی و کتاب،فقتلوا نبیهم و أحرقوا کتابهم.

ص:۳۳

هكذا يحيط تدبير اللّه بالإنسان

هدى من الآيات:

تطرقت الآيات السابقه عن ان هناك من يؤمنون باللّه ايمانا حرفيا،فاذا أصابتهم نعمه اطمأنوا بها،أما إذا امتحنوا بفتنه انقلبوا على وجوههم و قالت:ان هؤلاء يتبعون قاده يضرون و لا ينفعون.

و فى هذا الدرس يذكرنا القرآن بأن الحاكم الحقيقى للكون،و من له الولايه الحق على الإنسان هو اللّه،ليس فقط فى المجال التشريعى و فى الآخره،و انما أيضا فى الدنيا و فى المجال التكوينى.

و لتأكيد هذه الفكره تذكرنا الآيات بعده حقائق:

أولا:ان الذين يزعمون انهم منفصلون عن اراده اللّه و تدبيره فليفعلوا ما يشاءون،و ليكيدوا ما يريدون،ثم لينظروا،هل باستطاعتهم ان يخرجوا من حدود قدره اللّه و ملكوته؟

ص:۳۵

ثانیا:هل باستطاعه الإنسان ان یهتدی الی سواء السبیل،و یعرف الطریق القویم،من دون هدی اللّه المتمثل فی آیاته و رسوله و فی توفیقه للهدی؟ ثالثا:هل بالإمکان توحید البشر علی أساس غیر رساله اللّه الحق؟کلا..

ان رساله اللّه و العمل بها هو الأساس الوحید لتوحید الناس.

ثم یؤکد الذکر علی ان کل ما فی السماوات و الأرض خاضع للّه و ساجد له، کالشمس و القمر و النجوم و الشجر و الدواب،و لکن تبقی مجموعه من البشر تشذ عن هذه السنه لفتره محدوده،و فی مجال محدود،ینتهون بانتهاء الفرصه التی أعطاهم اللّه.فلیس بإمکان الإنسان ان لا یأکل أو لا یشرب أو لا ینام،و کذلک لیس باستطاعته ان یخرج نفسه من الأرض،أو یتمرد علی سنن الحیاه،نعم بإمکانه ان لا یصوم أو لا یصلی،فی هذا المجال المحدود فقط اعطی الحریه لکی تمتحن إرادته، اما فی سائر المجالات فلا بد له من الخضوع طوعا و کرها؟ اذن ما دمت لا تسطیع الخروج عن ولایه اللّه،فلما ذا تتمرد علیه و تتخذ غیره ولیا؟ هذا فی الدنیا،اما فی الآخره فیساق المجرمون الی جهنم سوقا و تفصّل لهم ثیاب من نار،و یصب من فوق رؤوسهم الحمیم فیصهر ما فی بطونهم و أجوافهم،و لهم مقامع«مطارق»من حدید ملتهب،و کلما حاولوا الفرار من النار أعیدوا إلیها مقهورین.

اذن فبدایه الإنسان و نهایته محدودتان بتدبیر اللّه،انه لا یخرج من ملکوت اللّه و سلطانه،فحری بالإنسان ان لا یتخذ غیر اللّه ولیا و قائدا.

ص:۳۶

بينات من الآيات:

[١٥] مَنْ كٰانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللّٰهُ فِی الدُّنْيٰا وَ الْآخِرَهِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمٰاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مٰا يَغِيظُ (الهاء)فی كلمه(ینصره)تعود الی أحد معنیین،اما الی نبینا محمد صلی الله علیه و آله و اما الی من فی جمله« مَنْ كٰانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللّٰهُ ».

ففی الحاله الاولی یکون المعنی:انه من کان یحقد علی محمد صلی الله علیه و آله ،و ما جاء به من رساله اللّه و یشک فی نبوته،و لا یعتقد بان اللّه ناصره فی الدنیا و الآخره، فلیبذل کل ما فی وسعه،و لیجرب کل حیله الی ذلک،حتی لو استدعی ذلک ان یمد حبلا من أعلی و یشنق نفسه،ثم لینظر:هل استطاع ان یتحدی اراده اللّه بمنع رسوله أو بمنع رسالته فیشفی بذلک حقده و ظنه؟ اما فی الحاله الثانیه فان الآیه تعنی ان اللّه سبحانه ینصر الإنسان،و یحفظه و یعینه فی الدنیا و الآخره.و من کان یظن غیر ذلک،فلیذهب انی یشاء،و لیفعل ما یرید،حتی و لو شاء خنق نفسه(بمد حبل الی السماء ثم قطعه)فانه لن یقدر علی تحدی سلطان اللّه،و لن یذهب عمله و حقده علی اللّه.

و لعل الآیه تتضمن تحدیا اعجازیا للبشر،فاذا کانوا یشکون فی قدره اللّه اذن فلیخرجوا من ملکوت اللّه،و من سننه و قوانینه الثابته التی اخضع لها کل شیء، و التی یکرهون علی الخضوع لها،و من ثم لینظروا-بعد ان یستخدموا کل امکاناتهم و علومهم-هل استطاعوا ان یخرجوا من ملکوت اللّه،أو هل تحرروا من قوانین الحیاه المادیه و المعنویه،فیشفوا بذلک غیظهم النابع من جهلهم الموجه ضد اراده اللّه و سننه التی وضعت لمصلحتهم،و التی کان ینبغی علیهم ان یعملوا بموجبها و یشکروا اللّه علیها لأنها أهم مظاهر رحمه اللّه بعباده.فیکون معنی الآیه:مدّوا

بحبل الى السماء،فهل تقدرون على ذلك؟و اللّه العالم.

عند ما صعد رائد الفضاء(ارمسترونغ)الى القمر..هل استطاع ان يخرج من اراده اللّه؟!كلا..انه لا يستطيع ذلك حتى انه لم ينس مشاكله العائليه مع زوجته،فقد صرّح بعد نزوله الى الأرض:كنت أفكر و انا على سطح القمر فى خلافاتى مع زوجتى..و هل هى راضيه عن عملى هذا الذى أقوم به أم لا؟ هكذا يبقى الإنسان محكوما بالانظمه و القوى الطبيعيه حوله،ماديه كانت أم معنويه،شاء ذلك أم ابى،و لا يمكنه و الحاله هذه الا ان يمتثل لأمر مولاه.و ان تكبر و استنكف فلا يضر الا نفسه.

و أخيرا لو تفكر الإنسان:من الذى يرزقه و يسبغ عليه النعم،و من الذى يدفع عنه آلاف الاخطار التى تحمل فى طياتها الموت و الدمار،لوجد انه هو اللّه الرزاق ذو القوه المتين،و ما عداه ليس الا أسبابا مخلوقه..

اللّه يهدى من يريد:

[۱۶] وَ كَذٰلِكَ أَنْزَلْنٰاهُ آيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ وَ أَنَّ اللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ كما ان الجانب المادى من حياتنا محكوم باراده اللّه سبحانه فكذلك الجانب المعنوى منها كالهدايه،و لو كان العقل و الفطره كافيان لهدايه الإنسان،فلما ذا يضل البعض و يهتدى الآخرون و الجميع يمتلك العقل و الفطره؟كلا.. أَنَّ اللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ .و ما دامت الهدايه من اللّه فلنتخذه وليا،لا نعبد سواه.

[۱۷] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هٰادُوا وَ الصّٰابِئِينَ وَ النَّصٰارىٰ وَ الْمَجُوسَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللّٰهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ ثم ان الاختلاف الناشئ بين البشر دليل واضح على ان الإنسان بحاجه الى

اللّه ليهديه الى الطريق القويم و ان اللّه هو الذى يقضى بالحق،و يفصل بين اتباع المذاهب المختلفه.

إِنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ إنّ فصل اللّه بين المذاهب و الآراء المختلفه،و بالتالى بين الحق و الباطل فى كل قضيه صغيره أو كبيره،انما هو تجل لشهادته الشامله لكل شىء،و انه المهيمن الذى لا يعزب عن علمه شىء فى السموات و الأرض.

و لأنه شهيد على كل شىء،فلا بد من احترام محضره المبارک،و التحسس برقابته المباشره و اشرافه الدائم،و ان يسأل كل إنسان نفسه عند ما يهم بعمل أو قول،أو حتى عند ما يجيل بخاطره فكره،و يريد ان يتخذ قرارا أو يصدر رأيا،هل اللّه راض عن ذلک،انه يحاسبه غدا عليه.ان هذا الاحساس هو الذى يبعث نور الهدى فى ضمير البشر،و يشد أزر العقل ضد الهوى،و يساعد على منهجيه التفكير دون الفوضى،و يقوم سلوک الفرد دون التطرف.. و يجعل له من نفسه واعظا مرشدا.

لقد جاء فى الأثر:ان زليخا عند ما طلبت الفحشاء من يوسف عليه السلام و غلقت الأبواب رأت فى جانب الغرفه صنما،فقامت و غطته،فسألها يوسف:لماذا صنعت هكذا؟فقالت:لكى لا يرانا،فقال يوسف:تستحين أنت من صنمک و هو لا يسمع و لا يبصر،و لا استحى انا من ربى؟! [۱۸]ثم يوجه القرآن الحكيم نظر الإنسان الى السماء و الأرض..الى آيات اللّه التى تشهد جميعها على هيمنه اللّه المطلقه و خضوع كل شىء فى الوجود له سبحانه.

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبٰالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النّٰاسِ ان هذه الأشياء تخضع خضوعا اللّه.

وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذٰابُ لكن كثيرا من الناس لا يسجدون للّه و هؤلاء لا يشكلون فى الواقع سوى نسبه ضئيله إذا ما قيسوا بما فى الكون من مخلوقات هائله،و اعداد غفيره تعجز الكمبيرترات عن إحصائها و تسجيلها.

ان كرامه الإنسان تقتضى السجود لرب تسجد له السموات و الأرض،و من فيهما،ذلك اللّه الفاعل ما يشاء،اما السجود لصنم لا يضر و لا ينفع بل يضر و لا ينفع،أو لبشر ذليل حقير كالسلاطين المغرورين،أو كأصحاب الثروه المفسدين فانه يستتبع اهانه و ذله و صغارا.

و اللّه سبحانه حين لا يهدى البشر يبتليه بعباده الأصنام الصامته أو الناطقه، فيهينه بذلك،و من اهانه اللّه لا مكرم له من بعده.

و لا يقدر أحد تحدى اراده اللّه،و الخروج عن اطار الاهانه الشركيه الى عز التوحيد،لان اللّه يفعل ما يشاء،و لا يفعل ما يشاء غيره سبحانه.

وَ مَنْ يُهِنِ اللّٰهُ فَمٰا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللّٰهَ يَفْعَلُ مٰا يَشٰاءُ من اهانه هؤلاء،أو إكرام أولئك الذين يسجدون له،من هنا كان علينا الالتجاء اليه ليهدينا اليه،و يجعلنا ممن أكرمهم بالسجود له.

[۱۹] هٰذٰانِ خَصْمٰانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ

فریق هدی و فریق حق علیهم الضلاله..

فَالَّذِینَ کَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِیابٌ مِنْ نارٍ الذین کفروا تقطع لهم ثیاب من نار فصّلت بمقدارهم،حتی تکون النار أکثر ملامسه لکل جزء من أبدانهم کذلک لیذوقوا العذاب الشدید.

یُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِیمُ عند ما یحیط الثوب الناری بالجسم تبقی بعض الأعضاء مکشوفه کالرأس فیصب علیه الحمیم الساخن لیکون العذاب شاملا لکل أجسامهم.

[۲۰] یُصْهَرُ بِهِ ما فِی بُطُونِهِمْ وَ الْجُلُودُ ان الحمیم من شده حرارته(و الذی قیل فی شأنه انه الرصاص المذاب)یصهر ما فی أجوافهم القلب-الکبد-الأمعاء.

[۲۱] وَ لَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِیدٍ المقمعه:آله تستعمل للدق،تحملها الملائکه لتضرب بها رؤوس المجرمین.

[۲۲] کُلَّما أَرادُوا أَنْ یَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِیدُوا فِیها وَ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِیقِ بالرغم من ان الکفار فی جهنم یعلمون ان لا أمل لهم فی النجاه منها الا أنهم من شده العذاب یحاولون الخروج منها بسبب غمّها و کدرها،و فی کل مره یحاولون ذلک یفشلون،و هذا بحدّ ذاته عذاب نفسی لهم.

هکذا یتبین مدی خطأ الفکره التفویضیه التی تری ان اللّه لا ینصر العبد فی

الـدنيا و الآـخره،و انه لاـ يرتبط به شـیء من التقـدير و التـدبير،كلا..ان اللّه هو الـذى ينعم و يهـدى و يكرم و يجازى،فالى كهفه نلتجئ،و من غضبه الى رحمته نفر،و به من عذابه نستعيذ.

ص:۴۲

[سوره الحج (۲۲): الآيات ۲۳ الی ۲۹]

اشاره

إِنَّ اَللّٰهَ يُدْخِلُ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ جَنّٰاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ يُحَلَّوْنَ فِيهٰا مِنْ أَسٰاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً وَ لِبٰاسُهُمْ فِيهٰا حَرِيرٌ (۲۳) وَ هُدُوا إِلَی اَلطَّيِّبِ مِنَ اَلْقَوْلِ وَ هُدُوا إِلیٰ صِرٰاطِ اَلْحَمِيدِ (۲۴) إِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اَللّٰهِ وَ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرٰامِ اَلَّذِی جَعَلْنٰاهُ لِلنّٰاسِ سَوٰاءً اَلْعٰاكِفُ فِيهِ وَ اَلْبٰادِ وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحٰادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذٰابٍ أَلِيمٍ (۲۵) وَ إِذْ بَوَّأْنٰا لِإِبْرٰاهِيمَ مَكٰانَ اَلْبَيْتِ أَنْ لاٰ تُشْرِكْ بِی شَيْئاً وَ طَهِّرْ بَيْتِیَ لِلطّٰائِفِينَ وَ اَلْقٰائِمِينَ وَ اَلرُّكَّعِ اَلسُّجُودِ (۲۶) وَ أَذِّنْ فِی اَلنّٰاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجٰالاً وَ عَلیٰ كُلِّ ضٰامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (۲۷) لِيَشْهَدُوا مَنٰافِعَ لَهُمْ وَ يَذْكُرُوا اِسْمَ اَللّٰهِ فِی أَيّٰامٍ مَعْلُومٰاتٍ عَلیٰ مٰا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَهِ اَلْأَنْعٰامِ فَكُلُوا مِنْهٰا وَ أَطْعِمُوا اَلْبٰائِسَ اَلْفَقِيرَ (۲۸) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَ لْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَ لْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ اَلْعَتِيقِ (۲۹)

اللغه

۲۵[بإلحاد]:الإلحاد العدول عن القصد.

۲۶[بوّأنا]:وطّأنا.

ص:۴۳

۲۷[فج عميق]:طريق بعيد.

۲۹[العتيق]:هو الكعبه،و انما سمّى عتيقا لأنه أعتق من أن يملكه العبيد.

ص:۴۴

و اذن فى الناس بالحج

هدى من الآيات:

انتهت آيات الـدرس السابق بإنذار بالغ الشده للذين كفروا،و ذلك بتصوير مشـهد من مشاهد العذاب فى يوم القيامه،و لأنه كلما ورد إنذار فى القرآن الحكيم شـفع بترغيب و بشاره فقد جاءت هذه الآيات تبشر المؤمنين بان لهم عند ربهم ثوابا يتجلى فى جنه تجرى من تحتها الأنهار،و فى زينه يتزين بها هؤلاء فى تلك الجنه،و من قبل هـداهم اللّه الى القول الطيب و الصـراط الحميـد.ثم يتناول موضوع الحـج باعتباره منسـكا من مناسك الامه الإسـلاميه الواحـده،و يهدف تكريس التقوى فى نفوس ابنائها،أما الكفار الـذين يصدون عن سبيل اللّه،و من أبرز مصاديقه المسـجد الحرام،فلهم عذاب اليم،بل كل من ينحرف فيه بظلم الناس،فله عذاب اليم.

و يعيـدنا القرآن الى اليـوم الاـول الـذى بنى فيه المسـجد الحرام،و كيـف أمر اللّه تعـالى إبراهيم عليه السّـلام ببنـاء الـبيت للنـاس جميعا،لا من أجل طائفه أو قوم.انما البيت للقريب و البعيد،للقاصى و الدانى.

و لم يوضع الحرم لكى يشرك باللّه عبره،انما وضع لكى يعبد اللّه وحده هناك.

(بإقامه الصلاه و بالركوع و السجود)فقد أمر اللّه إبراهيم عليه السلام ان يطهّر بيته من الأصنام التى كانت تعبد من دون اللّه،فى أيام الجاهليه،و الأصنام البشريه التى تعبد اليوم هناك و باسمه.

و آيات هذا الدرس هى سنام هذه السوره-فيما يبدو لى-لأنها تتحدث عن وسيله تكريس التقوى،و الحج هو أفضل وسيله لذلك،و قد عرفنا مسبقا أنّ التقوى هى أعلى درجات الاحساس بالمسؤوليه.

بينات من الآيات:

الجنه نعيم شامل:

[۲۳] إِنَّ اللّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ الذين آمنوا ايمانا صادقا باللّه،هم المؤمنون حقا،و هم الذين ينعكس ايمانهم فى واقع حياتهم،بالقيام بالأعمال الصالحه.و الجنات التى يدخلها هؤلاء هى ترجمه لعملهم الصالح،و لهذا جاءت كلمه(جنات)بلفظ الجمع باعتبار ان عملهم الصالح على درجات و ان لكلّ عمل جنه.

يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً وَ لِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ اى يزينون بأساور من الذهب،كما يتوجون أو يقلدون باللؤلؤ النفيس، و يلبسون ملابس خضراء من حرير فاخره و تصور هذا المنظر يشّوق الإنسان الى الجنّه.

[۲۴]ثم لا يكتفى السياق ببيان النعم الماديه،بل يضيف إليها النعم المعنويه

ص:۴۶

أيضا حيث يقول:

وَ هُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَ هُدُوا إِلى صِراطِ الْحَمِيدِ الطيب من القول هو:(السّلام عليكم و رحمه اللّه و بركاته)و جاء فى بعض الأحاديث،انه كلمه التوحيد،و قد ورد فى بعض النصوص:أنّ اللّه يرسل الى أهل الجنه كل وقت بهديه و انها هى الطيب من القول،و هذا هو المعنى الذى ذهب اليه المفسرون،و كأن الهدايه تتم فى الجنه،و لكن يبدو لى ان معنى الآيه:ان المؤمنين قد هداهم اللّه فى الدنيا الى الطيب من القول،و هو كلمه التوحيد و الإخلاص.و الى الصراط الحميد،و هو طريق الأنبياء و الائمه الهداه،عليهم جميعا صلوات اللّه.

الصد عن السبيل:

[٢٥]بعد ذلك يبدأ القرآن بنبذه عن الكفار،و ما هو عملهم،بالمقارنه مع المؤمنين،و عملهم فيقول:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ ليس الكفر هو الكلام النظرى أو العقيده المجرده فحسب.بل هو أيضا ما نبع من ذلك كله كالعدوان و العمل الشىء،لذلك لا يلبث القرآن بعد ان ذكر الكفار،ان يبين واقع كفرهم قائلا:« وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ »يعنى ان هؤلاء قد كفروا فى قراره أنفسهم،اما عملهم فصد عن سبيل اللّه،و لذلك تجد كلمه«كفروا» جاءت بصيغه الماضى،بينما جاءت كلمه«يصدون»بصيغه المضارع الداله على الحال و المستقبل،فالكفر قرار واحد،اما الصد عن سبيل اللّه فهو عمل دائب و مستمر.

و الصد عن سبيل اللّه،يقف حاجزا بين الإنسان و قيامه بالعمل الصالح،أيا كان هذا العمل-امرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو بناء مساجد اللّه و أداء فرائضه

-لان الصد عكس ذلك تماما كخلق العراقيل التى تمنع الحجاج عن أداء فرائضهم،أو منع السلطات عماره الأرض،و كبت حريه العمل و التجاره،و عموما فان الكفر يقف حجر عثره فى طريق الإنسان لكى لا يصل ذرى التقدم و التكامل المادى و المعنوى.

وَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ اما الصد عن المسجد فهو نوعان:

النوع الاول:تكبيل الناس بالقوانين الاداريه الجائره،و منعهم من السفر الى الحج أساسا.

النوع الثانى:هو ان يتمكن الحجاج من الوصول الى المسجد الحرام،و لكنهم لا يتركون ليؤدوا شعائرهم الدينيه،كما فرضها اللّه عليهم بحريه تامه،بسبب هيمنه و ضغط السلطات الجائره المتحكمه على الأماكن المقدسه.

ضمان حريه الإنسان فى الحرم:

و قبل ان يسوق القرآن الحديث حول بيت اللّه و مناهج الحج اليه،يفرض احترام المسجد الحرام،و يتوعد الذين يظلمون فيه،و يعتدون على حرمات الناس، و يصادرون حرياتهم،بالعذاب الأليم.

و الحريه هنالك تعنى كل شىء،إذ من دونها تكاد تتفرغ مناهج الحج من محتوياتها،فكيف يشهد الحجاج منافع لهم و سيف الظلم مسلط عليهم.و كيف يتفكرون فى شؤون الامه،و اجهزه القمع المتسلطه تلاحقهم،و كيف يخلعون ثياب الشرك،و يتحررون من خوف الجبابره ليعبدوا اللّه وحده،و شياطين السلطه يحيطون بهم.

و هكذا نفهم ان أى انحراف يتم بالظلم تشمله الآيه،حتى و لو لم يكن من قبل الدوله،بل من أصحاب السلطه الصغار كالزوج و المالك و المدير و..و..

جاء فى حديث مأثور على الامام الصادق-عليه السّلام-:

«كل ظالم يظلم الرجل نفسه بمكه من سرقه أو ظلم أحد أو شيء من الظلم فانى أراه إلحادا.و لذلك كان ينهى ان يسكن الحرم» (۱).

أى كانت الاقامه الدائمه بمكه مكروهه شرعا،لان الإنسان لا يخلو من ظلم نفسه بواحده من هذه المحرمات فاذا سكن البيت اعتبرت معاصيه هذه إلحادا، و ضاعف اللّه عليها العقاب.

اَلَّذِي جَعَلْنٰاهُ لِلنّٰاسِ فالمسجد الحرام ليس ملكا لأحد،لا لعائله معيّنه و لا لدوله خاصه انما هو للناس جميعا،و قد جعله اللّه كذلك.

سَوٰاءً الْعٰاكِفُ فِيهِ وَ الْبٰادِ أى يتساوى فيه المقيم المعتكف بمكه،مع ذلك الذى يأتيه من البدو أى الصحراء،ثم يؤكد اللّه هذه الحقيقه،مره اخرى،قائلا:

وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحٰادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذٰابٍ أَلِيمٍ ان أصحاب السلطات الظالمه التى تتخذ المسجد الحرام و حاجه الناس إليها سببا لتحريف الناس و تضليلهم،أو التى تفرض على الآخرين منهجا معينا فى التفكير..سوف يذوقون عذابا أليما.و معنى(بإلحاد)بانحراف.

۱- ۱) تفسير نمونه ج /۱۴ص ۶۵.

و لکی یمرر الجاهلیون ظلمهم و تسلطهم و افسادهم فی الحرم تراهم یحرفون الکلم عن مواضعه و هذه هی مشکله الإنسان الرئیسیه.حیث ان أصحاب السلطه قادرون علی تحریف المناهج التی وضعت لانقاذه منهم،بحیث لا تنفع أو تکون اداه لتسلطهم علیه من جدید.و یبدو ان الآیه هنا تحذر من هذه الحاله لکی لا یتحول المسجد الحرام الی مکان للظلم و الإلحاد باسم جدید!

[۲۶] وَ إِذْ بَوَّأْنا لِإِبْراهِیمَ مَکانَ الْبَیْتِ أَنْ لا تُشْرِکْ بِی شَیْئاً لقد حدّد اللّه سبحانه و تعالی مکان البیت الحرام،لإبراهیم علیه السّلام لکی یرفع قواعده عالیه شامخه،و لهدف معین هو:ان یکون البیت القاعده الرئیسیه لنسف فکره الشرک اولا و لاقامه منهج التوحید الصحیح ثانیا.و الواقع ان الکعبه المشرفه کانت موجوده من قبل إبراهیم علیه السلام و لکنها مع مرور الزمان،اندرست أثارها،و لم یبق لها رسم یدل علیها،و لم یکن إبراهیم علیه السلام لیعلم حدود البیت.

کما انه لم یکن باستطاعته ان یختار بیتا حسب رأیه الخاص،لان هذا الأمر یختص بالخالق العظیم،جل شأنه-الذی له الأمر و الخلق..فحدد اللّه مکانها له ثم أمره قائلا:

وَ طَهِّرْ بَیْتِیَ لِلطّائِفِینَ وَ الْقائِمِینَ وَ الرُّکَّعِ السُّجُودِ أی طهر بیتی من الأدران المادیه و الارجاس الوثنیه.و قد ذکرت هذه الآیه الحالات الأربع للعباده عند المسجد الحرام،و هی:الطواف و القیام..(الاقامه أو الدعاء و الذکر)و الرکوع و السجود و هما یرمزان الی الصلاه و یعبران عن الکثره، و هذه العبادات ترمز الی التوجه الخالص للّه،و الخضوع له و التسلیم لأمره،و اتخاذ شریعته محورا للحیاه.

ص:۵۰

نداء الحج:

[۲۷] وَ أَذِّنْ فِی النّاسِ بِالْحَجِّ جاء فی الأثر عن هذه الآیه انه لما فرغ إبراهیم من بناء البیت أمره اللّه ان یؤذن فی الناس بالحج،فقال:یا رب!ما یبلغ صوتی؟فقال له:اذن..علیک الأذان و علینا البلاغ،و ارتفع علی المقام و هو یومئذ ملصق(ملتصق)بالبیت،فارتفع به المقام حتی کان أطول من الجبال،فنادی و ادخل إصبعه فی اذنه و اقبل بوجهه شرقا و غربا یقول:ایها الناس کتب علیکم بالحج الی البیت العتیق،فأجیبوا ربکم، فأجابوه من تحت البحور السبع،و من بین المشرق و المغرب،الی منقطع التراب من أطراف الأرض کلها و من أصلاب الرجال،و من أرحام النساء بالتلبیه:لبیک اللهم لبیک..أ و لا ترونهم یلبّون؟فمن حج من یومئذ الی یوم القیامه فهم ممن استجاب اللّه و ذلک قوله:« فِیهِ آیاتٌ بَیِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِیمَ »یعنی نداء إبراهیم علی المقام.

یَأْتُوکَ رِجالاً وَ عَلیٰ کُلِّ ضامِرٍ یَأْتِینَ مِنْ کُلِّ فَجٍّ عَمِیقٍ رجالا:أی مترجلین علی اقدامهم،و ضامر:الدواب المضمره التی أضمرت بکثره التدریب أو لطول المسافه،و هذه الآیه ترمز الی ان الحجاج یأتون الی الحج متلهفین اما راجلین أو ممتطین دوابهم الضامره.

[۲۸] لِیَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ المنافع المادیه و المعنویه المختلفه التی فیها صلاح معاشهم و استقامه حیاتهم..

وَ یَذْکُرُوا اسْمَ اللّهِ فِی أَیّامٍ مَعْلُوماتٍ

أی فی أيام الحج من شهر ذی الحجه.

عَلىٰ مٰا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَهِ الْأَنْعٰامِ الاضحيات التی تنحر فی منی يوم العاشر.

فَكُلُوا مِنْهٰا وَ أَطْعِمُوا الْبٰائِسَ الْفَقِيرَ أی كلوا منها أنتم و قراباتكم،و أطعموا الفقير الذی قد بؤس و جاع.و هذه دعوه صريحه للموسرين،من أجل ان يخرجوا من حدود انانيتهم و شحهم،كی يقضوا حاجات المعسرين المحتاجين..

[۲۹] ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ حيث تصبح شعورهم شعثاء غبراء من كثره الترحال و المسير،كما تطول اظافرهم،و فی نهايه موسم الحج يقصون شعورهم و يقلّمون اظفارهم.و يطهرون أبدانهم من الأدران،و التفث فی اللغه الدرن.

وَ لْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَ لْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ و تلمح هذه الآيه الی ان ضروره قضاء النذور و هی-عاده-تلك التی يلزمها الفرد علی نفسه ان بلغ مكه سالما،أو ان قضيت حاجاته.و لعلنا نستفيد من هذه الآيه التأكيد بتطهير القلب و التخفيف عنه بالوفاء بالنذور،حتی يعود الحاج الی بيته بصفحه جديده.اما الطواف بالبيت العتيق،فقد جاء فی الأحاديث انه الطواف الأخير الذی يسمّی بطواف النساء لأن النساء لا يحللن الا بعده،و يسمّيه البعض بطواف الوداع،لأنه آخر تطواف حول البيت،الذی سماه الرب هنا بالبيت العتيق،لأنه حر عن ملكيه الإفراد و عن سلطه الجبابره و مركز لحريه الناس.و هو

أول بيت وضع للناس(جميع الناس)و قد أعتقه اللّه من الغرق عند الطوفان الأعظم على عهد النبى نوح عليه السّلام.

و كلمه اخيره:

لقد فسرت فى أحاديث أهل البيت عليهم السّلام كلمه(ليقضوا تفثهم)باللقاء مع(الامام)أو ليس الحضور عند الامام و الالتقاء به فى اجواء الحريه عند البيت الحرام يقضى على الأدران المعنويه لقلب الحجاج،و يؤهلهم لبدء رحله جهاديه جديده،و هذا التفسير يؤكد على الجانب الحضارى للحج،المتمثل فى تطوير الحياه السياسيه و الاقتصاديه و الاجتماعيه للامه عبر الحج و ذلك باللقاء مع امام الامه، و قائد مسيرتها،و رائد حركتها المباركه.

و

فى حديث آخر: يجعل الامام احدى حكم الوفاده الى بيت اللّه التفقه فى الدين. و نقل أنباء القياده،الى الأقطار.

جاء فى الأثر المروى عن الامام الرضا عليه السّلام و هو يبيّن علل الحج:قال:لعله الوفاده الى اللّه تعالى،و طلب الزياده، و أضاف:و نقل اخبار الائمه-عليهم السّلام-الى كل صقع و ناحيه،كما قال اللّه عز و جل:

« فَلَوْ لاٰ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَهٍ مِنْهُمْ طٰائِفَهٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذٰا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ »،و ليشهدوا منافع لهم. (۱)

۱- ۱) المصدر/ص ۴۹۰.

[سوره الحج (۲۲): الآیات ۳۰ الی ۳۵]

اشاره

ذلِکَ وَ مَنْ یُعَظِّمْ حُرُماتِ اَللّهِ فَهُوَ خَیْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ أُحِلَّتْ لَکُمُ اَلْأَنْعامُ إِلاّ ما یُتْلی عَلَیْکُمْ فَاجْتَنِبُوا اَلرِّجْسَ مِنَ اَلْأَوْثانِ وَ اجْتَنِبُوا
قَوْلَ اَلزُّورِ (۳۰) حُنَفاءَ لِلّهِ غَیْرَ مُشْرِکِینَ بِهِ وَ مَنْ یُشْرِکْ بِاللّهِ فَکَأَنَّما خَرَّ مِنَ اَلسَّماءِ فَتَخْطَفُهُ اَلطَّیْرُ أَوْ تَهْوِی بِهِ اَلرِّیحُ فِی مَکانٍ
سَحِیقٍ (۳۱) ذلِکَ وَ مَنْ یُعَظِّمْ شَعائِرَ اَللّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَی اَلْقُلُوبِ (۳۲) لَکُمْ فِیها مَنافِعُ إِلی أَجَلٍ مُسَمًّی ثُمَّ مَحِلُّها إِلَی اَلْبَیْتِ اَلْعَتِیقِ
(۳۳) وَ لِکُلِّ أُمَّهٍ جَعَلْنا مَنْسَکاً لِیَذْکُرُوا اِسْمَ اَللّهِ عَلی ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِیمَهِ اَلْأَنْعامِ فَإِلهُکُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَ بَشِّرِ اَلْمُخْبِتِینَ (۳۴)
اَلَّذِینَ إِذا ذُکِرَ اَللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ اَلصّابِرِینَ عَلی ما أَصابَهُمْ وَ اَلْمُقِیمِی اَلصَّلاهِ وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ یُنْفِقُونَ (۳۵)

ص:۵۴

فَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا

هدى من الآيات:

التقوى تنبت فى ارض التوحيد،و فروعها تشمل كل حقول الحياه،و أهم و أبرز مظاهرها هو تعظيم حرمات اللّه و شعائره.

و الـذين يخـالفون التقوى هم الـذين يرتكبون الرجس من الأوثـان،فيفعلون ما ينبغى تركه و يتركون ما ينبغى فعله،و يتبعون قول الزور و الباطل،فاذا بهم يرتكبون ما حرم اللّه كعباده الأوثان،و من جهه اخرى يقبضون أنفسـهم عما أحل اللّه لهم زورا و بهتانا،و هذا مناف للتقوى.

و يعود القرآن-مره أخرى-ليـذكرنا بان جـذر التقوى فى النفس هو تحدى الضـغوط،بحيث يكون الإنسان حنيفا،مائلا عما يريده الآخرون له،و ما يحاولون فرضه عليه.و من يشـرك باللّه يكون كمن يهوى من السـماء الى الأرض،فإمّا ان يلتقطه الشـيطان فيبتلع قدراته و قواه،كما تخطف الطيور فريستها من السماء،أو يترك حتى يهوى الى مكان سحيق.

ص:۵۵

و الدرجه العليا للتقوى هی تعظیم شعائر اللّه،بتعظیم کل ما یرتبط باللّه تبارک و تعالی احتراما له.

و یعود القرآن فیبین بعض مناسک الحج التی هی من شعائر اللّه:کالإبل التی تساق الی الحج لتنحر فیه.و یؤکد:ان عمل الإنسان هو الذی ینمّی التقوی فی قلبه.

بینات من الآیات:

تعظیم الحرمات:

[۳۰] ذٰلِکَ وَ مَنْ یُعَظِّمْ حُرُمٰاتِ اللّٰهِ فَهُوَ خَیْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ لان تعظیم حرمات اللّه و شرائعه یعود نفعه الی الفرد نفسه،إذ یحتسبه اللّه له، فیجازیه خیرا منه،سواء فی الدنیا بزیاده البرکات،أو فی الآخره بالجنات.

وَ أُحِلَّتْ لَکُمُ الْأَنْعٰامُ إِلاّٰ مٰا یُتْلیٰ عَلَیْکُمْ ان اللّه أحل لنا بهیمه الانعام الا النزر الیسیر،کالموقوذه و المتردیه و النطیحه و ما أکل السبع،و ان الالتزام بما أحل اللّه و بما حرم،هو جوهر التقوی و أهم مصادیقه.

فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثٰانِ هذا الشطر من الآیه یبین الابعاد المعنویه للتقوی،فتنقل الإنسان من اجتناب اللحوم المحرمه،الی اجتناب الرذائل الخلقیه التی تضر بکرامه الإنسان،بل تضر المجتمع و تسیء الیه کله.

و نسأل ما هو الرجس؟

لقد وقف المفسرون طويلا عند هذه الكلمه،فمنهم من قال:انها القمار و النرد و الشطرنج،و منهم من قال:انها الأوثان التی تعبد من دون اللّه،باعتبار ان الحج کان ملوثا عند الجاهلیه بعباده الأوثان،و قد أمر اللّه سبحانه ان یطهر الحج من عباده الأوثان.و قال بعضهم:ان الرجس هو مجرد قبول فکره وجود الصنم فی بیت اللّه الحرام.و قال بعضهم:انها تلک الذبائح التی تذبح لغیر اللّه.و قد سبق ان قال اللّه تبارک و تعالی: وَ أُحِلَّتْ لَکُمُ الْأَنْعٰامُ إِلاّٰ مٰا یُتْلیٰ عَلَیْکُمْ و فی أماکن متفرقه من القرآن یؤکد اللّه علی ان ما ذبح لغیر اللّه حرام،و انه رجس.

کل ذلک صحیح و مقبول و لکن یبدو ان هناک فکره اعمق و هی:ان الإنسان اما ان یعبد اللّه وحده لا شریک له،و یلتزم بالقیم التی أمر بها اللّه سبحانه،و اما ان یخضع للشیء أی شیء کان.بتعبیر آخر:الناس اثنان،فاما إنسان قیمی یقدس القیم و یؤمن بالغیب،أو إنسان شیئیّ لا یؤمن الا بالشهود،و هو یقدس الأشیاء، ان الرذیله..الانحراف..الظلم..إلخ کل ذلک ناتج عن شیئیه الإنسان و عدم تقدیسه للقیم،و قد یحول فی بعض الأحیان القیم الی الشیء،فتراه یذهب الی الحج و لکنه لیس بهدف الوصول الی اللّه من خلاله،بل ینظر الی مناکسه نظره شیئیه، فیتوجه قلبه الی هذه الأشیاء دون ان یجعلها سبیلا-و رمزا الی القیم التی وراءها، فالکعبه یجب ان تکون عندنا رمز التوحید و الوحده،و الذبح یجب أن یرمز الی ان کل شیء فداء للّه،و رمی الجمار یجب ان یرمز الی ضروره مقاومه الشیاطین...إلخ.

و الذی ینحرف فیعبد الشیء لا-شک انه سوف ینحرف انحرافات أخری،و منها الشطرنج،الذی یشبه الی حد ما تلک العاده الجاهلیه التافهه،التی کانت تقضی بالقرعه عند الأوثان،ثم العمل بمقتضی ما یستخرج منها.

لذلک

جا فی الأثر:عن أبی عبد اللّه الصادق علیه السّلام،قال فی قول اللّه عز و جل:

ص:۵۷

« فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ قال:

الرجس من الأوثان الشطرنج،و قول الزور الغنا » (۱)

و فی حدیث آخر عن الامام الصادق علیه السّلام أیضا :ان من قول الزور:

«قول الرجل للذی یغنّی:أحسنت » (۲)

و فی روایه أیمن بن خزیم عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله انه قال :خطبنا فقال:

«ایها الناس عدلت شهاده الزور بالشرک باللّه«ثم قرأ» فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ » (۳) و من مجموع هذه الأحادیث نستوحی ان قول الزور هو کل قول باطل.

وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ صحیح ان کلمه(قول الزور)فسّرت بالغناء و الطرب و اللهو،و لکن أهم و أعظم من قول الزور هذا هو:ان یقول الإنسان کلاما فینسبه الی اللّه تعالی، و یتعبد به فیحلل ما حرم اللّه و یحرم ما أحلّ اللّه سبحانه.

۱- ۱) نور الثقلین ج ۳-ص ۴۹۶.

۲- ۲) المصدر ص ۴۹۵.

۳- ۳) المصدر ص ۴۹۶.

الحنيفیه دین اللّه:

[۳۱] حُنَفٰاءَ لِلّٰهِ غَیْرَ مُشْرِکِینَ بِهِ الحنیفیه تعنی الطهاره من أدران المجتمع و المیل الی ما یریده اللّه منک،کالمیل عن سلوک المجتمع،أو عن ضغط الأهواء و الشهوات خالصا لوجه اللّه.

فلیس من الحنیفیه المطلوبه ان تتحدی ضغطا اجتماعیا لضغط آخر،أو هوی نفسانیا لهوی آخر أو تحارب طاغوتا من الغرب،من أجل آخر من الشرق،کلا،انما علیک ان تتحدی و تقاوم الضغوط کلها و الأهواء جمیعا و کل السلطات الظالمه لأجل اللّه الحق سبحانه.

فالحنیفیه طریق واضح و محجه بیضاء،تختلف تمام الاختلاف،و تتناقض تمام التناقض،مع کل السبل الاخری و لها وجهان:میل عن الشرکاء و الضغوط،و اتجاه الی اللّه وحده.

و الواقع:ان الحنیفیه هی فطره الإنسان الطاهره النقیه التی یثوب إلیها المؤمنون،من هنا

جاء فی حدیث مأثور عن أبی جعفر الباقر علیه السّلام حین سأله زراره:عن قول اللّه عز و جل:« حُنَفٰاءَ لِلّٰهِ غَیْرَ مُشْرِکِینَ بِهِ »و عن الحنفیه قال:

«هی الفطره التی فطر الناس علیها،لا تبدیل لخلق اللّه قال فطرهم علی المعرفه. » (۱)وَ مَنْ یُشْرِکْ بِاللّٰهِ فَکَأَنَّمٰا خَرَّ مِنَ السَّمٰاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّیْرُ أَوْ تَهْوِی بِهِ الرِّیحُ فِی مَکٰانٍ سَحِیقٍ

۱- ۱) المصدر ص ۴۹۶.

بفعل الجاذبيه يخر الشيء من السماء،فاذا كان هذا الشيء صيدا تسارع الطيور لاصطياده،و ان لم تصطده يستمر فی السقوط الی ان يصل الی الهاويه،و كذلک الإنسان الذی يشرک باللّه،اما ان يصبح من نصيب الطغاه يجيّرونه لمصلحتهم و ينتفعون من طاقته،و اما ان يكون من نصيب الوادی السحيق،البعيد القعر فی جهنم.

اهداف شعائر اللّه:

[۳۲] ذٰلِکَ وَ مَنْ يُعَظِّمْ شَعٰائِرَ اللّٰهِ فَإِنَّهٰا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ الالتزام بحرمات اللّه جانب من التقوی،اما الجانب الأكمل منها فهو تعظيم شعائر اللّه،الذی يعنی تعظيم كل شیء يدلنا علی اللّه.ان تعظيم قطعه قماش منصوبه علی طرف عمود ليس تعظيما لذاتها،انما هو تعظيم للوطن الذی يمثله هذا العلم،كذلک تعظيم المسجد،و العالم و القرآن انما هو تعظيم للّه،فاللّه سبحانه هو الحق،و سائر الحرمات و الشعائر وسائل اليه،و كل شیء محترم أو شخص مقرّب، يقدر للّه،لا لأجل ذاته.

و الشعائر:جميع شعيره بمعنی العلامه التی تدلک علی الشیء.و شعائر اللّه هی الواجبات الدينيه التی تشهد علی عظمه الرب مثل مناسک الحج و صلاه الجمعه و الجماعه،و سائر مظاهر التوحيد.و الشعيره التی جاءت هذه الآيه فی سياقها:هی الأنعام التی يسوقها الحاج من منزله الی بيت اللّه.و قد علّمها بعلامه تدل علی أنها هدی،بالغ الكعبه.

[۳۳] لَكُمْ فِيهٰا مَنٰافِعُ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى باستطاعتكم ان تستفيدوا من الانعام التی تنوون تقديمها الی اللّه،من حليبها

و صفوها و وبرها،الی ان تصلوا مکه.کما أکدت ذلک أحادیث عدیده. (۱)

ثُمَّ مَحِلُّهٰا ای منزلها الأخیر.

إِلَی الْبَیْتِ الْعَتِیقِ العتق هو التحریر بعد العبودیه،و لقد أعتق اللّه البیت الحرام من ملکیه الإفراد أیا کانوا و جعله للناس سواء،و هو فی نفس الوقت مکان العتق، ای ان الإنسان یستطیع ان یحرر نفسه من ذنوبه،و من کل من یستعبده من شیاطین الجن و الانس.

[۳۴] وَ لِکُلِّ أُمَّهٍ جَعَلْنٰا مَنْسَکاً لِیَذْکُرُوا اسْمَ اللّٰهِ عَلیٰ مٰا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِیمَهِ الْأَنْعٰامِ .

لکل امه من الأمم شعائر،وضعت من أجل ذکر اسم اللّه،فتقدیس هذه الشعائر لذاتها هو نوع من الرجس و الوثنیه،اما نحن فعلینا الاّ نقدس المناسک لذاتها،انما نقدس المناسک لأنها تدعونا الی ذکر اللّه،و قد سبق القول:بان المناسک المذکوره فی هذه السوره تهدف-فیما تهدف-الی بیان خلفیاتها،لئلا تقدس المناسک ذاتها و یهمل ما وراءها من قیم و اهداف،و الهدف من الانعام التی تذبح للّه لیس إهداء لحمها الی اللّه،لان اللّه لا ینال لحومها و لا شحومها،بل تناله التقوی و ذکر اللّه،فذکر اللّه هو الهدف الرئیسی من کل المناسک،لذلک قال:« لِیَذْکُرُوا اسْمَ اللّٰهِ عَلیٰ مٰا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِیمَهِ الْأَنْعٰامِ »و ذکر اللّه لیس ذلک الذکر اللسانی،بل نیّه القلب،و إخلاص العمل،کذل قال اللّه:« وَ لٰکِنْ یَنٰالُهُ التَّقْویٰ مِنْکُمْ ».

و المنسک حسب الراغب-العباده.و حسب الطبری و الرازی یقال المنسک و یقصد الذبیحه. (۲)

ص:۶۱

۱- ۱) راجع نور الثقلین ج ۳ ص ۴۹۷.

۲- ۲) تفسیر نمونه ج ۱۳-ص ۱۰۲.

فَـإِلٰهُكَمْ إِلٰهٌ وٰاحِـدٌ ليس إلهكم الانعام التى تفـدونها،و ليس إلهكـم الزينـه الـتى تـتزينون بهـا فى يـوم العيــد،و ليس إلهكم مجتمعكم.كلا..انما إلهكم اله واحد،و كل هذه النعم من اللّه و تحترم بأمر اللّه.

فَلَهُ أَسْلِمُوا وَ بَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ المخبتون:الذين سلّموا لا و أمره،و سلّموا لوحدانيته.

[۳۵]و يتميز المخبتون بعده صفات هى:

١-و جـل القلب بـذكر اللّه.و هـو تعـبير عن قـوه الروح،و عمق الايمـان،و قـد بلغت تقوى اللّه فى أنفسـهم،درجه تجرى عـبراتهم بمجرد ذكره،اى وصلوا الى درجه العرفان،فكان اللّه اجلى و أعظم حقيقه فى نفوسهم كما

جاء فى الدعاء المأثور عن سيدهم الأمام الحسين عليه السّلام :«الهى كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر إليك،أ يكون لغيرك من الظهور مـا ليس لك حتى يكون هو الـدليل عليك، متى غبت حتى تحتاج الى دليل يـدّل عليك،و متى بعـدت حتى توصـلنا الآثار إليك،عميت عين لا تراك عليها رقيبا. » ٢-الصبر على الرسـاله،و على ظلم الناس،و الصبر أيضا على قمع الأهواء و الشهوات.

٣-اقامه الصلاه التى هى رمز لسائر العبادات.

۴-حرصهم و محافظتهم على بناء صرخ المجتمع بالإنفاق.

ص:۶۲

كذلك قال ربنا و هو يصف المخبتين:

اَلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ الصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَ الْمُقِيمِى الصَّلاةِ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ

ص:۶۳

[سوره الحج (۲۲): الآيات ۳۶ الی ۴۱]

اشاره

وَ اَلْبُدْنَ جَعَلْنٰاهٰا لَكُمْ مِنْ شَعٰائِرِ اَللّٰهِ لَكُمْ فِيهٰا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اِسْمَ اَللّٰهِ عَلَيْهٰا صَوٰافَّ فَإِذٰا وَجَبَتْ جُنُوبُهٰا فَكُلُوا مِنْهٰا وَ أَطْعِمُوا اَلْقٰانِعَ وَ اَلْمُعْتَرَّ كَذٰلِكَ سَخَّرْنٰاهٰا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۳۶) لَنْ يَنٰالَ اَللّٰهَ لُحُومُهٰا وَ لاٰ دِمٰاؤُهٰا وَ لٰكِنْ يَنٰالُهُ اَلتَّقْوىٰ مِنْكُمْ كَذٰلِكَ سَخَّرَهٰا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اَللّٰهَ عَلىٰ مٰا هَدٰاكُمْ وَ بَشِّرِ اَلْمُحْسِنِينَ (۳۷) إِنَّ اَللّٰهَ يُدٰافِعُ عَنِ اَلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يُحِبُّ كُلَّ خَوّٰانٍ كَفُورٍ (۳۸) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقٰاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اَللّٰهَ عَلىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (۳۹) اَلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيٰارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاّٰ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اَللّٰهُ وَ لَوْ لاٰ دَفْعُ اَللّٰهِ اَلنّٰاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوٰامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَوٰاتٌ وَ مَسٰاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اِسْمُ اَللّٰهِ كَثِيراً وَ لَيَنْصُرَنَّ اَللّٰهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اَللّٰهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (۴۰) اَلَّذِينَ إِنْ مَكَّنّٰاهُمْ فِي اَلْأَرْضِ أَقٰامُوا اَلصَّلاٰةَ وَ آتَوُا اَلزَّكٰاةَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ اَلْمُنْكَرِ وَ لِلّٰهِ عٰاقِبَةُ اَلْأُمُورِ (۴۱)

ص:۶۴

هدى من الآيات:

هكذا جعل اللّه البدن،و هى الإبل،من شعائره،حيث تساق الى البيت الحرام،من شقه بعيده،فاذا صفت أيديها و ارجلها للنحر،التف حولها الناس، و منهم الجائعون،يـذكرون اسم اللّه عليها،حتى إذا وقعت منحوره أكلوا منها و أطعموا الفقير و المسـكين،و شـكروا اللّه.

لمن هذه اللحوم التى تطعم،و تلك الدماء التى تراق؟انما هى للناس،و فائده الذبح و النحر تنميه التقوى فى النفوس.و الهدف من تسخيرها لهم تذكيرهم بعظمه اللّه.و ان يكبروه على ما هداهم،و يحسنوا الى الناس..

و بمناسـبه الحـديث عن الحرمات و الشـعائر،يبين السـياق حكم الـدفاع عنها،فاللّه سـبحانه يدافع عن الذين آمنوا انه لا يحب كل خوان كثير الخيـانه دائم الخيـانه، الكفور بنعم اللّه.و الخونه هم الـذين يقـاتلون المؤمنين،و لاـ يفون بعهـد و لاـ ذمه.امـا المؤمنون فعليهم ان يقاتلوا الكفار لأنهم قد ظلموا و يتوكلوا على اللّه واثقين بنصره،

أو لم يخرجوا من ديـارهم بغير حق، و انمـا لأنـهم يقولون:ربنـا اللّه؟بلى و انما تبقى للمقـدسات حرمه بـدفاع المؤمنين عنها.و الا هدمت بيوت العباده و اللّه ينصر من ينصر دينه و هو القوى العزيز.

و انما يهدف المؤمنون بقتالهم التمكن فى الأرض و اقامه حكم اللّه فيها.

بينات من الآيات:

اهداف الشعائر:

[۳۶] وَ الْبُدْنَ جَعَلْنٰاهٰا لَكُمْ مِنْ شَعٰائِرِ اللّٰهِ لَكُمْ فِيهٰا خَيْرٌ البدن هى الإبل التى تقلّد لتنحر فى منى،و هذه من الشـعائر المقدسه،و لنا فيها و أمثالها من الشعائر خير،خير مادى و معنوى،بالاستفاده منها اولا،و بالحصول على التقوى من خلالها ثانيا.

فَاذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ عَلَيْهٰا صَوٰافَّ اى اذكروا اسم اللّه عليهـا حين تصـف أيـديها و ارجلهـا اسـتعدادا للنحر،و ذكر اللّه واجب عند النحر،و ليست هنالك صيغه خاصه له.الا ان الأثر جاء بنص يعتبر الأكمل،

ففى حديث مروى عن أبى عبد اللّه الصادق عليه السّلام جاء هذا الذكر عند النحر .

«وجهت وجهى للذى فطر السموات و الأرض حنيفا مسـلما و ما انا من المشركين،ان صلاتى و نسكى و محياى و مماتى للّه رب العالمين لا شريك له و بذلك أمرت و انا من المسلمين،اللهم منك و لك،بسم اللّه و باللّه،و اللّه أكبر،اللهم تقبل منى ». (۱)

۱- ۱) تفسير نمونه ج ۱۴.ص ۱۰۷.

و فائده هذه الشعائر هی أنها تزید من الکمالات الروحیه و المعنویه.

فَإِذا وَجَبَتْ جُنُوبُها ای خرت صریعه بعد نحرها،حتی استقرت جنباتها علی الأرض بالکامل کنایه عن انتهاء حرکتها.

فَکُلُوا مِنْها وَ أَطْعِمُوا الْقانِعَ وَ الْمُعْتَرَّ کلمتی(القانع و المعتر)تـدلان علی معنیین هما الفقیر و المسـکین.و الفقیر هو الـذی لا یملک قوت سنته،اما المسکین فهو الذی أسکنه الفقیر بیته،و هو أشد فقرا منه.

و أصـل کلمه القـانع هو الفقیر الـذی یقتنع بما تعطیه،فهو کما قال الرب سـبحانه فی آیه أخری:تحسـبهم أغنیاء من التعفف..بینما أصل کلمه المعتر الذی لا یملک تعففا من السؤال.و الکلمه مشـتقه من(العرّ)و هو مرض الجرب یصیب جلد البعیر، و کان المعتر قد أصاب وجهه مرض فسقط جلده کنایه عن ذهاب ماء وجهه و عدم الحیاء لدیه.و جاء فی روایه ان المعتر هو الذی یعتریک..و لا یسأل.

و فی حدیث آخر عن أبی عبد اللّه الصادق علیه السّلام :

«القانع الذی یرضـی بما أعطیته و لا یسـخط و لا یکلم و لا یلوی شدقه غضـبا، و المعتر المار بک لتطعمه. » (1)کَذلِکَ سَخَّرْناها لَکُمْ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ الهدف من تسخیر اللّه الانعام للإنسان هو الشکر له سبحانه،و عموما فان

۱- ۱) نور الثقلین ج ۳/ص ۴۹۸.

الهدف من النعم الماديه هو التكامل المعنوى.

و نستوحى من هذه الآيه:ان النعم الماديه فى الحياه الدنيا وسيله للتكامل المعنوى،فالإنسان الجائع الذى لا يمتلك مأوى يأوى اليه ليحميه من قيظ الصيف و برد الشتاء،من الصعب عليه ان يسعى من أجل بناء كيانه المعنوى،ان ينمى علمه و ايمانه و تقواه،اما الذى استطاع ان يتجاوز ضرورات حياته،فان باستطاعته ان يتفرغ لما هيئ له.

و ضرورات الحياه تشبه وقود السياره،فحينما تمتلئ السياره بالوقود آنئذ تصبح مهيأه للسير،فسير السياره هو الهدف بينما الوقود ضروره الهدف،فالسياره لم تصنع لكى تبتلع الوقود،انما صنعت لكى تنطلق،و كذلك الإنسان لم يأت الى الحياه لكى يأكل و يشرب و ينام،و..و..انما أتى الى الحياه و فرضت عليه تلك السنن،لكى يسمو بروحه و يعرج فى مدارج الكمال..و هذه الفكره نستوحيها من الآيتين الاوليتين من هذا الدرس.

[٣٧]ثم ان التقوى كالشجره التى تنبت فى القلب بحاجه الى تنميه، و الاضحيه تنمى شجره التقوى فى القلب.

لَنْ يَنٰالَ اللّٰهَ لُحُومُهٰا وَ لاٰ دِمٰاؤُهٰا ثم يبين اللّه سبحانه بأنه ليس لربها نصيب فى لحومها أو دمائها،انما النصيب راجع الى الناحر الذى يزداد بذلك تقوى و ايمانا.

وَ لٰكِنْ يَنٰالُهُ التَّقْوىٰ مِنْكُمْ كذلك جاء فى الحديث الشريف:ما عله الاضحيه؟قال:

الإنسان،هل هو مستقر أم مستودع؟ حينما ينزل فی حلبه الصراع،فيعرف مدى إيمانه،و للصراع فوائد كثيره أهمها:

/١انه يجعل الإنسان مؤمنا صادقا،و يزيل عنه رواسب كفره و شكه،و جهله و غفلته،كما انه يكشف الإفراد الضعفاء ايمانا و اراده فی المجتمع الاسلامی و الذين لاـ يستحقون ان يكونوا أعضاء مؤثرين فيه.و بكلمه موجزه:ان الجهاد يكرس الواقع الايمانی فی المجتمع.

/٢و الجهاد حصن المقدسات و درع الحرمات و الشعائر،فاذا كانت الحريه مكفوله لجميع الناس عند حرم اللّه،و إذا كان المؤمنون يقصدون-بكل أمان- بيت اللّه و معهم شعائرهم من أقصى الأرض،فلأن المجاهدين يحمون البلاد من أطرافها،و إذا كانت القوى الكافره و المنافقه و المترفه لا تهتك حرمات الناس داخل البلاد فلأن المجاهدين يقفون لهم بالمرصاد.و إذا كانت مراكز الطاعه المقدسه تعلو فی آفاق الأرض فلان حولها ليوث الجهاد الأشداء.يحمونها كما يحمی الأسد عرينه.

و بالتالی فان المساجد،و المعابد،و الكنائس انما تقوم على أساس دفاع المؤمنين عنها،و لو لا دفاع المؤمنين عن مراكز عبادتهم،و محل اقامه شعائرهم و مناسكهم، اذن لتهدمت هذه المساجد و المعابد و الكنائس على ايدی أعداء اللّه و أعداء دينه.

فالكعبه مثلاـ قائمه على دفاع المؤمنين،عن وجودها و حريه العباده فيها،فاذا ترك المؤمنون الدفاع عنها فانها تزول حرمتها و قداستها.

ان ربط المقدسات بعمل المؤمنين و جهادهم هی أهم و ابرز فكره حضاريه يحتاجها المسلمون اليوم،ان بعض المسلمين اليوم يظنون ان وجود رسم القرآن بينهم

«انه يغفر لصاحبها عند أول قطره تقطر من دمها الى الأرض و ليعلم اللّه عز و جل من يتقيه بالغيب. و أضاف:انظر كيف قبل اللّه قربان هابيل ورد قربان قابيل».

كَذٰلِكَ سَخَّرَهٰا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللّٰهَ عَلىٰ مٰا هَدٰاكُمْ ان نحر الانعام أو ذبحها يهدف شكر اللّه.و فى آيه سابقه،ذكر اللّه.إنّ هدف الشعائر هو تقوى القلوب،اما هدف التسخير فهو تكبير اللّه،كل ذلك يوحى بان الهدف الأسمى من النعم الماديه التكامل المعنوى.و تكبير اللّه هو إخراجه من حدّ التعطيل و التشبيه،كما جاء فى الحديث،و تكبير اللّه على الهدايه تمجيده على ان هدانا للايمان،و أرشدنا الى الحنيفيه البيضاء.و الآيه تشير الى التكبير أيام التشريق فى الصلوات بمنى فى عقيب خمس عشره صلاه، و فى الأمصار عقيب عشر صلوات. (۱)

وَ بَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ كيف يمكن للإنسان ان يستفيد من النعم فى مجال تكامله المعنوى و الروحى؟ يجيب القرآن على هذا السؤال و يقول:« وَ بَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ »،فبالاحسان تخرج من شح الذات الى فضاء الخير،فالعطاء مفتاح الرزق،و طريق الايمان.

شرعيه الجهاد:

[۳۸]الايمان ليس مجرد كلام يقال،و لا حتى عقيده مقطوعه الجذور،كلا ذلك لان الايمان حقيقه راسخه فى القلب يصدّقها العمل،و انما يتضح إيمان

۱- ۱) راجع الكتب الفقهيه.و أيضا نور الثقلين ج ۳ ص ۵۰۰.

یجعلهم أعزاء،کلا..ان ایمانهم بالقرآن و دفاعهم عنه هو الذی یجعل القرآن عزیزا بینهم و عزیزا فی العالم أجمع.

فلیس وجود الکعبه یعز المؤمنین فقط،انما وجود المؤمنین حولها یجعلها عزیزه أیضا،و من دون هذه العزه التی یسبغها المؤمنون علی مقدساتهم،فانها لا تبقی، و نحن هنا نؤمن بدور الغیب الذی یظلل المؤمنین بظلال من التأیید و الرعایه،ذلک ان الصراع بین الحق و الباطل لیس بعیدا عن هیمنه الغیب،أو لیس اللّه یدافع عن المؤمنین،بلی.و لکنه قد یدافع عنهم بأیدیهم، و بکلمه:ان بدایه أی تحرک یکون من الناس،ثم یأتی التأیید و النصر من اللّه.

إِنَّ اللّٰهَ یُدٰافِعُ عَنِ الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یُحِبُّ کُلَّ خَوّٰانٍ کَفُورٍ و هذه الآیه تزرع الأمل و الثقه و الاطمئنان فی قلوبنا،لان اللّه یدافع عنا،و معلوم ان الأمل وقود الثوره،و الثقه وقود العمل،و الاطمئنان قاعده السعی.

[۳۹]ان شیاطین الجن و الانس یحیطون بقلب الإنسان و یملأونه بالیأس و الخوف،اما ذکر اللّه فهو-علی العکس من ذلک-ینمّی فینا التطلع،و یحفزنا للأخذ بحقنا،کما انه یزرع الخوف و القلق فی نفوس أعداء الدین،و سرّاق الحریه، الذین لا یزالون یخونون امانه اللّه و الناس،و یکفرون بنعم اللّه.

أُذِنَ لِلَّذِینَ یُقٰاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللّٰهَ عَلیٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِیرٌ یبحث الإنسان المؤمن عن شرعیه الجهاد،و اللّه یعطیه هنا الشرعیه بقوله:

«اذن»فلقد اذن اللّه للمعتدی علیهم المظلومین،ان یرفعوا رایه القتال لرد ظلامتهم،و ذلک لأنک،مهما أصابک من الظلم و الاستضعاف،لا یجوز ان تیأس من النصر،بل جدد العزم لان اللّه قادر علی نصرک،فما دمت تملک شرعیه الجهاد

و تحمل فی جنبیک الأمل،و کان هنالک من یـدافع عنک و یحمیک،فما ذا تنتظر بعدئـذ؟اقتحم کل حصن و وکر،و جاهـد کل طاغیه،فان قوه اللّه و عزته تتجلی فی سواعد المؤمنین و بهم یدفع اللّه أعداءه و أعداء دینه،و أعداء البشر.

[۴۰] اَلَّذِینَ أُخْرِجُوا مِنْ دِیٰارِهِمْ بِغَیْرِ حَقٍّ إِلاّٰ أَنْ یَقُولُوا رَبُّنَا اللّٰهُ هـذه أبرز صوره من صور الظلم الـذی قـال عنه سـبحانه« بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ».

ذلک لأنّ أولئک الذین قالوا ربنا اللّه بصدق،هم الذین رفضوا تسلط الطغاه، و قاوموا هیمنه الجبارین.الذین أرادوا فرض قوانینهم و ثقافتهم علی الناس.فکفروا بهم و آمنوا باللّه الواحد.ثم اسـتقاموا و اخرجوا من دیارهم لأنهم احتفظوا باسـتقلالهم.و لعل الطغاه لم یفرضوا علیهم الخروج بـل انهم هـاجروا خشـیه بطش الجبـارین،و اسـتعدوا للقتـال حتی تحریر الأـرض من هیمنتهم.کما فعل المسلمون عند ما أمرهم اللّه و رسوله بالهجره الی المدینه.حیث نزلت الآیه فیهم و جرت فی غیرهم.

جاء فی الحدیث المروی فی کتاب الکافی عن الامام أبی جعفر الباقر علیه السّلام انه قال :

«نزلت فی رسول اللّه و علیّ و حمزه و جعفر و جرت فی الحسین علیهم السّلام أجمعین. » (۱)و کلمه(ربنا اللّه)هی هدف الهجره و هدف الجهاد،و هی فی ذات الوقت وسـیله النصـر و سـبب الفتح.إذ ان أهم شروط الانتصار الاتجاه الکلی الی اللّه، و المحافظه علی استقلالیه العمل فی سبیله،و الا نتصور یوما ان النصر یمر عبر عواصم

۱- ۱) المصدر-ص ۵۰۱.

الشرق أو الغرب،لأنهما أعجز من ان يتوليا نصرنا،و هم أعجز من نصر أنفسهم، بل ان اللّه أمرنا بمقاومتهم لأنهم مصدر بلائنا،و هم المسؤولون الحقيقيّون عمّا يجرى علينا.

فهؤلاء المخرجون من ديارهم-هم المظلومون الذين تكفل اللّه بنصرهم و بتأييدهم،شريطه أن يتجهوا اليه سبحانه.

وَ لَوْ لاٰ دَفْعُ اللّٰهِ النّٰاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوٰامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَوٰاتٌ وَ مَسٰاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللّٰهِ كَثِيراً صوامع:معابد يبنيها البعض فى الأصقاع النائيه يتعبدون فيها،اما البيع:فهى معابد اليهود،و الصلوات:هى معابد النصارى و كنائسهم،و المساجد:محاريب المؤمنين،و كل هذه المراكز تهدف ذكر اللّه،و ذكر اللّه لا يتم إلاّ بالتحشيد الاجتماعى،و تعبئه الناس ايمانيا من خلالها،فاذا هدمت فان سببا من أسباب تجميع الناس على الايمان سوف ينهار،فالمسجد و الكنيسه و الدير هى رمز للمؤمنين فتحطم هذا الرمز يعنى زوال سبب وحده المؤمنين و تجمعهم حول مبادئهم،لذلك فان المؤمنين مأمورون بالحفاظ على مقدساتهم هذه.

وَ لَيَنْصُرَنَّ اللّٰهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللّٰهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ انصروا اللّه و القيم،حافظوا على المقدسات و كرامتها،دافعوا عن حريه الإنسان انكم حين تعملون كل ذلك ينصركم اللّه،و إذا نصركم فلا غالب لكم،ان اللّه قوى يمتلك أدوات القوه فهو:« تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشٰاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشٰاءُ »و هو عزيز« تُعِزُّ مَنْ تَشٰاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشٰاءُ -»فهو يعزكم ان نصرتموه و الا اذلكم،و ان نصرتموه حقا أذل أعداءكم.

اهداف الحركه الاسلاميه:

[۴۱] اَلَّذِينَ إِنْ مَكَّنّٰاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقٰامُوا الصَّلاٰةَ وَ آتَوُا الزَّكٰاةَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ تبين هذه الآيه اهداف الحركه الاسلاميه التى يجب ان يبصرها كل فرد رسالى،و يخلص نيته فى السعى ورائها،و العمل الجدّى من أجل بلوغها و هى:

۱-اقامه الصلاه:إذ انها رمز لكل العبادات من ناحيه، و من ناحيه ثانيه:

فان اقامه الصلاه تعنى توفير الشروط الموضوعيه لإقامتها،كبناء مساجد اللّه، و السلامه الروحيه،و...

۲-إيتاء الزكاه:و هو يشمل كل ابعاد الإنفاق الواجب و المستحب و يساهم فى إرساء العداله الاجتماعيه،بل و فى توفير الرخاء فى المجتمع المسلم.

۳-الأمر بالمعروف:القيام بما أمر به الشارع المقدس،من التشجيع على الصالح من الأعمال.

۴-النهى عن المنكر:القضاء على كل المفاسد الاجتماعيه و الاقتصاديه و السياسيه،و..و..

وَ لِلّٰهِ عٰاقِبَةُ الْأُمُورِ ان الذى يجعل عمله و حركته متجهه الى اللّه،فانه سوف يمسك بزمام الأمور و بالتالى فان له من اللّه العاقبه الحسنى..

و هذه الآيات الكريمه توضح أهداف الحركه الاسلاميه،و شروط المجاهدين فى سبيل اللّه،الذين اذن لهم بالقتال،و هم الذين يطبقون بأنفسهم التعاليم

الإسلاميه،ثم ينـدفعون لنشرها بين الناس و فی الحـديث المفصل التالی تبيان بالغ الاهميه لاهداف الحركه الاسلاميه،و شروط القائمين بها،و نكمل هذا الدرس به:

جاء فی الكافی مسندا عن أبی عمرو الزبيری عن أبی عبد اللّه عليه السلام قال: قلت له:أخبرنی عن الدعاء الی اللّه و الجهاد فی سبيله أهو لقوم لا يحل الا لهم و لا يقوم به الا من كان منهم أم هو مباح لكل من وحد اللّه عز و جل و آمن برسوله صلی الله عليه و آله ،و من كان كذا فله أن يدعو الی اللّه عز و جل و الی طاعته و ان يجاهد فی سبيله؟فقال:

ذلک قوم لا يحل الا لهم و لا يقوم بذلک الا من كل منهم،قلت:من أولئک؟ قال:من قام بشرائط اللّه تعالی فی القتال و الجهاد علی المجاهدين فهو مأذون له فی الدعاء الی اللّه تعالی،و من لم يكن قائما بشرائط اللّه فی الجهاد علی المجاهدين فليس بمأذون له فی الجهاد و لا الدعاء الی اللّه حتی يحكم فی نفسه ما أخذ اللّه عليه من شرائط الجهاد،قلت:فبين لی رحمک اللّه.

قال:ان اللّه تعالی أخبر فی كتابه الدعاء اليه و وصف الدعاه اليه،فجعل ذلک لهم درجات يعرف بعضها بعضا،و يستدل ببعضها علی بعض.الی ان قال عليه السلام :ثم أخبر تبارک و تعالی انه لم يؤمر بالقتال الا أصحاب هذه الشروط، فقال سبحانه و تعالی: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللّهَ عَلی نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللّهُ و ذلک ان جميع ما بين السماء و الأرض للّه عز و جل و لرسوله و لأتباعهم من المؤمنين من أهل هذه الصفه، فما كان من الدنيا فی ايدی المشركين و الكفار و الظلمه و الفجار من أهل الخلاف لرسول اللّه صلی الله عليه و آله و المولی عن طاعتهما مما كان فی أيديهم ظلموا فيه المؤمنين من أهل هذه الصفات،و غلبوهم عليه ما أفاء اللّه (۱)علی رسوله فهو حقهم أفاء اللّه عليهم ورده إليهم (۲).

۱- ۱) و فی المصدر« مِمّا أَفاءَ اللّهُ »و فی الوافی«فما أفاء الله».

۲- ۲) لعلنا نستفيد من هذه الكلمه:ان السلطه فی العالم يجب أن تكون للمؤمنين الصادقين فهی لهم حقا.

ثم قال علیه السّلام:و انما اذن للمؤمنین الذین قاموا بشرائط الایمان التی وصفناها،و ذلک انه لا یکون مأذونا له فی القتال حتی یکون مظلوما،و لا یکون مظلوما حتی یکون مؤمنا،و لا یکون مؤمنا حتی یکون قائما بشرائط الایمان التی اشتراط اللّه تعالی علی المؤمنین و المجاهدین،فاذا تکاملت فیه شرائط اللّه تعالی کان مؤمنا،و إذا کان مؤمنا کان مظلوما،و إذا کان مظلوما کان مأذونا له فی الجهاد، لقوله عز و جل: أُذِنَ لِلَّذِینَ یُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللّهَ عَلیٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِیرٌ و ان لم یکن مستکملا لشرائط الایمان فهو ظالم ممن یبغی و یجب جهاده حتی یتوب، و لیس مأذونا له فی الجهاد و الدعاء الی اللّه عز و جل،لأنه لیس من المؤمنین المظلومین الذین اذن لهم فی القرآن فی القتال،فلما نزلت هذه الآیه:« أُذِنَ لِلَّذِینَ یُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا »فی المهاجرین الذین أخرجهم أهل مکه من دیارهم و أموالهم أحل لهم جهادهم بظلمه إیاهم و اذن لهم فی القتال.

فقلت:فهذه نزلت فی المهاجرین بظلم مشرکی أهل مکه لهم فما بالهم فی قتال کسری و قیصر و من دونهم من مشرکی قبائل العرب؟فقال:لو کان انما اذن لهم فی قتال من ظلمهم من أهل مکه فقط لم یکن لهم الی قتال جموع کسری و قیصر و غیر أهل مکه من قبائل العرب سبیل،لان الذین ظلموهم غیرهم،و انما اذن لهم فی قتال من ظلمهم من أهل مکه لإخراجهم إیاهم من دیارهم و أموالهم بغیر حق، و لو کانت الآیه انما عنت المهاجرین الذین ظلمهم أهل مکه کانت الآیه مرتفعه الفرض عمن بعدهم،إذ لم یبق من الظالمین و المظلومین أحد،و کان فرضها مرفوعا عن الناس بعدهم إذا لم یبق من الظالمین و المظلومین أحد،و لیس کما ظننت و لا کما ذکرت،و لکن المهاجرین ظلموا من جهتین ظلمهم أهل مکه بإخراجهم من دیارهم و أموالهم،فقاتلوهم بإذن اللّه لهم فی ذلک،و ظلمهم کسری و قیصر و من کان دونهم من قبائل العرب و العجم بما کان فی أیدیهم،مما کان

المؤمنون أحق به منهم،فقد قاتلوهم بإذن اللّه تعالى لهم فى ذلك. (۱)

و بحجه هـذه الآـيه يقاتل مؤمنوا كل زمان،و إنما أذن اللّه للمؤمنين الـذين قاموا بما وصف اللّه-تعالى-من الشـرائط التى شـرطها اللّه على المؤمنين فى الايمـان و الجهـاد،و من كـان قائمـا بتلـك الشـرائط فهو مؤمن،و هو مظلوم،و مـأذون له فى الجهاد بـذلك المعنى،و من كان على خلاف ذلك فهو ظالم و ليس من المظلومين، و ليس بمأذون له فى القتال،و لا بالنهى عن المنكر،و الأمر بـالمعروف،لأـنه ليس من أهـل ذلـك،و لاـ مأذون له فى الـدعاء الى اللّه تعالى،لأنّه ليس يجاهـد مثله،و أمر بـدعائه الى اللّه،و لا يكون مجاهـدا من قد أمر المؤمنون (۲)بجهـاده،و حضـر الجهاد عليه،و منعه منه، و لا يكون داعيا الى اللّه-تعالى-من أمر بـدعاء مثله الى التوبه،و الحق،و الأمر بالمعروف،و النهى عن المنكر،و لا يأمر بالمعروف من قد أمر أن يؤمر به،و لا ينهى عن المنكر من قد أمر أن ينهى عنه،فمن كانت قد تمت فيه شـرائط اللّه-تعالى-التى وصف بها أهلها من أصـحاب النبى(صـلّى اللّه عليه و آله)و هو مظلوم،فهو مـأذون له فى الجهـاد،كمـا أذن لهم (۳)فى الجهـاد،لأـن حكم اللّه-تعـالى-فى الأولين و الآخرين،و فرائضه عليهم سواء الأمن عله أو حادث يكون،و الأولون و الآخرون أيضا فى منع الحوادث شركاء،و الفرائض عليهم واحده،يسأل الآخرون عن أداء الفرائض عما يسأل عنه الأولون، و يحاسبون عما به يحاسبون.

و من لم يكن على صفه من أذن اللّه له فى الجهاد من المؤمنين فليس من أهل الجهاد،و ليس بمأذون له فيه حتى يفىء بما شرط اللّه-تعالى-عليه،فاذا تكاملت فيه شرائط اللّه تعالى على المؤمنين و المجاهدين فهو من المأذون لهم فى

---

۱ - ۱) قـال المجلسـى(ره):حاصـل الجـواب انـا قـد ذكرنـا ان جميع مـا فى ايـدى المشـركين كـان من أموال المسـلمين، فجميع المسلمين مظلومون من هذه الجهه المهاجرون ظلموا من هذه الجهه،و من جهه إخراجهم من خصوص مكه.

۲- ۲) و فى بعض النسخ«أمر المؤمنين»و لعله الأوفق بالسياق لقوله«و منعه منه».

۳- ۳) اى لأصحاب النبى صلّى اللّه عليه و آله.

الجهـاد،فليتق اللّه-تعـالی-عبـد،و لاـ یغتر بالأمـانی التی نهی اللّه-تعـالی- عنها،من هـذه الأحادیث الکاذبه علی اللّه،التی یکـذبها القرآن و یتبرأ منها،و من حملتها و رواتها،و لا یقدم علی اللّه بشبهه لا یعذر بها،فانه لیس وراء المعترض للقتل فی سبیل اللّه منزله یؤتی اللّه من قبلها،و هی غایه الأعمال فی عظم قدرها، فلیحکم امرء لنفسه،و لیرها کتاب اللّه-تعالی-و یعرضـها علیه،فانه لا أحد أعرف بالمرء من نفسه،فان وجـدها قائمه بما شـرط اللّه علیه فی الجهاد فلیقدم علی الجهاد،و ان علم تقصـیرا فلیصـلحها و لیقمها علی مـا فرض اللّه علیهـا من الجهـاد،ثم لیقـدم بها و هی طاهره مطهره من کل دنس یحول بینها و بین جهادها،و لسـنا نقول لمن أراد الجهاد و هو علی خلاف ما وصـفنا من شـرائط اللّه عز و جل علی المؤمنین و المجاهـدین لا تجاهدوا،و لکن نقول:قد علّمنا کم ما شـرط اللّه-تعالی-علی أهل الجهاد،الذین بایعهم و اشتری منهم أنفسـهم و أموالهم بالجنان،فلیصـلح امرء ما علم من نفسـه من تقصیر عن ذلک،و لیعرضها علی شرائط اللّه،فان رأی انه قد وفّی بها،و تکاملت فیه فانه ممن أذن اللّه-تعالی-له فی الجهاد،و إن أبی أن لا یکون مجاهـدا علی ما فیه من الإصـرار علی المعاصـی و المحارم،و الاقدام علی الجهاد بالتخبیط و العمی،و القدوم علی اللّه-عز و جـل-بالجهـل و الروایـات الکاذبه، فلقـد لعمری جاء الأثر فیمن فعل هـذا الفعل ان اللّه-تعالی-ینصـر هـذا الـدین بأقوام لا خلاق لهم،فلیتق اللّه امرء،و لیحـذر أن یکون منهم،فقـد بین لکم و لا عذر لکم بعد البیان فی الجهل،و لا قوه إلّا باللّه،و حسبنا اللّه علیه توکلنا و إلیه المصیر. (۱)

ص:۷۹

۱- ۱) المصدر ص ۵۰۵/۵۰۲.

[سوره الحج (٢٢): الآيات ۴٢ الى ۵١]

اشاره

وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عادٌ وَ ثَمُودُ (۴٢) وَ قَوْمُ إِبْراهِيمَ وَ قَوْمُ لُوطٍ (۴٣) وَ أَصْحابُ مَدْيَنَ وَ كُذِّبَ مُوسى فَأَمْلَيْتُ لِلْكافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ (۴۴) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها وَ هِيَ ظالِمَةٌ فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ (۴۵) أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي اَلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها فَإِنَّها لا تَعْمَى اَلْأَبْصارُ وَ لكِنْ تَعْمَى اَلْقُلُوبُ اَلَّتِي فِي اَلصُّدُورِ (۴۶) وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَ لَنْ يُخْلِفَ اَللّهُ وَعْدَهُ وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمّا تَعُدُّونَ (۴٧) وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَها وَ هِيَ ظالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُها وَ إِلَيَّ اَلْمَصِيرُ (۴٨) قُلْ يا أَيُّهَا اَلنّاسُ إِنَّما أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (۴٩) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (۵٠) وَ اَلَّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ أُولئِكَ أَصْحابُ اَلْجَحِيمِ (۵١)

اللغه

۴۵[كأيّن]:كم من.

[خاويه على عروشها]:يقال خوت الدار أى خلت من ساكنيها.

[قصر مشيد]:المرتفع من الأبنيه.

ص:٨٠

فكيف كان نكير

هدى من الآيات:

فی اطار الحدیث عن اهداف الحرکه الاسلامیه،و الدعوه الی اللّه،(موضوع الدرس السابق)یذکرنا السیاق بالتأیید الالهی للرساله،و خذلانه لاعدائها المکذبین بها.

لم یکن الرسول بدعا من الرسل،و لم یکن تکذیبه جدیدا،فلقد کذبت رسالات اللّه قوم نوح و عاد و ثمود،کذلک قوم إبراهیم و قوم لوط و أصحاب مدین، و هکذا کذب فرعون و قومه موسی علیه السّلام.

ان الرساله و تکذیبها حقیقه تکررت،و تراکمت حولها تجارب غنیه،أ فلا ندرسها لنعتبر بها،فلما ذا لا نسیر فی الأرض،و ننظر فی عاقبه ذلکم التکذیب المتکرر،علی أولئک الکافرین و لا نغتر بتأخیر العذاب،إذ ان ربنا یملی لهم، فیستدرجهم لیأخذهم بغته؟

ص:۸۲

فارغه من سكنتها،و هنالك البئر المعطله لا تستقى،و القصر المبنى لا يسكن.

إن التجارب التاريخيه كثيره،و الأبصار التى تراها كثيره،الا ان القلوب التى تعقلها و تستفيد منها هى القليله.قد أصابها العمى و أنكر العمى عمى القلوب التى فى الصدور.

و لان أفق البشر ضيق،فهو لا يحسب لمستقبله حسابا،فتراه يستعجل الرسول بالعذاب،و لا يعلم بان صبر اللّه و إملاءه عظيم،فاليوم هنالك كألف سنه مما يعده البشر هنا،و ان وعد اللّه لا يتخلف،و ها هى أمامنا القرى التى امهلها اللّه،و املى لهم بالرغم من انها كانت ظالمه ثم أخذها و اليه المصير! و هذه رساله اللّه تنذر الناس،بمثل ذلكم العذاب،و تبلغهم الإنذار ببيان واضح.

فالمؤمنون الذين يعملون الصالحات جزاؤهم مغفره الذنوب التى ارتكبوها، و رزق كريم للصالحات التى كسبوها.اما الذين يسعون فى آيات اللّه معاجزين يتحدونها،و يعوقون طريقها،و يحسبون انهم يسبقون الرب و يعجزونه،فأولئك أصحاب الجحيم،يملكونها و تمتلكهم.

لقد غرتهم الفرصه،فأخذهم اللّه فى لحظه،أخذ عزيز مقتدر،و فى نهايه هذا الدرس تأكيد على مهمتى التبشير و الإنذار فى رسالات اللّه(الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر)،فالانذار عاده ما يسبق البشاره،لان الإنذار يهدف الى خلق الارضيه فى نفس الإنسان،فخشيه الإنسان من فقده ما فى يده،أكثر من خشيه فقده ما فى يد غيره،فالانذار مؤشر خطر عند الكفار لأنه ينذر بزوالهم و زوال نعمهم،فلذلك يندفعون الى الايمان خوفا،و من ثم فان البشاره تأتى لتسد هذا الخوف مبشره بالجنه.

بينات من الآيات:

عاقبه المكذبين:

[۴۲-۴۳-۴۴] وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عٰادٌ وَ ثَمُودُ* وَ قَوْمُ إِبْرٰاهِيمَ وَ قَوْمُ لُوطٍ* وَ أَصْحٰابُ مَدْيَنَ التكذيب عاده جرت عليها إسلاف هؤلاء المذكبين،و هذه امثله من التاريخ حيث كذب هؤلاء الرسل و أصروا على منكرهم،فلا ينبغى ان ننتظر ما دمنا فى خط الرسل القبول السريع و المؤكد من أقوامنا،و لكن لنطمئن،فان طريقنا و تحركنا ينسجم و الخط العام للحياه.لان الخط العام للكون و طريقنا آنئذ يسيران معا فى اتجاه واحد،الى(اللّه).

ليس من مسئوليات الرسول ان يكره الناس على قبول رسالته،كما انه ليس عليه ان يقلق لتكذيبهم،فانه عاده الناس،و لكن واجب الرسول الصبر و انتظار الفرج،و سواء استمع اليه الناس أم اعرضوا..صدّقوه أم كذّبوه،فدوره ينتهى بتبليغ الرساله،و من ثم،فالنتيجه بيد اللّه،ان شاء عذبهم،أو أمهلهم حتى حين.

وَ كُذِّبَ مُوسىٰ لم يكذب موسى عليه السلام من قبل قومه و انما كذّبه فرعون و ملائه،و لذلك لم يعطف السياق على السابق و انما قال:« وَ كُذِّبَ مُوسىٰ ».

فَأَمْلَيْتُ لِلْكٰافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ اى أعطيتهم مهله من الوقت قد تطول أو تقصر« ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ »فاجأهم العقاب المدمر.

ص:۸۴

فَكَيْفَ كٰانَ نَكِيرِ لقـد سـلط اللّه عـذابه عليهم،فمحقهم محقا،و وضع حـدا لما هم عليه من التكذيب و الجحود،و هكذا ينكر اللّه على الناس تكذيبهم إنكارا عمليا.أ رأيتم كيف يكون نكير اللّه؟ [۴۵]ان اللّه سبحانه قد جعل فى التاريخ حتميه لا محيص عنها،و هى حتميـه الانتقـام من أعـداء اللّه،إذ ان سـنن اللّه فى الطبيعه تلتقى مـع الحق فى كـل النقـاط، و تجـاوز الحـق،تعـد على تلك السنن،فلا بد لها ان تنتقم بإراده اللّه سبحانه،و بأى شكل كان،سواء على شكل صاعقه تنزل،أو فى صوره بر كان يتفجر،أو حرب تـدمّر،أو قحـط شامل،أو طاعون ينشـر الموت.و على الإنسان ان لا يأمن مكر اللّه، فينسـى نقمته،و يظن ان ما يحيط به من نعمه و فضله و آلائه،هو كل ما فى الحياه، كلا بل ان للحياه وجها آخر،يتمثل فى الانتقام الشديد.

بلى.من الصـعب على الإنسـان ان يصـدق بان ذلك الإله الرحيم الكريم، الـذى تولى خلقه طورا فطورا،و كان معه فى كل حركه من حركاته،و الذى تتجلى رحمته و فضـله عليه فى كل شـىء،انه تعالى يمكر به و ينتقم منه أشد الانتقام،لذلک نجده تستدرجه النعم،و تغرّه الامانى،حتى إذا أحاط به ذنبه قال: رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّى أَعْمَلُ صٰالِحاً .فلكى لا يصبح هكذا يجب عليه ان يذّكر نفسه بمـا مضـى من الام،و ما جرى عليهم،و ان يسـير فى الأرض بحثا عن تلك الحضارات التى سادت و يتساءل لماذا بادت.ان السـير فى الأرض،و زياره المتاحف الاثريه،و اطلال المدن الكبرى،و دراسه التاريخ،لا سـيما تاريخ الحضارات البائده،كل ذلک يوحى إلينا بتلك الحقيقه التى لا تستهوينا،و لا نريد معرفتها،و هى ان اللّه يمكر بالإنسان إذا ظلم و طغى.و ينتقم منه بأشد العذاب.

و تؤكد آيات هذا الدرس على هذه الفكره،و تشير أيضا الى مصير أولئك الذين كذّبوا هذه الحقيقه الناصعه،و لم ينفعهم النهى عن المنكر الذى قام به أنبياء اللّه عليه السلام ،و من سار على دربهم.

فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَهٍ أَهْلَكْنٰاهٰا وَ هِيَ ظٰالِمَهٌ فَهِيَ خٰاوِيَهٌ عَلىٰ عُرُوشِهٰا وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَهٍ وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ تبيد الحضاره فى بعض الأحيان بصوره طبيعيه كما يموت الإنسان بعد ان يشيخ و تضعف بنيته الجسديه،فتنطفئ شمعه الحياه شيئا فشيئا،و قد تباد الحضارات بصوره فجائيه و بعذاب الهى فتكون كما يموت الشاب بموت الفجأه بالرغم من ان جميع أعضاءه تبدو سالمه،كل ما فى الأمر ان الروح تفارق جسده،هكذا حال الحضارات،فعند ما تنحرف عن اهدافها المرسومه لها،فان اللّه يوجه إليها ضربه قاضيه فى صوره زلزال مدمّر أو صاعقه من السماء،فتبيد حضارتهم البشريه،بالرغم من ان المظاهر الماديه لهذه الحضارات تظل سالمه لتبقى عبره للاجيال.

و لعلنا نستوحى هذه الفكره من قوله سبحانه وَ هِيَ ظٰالِمَهٌ التى تدل على ان الهلاك نزل بهم حين ظلمهم.

لقد خلق اللّه سبحانه الطبيعه بحيث لا تتلائم مع الانحراف و الجريمه،فهى تصبر زمنا ثم تتفجر غضبا-حين يشاء اللّه-لتعيد الأمور الى نصابها.

« فَهِيَ خٰاوِيَهٌ عَلىٰ عُرُوشِهٰا »اى خاليه من ساكنيها بالرغم من سلامه أبنيتها و عمرانها.« وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَهٍ »هى التى ما زال ينضح ماؤها،و لكن امست بلا رواد.

اما القصر المشيد فانه يرمز الى مبانى الملوك و الحكام الظلمه،حيث ذهبوا و لم تغن عنهم قصورهم من اللّه شيئا.

ص:۸۶

لقد هلك القوم و تداعت البيوت فيها فهى خاليه،و عروشها قد تهاوت،اما البئر التى هى محور الحضاره فى الصحراء و يعتبر مالكها سيد الناس،فقد تعطلت بعد ان كانت مركز التجاذب و سبب الصراع،بينما بقيت القصور المشيده التى تعالت و تجصصت خاليه ترمز الى فناء أهلها.

و

فى الأحاديث ان العالم الصامت،هو البئر المعطله،بينما العالم الناطق هو القصر المشيد (۱)،و لعل المناسبه بين هذا التأويل و ذلك التفسير ليست مجرد التشبيه،بل و أيضا:لان هلاك الظالمين انما هو بتعطيل العلم،و ذلك بعدم الاستفاده من العالم الصامت(البئر المعطله)و لا من العالم الناطق(القصر المشيد).

ترى كيف يصور القرآن هذه الحقائق تصويرا بديعا بحيث لو أخذت ريشه و صورتها لخرجت مكتمله الملامح معبره عن الفكره،أبلغ تعبير خذ الآن ريشه و حاول ان ترسم قريه خاليه بأبنيتها و شوارعها،ثم ارسم بئرا قد تدلى عليها دلوها و عليها بكرتها و لا أحد عندها،ثم صور قصرا فخما مهجورا،ثم انظر ماذا ترى، انك ترى لوحه تنطق بالموت الرهيب و تعطى للذين غرّهم تقلبهم فى الحياه،العبره الزاجره.

حين يعمى القلب:

[۴۶] أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ اى لماذا لا يسيرون فى الأرض،ليعتبروا بآثار السابقين انهم يسيرون فيها و لكن لا يعتبرون.

ص:۸۷

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۳-ص ۵۰۶/۵۰۷.

فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهٰا قد يكون اشتقاق(قلوب)لغويا من الفعل(قلب-يقلب)اى تقليب الأمر بشتى وجوهه و احتمالاته فيكون مدلول القلب قريبا من مدلول(الفكر)،فيكون معنى الآيه:أ فلا يتفكرون فى الحياه،و يعقلون حقائقها،و كيف حلّ بمن قبلهم لما عصوا و كانوا يعتدون.

أَوْ آذٰانٌ يَسْمَعُونَ بِهٰا الإنسان:اما ان تكون له القدره على فهم الحقائق شخصيا،و اما ان يسمعها و يتلقاها ممن تفكر بها،لذلك يقول القرآن: فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهٰا بصوره مباشره، أَوْ آذٰانٌ يَسْمَعُونَ بِهٰا بالاستفاده من علوم الآخرين و تجاربهم.

فَإِنَّهٰا لاٰ تَعْمَى الْأَبْصٰارُ وَ لٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ حينما لا يوجد عند الإنسان فكر،و ينطفئ نور قلبه،و لا يستوعب العبر، فما ذا تنفع العين،و ماذا تعنى الأذن؟! ان تعبير« اَلَّتِي فِي الصُّدُورِ »يشير الى ان الفساد لا يصيب الظاهر من الإنسان،و لكن الذى يفسد-فى الحقيقه-هو داخل الإنسان،نفسيته و روحه و كيانه.

جاء فى الحديث الشريف:عن أبى عبد اللّه الصادق عليه السّلام :و هو يذكرنا بعمى القلب و كيف يتم اتقاءه:تاه من جهل،و اهتدى من ابصر و عقل:

ان اللّه عز و جل يقول: فَإِنَّهٰا لاٰ تَعْمَى الْأَبْصٰارُ وَ لٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ.

و كيف يهتدى من لم يبصر؟و كيف يبصر من لم يتدبر؟! اتبعوا رسول اللّه و أهل بيته،أقروا بما نزل من عند اللّه و اتبعوا اثار الهدى،

فإنهم علامات الامانه و التقى. (۱)

الزمن عند اللّه:

[۴۷] وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذٰابِ وَ لَنْ يُخْلِفَ اللّٰهُ وَعْدَهُ من المشاكل النفسيه التى يعالجها القرآن الحكيم فى آياته المره تلو الاخرى هى مشكله الاغترار بالفرصه،فترى الإنسان يقول،عند ما يرى ألوان النعم تصبّ عليه:

اين هو عذاب اللّه؟و لماذا لم يأت؟فيكفر بالعقاب أساسا لأنه يبطئ عليه.

لقد وعد اللّه بالعذاب وعدا حتما،و لكن يعطى الإنسان مهله كافيه لعله يكتشف خطأه،و لو بعد حين،فيتوب الى اللّه متابا،فاذا لم يكن للاعتراف و الاستغفار فى قلبه محلا،و حان اجله آنئذ لا يستقدم ساعه و لا يستأخر.

جاء فى الدعاء :(سبحانك ما أعجب ما اشهد به على نفسى،و اعدده من مكتوم أمرى،و أعجب من ذلك أناتك عنى و ابطاؤك عن معاجلتى،و ليس ذلك من كرمى عليك،بل تأنيا منك لى،و تفضلا منك على لان ارتدع عن معصيتك المسخطه،و اقلع عن سيئاتى المخلقه،و لان عفوك عنى أحب إليك من عقوبتى...).

وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمّٰا تَعُدُّونَ لو كان للزمن عند اللّه قيمه إذا لاهلكنا عند أول ذنب.و لكن اللّه الذى لا يقدر أحد على الفرار من حكومته،و لا يفوته شيء فى السموات و الأرض،لا يبادر بالجزاء و يكون اليوم الواحد عنده كألف سنه.

۱- ۱) المصدر/ص ۵۰۷.

انه سبحانه ليس كما نحن،اننا محددون بالزمان و المكان،و علومنا و قدراتنا محدوده،بينما اللّه على كل شيء قدير،و هو مهيمن على خلقه،قادر على ان يقبض المكذبين متى شاء كيف شاء،فلما ذا العجله،و انما يعجل من يخاف الفوت، سبحانه؟ [۴۸]ان تأخير العذاب،و تلاشى قانون الزمن عند اللّه،لا يعنى ان العذاب لن يأتى،فكم من امه أعطاها اللّه مهله بالرغم من انها ظالمه،ثم أخذها بالعذاب حين حقت عليها كلمته.

وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَ هِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ اين يذهب هؤلاء أو ليس الى اللّه؟بلى انه سبحانه لا يخشى الفوت،و من لا يخشى الفوت لا يبادر بالانتقام.

[۴۹]ان وظيفه الرسول هى تبليغ الرساله للناس،لتكون لهم نذيرا بين يدى عذاب شديد.ان هم أصروا على المعصيه.و بالرغم من ان الرسول بشير أيضا الا ان السياق أكد على جانب الإنذار لان الإطار العام للحديث هنا التكذيب و العذاب.

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ [۵۰] فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ من يقف بجانب الرساله و يؤمن بها و بالرسول و يعمل الصالح بموجبها،فانه يفوز بجائزتين:أولهما المغفره و حط الذنوب،و ثانيهما الرزق الكريم،انها جائزه معنويه تتمثل فى التطهير من الذنوب و أخرى ماديه و هى الرزق الكريم،اى يوفر كرامه الإنسان ذلك لأن من الرزق ما يذهب بها،و يسبب له الهوان.

و ليس فى الآيه ما يدل على الآخره فقط بل يشمل الدنيا أيضا.ذلك ان المغفره و كفران الذنوب و تطهير الواقع الفردى و الاجتماعى من أثار الانحراف و الفساد، و تزكيه النفس من قذر العقد و الأحقاد،ان كل ذلك نعمه عظيمه يسبغها اللّه على المؤمنين فى الدنيا أيضا.

كذلك الرزق الكريم يوفره اللّه لعباده المؤمنين،الذين يرفضون الخضوع لأصحاب السلطه و الثروه،و يتعالون على الذله و الهوان،أو لم يقل ربنا سبحانه:

« وَ مَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَحْتَسِبُ »؟ [۵۱] وَ الَّذِينَ سَعَوْا فِي آيٰاتِنٰا مُعٰاجِزِينَ أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ الْجَحِيمِ أولئك الذين يبذلون قصارى جهدهم فى سبيل تعجيز آيات اللّه،حسب ظنهم، اى عرقله مسيرتها،و تعويق تطبيقها،و تحديها و التكذيب بها أو تأويلها،انهم أصحاب الجحيم.

و يسعى هؤلاء نحو الحاق العجز بالآيات،بتحديها و مواجهتها،فهم بعكس المؤمنين الذين يسلّمون بالآيات،و يقولون: كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنٰا بلا مكابره و لا جدال.

و يدخل ضمن هؤلاء:

أولئك الذين يكذبون بالآيات رأسا.

و أولئك الذين يأولونها و يحرفون مواضعها،مثل خدم السلاطين من علماء السوء.

و أولئك الذين يعوقون تطبيقها كالحكام الظلمه.

ص:۹۱

و أولئك الذين يحبسونها فى حدود ضيقه.

و كلمه«معاجزين»من معاجزه،على وزن مفاعله و هى صرف الشىء عن وجهه.

و الإنسان الـذى لا يريـد ان يطبق أوامر اللّه و شـريعته يبـدأ بتأويل الآيات القرآنيه المحتويه على الأحكام و الشـرائع فيبعـدها عن مقاصدها،و هذه هى المعاجزه.

يؤكـد القرآن مثلاـ على محـاربه الطـاغوت،امـا المعـاجز فيقول:صـحيح ان القرآن يؤكـد على محاربه الطاغوت و لكن الطاغوت المقصود فى القرآن هم(فرعون، نمرود..)و ليس هؤلاء طغاه اليوم،و القرآن يحرم الربا،و يقول المعاجز انما نأخذ الفائده.

ان الآيـات من الوضوح بحيث لم تـدع سبيلاـ لتحريف مـدلولاتها،ان الطـاغوت هو الطـاغوت،و لاـ سبيـل الى التستر عليه بعـد ان سلطت عليه الآيـات القرآنيه الاـضواء الكاشـفه،ففرعون قال:انا ربكم الأعلى،و فلان(...)حاكم قال مثل ذلك بعمله و تصـرفاته.و هما سواء،كما انه لا فرق بين الفائده و الربا.

ان فى القرآن الحكيم العلاج الناجـح لأدواء الإنسان و امراضه،فالقرآن لا يشـير الى العلاج فقط،بل و يقوم أيضا بمعالجه الإنسان مباشره،بشرط ان يتفاعل مع آياته و لا يعاجزها فيزداد مرضا على مرض.

ص:٩٢

[سوره الحج (۲۲): الآیات ۵۲ الی ۵۷]

اشاره

وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لاٰ نَبِیٍّ إِلاّٰ إِذٰا تَمَنّٰی أَلْقَی اَلشَّیْطٰانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ فَیَنْسَخُ اَللّٰهُ مٰا یُلْقِی اَلشَّیْطٰانُ ثُمَّ یُحْکِمُ اَللّٰهُ آیٰاتِهِ وَ
اَللّٰهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ (۵۲) لِیَجْعَلَ مٰا یُلْقِی اَلشَّیْطٰانُ فِتْنَةً لِلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ اَلْقٰاسِیَةِ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ اَلظّٰالِمِینَ لَفِی شِقٰاقٍ بَعِیدٍ (۵۳)
وَ لِیَعْلَمَ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ أَنَّهُ اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَیُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ اَللّٰهَ لَهٰادِ اَلَّذِینَ آمَنُوا إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ (۵۴) وَ لاٰ
یَزٰالُ اَلَّذِینَ کَفَرُوا فِی مِرْیَةٍ مِنْهُ حَتّٰی تَأْتِیَهُمُ اَلسّٰاعَةُ بَغْتَةً أَوْ یَأْتِیَهُمْ عَذٰابُ یَوْمٍ عَقِیمٍ (۵۵) اَلْمُلْکُ یَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ یَحْکُمُ بَیْنَهُمْ فَالَّذِینَ
آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ فِی جَنّٰاتِ اَلنَّعِیمِ (۵۶) وَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا فَأُولٰئِکَ لَهُمْ عَذٰابٌ مُهِینٌ (۵۷)

اللغه

۵۵[عقیم]:أی لا مثیل له فی عظم أمره.

ص:۹۳

كيف نتحدى التمنى بالذكر؟

هدى من الآيات:

فى اطار تذكره سوره الحج بمواقف الناس من الهدى،و بعد الحديث عن موقف التحدى(المعاجزه)عند البعض،تبين آيات الدرس: خطأ التمنىّ،و انه حتى الأنبياء و الرسل لو تمنّوا،القى الشيطان فى أمانيهم،بيد ان ربنا يعصمهم مما يلقيه الشيطان بآياته الحكيمه التى تنسخ إلقاءات الشيطان،التى هى فتنه يتبعها مرضى القلب،و قساته من الناس،و ذلك بسبب ظلمهم الذى يضلهم عن الطريق السوى بعيدا بعيدا.

اما المؤمنون فان هدى اللّه ينّور قلوبهم،و يطهّرها من أمانى الشيطان،فيعلمون انه الحق من ربهم فيؤمنون به،فتصبح قلوبهم خاضعه للحق،مسلمه لأمر اللّه، و يهديهم اللّه بإيمانهم الى صراط مستقيم،بينما يفقد الكفار نعمه اليقين فتراهم لا يزالون فى ريب منه برغم كل آيات الصدق،حتى تأتيهم الساعه بغته بالموت،أو يأخذهم الرب،بعذاب يوم عقيم.

ص:٩۴

و یوم القیامه،یتجلی ملکوت اللّه الذی یحکم بینهم،و یکرم الذین آمنوا و عملوا الصالحات فی جنات النعیم کما یهین الکفار الذین کذبوا بآیات اللّه، فیلقیهم فی عذاب ألیم.

بینات من الآیات:

[۵۲]تعالج آیات هذا الدرس الکریم ثلاثه مواقف للإنسان تلقاء الذکر الحکیم:

الف:موقف التحدی و المعاجزه.

باء:موقف التمنی.

جیم:موقف التسلیم.

و الموقفان الأولان خاطئان،و هما متطرفان ذات الیمین و ذات الشمال و المحجه السالمه،الموقف الثالث.

ان علی الإنسان ان یسلم نفسه للحق کله،و یؤمن بحلوه و مره،ثوابه و عقابه، سهله و صعبه،و یکیف-بالتالی-واقعه له انی کان.

و من الناس من یصارع الحق و یسعون فی آیات اللّه معاجزین متحدین.و منهم من یتمنی فیخلط بین الحقائق و الأحلام،بین ما هو حق و واقع،و بین ما یصبو الیه و یتطلع نحوه.

و لعل العلاقه بین المعاجزه و التمنی،هی ان کلا الموقفین نابعان من عدم التسلیم للحق کما هو،مع فارق فی الطریقه،فأصحاب المعاجزه یتحدون الحق، و یکفرون به،بینما اولی التمنی یرفضون طریقه تحقیق الحق،و تکریسه،من

السعی و الاجتهاد و القتال..ثم القبول بالنتائج.

و لا ینبغی ان یسترسل المؤمن مع زخم امنیاته فیذهب مع ریاح الأحلام،انی اتجهت،و حتی الأنبیاء العظام،و الرسل الکرام لو تمنوا بطبعهم البشری،تمنوا مثلا ان لو هدی اللّه الناس جمیعا،أو أهلک الظالمین فورا،أو أسعد الخلق بوافر نعمائه بلا سعی و لا عسر،أو اخلد الصالحین و لم ینزل علیهم مصیبه الموت،أو ما الی ذلک من أحلام تنبع من فرط حسم للخلق و للقیم الرسالیه،فان الشیطان یلقی فی امنیاتهم، الا ان اللّه یعصمهم و یحکم آیاته فی واقعهم.

و لکن علی المؤمنین ان یعرضوا هذه التمنیات علی الحق الذی أنزله اللّه فی آیات الکتاب فیلزموا أنفسهم حقائق الکتاب و یعرفوا ان اللّه قد خلق الدنیا دار ابتلاء، و لم یجعلها دار جزاء،حتی یعجل للکفار العذاب،أو للمؤمنین بالثواب! و ان الهدایه لیست کرها علی الناس،و ان اللّه قد فرض القتال علی المؤمنین لحکمه بالرغم من انهم له کارهون.

و هکذا جاء فی الأحادیث-اضافه حکمه و لا محدث،و لعله للدلاله علی ان الربانیین من العلماء هم بدورهم معصومون من القاءات الشیطان،مؤیدون بروح الایمان.

وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لاٰ نَبِیٍّ إِلاّٰ إِذٰا تَمَنّٰی أَلْقَی الشَّیْطٰانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ و یبدو ان معنی ذلک،ان النبی و الرسول و الامام المحدث یکاد یتمنی،و لکنه لا یتمنی لقوله سبحانه:

فَیَنْسَخُ اللّٰهُ مٰا یُلْقِی الشَّیْطٰانُ

فی روع الرسول لمقامه البشری الضعیف لولا تأیید اللّه و نصره.

ثُمَّ یُحْکِمُ اللّٰهُ آیٰاتِهِ بالعصمه التی تجعل الرسول لا ینطق عن الهوی بل هو وحی یوحی.

وَ اللّٰهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ فهو یحیط علما بالقلب البشری،و القاءات الشیطان فیه و هو ینسخها من ضمیر المؤیدین کالنبی و الرسول و المحدث بحکمته.و هذه الآیه أکبر شاهد علی عصمه أنبیاء اللّه و أئمه الهدی.ذلک لان اللّه لا یسمح للشیطان بأن یوسوس إلیهم فی صدورهم،بل یعصم عزائمهم،و امنیاتهم و افکارهم من القاءات الشیطان.و تشبه هذه الآیه آیات اخری فی القرآن الحکیم،کقوله سبحانه:

« وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهٰا لَوْ لاٰ أَنْ رَأیٰ بُرْهٰانَ رَبِّهِ »حیث تدل علی ان یوسف علیه السّلام تعرض لطائف من الشیطان فعصمه اللّه رأسا،و قوله تعالی:

وَ لَوْ لاٰ أَنْ ثَبَّتْنٰاکَ لَقَدْ کِدْتَ تَرْکَنُ إِلَیْهِمْ شَیْئاً قَلِیلاً .

حیث ان اللّه لم یدع الضغوط الجاهلیه تؤثر علی مسیره النبی المستقیمه.

و من المفارقات الغریبه اننا نجد تلفیقات من القاءات الشیطان حول هذه الآیه.

حیث جاء فی بعض الاخبار المرویه:ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله جلس فی أحد نوادی مکه،و قرأ علی المشرکین سوره(النجم)حتی إذا بلغ قوله تعالی:

أَ فَرَأَیْتُمُ اللاّٰتَ وَ الْعُزّٰی وَ مَنٰاةَ الثّٰالِثَةَ الْأُخْریٰ أضاف إلیها:و انهن لهن الغرانیق العلا و ان شفاعتهن لهی التی ترتجی و مضی فی قراءه السوره حتی انتهی الی السجده فی آخرها فسجد و سجد المشرکون معه،و لم یتخلف منهم أحد، فاعلنت قریش

رضاها..!!! و فی بعض الروایات ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان یقرأ سوره النجم فی الصلاه،فعند ما کان یقرؤها فاذا بأحد خلفه یردد آیات الغرانیق فرددها الرسول عده مرات علی غفله منه،فنزلت هذه الآیه.

و ان هذه الروایه و أمثالها لا تحتمل التصدیق لان سوره الجن نزلت فی مکه و سوره الحج نزلت فی المدینه،عوضا عن ان الرسول یعلم علم الیقین ان سوره النجم التی تحتوی علی سجده واجبه لا تقرأ فی الصلاه.

المهم جاءت هذه الآیه لتؤکد بان شفاعه هذه الغرانیق لا ترتجی،و ان هذه القصه لیس سوی امنیات ألقاها الشیطان لیختبر بها اللّه عباده المؤمنین،فما هی الا اسطوره لا أکثر و لا أقل.لان الرسول أرفع من ان ینزل الی مستوی الجهل با هم أصل من أصول رسالته،الذی یعتبر الرکیزه الاولی التی قام علیها الدین بأکمله و هی التوحید،فحتی لو أغمضنا العین بقول ان رسل اللّه معصومون عن الذنب، و الخطأ و السهو النسیان و بالذات رسول اللّه محمد خاتم النبیین صلّی اللّه علیه و آله الذی یقول عنه الرب سبحانه:« وَ مٰا یَنْطِقُ عَنِ الْهَویٰ إِنْ هُوَ إِلاّٰ وَحْیٌ یُوحیٰ ».ان هذه الآیه نقرأها فی سوره النجم بالذات التی حولها هذه الاسطوره ثم هل من الممکن ان نتصور رسولا یبعثه اللّه لا بلاغ رساله التوحید ثم ینسی هذه الحقیقه، و یبدلها بخرافه الشرک؟! ان هذا الحدیث الذی یقول عنه أبو بکر الزار لا نعلمه یروی عن النبی بإسناد متصل یجوز ذکره،انما تقوّله الجاهلیون الحاقدون علی الرسول نکایه به،و تناقله الجاهلون الذین لم یعرفوا رسول اللّه بل لم یعرفوا رسالات اللّه.

و لو افترضنا-جدلا-صحه هذه الروایه فلا بد ان یکون هذا الکلام من

القاءات الشيطان فی قلوب المشرکین،التی أضافوها الی الآیات،و اشاعوها بین الناس،لیشبهوا علی الناس،الا ان اللّه سبحانه-الذی وعد بحفظ القرآن عن عبث العابثین و تحریف المبطلین-احکم آیاته،و فضح القاءات الشیطان،و قد ذکر کثیر من المفسرین هذا الاحتمال فی هذه الروایه التاریخیه.

[۵۳]ان قلوب الناس علی ثلاثه أنواع:السلیم،و المریض،و القاسی،و القلب السلیم یعصمه اللّه عما یلقی الشیطان فی امنیاته،بینما القلب المریض و القاسی یلقیان ما یلقیه الشیطان،و یصبح بالنسبه إلیهما فتنه تستهویهما و یصعب علیهما التخلص منها.

لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ما هو القلب المریض و القاسی؟ لعل امراض القلب هی تلک العقد النفسیه،التی تظهر فی الصفات الرذیله کالحسد و الحقد و الکبر و الیأس،و حب الرئاسه،و الجدل فی اللّه بغیر حق.

و اما قسوه القلب فهی التی تنشأ بسبب تراکم اثار الذنوب علیه،فاذا به لا یستجیب للحق،و لا یهتز للانذار و التبشیر،و لا یعتبر بمصیر المجرمین،و لا ینتفع بآیات اللّه فی الافاق.

و کیف تصبح القاءات الشیطان بالنسبه إلیهما فتنه؟ لأن القلب المریض أو القاسی یبحث أبدا عما یتوافق معه،فأنه یستجیب سریعا لوساوس الشیطان و یکون مثله مثل الجسم المریض الذی تکاثرت فیه الجراثیم،و ضعفت مناعته الذاتیه،فاذا به یتلقف الجراثیم الجدیده بسهوله،ان

ص:۹۹

مقاومه هـذا الجسم للمرض ضـعيفه،فخطر المرض عليه شديد،كذلك القلب المريض أو القاسـى،يصـعب عليه مقاومه الاشاعات الشيطانيه التى تنتشر و تلقى هوى فى النفس.

مثلاـانـك ترى قلوب الجـاهليين المريضه بحب«الغرانيق العلى»،و التى تراكمت عليهـا أثار عباده الأصـنام،و تحن الى أيام الصـبا حيث كـانوا يتسـاقطون امـام الأصـنام المزخرفه،و يسـحرون على وقع الاناشـيد و الطبول،و فى احتفالاـت اللعب و اللهو و بانتظـار موائد الطعام و الشرب و المسكرات،و مع صبايا الحى الجميلات و الصبيان الحسان.

انك تراها اليوم تتلهف الى اشاعه تروج فى مكه،بان النبى قـد مـدح هـذه الأصـنام،و وقع ساجدا لها،و اعطى الشـرعيه من جديد لهـا،و تتناقـل الأفواه هـذه الشائعه المفضوحه بشوق عظيم،و إذا بها تصـبح ماده اعلاميه لكل من سولت نفسه النيل من مقام سـيد البشر و منار الهداه و قدوه الصالحين محمد بن عبد اللّه الطهر الطاهر المطهر،الذى عصمه اللّه من كل ذنب،صلى اللّه عليه و على آله المعصومين.

و تسـتمر الأـفواه تتناقلهـا حـتى اليـوم حيـث تتلقفهـا أقلاـم المستشـرقين و تنسـج حولهـا بيـوت العنكبـوت و مـن راجـع كلمـات المستشـرقين و محاور تركيزهم وجـدها تدور فى الأغلب حول تلك الاشاعات الكاذبه التى روجتها أفواه الحاقدين على الرسول صلى الله عليه و آله ،ثم دخلت فى كتب التاريخ اما بسـهو أو عبر أصـحاب القلوب المريضه الذين تظاهروا بالإسلام،و هـم ينوون النيل من الإسلام كبنى أميه، و أحزابهم.

و مع الأسف استرسلت أقلام بعض المفسرين مع هذه التقولات الكاذبه حتى صنعت من الرسول شخصيه مفروزه،و لم تلتفت الى الحديث المجمع عليه و المأثور

عن النبی صلّی اللّه علیه و آله :(ستکثر من بعدی القاله) و لم تلتفت الی حذر أصحاب الرسول من بعده عن قبول الأحادیث الا إذا شهد علیها شاهدان،و قد طردوا بعض الرواه و ضربوهم بالدّره،لأنهم أکثروا من نقل الحدیث غثه و سمینه.

و قد تصدی أئمه أهل البیت بحزم لهذه الظاهره الخطیره و أصروا بان یعرض کلام الرسول و کلامهم أیضا علی کتاب اللّه.فما وافق کتاب اللّه أخذ و ما خالف کتاب اللّه ضرب به عرض الحائط،و استطاعوا ان یفندوا الکثیر من الاشاعات الضاله بهذا المقیاس الرشید.

وَ إِنَّ الظّٰالِمِینَ لَفِی شِقٰاقٍ بَعِیدٍ ان الذین ظلموا أنفسهم بارتکاب المعاصی،حتی مرضت قلوبهم و قست و استجابت لفتنه الشیطان انهم بعیدون عن الحق کثیرا.

و یستوحی من الآیه الکریمه:ان قسوه القلب مرحله تالیه لمرضه،و ان ما یسبب مرض القلب هو الظلم فاذا فحش و ازداد قسی القلب.

[۵۴]وَ لِیَعْلَمَ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَیُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ یتمیز الذین أوتوا العلم،بأن موقفهم أخذ فی التکامل فمن العلم الی الایمان الی الإخبات،ذلک لان العلم هو اکتشاف الحقیقه و الایمان هو الاعتراف بها، و الإخبات هو ان تتبعها بکل کیانک.

و هذا التکامل یتم عبر الصراط المستقیم الذی کلما مشی فیه الإنسان ظهرت له معالم الحق،و اللّه هو الذی یهدی المؤمنین الی هذا الصراط،و لا أحد سواه قادر علی الهدایه الیه.

وَ إِنَّ اللّٰهَ لَهٰادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ [۵۵]اما الـذين كفروا فهم بـاقون أسارى شـكهم النابع من جهلهم.و لا يمكنهم التخلص من هذا الشك الى اليقين بسبب كفرهم.

وَ لاٰ يَزٰالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتّٰى تَأْتِيَهُمُ السّٰاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذٰابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ الساعه هى يوم القيامه،اما العـذاب العقيم فهو العقاب فى الدنيا.

[۵۶]هنالك عند قيام الساعه،يتجلى ملكوت الربّ،و قضاؤه الفصل و جزاؤه العادل،فهو الملك و الحاكم و المدبّر.

اَلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ فله السـلطان الظـاهر،حيث يطـوى بعزته سـلطات الجور الـتى نشـرها الشـيطان، و امهلهـا اللّه بحكمته الى أجل مسمى.

يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فلا أحد يستطيع رد حكمه،و الادعاء كذبا بأنه على حق كما هو اليوم فى الدنيا.

فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ فِي جَنّٰاتِ النَّعِيمِ [۵۷]ذلك هو مصـير المؤمنين العاملين للباقيات الصالحات،اما مصير الكافرين فهو العذاب المهين.

ص:۱۰۲

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ كلمه المهين توحى بان أهم العوامل التى تـدعو الإنسان للشك و اتباع الامانى هو التكبر،و الاهانه هى العذاب النفسى الذى يصيب المتكبرين.و لعله أشد ألما من العذاب المادى.

ص:۱۰۳

[سوره الحج (۲۲): الآيات ۵۸ الی ۶۶]

اشاره

وَ اَلَّذِينَ هاجَرُوا فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ ماتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اَللّٰهُ رِزْقاً حَسَناً وَ إِنَّ اَللّٰهَ لَهُوَ خَيْرُ اَلرّٰازِقِينَ (۵۸) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَ إِنَّ اَللّٰهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (۵۹) ذٰلِكَ وَ مَنْ عٰاقَبَ بِمِثْلِ مٰا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اَللّٰهُ إِنَّ اَللّٰهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (۶۰) ذٰلِكَ بِأَنَّ اَللّٰهَ يُولِجُ اَللَّيْلَ فِي اَلنَّهٰارِ وَ يُولِجُ اَلنَّهٰارَ فِي اَللَّيْلِ وَ أَنَّ اَللّٰهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (۶۱) ذٰلِكَ بِأَنَّ اَللّٰهَ هُوَ اَلْحَقُّ وَ أَنَّ مٰا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ اَلْبٰاطِلُ وَ أَنَّ اَللّٰهَ هُوَ اَلْعَلِيُّ اَلْكَبِيرُ (۶۲) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَللّٰهَ أَنْزَلَ مِنَ اَلسَّمٰاءِ مٰاءً فَتُصْبِحُ اَلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اَللّٰهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (۶۳) لَهُ مٰا فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي اَلْأَرْضِ وَ إِنَّ اَللّٰهَ لَهُوَ اَلْغَنِيُّ اَلْحَمِيدُ (۶۴) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَللّٰهَ سَخَّرَ لَكُمْ مٰا فِي اَلْأَرْضِ وَ اَلْفُلْكَ تَجْرِي فِي اَلْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ يُمْسِكُ اَلسَّمٰاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى اَلْأَرْضِ إِلاّٰ بِإِذْنِهِ إِنَّ اَللّٰهَ بِالنّٰاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (۶۵) وَ هُوَ اَلَّذِي أَحْيٰاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ اَلْإِنْسٰانَ لَكَفُورٌ (۶۶)

ص:۱۰۴

هکذا ینصر اللّه المظلوم الذی یتحدی

هدی من الآیات:

هنالک هجرتان:هجره معنویه و اخری مادیه،فالهجره المادیه عاده ما تتبع الهجره المعنویه،لذلک نجد القرآن الحکیم حینما یحدثنا فی هذا الدرس عن الهجره المادیه من دار الکفر و الکبت و الحرمان،الی دار الحریه و الإسلام،لا یلبث ان یحدثنا عن الجوانب المعنویه لهذه الهجره.

و بمناسبه الحدیث عن الهجره یحدثنا القرآن الحکیم عن قدره اللّه،و أهم و أبرز مظاهر هذه القدره حرکه اللیل و النهار،و إیلاج کل واحد منهما فی الثانی،فکما یبدل اللّه-سبحانه-اللیل نهارا،فانه کذلک یبدل ظلام الإرهاب و الکفر و الجاهلیه الی نور العداله و الإسلام و الحریه.

تلک القدره المهیمنه علی الکون هی ذاتها القدره المهیمنه علی المجتمع،لأن قیاده هذا الکون،و ولایته سواء فی السماء أو فی الأرض للّه الحق وحده.

ص:۱۰۶

بينات من الآيات:

[۵۸]بعد ان ذكرنا الرب سبحانه ببعض حقائق الايمان فى آيات آنفه،جاءت هذه الآيه تذكرنا بدور الهجره فى اللّه.لماذا؟ لان الطريق الى الايمان يمر عبر الهجره و الجهاد.إذ أنّ الطغاه لا يدعونک حرا تؤمن باللّه وحده،و تطبق منهجه فقط،إنّما يريدون أن تميل عن عباده اللّه الى الشرک به بعبادتهم،و لا بد من تحدّيهم حتى تصبح مؤمنا باللّه وحده.و من هنا تبدأ مرحله الجهاد بالهجره من ديار الكفر الى بلاد الإسلام.و الواقع فالهجره ذاتها مرحله متقدمه من مراحل الإيمان،فليس كل مؤمن مستعدا للهجره الى اللّه بعيدا عن اهله و وطنه،و الهجره لا تتم من دون معاناه،فالمهاجر عاده يتعرض للقتل بسبب أو بآخر.

و ليس هناک ما يعوض القتل أو الموت إلا الرزق الحسن من اللّه،فهذا المهاجر الذى ترک موارده الخصبه فى بلده،يعوّضه اللّه خيرا منها دار الخلود،و بدل خروجه من وطنه ساخطا يدخله تلک الدار راضيا مرضيا.

هذا لمن يهاجر و يلقى حتفه،اما الذى يبقى حيّا فأن اللّه سوف ينصره نصرا مؤزّرا على من كانوا السبب فى تهجيره و تشريده،و بما أن الهجره من دار الكفر الى دار الايمان تنشأ من السخط على الأوضاع الفاسده-السياسيه أو الاقتصاديه أو الاجتماعيه-فان الهجره فى عرف الطغاه تشكل سنّ الحربه لذا فهم يسعون لوأد هذه الحركه بقتلهم المهاجرين،أو التضييق عليهم كأن يبرموا الاتفاقات مع الدوله الاخرى كى يسلموهم،أو يضيّقوا عليهم،حتى يستحيل عليهم النصر فيموتوا بعد سنىّ النضال الطويل.

وَ الَّذِينَ هٰاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مٰاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللّٰهُ

رِزْقاً حَسَناً وَ إِنَّ اللّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرّازِقِينَ هكذا يعرفنا اللّه نفسه.

من الآيه(۵۸)الى الآيه(۶۵)يذكرنا القرآن ب(۱۵)اسما من الأسماء الحسنى،هى خير الرازقين،العليم،الحليم،العفو،الغفور،السميع،البصير، العلى،الكبير،اللطيف،الخبير،الغنى،الحميد،الرؤوف،الرحيم.

و نستوحى من منهج القرآن فى ذكر أسماء ربنا هنا و فى سائر السور،ان اللّه يريد ان يعرفنا نفسه فى مختلف جوانب الحياه التشريعيه و الاجتماعيه،أو الماديه التكوينيه،و ان هناك مسافه تفصل بين الايمان و المعرفه،كما تفصل مسافه مماثله بين الإسلام و الايمان،فليس كل مسلم مؤمنا،و ليس كل مؤمن عارفا و ان للعرفان درجات.

ان اللّه سبحانه و تعالى قد تجلى فى آيات القرآن لعباده، و كما تجلى فى آيات الحياه ليعرفنا نفسه،فكيف نعرف اللّه؟ باستطاعتنا ان نعرف اللّه سبحانه عبر صفاته و أسمائه الحسنى،المبثوثه فى آياته القرآنيه و الكونيه،فكل شيء،و كل آيه هى تجلّ واضح لأسماء اللّه و صفاته.

جمال الربيع،و بهجته،و عبق أزهاره،يقودنا الى جمال اللّه،و عظمه الليل و النهار،و دوران الفلك العظيم بشموسه و أقماره،يهدينا الى عظمه اللّه،و انه علىّ كبير.

و قطرات المطر التى تنزل من السماء،ثم تستقر فى رحم الأرض،و تتفاعل مع حبات التراب،و إذا بتلك البذره الصغيره ترتفع نحو السماء،فتصبح شجره عظيمه،كل ذلك يقودنا الى لطف اللّه فى صنعه.

اما إذا نظرنا الى ما فى الجبال من خزائن،و ما فى البحار من ثروات معدنيه و حيوانيه،و ما فى الأرض من كنوز و معادن،فسنعرف آنذاک أن ربّنا غنىّ حميد، و انه على كل شىء قدير.

و حين نعرف بأن ربنا سبحانه قد جعل فى السموات و الأرض أنظمه و سننا- يحفظنا بها-و لو لا ذلك لانتهت حياتنا على الأرض،أو تحولت فى أحسن الظروف الى جحيم لا يطاق.

ان نظام الغلاف الجوى كأبرز مثال من الدقه بحيث لو انه كان أقل سمكا لتهافتت النيازك و الشهب فأحرقت الأرض،و لو انه كان اسمك قليلا لما استطاعت الأرض ان تأخذ قدرا كافيا من اشعه الشمس فكانت تتجمد،و هكذا الجاذبيه، و سماكه الأرض..أقول إذا عرفنا كلّ ذلك هدانا اللّه الى انه سبحانه رؤف رحيم.

و كذلك تحولات حياتنا من الموت الى الحياه،و من الحياه الى الموت،يدلّنا على ان تدبير الأمور بيد غيرنا لا بيدنا نحن،و ان الرحمن على العرش استوى.و هكذا نجد فى هذه الآيات منهجا قرآنيا عظيما.حيث يذكرنا بآيه من الآيات،ثم بصفه من صفات الخالق،و اسم من أسمائه،و هذا هو الأسلوب المناسب لمعرفه اللّه سبحانه، و بتعبير آخر التحول من درجه الايمان الى درجه المعرفه.

جزاء الهجره:

[۵۹] لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ قد يكون هذا المدخل الذى يرضونه فى الدنيا،لأنهم خرجوا غاضبين فى سبيل اللّه،و قد يكون المدخل هو الجنه لان اللاّم فى قوله: لَيُدْخِلَنَّهُمْ تفيد المستقبل.

وَ إِنَّ اللّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ

فهو يعلم عملك و سيجازيك عليه-و لكن بعد حين-لأنه حليم لا يعجل، فمن جهه يعطى الكافرين مهله أطول،و من جهه أخرى يطلب من المؤمنين الصبر حتى يعلم صدق ايمانهم.

[۶٠] ذٰلِكَ وَ مَنْ عٰاقَبَ بِمِثْلِ مٰا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللّٰهُ ذلك لان الـذين خرجوا من ديارهم مهاجرين الى اللّه سوف يرجعون إليها فاتحين بإذنه،فيقتلون أعداء اللّه و أعداءهم،لأنهم تعرضوا للبغى،و البغى هو ان تطالب بحقك المغصوب فلا تعطى إياه،بل و أيضا تواجه بالقمع و الإرهاب.إذ لا يجد غاصبوك سبيلا لاسكاتك الا بالقضاء عليك.

« ذٰلِكَ وَ مَنْ عٰاقَبَ بِمِثْلِ مٰا عُوقِبَ بِهِ »اى مواجهه الاعدام بالاعدام..مثلا بمثل،« ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ »اى ظلم بعد أخذه لحقه المشروع(لينصرنه اللّه)فى هذه الكلمه تأكيدان على تحقيق النصر،أولهما يدل عليه لام التوكيد،و ثانيهما تعبر عنه نون التوكيد.

إِنَّ اللّٰهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ عفوّ غفور عما تجاوزتم،و دلاله عفوه و غفرانه نصره لكم.

استوحى بعض المفسرين من الآيه فكره هامه ان الصراع فى الإسلام ليس قاعده مطرده كما فى النظريه الماركسيه،انما هو حاله اضطراريه،فالإسلام يدعوك الى ان تضرب صفحا عمن يظلمونك أو يسلبون بعض حقوقك البسيطه،اما حين يتعدى هؤلاء الحدّ فى السلب و الظلم،آنئذ يجب عليك ان ترفع عقيرتك فى وجوههم و تواجههم فيكون صراعك لا-من أجل الصراع ذاته،بل من أجل العداله،و حالما يعود إليك حقك آنئذ تقف عند هذا الحد.و مثل هذه الآيه قوله تعالى:

وَ لاٰ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِی حَرَّمَ اللّٰهُ إِلاّٰ بِالْحَقِّ وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنٰا لِوَلِیِّهِ سُلْطٰاناً فَلاٰ یُسْرِفْ فِی الْقَتْلِ إِنَّهُ کٰانَ مَنْصُوراً .

إذا و قبل کل شیء یجب ان یکون الصراع فی اللّه و باللّه،نهبّ متی استنهضنا و نقف عند ما یأمرنا بذلک.

اللیل و النهار:

[۶۱] ذٰلِکَ بِأَنَّ اللّٰهَ یُولِجُ اللَّیْلَ فِی النَّهٰارِ وَ یُولِجُ النَّهٰارَ فِی اللَّیْلِ ما یحدث فی الطبیعه مثل حیّ تمر به الأمم،فمره یمتطی صهوه التاریخ کفره فجره،فیصیب المؤمنون جام انتقامهم علیهم،فتعود مؤمنه کما کانت،لکنها لا تلبث ان تضمحل و تتلاش و تعود من جدید کافره فاجره..و هکذا تتعاقب الأمم حتی یأذن اللّه لأولیائه الصالحین بالنهوض لازاله الجاهلیه و الضلال من ارض الانسانیه جمیعا.

ان معنی الإیلاج هو الإدخال،فمره یلج اللیل فی النهار و یدخل فیه،و مره یلج النهار فی اللیل و یدخل فیه،ففی المره الاولی یکون الفصل شتاء،و فی المره الاخری یکون الفصل صیفا،لان إیلاج اللیل فی النهار یعنی اقتطاع اللیل قطعه من النهار فیصیر اللیل أطول،و هذا فصل الشتاء،و العکس من ذلک إیلاج النهار فی اللیل.

وَ أَنَّ اللّٰهَ سَمِیعٌ بَصِیرٌ ای ان اللّه قریب من السنن الجاریه فی السموات و الأرض و من مظاهر قربه سمعه و بصره،و احاطته بکل صغیره و کبیره.

ص:۱۱۱

أسماء اللّه:

[۶۲] ذٰلِکَ بِأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ مٰا یَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبٰاطِلُ سلطته أعلی من سلطه الآخرین،هذا إذا سلمنا جدلا بأن للآخرین سلطه، و الافهم فی الحقیقه سراب یحسبهم الظمآن ماءا و اللّه هو الحق المبین.

وَ أَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْعَلِیُّ الْکَبِیرُ فما سواه لیس علیا و لا کبیرا،الا به و العلو و الکبر تعبیر ان عن قدره اللّه و سعه سلطانه،فلتسقط الأصنام البشریه و الحجریه التی تعبد من دون اللّه،و لیخلص العارف نیته و عمله للّه الذی یولج اللیل فی النهار و یولج النهار فی اللیل لأنه وحده الحق و ما سواه هو الباطل.

[۶۳]و انه لطیف خبیر،لطیف بعباده یرزقهم من حیث یحتسبون و من حیث لا یحتسبون،و خبیر بحاجاتهم.

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللّٰهَ لَطِیفٌ خَبِیرٌ السماء تمطر و الأرض تستقبل حبات المطر،لتتحول تلک الحبات الی بساط أخضر،فطعام لنا و لأنعامنا.ان کل ذلک یدل علی إِنَّ اللّٰهَ لَطِیفٌ خَبِیرٌ .

ان علماء النبات یعرفون،کم هی دقیقه و عظیمه تلک القوانین التی تنظم نمو النبات،التی عاده ما نمر نحن علیها بلا تأمل أو اعتبار.فبعد ان صرفوا الملایین من الدولارات فی المختبرات النباتیه لم یعرفوا و الی الآن سرّ التمثیل الضوئی..کیف ان شعاع الشمس یتحول الی ثمره کالتفاح مثلا التی تعتبر أکثر مواده من نور

الشمس.

[۶۴] لَهُ مَا فِی السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِی الْأَرْضِ وَ إِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْغَنِیُّ الْحَمِیدُ ان اللّه سبحانه و تعالی یمتلک کل الأشیاء،و یسیّر قوانینها،و هو بالرغم من انه یمتلک الأشیاء و قوانینها فهو غنی عنها و لا یحتاج إلیها،فهی لا تعطیه القوه،بل هو من جهه غنی عنها،و من جهه اخری حمید یعطیها الوجود و الحرکه تبارک و تعالی.

[۶۵] أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ سَخَّرَ لَکُمْ مَا فِی الْأَرْضِ وَ الْفُلْکَ تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ کل ما فی الأرض مسخر لنا..بقسمیها البریّ و البحریّ،فالقسم البری یحوی المعادن و الکنوز،و الأشجار و الحیوانات،و یحوی القسم البحری الحیوانات و المعادن و لعل أهم فائده نستفیدها من البحر،هی جریان سفننا بأمر اللّه فیه و ان من أمر اللّه الریاح التی تدفع السفن و تحرکها الی الامام.

الجاذبیه:

وَ یُمْسِکُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَی الْأَرْضِ إِلاّ بِإِذْنِهِ ان النجوم و الکواکب و سائر الاجرام السماویه تبقی فی مساراتها بقدره اللّه، و لو لا ان الجاذبیه موجوده لاختل نظام الأفلاک و لاصطدمت ببعضها و تناثرت علی الأرض فدمرتها.و ربما یکمن التفسیر الصحیح فی الآیه ذاتها فی قوله:«الا باذنه» ای من الممکن ان تسقط إذا اذن اللّه لها بالسقوط،و ما هی السواقط تلک؟ ان السواقط التی یعبر اللّه عنها بالسماء هی:النیازک و الشهب التی تهبط الی الأرض بإذن اللّه،و لم یکتشف العلم الحدیث و الی الیوم سر الجاذبیه،ما هی؟

ص:۱۱۳

و این هی؟و لکن اللّه یعبر عنها بقوله:

«و هو الذی یُمْسِکُ السَّمٰاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَی الْأَرْضِ إِلاّٰ بِإِذْنِهِ »ای ان الجاذبیه بید اللّه...وضعها حسبما شاء و باستطاعته ان یعدمها،و لکن کلمه«الا باذنه»لا تدل علی ان اللّه یعدم الجاذبیه بل هو إثبات لها،فالنیازک و الشهب التی تسقط علی الأرض بفعل الجاذبیه نفسها.

و معلوم ان تقلص الأرض هو نتیجه طبیعیه لاعمال الإنسان،بسبب صرفه لطاقات الأرض إذ تزاید فی الآونه الاخیره استخدام الطاقه،و استحلاب الأرض من معادنها و غیر ذلک.

کما قال تعالی:

« ظَهَرَ الْفَسٰادُ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمٰا کَسَبَتْ أَیْدِی النّٰاسِ ».(۴۱/الروم) و لعلنا نستوحی من هذه الآیات ان اللّه لا یأذن للأرض بالدمار الا بسبب فساد الناس.

إِنَّ اللّٰهَ بِالنّٰاسِ لَرَؤُفٌ رَحِیمٌ آیه رأفته و رحمته انه سخر لنا ما فی البر و البحر،و أمسک السماء ان تقع علی الأرض الا باذنه و الا فهو قادر علی ان یجعل کل ذلک جحیما علینا،فهناک احتمالات رهیبه فی الکون لا یمکن ان تصدق،و أبرز مثال علی ذلک ان هناک الکثیر من الشهب و النیازک تتساقط علی الأرض و باعداد هائله،و لکنها لا تلبث ان تتلاشی إذا اصطدمت بالغلاف الجوی و هکذا نقرأ فی الدعاء،سبحان من لا یأخذ أهل الأرض بألوان العذاب سبحان الرؤوف الرحیم.

[۶۶] وَ هُوَ الَّذِی أَحْیٰاکُمْ ثُمَّ یُمِیتُکُمْ ثُمَّ یُحْیِیکُمْ إِنَّ الْإِنْسٰانَ لَکَفُورٌ ثم بعد عرض آیات اللّه،و بعد عظیم علمه و رأفته ترانا نکفر بنعم اللّه.ان المشکله فی الإنسان انه محدود النظره،فلو نظر الی ما حوله من آیات اللّه،بل لو رأی خلقه..و تقلبات کل ذلک من حیاه الی موت لآمن،و لکن الإنسان کفور بنعم ربه،و بعطائه،و لعل کفره هذا هو عله کفره باللّه رأسا.

ص:۱۱۵

[سوره الحج (٢٢): الآيات ۶٧ الی ٧٣]

اشاره

لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً هُمْ ناسِكُوهُ فَلا يُنازِعُنَّكَ فِي اَلْأَمْرِ وَ اُدْعُ إِلى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلى هُدىً مُسْتَقِيمٍ (۶٧) وَ إِنْ جادَلُوكَ فَقُلِ اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ (۶٨) اَللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ اَلْقِيامَةِ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (۶٩) أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اَللّٰهَ يَعْلَمُ ما فِي اَلسَّماءِ وَ اَلْأَرْضِ إِنَّ ذٰلِكَ فِي كِتابٍ إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اَللّٰهِ يَسِيرٌ (٧٠) وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَ ما لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ ما لِلظّٰالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٧١) وَ إِذا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ اَلَّذِينَ كَفَرُوا اَلْمُنْكَرَ يَكادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آياتِنا قُلْ أَ فَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكُمُ اَلنّٰارُ وَعَدَهَا اَللّٰهُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَ بِئْسَ اَلْمَصِيرُ (٧٢) يا أَيُّهَا اَلنّٰاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ اَلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اِجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْلُبْهُمُ اَلذُّبابُ شَيْئاً لاٰ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ اَلطّٰالِبُ وَ اَلْمَطْلُوبُ (٧٣)

اللغه

٧٢[يسطون]:إظهار الحال الهائله للاخافه.

الطغاه لن يخلقوا ذبابا

هدی من الآيات:

اشاره

لکی يزداد البشر تقوی و إحساسا بمسؤولياته فی الحياه،لا بد ان يزداد معرفه باللّه و بأنه محيط به علما،و لا بد ان يشعر بان هناک رقيبا يراقبه،و يحيط به،و هذه المعرفه تعطيه التزاما أکثر بمسؤولياته.

و فی هذا الدرس ما قبل الأخير من سوره الحج التی ترکز حول موضوع التقوی نجد-فی هذه الآيات-ايحاءات تدل علی علم اللّه بالکون،و ان المسؤوليه ليست امام الرسول و لا امام المؤمنين بقدر ما هی امام اللّه رب العالمين،فاللّه هو الذی يشرع لکل امه مناسکها،و هو الذی يطالبها بأدائها،و يحاسب علی ترکها،فلما ذا اذن يجادل هؤلاء الکفار الرسول؟ ان مسئوليه الرسول هی الدعوه الی اللّه عبر الصراط المستقيم و مسئوليه الرسول لا تتجاوز هذا الحد،أما حساب الناس فهو علی ربه و ربهم.

ان اللّه محیط علما بما فی السموات و الأرض،و ان کل شیء عنده مکتوب فی کتاب لا یضل ربی و لا ینسی،و ذلک علی اللّه یسیر.لان تسجیل حوادث الدنیا و متغیراتها و إدراجها فی کتاب أمر بسیط،فاذا حانت ساعه الحساب فان یدک کتاب،و جلدک کتاب،و عینک کتاب،و کل ما فیک کتاب شاهد علیک،فما تفعله لا یذهب هباء،و مع کل ذلک،فانک تجد أناسا یعبدون من دون اللّه أناسا عاجزین مثلهم و یخضعون لاصنام بشریه أو حجریه.

ان الإنسان ینبغی له ان یتبع أحد أمرین:اما ان یتبع شریعه اللّه و یخضع لأوامره،و نواهیه،و اما ان یتبع العلم،فمن لم یتبع أحد هذین الأمرین فهو ظالم لنفسه،و من یظلم نفسه،أ یحسب آنئذ ان الأصنام الحجریه أو البشریه ستشفع له؟!انها ستکون علیه ضدا،و سیحشر معها فی جهنم کما قال تعالی:

إِنَّکُمْ وَ مٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهٰا وٰارِدُونَ .

و انک لتری مدی التعصب للباطل عند عبد الطاغوت،حیث تتبین فی وجوههم المنکر..فاذا بها تظلم و تعبس،کلما تلیت علیهم آیات اللّه،البالغه الوضوح، حتی ان اعصابهم تتحفز و کأنهم یستعدون لمعرکه،و یکادون یرفعون أیدیهم للسطو علی من یتلوا علیهم الآیات،و دون النظر الی محتوی الآیات،و ان التالین لها لیسوا سوی مبلغین و ان قول الحق إذا کان مرا لان فیه تهدیدا و إنذارا بالعقاب الواقعی، فان ذات العقاب و هو النار التی وعدها اللّه الذین کفروا انه أشد حراره و أسوأ مصیرا.

و بمناسبه الحدیث عن الأصنام التی تعبد من دون اللّه،یتحدی اللّه الأصنام البشریه موجها إلیها المقال بان لیس فی إمکانها خلق ذبابه واحده حتی لو احتشدت کل القوی العظمی الیوم مثلا(امریکا،روسیا،أوروبا،الیابان و أذنابهم)ما

استطاعوا اليه سبيلا.

انهم يعجزون عن صنع حشره صغيره كالذبابه،و ان تسلبهم الذبابه شيئا، فأنهم أعجز من ان يستنقذوه منها،بالرغم من ضعف قوتها« ضَعُفَ الطّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ »اذن فلما ذا الطغيان،و لماذا عباده هؤلاء الضعفاء؟!

بينات من الآيات:

اختلاف الشريعه و وحده المشرّع:

[۶۷] لِكُلِّ أُمَّهٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً هُمْ ناسِكُوهُ ذكر المفسرون:ان لكل امه مناسك و طقوسا خاصه،تختلف من امه الى أخرى،و هذه الاختلافات لا تدل على اختلاف المشرع،أو على اختلاف الشريعه الاسلاميه التى أتى بها كل الأنبياء و غايه ما فى الأمر هو ان اللّه الذى أوحى بشريعه نوح قد نسخ هذه الشريعه بشريعه إبراهيم، ثم نسخ هذه الشريعه بشريعه موسى،ثم بشريعه عيسى،ثم نسخها بشريعه محمد صلى الله عليه و آله .

هذا التفسير صحيح لكنه ليس كافيا،فهناك أحكام المختلفه بالرغم من وحده الرساله و وحده النبوه،و هناك واجبات تختلف من فرد لآخر حسب أحواله و ظروفه المكانيه و الزمانيه و المعاشيه و غيرها،و من باب اولى ان تنسحب هذه المسأله على الشعوب و الأمم،و المقياس الوحيد لتقدير هذه الظروف المختلفه هو وحى اللّه سبحانه،و ما على الإنسان الا الانصياع لمن له الخلق و الأمر،و ما دام اللّه هو رب الشرائع جميعا،فلما ذا الاختلاف اذن؟!لنتوجه اذن لاصلاح ما بيننا حتى يعم السّلام و الأمن ربوع المعموره.

و لعل الآيه توحى بأن البحث عن جزئيات المناسك العباديه لا يجدى نفعا،بل

لا بـد ان يكون الحـديث حول أصل صـدق الرساله،فمتى ما أيقن المرء ان الرسول يدعو الى اللّه عبر طريق مسـتقيم.فلا يجوز ان يجادل فى الفروع.

و انه لماذا الصـلاه الى الكعبه،و ليس الى المسـجد الأقصـى،و لماذا الصوم فى شـهر رمضان،و ليس فى أيام عيد الفطر،و لماذا لا يحرم الإسـلام ما نهت عنه شـريعه موسـى،و ما الى ذلك مما كان الكفار يجادلون فيه،و يتخذونه ذريعه لجحودهم،و مما لا يزال بعض انصاف المثقفين يتخذونه ماده للجدل العقيم،و يبررون به فسقهم عن الدين و كفرهم به.

و أساسا كلما منعت البشـر العصبيه عن منهج سليم،و لم تفلح أدلته فى رده، أخذ يناقش فى الجزئيات التى لا علم له بها و التى لا يستطيع أحد اقناع أحد فيها.

و لعلنـا نسـتوحى من الآـيه:ان الامه الواحـده مهما اختلفت طرائق و شـيعا فانها تقوم على أساس منسک واحـد،فالمنسک هو رمز مبدئيه الامه و وحدتها،فالمسلمون قد يختلفون فى اى شىء الا فى الصلاه الى الكعبه و الحج إليها و الصوم و..و.

و المسيحيون يختلفون كذلك فى كل شىء الا فى بيت المقدس و مجموعه مناسك يتفقون عليها مثلا.

فَلاٰ يُنٰازِعُنَّکَ فِی الْأَمْرِ أنت لا تملك ايها الرسول سوى البلاغ و ليس لهؤلاء حق فى ان ينازعوك أو يناقشوك فيما أمرك به اللّه،خصوصا فى المناسک،و فى هذا نهى حتمى عن الخوض فى مثل هذا الجدل.

وَ ادْعُ إِلىٰ رَبِّکَ إِنَّکَ لَعَلىٰ هُدىً مُسْتَقِيمٍ انک على هدى،تعرف الغايه و تعرف أيضا الطريق المستقيم إليها،فلا تلتفت

الی جدلهم و نزاعهم،و أمعن فی طریقک داعیا الی اللّه سبحانه.

[۶٨] وَ إِنْ جٰادَلُوکَ فَقُلِ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا تَعْمَلُونَ لا تحاول ان تورط نفسک فی الجدال العقیم معهم،بل اترکهم الی ربهم فهم مسئولون امامه،و لیسوا أمامک الا بمقدار الدعوه و البلاغ.

[۶٩] اَللّٰهُ یَحْکُمُ بَیْنَکُمْ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ فِیمٰا کُنْتُمْ فِیهِ تَخْتَلِفُونَ إذا وضع الإنسان اللّه مقیاسا له و انه رقیب علیه،فان الخلافات سوف تتبدد و تنتهی و لعل الآیه تدل أیضا علی ان هناک اختلافات لا تستدعی الصراع،بل ان الإنسان هو الذی یسبغ علی هذه الاختلافات الطبیعیه لون العداء.

[٧٠] أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ یَعْلَمُ مٰا فِی السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّ ذٰلِکَ فِی کِتٰابٍ ان اللّه یعلم کل ما یجری فی السماء و الأرض،و کل شیء عنده مکتوب فی اللوح المحفوظ الذی یسمیه القرآن هنا بالکتاب،و هذان الامران-علم اللّه و تسجیله للاحداث-یمثلان موعظه بلیغه للإنسان إذا التفت إلیهما جیدا،حیث یراقب جمیع أقواله و أفعاله،و معتقداته،فیعمل علی إصلاح شؤونه،و یبتعد عن کل انحراف یجرح فطرته.

إِنَّ ذٰلِکَ عَلَی اللّٰهِ یَسِیرٌ بالرغم من ان الإحصاء الدقیق فی اللوح المحفوظ فوق تصورات البشر الا انه بالرغم من ذلک علی اللّه سهل یسیر.

ان الأفعال تطبع اثارا لا تمحی فی صحائف شتی،لا یقرأها الا أصحاب

العلم..و كلما زاد العلم تقدما كلما توغل فی معرفه الآثار التی تخلفها الظواهر..

و أبرز مثل لذلک المرض فانه یخلف آثاره علی کل جوارح الفرد.و علی نظام دورته الدمویه،و شبکه غدده،و افرازاتها،و مختلف انسجه جسمه.الا ان علماء الطب یختلفون من عصر لعصر فی قدرتهم علی اکتشاف المرض من خلال تلک الآثار، فمنهم من یکتشفها من النبض و دقات القلب،أو من لون البشره أو من خطوط الکف،و منهم من یکتشفها بالموجات الکهربائیه المنبعثه من حرکه القلب أو الدماغ أو من تحلیل الدم و الافرازات.و هکذا تجد ان التأثیرات مکتوبه علی لوحه الطبیعه،و انما الاختلاف فی القدره علی قراءتها.

و هکذا کل أعمالنا تکتب علی عشرات الألواح،و تتجلی یوم القیامه أمامنا فتعقل ألسنتنا عن الإنکار..الا فلتستعد لذلک الیوم الرهیب الذی تبلی فیه السرائر.

ضَعُفَ الطّٰالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ :

[۷۱] وَ یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مٰا لَمْ یُنَزِّلْ بِهِ سُلْطٰاناً ای انهم یعتقدون ان بامکانهم ان یفلتوا من قبضه الحق،و من نطاق المسؤولیه عبر عباده غیر اللّه التی ما انزل بها من سلطان،فلم یعط إذنا صریحا بیّنا لهم بعبادتهم.

وَ مٰا لَیْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ ان تتعبد بعلم هذه حجه قطعیه و فی غیر هذه الحاله لا بد ان تتعبد باتباع من تعرف یقینا ان اللّه جعله ولیا علیک،اما ان تتعبد بلا علم و لا شریعه،فعبادتک باطله،و عملک هباء.

وَ مٰا لِلظّٰالِمِینَ مِنْ نَصِیرٍ

ص:۱۲۳

اى ان هذه الأصـنام لن تكون المنتصـره لهم من اللّه سـبحانه إذا أخذهم،فهذه الأصنام التى تعبد لن تخلص نفسها فكيف تخلص الآخرين.

[٧٢] وَ إِذٰا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آيٰاتُنٰا بَيِّنٰاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكٰادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيٰاتِنٰا حينما يسـمعون آيات اللّه تبدو على وجوههم آثار الاسـتنكار و الرفض،عميقه و شديده الى درجه يظن فيها الناظر انهم يهمون بالبطش بمن يتلون عليهم تلك الآيات،و كأن هؤلاء لو لم تتلى عليهم هذه الآيات سيكونون فى حل من القيام بمسؤولياتها.

قُلْ أَ فَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكُمُ النّٰارُ وَعَدَهَا اللّٰهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ ان انحرافكم هـذا يـؤدى الى النـار،و إذا كـان مجرد إنذارهم بالنار لا يعجبهم و لا يسـتطيعون تحمله فيا ترى هل ان النار نفسـها تعجبهم،و يمكنهم احتمال حرها؟! [٧٣] يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبٰاباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبٰابُ شَيْئاً لاٰ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطّٰالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ كما هو ثابت علميا ان الـذباب إذا أكل شيئا فأنه يتحول بسرعه عبر عده تفاعلات كيمياويه الى مواد أخرى تسـتفيد منها هـذه الحشـره،و يسـتحيل آنئـذ إعادتها من جديـد،و هكـذا يكون عجز البشـر ظاهرا إذ انهم لا يقـدرون على اسـتعاده مـا يأخـذه الـذباب عنهـم،اضـافه الى ان حجـم الـذبابه صـغير،بحيـث لا تسـتطيع أدق الآلات ان تسـتخلص المـواد من جوفها،علما بأن المواد السـكريه،و الكربوهيدراتيه و البروتينيه تتكون من مادتين رئيسيتين هى:الاوكسجين و الكربون فاذا تحللت هذه

المواد فی بطن الذبابه الی موادها الاولیه،آنئذ یستحیل علی البشر ان یعید العناصر الاولیه الی ماده.

و أخیرا فالقرآن یؤکد-المره تلو الاخری-علی ان الطاغوت لا قوه له الا فی النفوس المریضه،فقد یضخمه اتباعه حتی یصیر عندهم ربهم الأعلی،و قد یقزمونه حتی یصیرا حقر من الذبابه.

ص:۱۲۵

[سوره الحج (۲۲): الآیات ۷۴ الی ۷۸]

اشاره

مٰا قَدَرُوا اَللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اَللّٰهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (۷۴) اَللّٰهُ يَصْطَفِي مِنَ اَلْمَلاٰئِكَهِ رُسُلاً وَ مِنَ اَلنّٰاسِ إِنَّ اَللّٰهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (۷۵) يَعْلَمُ مٰا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ وَ إِلَى اَللّٰهِ تُرْجَعُ اَلْأُمُورُ (۷۶) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِرْكَعُوا وَ اُسْجُدُوا وَ اُعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ اِفْعَلُوا اَلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۷۷) وَ جٰاهِدُوا فِي اَللّٰهِ حَقَّ جِهٰادِهِ هُوَ اِجْتَبٰاكُمْ وَ مٰا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي اَلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّهَ أَبِيكُمْ إِبْرٰاهِيمَ هُوَ سَمّٰاكُمُ اَلْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هٰذٰا لِيَكُونَ اَلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَى اَلنّٰاسِ فَأَقِيمُوا اَلصَّلاٰهَ وَ آتُوا اَلزَّكٰاهَ وَ اِعْتَصِمُوا بِاللّٰهِ هُوَ مَوْلاٰكُمْ فَنِعْمَ اَلْمَوْلىٰ وَ نِعْمَ اَلنَّصِيرُ (۷۸)

ص:۱۲۶

هدی من الآیات:

فی سیاق الآیات التی جاءت فی سوره الحج یذکرنا ربنا تعالی بأسمائه الحسنی التی لما عرفنا اسما جدیدا منها کلما ازددنا ایمانا باللّه و معرفه به و بما خلق،و کلما ازداد الإنسان معرفه بالخالق و المخلوق کلما کان أکثر استقامه و هدی.

ان المحور الاساسی الذی تلتقی فیه کل الخطوط،هو توحید اللّه و معرفه أسمائه الحسنی،لذلک فان الآیات الاولی من هذا الدرس تؤکد مجددا علی أسماء اللّه تبارک و تعالی،ان من الواجب علی العباد ان یعرفوا خالق هذا الکون،و موجد هذه الحیاه،و لکنهم لم یقدروا اللّه حق قدره إذ عدلوه بخلقه.

ان اللّه لیس لا یقاس فقط بالأنداد،بل لا یقاس حتی بتلک القوی التی هی أعظم من الأنداد کالملائکه و الرسل الا ان من الناس من جهل اللّه و لم یقدره حق قدره،فقاسه بالطغاه فعبدهم،و منهم من أشرک معه الملائکه فتوجه إلیها،و منهم من عدله برسله.

ص:۱۲۷

ان اللّه هو الذی یصطفی من الملائکه رسلا و من الناس لینقلوا شریعه اللّه و رسالته الی الناس،و یقوما فیهم بأمره فی الوقت الذی یحیط بهم سمعا و بصرا دون ان یستطیعوا التقول علیه سبحانه و إذا عرفنا اللّه معرفه حقیقیه فان جوارحنا و جوانحنا تهفو الی عبادته قربه له،لان من یعرف اللّه سبحانه یتصل بنوره،و من یتصل بنوره ینعکس ذلک علی کیانه کله،فیندفع الی مرضاه ربه بصوره عفویه.

فجوهر العباده إذا المعرفه،و إذا تمت المعرفه اتصلت روح الإنسان بنور اللّه، و تحرکت جوارحه فی طاعه اللّه بصوره عفویه،لذلک یأمرنا اللّه بالرکوع و السجود و فعل الخیر،ثم یأمرنا بحمل رساله السماء الی الحیاه.

ان الإنسان الذی یجد حلاوه الایمان فی قلبه و یعرف حقیقته و فوائده الجلیله، ینبغی له ان یندفع فی توجیه الآخرین الی الایمان،و بیان فوائده و منافعه لهم، و کذلک یأمرنا سبحانه بالجهاد فیه حق الجهاد،انک بقدر معرفتک باللّه یکون جهادک و تضحیتک فی سبیله،لأنک کلما ضحیت فی سبیله و أنت عارف به کلما شعرت بان تضحیاتک أقل و احقر من مقام ربک الأعلی.

ثم یعدد ربنا سبحانه بعد ذلک نعمه علینا کمجتمع فیقول:ایها المسلمون أنتم مجتمع فاضل،اختارکم اللّه لتحملوا رسالته الی الناس جمیعا،فیجب ان تکونوا کذلک«ان الدین یسر لا عسر»،« وَ مٰا جَعَلَ عَلَیْکُمْ فِی اَلدِّینِ مِنْ حَرَجٍ »و من ثم فأنتم مجتمع قائد لسائر المجتمعات مثلما کان الرسول قائدکم و أخیرا فان مجتمعکم یحمل تجربه جهادیه منذ عهد إبراهیم علیه السلام قبل خمسه آلاف عام أو أکثر حیث ابتدأ المسیره التوحیدیه الجدیده فی العالم،فعلیکم ان تقیموا الصلاه و تؤتوا الزکاه و تعتصموا باللّه و تتمسکوا بحبله.(کتاب اللّه و رسوله خلفائه بمعنی آخر شریعه اللّه و امام مؤید من تلک الشریعه)و آنئذ تکونون قد اخلصتم عبادتکم للّه،مولاکم و نصیرکم« نِعْمَ اَلْمَوْلیٰ وَ نِعْمَ اَلنَّصِیرُ ».

ص:۱۲۸

بينات من الآيات:

ما قدروا اللّه:

[٧۴] مَا قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ما قدروا اللّه حق قدره بان قاسوه بعباده،و لم يعبدوه حق عبادته،و كل الفساد و الضلال و الويلات انما نشأت بسبب عدم معرفه اللّه حقا.

ما هو الفرق بين القوه و العزه؟ يبدو ان الفرق بين القوى و العزيز هو ان القوى يستخدم-بسبب أو آخر- قوته فى السيطره على الآخرين،و لكنه ليس بعزيز،اما إذا كان قويا و استخدم قوته و قدرته فى الساحه الاجتماعيه،فآنئذ يسمى عزيزا اى مرهوب الجانب،و اللّه سبحانه كذلك الا انه لا يقاس بخلقه فهو قوى مطلق القوه،و عزيز يستخدم هذه القوه فى تدبير شؤون الخلق،فلا يتصور أحد انه قادر على تحدى اللّه أو ان باستطاعته بعد ذلك ان يفلت من عقابه،و عموما فان القوه و العزه توحيان بضروره التقوى حيث يعاقب اللّه من لا يقدّره حق قدره.

رسل المسؤوليه:

[٧۵] اَللّهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلاٰئِكَهِ رُسُلاً وَ مِنَ النّاسِ ان اللّه سبحانه و كما جرت سنته لا يعذب قوما من دون ان يرسل إليهم رسولا حتى و لو لم يقدروه حق قدره،« وَ مٰا كُنّا مُعَذِّبِينَ حَتّٰى نَبْعَثَ رَسُولاً »،فاللّه و قبل كل شىء يصطفى رسلا من الملائكه و من أهل الأرض،فيرسل بالوحى هؤلاء الى هؤلاء،فرسل اللّه فى الأرض هم رسل المسؤوليه،و هذه الآيه توحى بان رسل اللّه سواء كانوا ملائكه أو بشرا هم على درجات.

إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ و عند ما يصطفى سبحانه من الملائكه و من الناس رسلا فانه لا يتخلى عن عباده،بل هو سميع بهم و بصير بما يعملون،يدبر أمورهم،و يسجل أعمالهم، و يعلم ما فى سرائرهم و ضمائرهم،و ان اصطفاءه للرسل انما يتم بعلمه،و بسمعه و بصره فلا يكون عبثا،و لعلنا نستوحى من قوله سبحانه:« وَ مِنَ النّاسِ »ان اللّه يصطفى من المؤمنين من يحمل الرساله،فهناك الرسول،و رسول الرسول،و هكذا و دليلنا على هذه الفكره قوله تعالى فى آخر آيه من هذا الدرس،حين يتحدث عن المجتمع الاسلامى:« وَ جاهِدُوا فِي اللّهِ حَقَّ جِهادِهِ هُوَ اجْتَباكُمْ وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ »و آيه أخرى يقول فيها سبحانه: وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ فاللّه سبحانه يختار من سائر عبيده،من يحمل الكفاءه العلميه و العمليه و القياده،و يحمله مسئوليه نقل رسالته.

[۷۶]و اللّه سبحانه يحيط علما بمن يصطفيهم من الرسل فلا يقدرون على مخالفته و معصيته،و نقل مالا يرضى من القول الى الناس و انه لضلال مبين ان نقيس ربنا بمن يجتبيهم من رسله الذين:

يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ ان علم اللّه شامل لرسله أيضا،فهو معهم و يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم.

وَ إِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ أمور الأنبياء و أمور الناس،و حينها يأخذ للمحسن من المسيء،و يجازى المحسن بإحسانه،و السيء بإساءته.

[۷۷]يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا

الْخَيْرَ لَعَلَّكَمْ تُفْلِحُونَ من هذه الآيه و ما بعدها يلخص اللّه السوره مجمله كما انه يذكر الخلاصه التى يريد طرحها.

هذه الآيه تبين مراحل الايمان و هى:

۱-الخضوع،و دليله الركوع للّه.

۲-الخشوع بكل الجوارح،و الشعور بالحقاره امام اللّه،و دليلها السجود.

۳-استمرار الخضوع و الخشوع و الاستقامه عليهما،و هذا هو معنى العباده.

۴-العطاء المستمر سواء بالإنفاق أو العلاقات الحسنه أو..أو..،و هذا معنى قوله: وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ .

و نتيجه هذه السلسله من الأوامر هى سعاده الإنسان،و وصوله الى غاياته و تطلعاته،و هو قوله: لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .

و هكذا

جاء فى الحديث المأثور عن الامام أمير المؤمنين فى وصيته لابنه محمد بن الحنفيه رضى اللّه عنه :

«يا بنى لا تقل ما لا تعلم،بل لا تقل كلما تعلم،فان اللّه تبارك و تعالى قد فرض على جوارحك كلها فرائض،و أضاف بعد ذكر هذه الآيه المباركه:فهذه فريضه جامعه واجبه على الجوارح ». (۱)

و عن الخير الذى أمرنا به فى خاتمه الآيه

جاء فى الحديث النبوى :

ص:۱۳۱

۱- ۱) نور الثقلين ج ۳ ص ۵۲۰.

«رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس و اصطناع الخير الى كل بر و فاجر.» (۱)

الاجتباء و حق الجهاد:

[۷۸] وَ جٰاهِدُوا فِی اللّٰهِ حَقَّ جِهٰادِهِ هنالك علاقه بین الأمر بالجهاد و قوله سبحانه: مٰا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، و هذه العلاقه هی انه بمقدار معرفتك باللّٰه یکون جهادك فی سبیله.

هُوَ اجْتَبٰاکُمْ ای اختارکم،و یبدو هنا ان الاجتباء هو درجه أقل من الاصطفاء،لان اللّٰه قال عن الرسل بأنه یصطفیهم،اما المؤمنین فیجتبیهم،و ربما السبب ان اللّٰه یصطفی رسله بالغیب اما المؤمنین فانه یجتبیهم إذا ما توافرت فیهم الشروط المطلوبه و حسب السنن الجاریه.

ان الایمان مستوی رفیع لا یصل الیه کل إنسان،فاذا ما وصل الیه فلا بد ان یعرف ان اللّٰه قد وضع علی عاتقه المسؤولیه بعد ان اجتباه،و الاجتباء لا یکون بالإخبار المباشر و لکن بالقذف فی القلوب و الإلهام.

من هنا

جاء الحدیث المأثور عن الامام الرضا علیه السلام حین سأله المأمون العباسی عن زید بن علی علیه السلام فقال:کان زید و اللّٰه ممن خوطب بهذه الآیه:« وَ جٰاهِدُوا فِی اللّٰهِ حَقَّ جِهٰادِهِ هُوَ اجْتَبٰاکُمْ ». (۲)

۱- ۱) المصدر ص ۵۲۱.

۲- ۲) المصدر ص ۵۲۲.

وَ مٰا جَعَلَ عَلَيْكَمْ فِي الـدِّينِ مِنْ حَرَجٍ احكام الإسـلام احكام سـهله،فالذين لا يصـلون يتصورون ان الصـلاه صـعبه، و لكن الذين يؤدون الصـلاه بخشوع للّه فإنهم ليس فقط يرونها سهله،بل يجدون فيها اللذه أيضا،و قد يسر الإسلام كل العبادات فلم يجعل من الصـلاه حركات رياضـيه صـعبه مرهقه كتسلق الجبال انما جعلها خفيفه،و كذلك فانه لم يجعل الصيام عمليه تجويع متعبه،و انما هى سويعـات صبر و بعـدها نعود الى مـا كلنـا و مشاربنـا،هـذا من نـاحيه و من ناحيه ثانيه فان الإسـلام يخفف بعض الأحكام فى الحرج،حيث لا يستطيع الإنسان ان يؤدى الفرض كاملا.

جاء رجل الى الامام الصادق عليه السـلام و قال:جرح اصـبعى فوضـعت عليه مراره حتى يندمل الجرح،فكيف أتوضأ؟فقال الامام عليه السلام :هذا و أمثاله يعرف من القرآن،ان اللّه سبحانه و تعالى يقول:« وَ مٰا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » امسح عليه.

صفات القائد:

مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرٰاهِيمَ هُوَ سَمّٰاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ان هذا الدين له جذور تاريخيه و مجد تليد،ابتدأه أبوكم إبراهيم عليه السلام .

وَ فِي هٰذٰا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَـهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَى النّٰاسِ اى فى هذا الدين الاسلامى تكون مسئوليه الرسول،حيث من مهمه الرسول ان يصـنع منكم قاده للاجيال و شـهداء على تطبيق الرساله،و هـذا المقطع من الآيه يجسـد لنا الطموحات التى يجب ان نسعى إليها،فلا تجعل هدفك ان تكون فردا كسائر

ص:۱۳۳

الناس،بل اجعل هدفک ان تکون قائدا،و شاهدا علیهم.

قد یسمی القائد فی الإسلام إماما،لأنه أول من یجب علیه تطبیق الدین فیؤمه الناس،و اما سبب تسمیه القائد بالشهید فلأنه یکون شاهدا علی الناس فی تطبیقهم للرساله.

فَأَقِیمُوا الصَّلاٰهَ وَ آتُوا الزَّکٰاهَ وَ اعْتَصِمُوا بِاللّٰهِ إنّ أهم صفات القیادی:

۱-اقامه الصلاه.

۲-إیتاء الزکاه.

۳-الاعتصام باللّه و التمسک بحبله.

هذه الکلمات الثلاث هی احکام اجتماعیه،حتی الصلاه بالرغم من أنها علاقه بین الفرد و ربه الا أنها و خاصه الجمعه و الجماعه ترکز الروح الاجتماعیه، و عموما فان أهم شرط یلتزم به القیادی هو تقویه ارتباطه باللّه،عبر إقامته لفرائضه، اما الزکاه فواضح مردودها الاجتماعی،من سد فقر المعوزین،و الاحساس بآلامهم و..و..،و الاعتصام باللّه ای التمسک بحبله الذی مدّه لخلقه،و هم أئمه الهدی و قاده أهل التقی..و بتلخیص شدید فان صفات الإنسان القیادی:اتصال روحی باللّه،و علاقه حسنه مع الناس،و خط سلیم.

هُوَ مَوْلاٰکُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلیٰ وَ نِعْمَ النَّصِیرُ هذا المقطع یفسر آیه فی سوره محمّد صلی الله علیه و آله و هی« ذٰلِکَ بِأَنَّ اللّٰهَ مَوْلَی الَّذِینَ آمَنُوا وَ أَنَّ الْکٰافِرِینَ لاٰ مَوْلیٰ لَهُمْ ».

ص:۱۳۴

ان اللّه هو مولانـا الـذى نتلقى منه الأوامر بـاعتزاز،فنعم المولى هو اللّه إذ لم يكلفنـا فوق طاقاتنـا و لم يتركنا بـدون هـدى،و نعم النصير ينصرنا على أعدائه و أعدائنا.

ص:۱۳۵

سوره المؤمنون

اشاره

ص:۱۳۷

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

فضل السوره:

عن النبى صلّى اللّه عليه و آله انه قال :

من قرأ سوره المؤمنين بشرته الملائكه بالروح و الريحان،و ما تقربه عينه عند نزول ملك الموت (۱).

و عن الامام الحسين عليه السّلام أنه قال :

من قرأ سوره المؤمنين ختم اللّه له بالسعاده،إذا كان يدمن قراءتها فى كل جمعه،و كان منزله فى الفردوس الأعلى مع النبيين و المرسلين (۲).

۱- ۱) مجمع البيان ص ۹۸،ج ۷

۲- ۲) نور الثقلين ص ۵۲۷،ج ۳

الإطار العام

ما هو الإطار العام للسوره؟ قد نجيب بسرعه:الإطار العام لسوره المؤمنون هو الايمان، أو صفات هذه الطائفه المتميزه من البشر و هم المؤمنون.

بلى و لكن يبقى السؤال عن علاقه موضوعات هذه السوره بهذا الإطار العام؟ دعنا نذكر أولا موجزا منها:

١-مراحل خلق الإنسان(الآيات:١٢/١٦).

٢-ان حركه الشمس،و القمر و وجود المطر،و الزرع،و الثمرات،و الانعام.

كل ذلك يخدم حياه البشر(الآيات ٢٢/١٧).

٣-كذب قوم نوح بالرسل،و كذلك قرون بعدهم كثيرون،فاهلكهم اللّه

ص:١۴٠

باستكبارهم.كما أهلك فرعون و ملأه حين كذبوا برسولهم موسى بن عمران (الآيات:۴۸/۲۳).

۴-و لقد اوى الرب مريم الصديقه و ابنها الكريم ربوه،و أمر الرسل بأكل الطيبات،و القيام بالأعمال الصالحه(الآيات:۵۲/۴۹).

۵-لقد اغتر الكفار بالنعم الالهيه فكانت عاقبتهم النار(الآيات:

۵۶/۵۳).

۶-و الصفات المثلى للمؤمنين(الآيات:۶۲/۵۷).

۷-جزاء الكفار فى الدنيا(الآيات:۹۱/۶۳).

۸-موقف النبى من ذلك الجزاء(الآيات:۹۸/۹۲).

۹-عقاب الكفار فى الآخره(الآيات:۱۱۵/۹۹).

۱۰-مشاهد من يوم القيامه،و ثواب المؤمنين فيها(الآيات:۱۱۸/۱۱۶).

و لعلنا نجد فى الجواب التالى على هذا السؤال،ليس فقط الرابط بين هذه الموضوعات و بين الإطار العام فيها،بل و أيضا الرابط بين موضوعات سائر السور القرآنيه الكريمه و بين الاطر العامه فيها،و الجواب هو التالى:ان القرآن ليس مجرد دعوه للإصلاح،بل هو الإصلاح ذاته،و ليس وصفه طبيب،بل دواء للمريض، و شفاء عاجل،انه ضياء و نور و هدى.

أو ليست حقائق الايمان ظاهره،و شديده الظهور،أو ليس اللّه خالق السموات و الأرض أكبر شهاده من كل شيء؟!

فلما ذا-إذا-لا يؤمن به أكثر الناس بالرغم من حرص أصحاب الرسالات على هدايتهم؟! لأن القلوب مريضه،و العيون مصابه،و فى الأذان وقر،إن ركام العقد، و حجب الغفله،و سحب الكبر،و الغرور،و السخريه لا تدع أنوار الحق تغمر القلوب.

و بالقرآن يعالج المؤمنون كل هذه الأمراض،و موضوعات السوره هذه تصب فى هذا المجرى..كيف؟بعد ان حدد الذكر ملامح التجمع المؤمن،و بيّن انهم هم المفلحون،ذكّرنا بنفسه،من خلال آياته فى خلق الإنسان،أو ليس أساس الايمان معرفه الرب؟!ثم عدد نعمه علينا،و كيف أنها تحيط بالإنسان،و تهدينا الى ذلك التدبير الرشيد فى الخلق،و لكن أو ليست هذه الآيات ظاهره،و تشهد على وحدانيه الرب،من خلال وحده التدبير؟!بلى.إذا لماذا يكفر أكثر الناس بربهم؟لأنهم مستكبرون،و كيف نعالج الاستكبار؟انما بمعرفه عاقبه من استكبروا من قبل، و قوم نوح أبرز شاهد،حيث أغرقهم اللّه بالطوفان العظيم،و حمل المؤمنين وحدهم فى الفلك المشحون،و هكذا عاد و ثمود،و قرون متماديه،حيث أتبع الرب بعضهم بعضا،و جعلهم أحاديث.

و هكذا استكبر الملأ من قوم فرعون لما ذكّرهم موسى-عليه السّلام-بربهم، فأغرقهم اللّه فى النيل،و نجى بنى إسرائيل من الغرق،و انزل على موسى الكتاب فرقانا و ضياء.

ان إنقاذ المؤمنين دليل رحمه الهيه تخصهم،بينما الشيطان يريد ان يغرينا بوساوسه التى منها ان الايمان يضر البشر.كلا..فهذه مريم و ابنها البارّ،يؤويهما الرب الى ربوه ذات قرار معين،و يأمر الأنبياء بان يأكلوا من الطيبات،و يعملوا صالحا،و يعبدوا ربهم الواحد،و لا يتفرقوا شيعا.الا ان موقف الكفار من النعم،

بـل و من رسالات اللّه كـان خاطئـا.حيث تقطعوا أمرهم بينهم زبرا.لمـاذا؟لأنهم اغتروا بالنعم و فرحوا بها و زعموا ان ذلک دليل سلامه خطهم و هم لا يشعرون.

و من أبرز صـفات المؤمنين:انهم لا يغترون بالنعم،و لا بما يؤتون من الصـدقات،فما جزاء أولئک الا العـذاب المباغت الذى ينزل بمترفيهم،فاذا هم يجأرون،و ذلک جزاء استكبارهم.

و يعالج القرآن الحكيم فى هذا السياق(۷۷/۵۱)سلسـله من الأمراض التى تصيب القلب بسبب تواتر النعم،و يعطى بصائر ينظر من خلالها المؤمنون الى الحياه،و من نعم اللّه فيها،فلا يزدادون بها الا ايمانا و تسليما.

ثم يعود و يـذكرنا بنعم اللّه علينا(۸۰/۷۸)و يخص السـياق جانبا هاما من دروس آخر السوره بالايمان بالآخره،لأنه بـذاته جزء من الايمان،و فى ذات الوقت، مكمل للايمان باللّه،و شرط للايمان بالرسالات.

فاللّه يحيى و يميت،و يدبر الحياه،و هو بالتالى قادر على أن يعيد الإنسان بعد ما كان ترابا و عظاما.

و يساعدنا الذكر الحكيم على تجاوز عقبات فى طريق الايمان كالجهل، و الغفله،و الفسق،و التأثر بضلالات الغواه(۹۰۴).

و من تلک العقبات الزعم بان اللّه شريكا-سبحانه و تعالى-و القرآن يذكرنا بسخافه هذا الزعم(۹۲/۹۱).

و لكى يتميز المؤمنون عن الكفار يأمر اللّه رسوله بان يسـتعيذ باللّه من العذاب الذى ينزل على الظالمين،و يأمره بالسيره الحسنه،و بالاستعاذه باللّه من همزات الشياطين،بل و حتى من مجرد حضورهم(۹۸/۹۳).

ص:۱۴۳

و لعل كل ذلک يخدم حاله التميّز المطلوبه بين المؤمن،و المغوين الذين يسحرون الناس،و لا يدعونهم يؤمنون بربهم الكريم.

و لا بد ان نحذر عاقبه هؤلاء الذين يندمون عند نزول الموت بهم،و يطلبون العوده الى الحياه حتى يصححوا مسيرتهم،و يأتيهم الجواب:كلا..بل سوف يبقون فى البرزخ حتى ينفخ فى الصور،و انئذ لا أنساب بينهم،و لا هم يتساءلون عنها،و لعل الاعتماد على الأنساب عقبه فى طريق الايمان(۹۹/۱۰۰).

و يحذرنا الرب من الموازين.حيث يخسر الذين خفت موازينهم،بينما يفلح المؤمنون الذين تثقل موازينهم،و يبدو ان ذلک أعظم وسيله لتربيه النفس.حيث يسعى المؤمن للتخلص من النار التى تصيب أولئک الذين كذبوا بآيات اللّه، و اعترفوا بشقائهم،و طلبوا العوده الى الدنيا،فرفض طلبهم و أسكتوا، أو ليسوا كانوا يسخرون من عباد اللّه حين يدعون ربهم،فنسوا ذكر اللّه(بتلک السخريه)؟! فأولئک المؤمنون هم الفائزون بصبرهم(۱۰۲/۱۱۱).

و يبدو ان السياق يعالج-بعدئذ-حاله التسويف فى النفس و التى هى الاخرى عقبه فى طريق الايمان.

فاذا بسائل يقول:كم لبثتم فى الدنيا؟فلا يعرفون حساب بقائهم،و لكنهم يعتبرونه يوما أو بعض يوم،بلى.لقد لبثوا قليلا فى الدنيا(بالقياس الى زمن الآخره)و لكنهم لم يعلموا ذلک و الا لما استهانوا بحياتهم الآخره(۱۱۲/۱۱۴).

و يعالج العبثيه التى يزعم أصحابها ان الحياه بلا هدف،و يذكرهم بأنهم سيرجعون الى ربهم للحساب،و انه تعالى الرب الملک الحق،فلا عبث و لا لعب و لا لهو فى الخلق.

ص:۱۴۴

و یذکرنا الرب بالتوحید،و ان حساب المشرکین عسیر عند ربهم،و انهم لا یفلحون،و تنتهی السوره بفتح باب التوبه و الدعاء،الی اللّه و هو ارحم الراحمین.

ص:۱۴۵

[سوره المؤمنون (۲۳): الآیات ۱ الی ۱۱]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ . قَدْ أَفْلَحَ اَلْمُؤْمِنُونَ (۱) اَلَّذِینَ هُمْ فِی صَلاٰتِهِمْ خٰاشِعُونَ (۲) وَ اَلَّذِینَ هُمْ عَنِ اَللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (۳) وَ اَلَّذِینَ هُمْ لِلزَّکٰاهِ فٰاعِلُونَ (۴) وَ اَلَّذِینَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حٰافِظُونَ (۵) إِلاّٰ عَلیٰ أَزْوٰاجِهِمْ أَوْ مٰا مَلَکَتْ أَیْمٰانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَیْرُ مَلُومِینَ (۶) فَمَنِ اِبْتَغیٰ وَرٰاءَ ذٰلِکَ فَأُولٰئِکَ هُمُ اَلْعٰادُونَ (۷) وَ اَلَّذِینَ هُمْ لِأَمٰانٰاتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رٰاعُونَ (۸) وَ اَلَّذِینَ هُمْ عَلیٰ صَلَوٰاتِهِمْ یُحٰافِظُونَ (۹) أُولٰئِکَ هُمُ اَلْوٰارِثُونَ (۱۰) اَلَّذِینَ یَرِثُونَ اَلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِیهٰا خٰالِدُونَ (۱۱)

قد أفلح المؤمنون

هدى من الآيات:

تبين هذه الآيات ابرز صفات المؤمنين و التى تمتاز بأنها سلوك متأصل فى شخصيتهم،و ليست مجرد اعمال عارضه،و الفرق بين السلوك و العمل هو:

١-ان العمل يمارس حينا،و يترك حينا،بينما السلوك يبقى مستمرا مع اختلاف الظروف و الأحوال.

٢-ان السلوك نابع عن قناعه فكريه،بينما العمل قد لا يكون كذلك،فانه يخضع لمختلف النيّات و العوامل النفسيه،فلربما يصدر من شخص عمل ما فى وقتين، و لكن بنيتين متناقضتين،فالصلاه تكون مره عباده للّه و مره اخرى رئاء الناس.

اما الصفات المثلى التى يتحلى بها المؤمنون فهى:

١-الخشوع و هو الايمان حقا.

ص:١۴٧

۲-الاعراض عن اللغو.

۳-العطاء(الزكاه).

۴-تحديد الشهوات.

۵-رعايه الأمانات و العهود.

۶-المحافظه على الفرائض و الحدود.

و لا شک ان هذه الصفات سوف تنتهى بصاحبها الى جنه الفردوس بفضل اللّه.

بینات من الآیات:

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ان فلاح المؤمنين و وصولهم الى سعادتهم يكون(ببسم اللّه)لا بذاتهم.

صفات المؤمنين:

۱-الخشوع للّه:

[۲/۱]و الخشوع هو جذوه الايمان التى تلتهب فى القلب،و ينتشر شعاعها الى سائر أنحاء السلوک،فالإيمان حقيقه هو الخشوع الذى يعنى تسليم النفس الى اراده اللّه من خلال الالتزام برسالته،و اطاعه أوليائه،فقد يصبح الإنسان عالما بشيء و لكنه لا يؤمن به.إذ الايمان ليس مجرد العلم،بل المؤمن هو الذى تسلم نفسه للمعرفه،و تخشع للحق.

و النفس الخاشعه لا تتكبر،لأنه لو وجد فى قلب الإنسان و لو بمقدار حبه الخردل فانه سيمنع الخشوع،كما ان النفس الخاشعه ابعد ما تكون عن القساوه،لأن

ص:۱۴۸

القساوه تجعل النفس كالصخره،لا ينبت عليها الزرع،و لا تستقبل أمواج النور.

اذن الخشوع هى الصّفه الاساسيه التى يتحلى بها المؤمنون،بل هو الايمان ذاته.

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ ان فلاح المؤمنين،و نيلهم سعادتهم يكون بتأديتهم الصلاه بخشوع،لان الخشوع يتجلى عند الصلاه أكثر من أىّ وقت آخر،و لهذا

كان الامام الحسن عليه السلام إذا توضأ لها اصفر لونه،و تغيّرت ملامحه حتى ينكره الذى يعرفه،و قد أمر الدين بالخشوع القلبى دون الظاهرى فى الصلاه ،

فقد جاء فى الأثر عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله انه قال :

«ما زاد خشوع الجسد على ما فى القلب فهو عندنا نفاق » و نهى الدين عن العبث أثناء الصلاه لأنه يتنافى و خشوع القلب.

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

«ليخشع الرجل فى صلاته،فانه من خشع قلبه للّه عز و جل خشعت جوارحه،فلا يعبث بشىء » (۱)

۲-الاعراض عن اللغو:

[۳]لان القلب المؤمن خاشع فهو يعى مسئوليته،أو ليس يسلّم للحق، و يعرف أنه سيسأل عن كل صغيره و كبيره،و يحاسب عليها،و يعلم أن الحياه جدّ،لا عبث فيها،و لا لغوا بينما الذى لا يعرف ان وراء حياته جزاء،و انه يجب ان يكيف حياته على هدى ذلك الجزاء،فانه يتخذ الحياه لهوا و لعبا.

۱- ۱) نور الثقلين ج ۳ ص ۵۲۸.

وَ الَّذِینَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ الـذی یکون لـدیه مریض فی حـاله خطیره لو مر علی جمـاعه یلعبون فهـل سـیقف معهم؟کلاـ.و هکـذا حال المؤمن فانّ قلبه مهموم بأهـدافه و مسـئولیاته فی الحیاه، مما یجعله یترفع عن صـغائرها و توافهها.و حتی لو جاءه اللغو یسعی فانه لا یعیره أی اهتمام،و لا یقول القرآن عنهم:انهم لا یفتشون عن اللغو،بل قال« عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ »ای لو حاول أحد ان یؤثر علیهم،فهم لا یتأثرون به و بلغوه.

و قـد فسـر اللغو فی کلمـات أئمه أهـل البیت علیهم السـلام بالاصـغاء الی مـا لاـ یحـل الإصـغاء له،مما یشـمل الفحش،و الغیبه،و الخوض فی آیات اللّه.

و جاء فی حدیث مأثور عن أبی عبد اللّه الصادق علیه السلام فی تفسیر الآیه :

«ان یتقـول الرجـل علیـک بالباطـل،أو یأتیـک بمـا لیس فیـک فتعرض عنـه اللّه » و جـاء فی حـدیث آخر تفسـیر اللغـو بالغنـاء،و الملاهی،و فسر فی حدیث آخر بالاستماع الی القصّاص،اما

الامام أمیر المؤمنین علیه السلام فیقول :

«کل قول لیس فیه للّه ذکر فهو لغو » (۱)

۳-العطاء:

[۴]وَ الَّذِینَ هُمْ لِلزَّکاهِ فاعِلُونَ و الزکاه التی یـذکرها القرآن هنا،لیست مجرد العشـر الـذی یعطیه المسـلم علی تسـعه أشـیاء هی الغلاه الأربع،و الانعام الثلاث،و النقدین، و انما کل زکاه،

۱- ۱) المصدر ص(۵۲۹).

و زكاه كل شيء بحسبه،فزكاه العلم نشره،و زكاه الجاه بذله،و زكاه المال إنفاقه،و زكاه الصحه النشاط.

ان نظره المؤمنين الى الحياه تنبع من خشوعهم للحق المتمثل فى رسالات ربهم، فلأنهم خاشعون للّه يعملون بشرائعه،و يشكرون ربهم على نعمائه بالإنفاق،لأنهم يرون كل نعمه منه،و كلمه«فاعلون»تختلف عن معطون.إذ توحى باستمرار الإنفاق،و انه سلوك لا حاله طارئه،اى ان فعلهم و عملهم هو الزكاه،و الواقع ان الزكاه قرينه الصلاه فى القرآن دائما،و لا تقبل الصلاه الا بها،و قد أكد الإسلام عليها،و

جاء فى الحديث عن الامام الصادق عليه السلام :

«من منع قيراطا من الزكاه فليس هو بمؤمن،و لا مسلم،و لا كرامه » (۱)

۴-تحديد و توجيه الشهوات:

[۵]لقد خلق اللّه الإنسان مزوّدا بشتى الغرائز،و ليس ذلك الا ليستفيد منها، و لكن بالشكل المناسب،و المؤمنون وحدهم الذين يستثمرونها لصالحهم،لأنهم يهيمنون على أنفسهم،و يكبحون جماح الشهوات بالخشوع و التسليم للحق.

وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حٰافِظُونَ و قد يعنى الحفظ هنا بالاضافه للالتزام بالشريعه، و توجيه الغريزه وفقها، الحفاظ على فرج الإنسان من الناحيه الصحيه أيضا،و ذلك بعدم الإفراط فى الشهوه،و الالتزام بالمنافذ الشرعيه لها.

[۶] إِلاّٰ عَلىٰ أَزْوٰاجِهِمْ أَوْ مٰا مَلَكَتْ أَيْمٰانُهُمْ

ص:۱۵۱

۱- ۱) المصدر ص(۵۲۹).

من الإماء.

فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ای غیر مؤاخـذین عند اللّه،لأنهم یصـرفون شـهواتهم فی محلها المناسب،و لعل فی الآیه اشاره الی خطأ الابتعاد کلیّا عن الشـهوات،و ان وساوس الشـیطان هی التی تزرع اللوم فی افئـده البعض إذا ما رسوا الشـهوات بقـدرها،و علی المؤمن الا یأبه بها.

[۷] فَمَنِ ابْتَغیٰ وَرٰاءَ ذٰلِکَ فَأُولٰئِکَ هُمُ الْعٰادُونَ الذین یسـتحقون الجزاء فی الدنیا بالحدود الشرعیه،و فی الآخره بالعذاب المهین، و العادی أو المعتدی:الذی یتجاوز الحدود.

و فی الآیه بیـان فسـاد کـل اسـتغلال للشـهوه فی غیر موردها مثل اسـتثاره الشـهوه بالنظر الی الاجنبیه،و الصوره الخلیعه،و الأفلام الجنسیه،أو باستماع قصص الغرام.

اما الشذوذ الجنسی،و العاده السریه(الاستمناء)،و نکاح البهائم،فان الآیه تنطق بحرمتها صراحه.

و جاء فی الحدیث:عن أمیر المؤمنین-علیه السّلام -:

«ابعد ما یکون العبد من اللّه إذا کان همه فرجه و بطنه »

و عنه أیضا :

«تحل الفروج بثلاثه وجوه:نکاح بمیراث،و نکاح بلا میراث،و نکاح بملک یمین » (۱)

۱- ۱) المصدر ص ۵۳۱/۵۳۰.

۵-أداء الأمانات و العهود:

[۸]و علاقات المؤمنين مع الناس قائمه على أساس الالتزام و المسؤوليه،و ليس اللامبالاه،فاذا أخذوا شيئا من أحد تحول فى نظرهم الى كرامه،تتضرر شخصيتهم لو لم يردوه إليهم،و أكثر من هذا الوازع يدفعهم لرده الخشوع و الايمان خوفا من اللّه.

دافع انسانى و دافع دينى،لذلك يرعون الامانه و العهد.

و العهد و الامانه هما شيء واحد،فالإنسان مسئول امام الآخرين فيما يأخذ و فيما يقول.

وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَمٰانٰاتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رٰاعُونَ و التعبير فى هذه الآيه دقيق جدا حيث استخدم القرآن كلمه«راعون»فلم يقل:ردوا الامانه و ذلك لسببين:

الاول:حتى تشمل الكلمتين العهد و الامانه،فالعهد لا يرد لأنه شيء معنوى لا مادى.

الثانى:كلمه«راعون»أدق حتى فى موضوع الأمانه من كلمه(الرد)إذ تبين حرص المؤمنين على أموال الآخرين،فليس همهم ان ترد الامانه بأيه صوره، و انما يظلّون يرعونها و يحافظون عليها ربما أكثر من ممتلكاتهم الشخصيه حتى تسلم الى صاحبها،بينما نجد ان أكثر الناس يكون حفاظهم على ممتلكاتهم الشخصيه أشد من ممتلكات غيرهم.

و هكذا يرعون العهد بالثبات عليه،و تأكيد الالتزام به،و من أعظم العهود التى يرعاها المؤمنون حق رعايتها،عهد الولايه.حيث يؤدونها الى أهلها،و قد جاء فى أحاديث آل البيت-عليهم السّلام-تفسير العهد بالولايه.

ص:۱۵۳

۶-المحافظه علی الفرائض و الحدود:

[۹]بعد تبیان هذه المجموعه من الصفات یذکرنا القرآن باهمیه المحافظه علی الصلاه،و ربما تختلف الصلاه التی یذکرها فی أول الصفات عن هذه التی فی آخرها،فبینما الخشوع فی الصلاه یعنی فی ذات الصلاه،و هو أصل الایمان و حقیقته،اما المحافظه علی الصلاه فهی المحافظه علی حدودها،و هذا یوضح ما للصلاه من انعکاس علی جمیع أبعاد الحیاه لدی الفرد،فأیّ انحراف فی ایّ بعد یؤثر علی صلاته،و هکذا تعنی المحافظه علیها الالتزام بسائر الحدود الشرعیه،و المؤمنون لا یتهاونون فی الأحکام الشرعیه بحدودها،و شرائطها،باسم جوهرها.فلا یترکون الصلاه مثلا بحجه ان الخشوع هو الأصل فیها،فاذا تحقق فلا أهمیه للرکوع و السجود،کما یتصور ذلک بعض المتصوفه،إذ تراهم لا یحترمون الحدود الشرعیه بزعم انها وسائل للوصول الی الحق،و انهم یصلون الیه عبر وسائل اخری،و انهم إذا بلغوا الحق و اتصلوا به سقطت عنهم التکالیف لان اللّه یقول:« وَ اعْبُدْ رَبَّکَ حَتّٰی یَأْتِیَکَ الْیَقِینُ »و هم-فی زعمهم-قد أوتوا الیقین.

کلا..المؤمنون حقا هم المحافظون علی حدود الصلاه،و لکنهم لا یلتزمون بالحدود فقط بعیدا عن جوهر الصلاه،و سائر العبادات،فهم من جهه فی صلاتهم خاشعون مراعون لجوهرها،و هم من جهه اخری علی صلواتهم یحافظون،و یراعون حدودها.

وَ الَّذِینَ هُمْ عَلیٰ صَلَوٰاتِهِمْ یُحٰافِظُونَ

وراثه الفردوس:

[۱۱/۱۰]لماذا یؤمن الإنسان؟

ص:۱۵۴

لأنه يعرف ان ايمانه سينتهى به الى جنه عرضها كعرض السماوات و الأرض، و لهذا يأتى الحديث بعد هذه الصفات عن الجنه.

أُولٰئِكَ هُمُ الْوٰارِثُونَ و لهذه الآيه معنيان:

الأول:ما جاء فى الأحاديث من ان لكل إنسان بيتين.أحدهما فى الجنه، و الآخر فى النار،فمن أصبح من أهل النار ورث المتقون بيته فى الجنه،

فقد روى عن النبى صلى الله عليه و آله :

«ما منكم من أحد الا له منزلان،منزل فى الجنه،و منزل فى النار،فان مات و دخل النار،ورث أهل الجنه منزله » (1)الثانى:انهم يرثون الفردوس و هى أعلى مراتب الجنه من دون عمل يذكر،الا انتسابه للجنه،كالذى يرث مال أبيه لا بعمله و كده،بل لانتسابه اليه.

و اللّه سبحانه و تعالى يريد من الإنسان ان يتصل بسبب الى الجنه،حتى إذا مات ورثها.

اَلَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ

۱- ۱) المصدر ص ۵۳۲.

[سوره المؤمنون (۲۳): الآيات ۱۲ الى ۲۲]

اشاره

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا اَلْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ (۱۲) ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَكِينٍ (۱۳) ثُمَّ خَلَقْنَا اَلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا اَلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا اَلْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا اَلْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اَللّٰهُ أَحْسَنُ اَلْخالِقِينَ (۱۴) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (۱۵) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ اَلْقِيامَةِ تُبْعَثُونَ (۱۶) وَ لَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرائِقَ وَ ما كُنّا عَنِ اَلْخَلْقِ غافِلِينَ (۱۷) وَ أَنْزَلْنا مِنَ اَلسَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنّاهُ فِی اَلْأَرْضِ وَ إِنّا عَلىٰ ذَهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ (۱۸) فَأَنْشَأْنا لَكُمْ بِهِ جَنّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ لَكُمْ فِيها فَواكِهُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْها تَأْكُلُونَ (۱۹) وَ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْناءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَ صِبْغٍ لِلْآكِلِينَ (۲۰) وَ إِنَّ لَكُمْ فِی اَلْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمّا فِی بُطُونِها وَ لَكُمْ فِيها مَنافِعُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْها تَأْكُلُونَ (۲۱) وَ عَلَيْها وَ عَلَى اَلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (۲۲)

اللغه

۱۲[سلاله:السلاله اسم لما يسلّ من الشیء و تسمی النطفه سلاله و الولد كذلك و الجمع سلالات و سلائل،فالسلاله صفوه الشیء التی يخرج منها.

ص:۱۵۶

فتبارک اللّه أحسن الخالقين

هدى من الآيات:

السبيل الى الايمان معرفه اللّه،معرفه تغمر أرجاء النفس و تبلغ أعماقها،و لكن كيف يتسنى للإنسان و هو المخلوق الضعيف،المحدود فى عمله و قدراته،ان يعرف الخالق القوى العزيز؟! اننا لا نستطيع ان نتعرف على اللّه الا إذا عرّفنا نفسه،و

قد ورد فى الدعاء (الهى بك عرفتك،و أنت دللتنى عليك،و لو لا أنت لم أدر ما أنت) و لقد عرّف اللّه سبحانه نفسه إلينا حينما تجلى فى آيات الكون بما فيها الإنسان نفسه تاره،و فى آيات القرآن تاره أخرى،بما فى تلك الآيات،و هذه من إثاره للعقول نحو أهم المعارف و أجلّها،و هى معرفه اللّه.

ان التفكير فى أطوار خلق الإنسان من طينه،الى نطفه،الى علقه،فمضغه، حتى يصير بشرا سويّا.بعد ان ينفخ اللّه فيه الروح،و يزوده بالعقل و الاراده،و سائر الجوارح و هو يسير الى الموت،و إنّ نظره عميقه الى الكون و ما فيه من آيات اللّه تهدينا

ص:١٥٨

الی معرفه اللّه و هی-بدورها-تهدی الی وعی حقیقه الحیاه،اما حین نفصل معرفه اللّه عن معرفه الأشیاء فانها تظل ألغازا حائره.

فاذا نظرنا الی حاجه الجسم الی قدر من المواد،ثم وجدناها جاهزه فی دهن الزیتون،اولا یهدینا ذلک الی ان هناک مدبرا لهذا الکون.

الا ان جهل البشر و تکبّره و رجعیته تحجبه عن معرفه الخالق،کمثل قوم نوح إذ دعاهم رسولهم الی عباده اللّه وحده،فحجبهم عن عبادته و معرفته،التکبر.حیث قالوا:« مٰا هٰذٰا إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُکُمْ،یُرِیدُ أَنْ یَتَفَضَّلَ عَلَیْکُمْ »،کما حجبهم التقلید فقالوا:« مٰا سَمِعْنٰا بِهٰذٰا فِی آبٰائِنَا الْأَوَّلِینَ »،ثم اتهموه فقالوا:« إِنْ هُوَ إِلاّٰ رَجُلٌ بِهِ جِنَّهٌ »،و لکنه توکل علی ربه،و طلب منه النصر علی تکذیبهم إیّاه.

بینات من الآیات:

اشاره

[۱۲]إذا عرف الإنسان ربه حینئذ یکون اتصاله به أسمی من ذلک الذی یؤمن خوفا من النار أو رغبه فی الجنه،فالإیمان الحق انما هو الذی یکون منطلقه المعرفه

و القناعه کایمان علی علیه السلام و الذی کان یقول عنه :

«الهی ما عبدتک حین عبدتک خوفا من نارک،و لا طمعا فی جنتک،و انما وجدتک أهلا للعباده فعبدتک » و السبیل الی المعرفه باللّه هو:

۱-التفکر فی النفس:

و من هذا المنطلق یعرّف اللّه الإنسان حقیقته:

«

و من عرف نفسه فقد عرف ربه »

فيقول:

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ طِينٍ فالإنسان ينسل من طين الأرض انسلالا،و من الطين يحوله اللّه الى نطفه.

[۱۳] ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَهً فِي قَرارٍ مَكِينٍ فى صلب الأب أولا،و فى رحم الام ثانيا،و النطفه هى الماء القليل.

ان التفكر فى خلق الإنسان يهدينا الى معرفه بعض أسماء اللّه الحسنى،كيف خلق اللّه من الطين الميّت نطفه حيه،و كيف أودعها من صلب الى رحم فى ذلك الموقع الآمن،و أمّن له النمو حتى أصبح بشرا سويا،ثم ألهمه العقل،و سخر له الأشياء سبحانه.

و يزعمون انها الصدفه،و هل يمكن ان تنبثق خليه واحده بالصدفه؟!يقول بعضهم:ان هذا الزعم يشبه القول،بان انفجارا فى المطبعه،سبب(صدفه)صدور الموسوعه البريطانيه،بكل ما فيها من علوم!و يقول عالم غربى آخر ان تطور الخليه الحيه بالصدفه يشبه القصه الخياليه التاليه:

(ان رجلا-كان يعيش على كوكب الأرض،ضمن المجموعه الشمسيه،ضمن مجرتنا، و كان بجانب مجرتنا مجره اخرى،و فى احدى المجموعات الشمسيه،فى احدى الكواكب،و فى أحد الأقاليم نهر به سمكه،فحدث صدفه ان أطلق هذا الرجل طلقه،فطارت من كوكبنا متخطيه مجموعتنا الشمسيه،متخطيه مجرتنا، لتدخل فى المجره التاليه،من المجموعه الشمسيه المعينه،فى ذلك الكوكب،لذلك الإقليم،فى ذلك النهر،لتصيب الطلقه رأس السمكه)!! [۱۴] ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَهَ عَلَقَهً

ای ان النطفه صارت نطفتين من الأب و الام،فتعلقتا ببعضهما و أصبحتا علقه.

فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً و المضغه هی مقدار ما يمضغ من اللحم.

فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ و يلاحظ ان فی الآيات(١٢-١۴)سبعه افعال تبيّن دور الاراده الالهيه فی التحولات التی يمر بها الإنسان من كونه طينا حتی يصير بشرا سويا،و هی(خلقنا، جعلناه،خلقنا،فخلقنا،فخلقنا،فكسونا،أنشأنا)و ذلك حتی لا يتصور الإنسان ان القانون الطبيعی هو الذی يخلق،كلا..بل اللّه هو المهيمن و المدبر من فوق القانون«وَ ما كُنّا عَنِ الْخَلْقِ غافِلِينَ ».

و من هنا نقول بان أمور الإنسان بيد اللّه،فهو يخضع لتدبيره تكوينيا،فكيف لا يخضع لتدبيره تشريعيا و سلوكيا؟!و ثمه ملاحظه هامه هی:ان اللّه فی كل مراحل الخلق لم يقل«تبارك اللّه»الا فی المرحله الاخيره،إذ اعطی فيها الإنسان العقل، و هنا يجب ان نجل صاحب هذا الفضل و نقول« فَتَبارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ ».

[١۵-١۶] ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ تُبْعَثُونَ هكذا ينلقنا القرآن من معرفه النفس،و تطورات الخلق الی قدره اللّه التی لا يعجزها شیء،و من قدره اللّه الی البعث بعد النشور،و بالتالی الی المسؤوليه،و هكذا نری ان منهج القرآن هو التذكره بالحقائق العلميه من أجل إغناء وعی الإنسان

بالحقائق لکی یحس بدوره فی هذا الکون.

۲-التفکر فی الکون:

[۱۷] وَ لَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَکُمْ سَبْعَ طَرائِقَ سبع سموات لکل واحده منها طریقتها،و فلکها،و طبیعه الخلق علیها، و حولها.

ماذا تعنی الطرائق هذه؟هل هی السموات السبع،أم طرقها؟و ما هی السموات السبع هل هی سبعه أغلفه لهذا الکوکب تحافظ علیه؟أم هی سبع کرات؟أم سبع مجرات؟أم سبعه عوالم؟تقع کل المجرات التی عرفها أو سوف یعرفها البشر فی المستقبل ضمن عالم واحد منها فقط،و لا یعلم الا اللّه و من ارتضاه لسره ماذا فی العوالم الاخری؟ المهم ان دقه خلق اللّه،تری فی النطفه کما فی السموات،و تناغم الخلق بین النطفه و السموات،دلیل فطری علی وحده التقدیر و التدبیر-سبحان اللّه-! وَ ما کُنّا عَنِ الْخَلْقِ غافِلِینَ فاللّه خلق السموات،و هو یدبرها،و یهیمن علیها،و هذه سنته فی الخلق جمیعا،لا-کما یدعی الیهود:انه خلق الکون ثم ترکه هکذا،فهو-تعالی-و ان جعل للحیاه سننا،و لکنه هو الذی یجریها کما یشاء کیف یشاء.

[۱۸]و تتجلی هیمنته علی السنن الجاریه،فی حکمته البالغه،فالمطر لا ینزل صدفه و بدون حساب،انما ینزل من السماء لمصلحه الأرض و إحیائها.

وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْکَنّاهُ فِی الْأَرْضِ

ص:۱۶۲

المطر الذى ينزل من السماء يكون بقدر حاجه الأرض حالا و مستقبلا،فلو ان البحار تبخرت جميعا،و تحولت الى سحاب،ثم الى مطر لحدثت الفيضانات و أهلكت الزرع و الضرع،كما فعل طوفان نوح عليه السلام ،و على العكس من ذلك لو صارت الأمطار شحيحه،و لا تكفى الناس لماتوا عطشا،و لكن الذى خلق حاجات الإنسان خلق الى جانبها أشياء بقدرها،فأودع فى الأرض مخازن تحفظ مياه الشتاء للصيف.

و الذى شاهد المخازن تحت الجبال(كمغاره جعيتا فى لبنان)يعرف كيف ان اللّه جعل فى رحم هذه الجبال مخازن،تستقبل مطر الشتاء،ليتفجر نهرا طوال الصيف.

و لكن هل تعنى هذه الحقيقه العلميه ان المطر بعيد عن اراده اللّه؟كلا..

وَ إِنّٰا عَلىٰ ذَهٰابٍ بِهِ لَقٰادِرُونَ و كمثال على ذهاب اللّه بالامطار،ما يقوله الخبراء عن الصحراء الكبرى فى افريقيا،من انها كانت فى يوم ما مزروعه و معموره،بسبب هطول الأمطار عليها، اما الآن فنادرا ما تتلبد سماؤها بالغيوم،و يداعب المطر حبات الرمال فيها.

[۱۹]بعد ان ذكر اللّه بان المطر تحت إرادته،ينزله،و يذهب به متى يشاء، عاد السياق يوضح بعض منافع الماء و التى من أهمها و أكبرها أثره فى الزراعه،و ذلك حتى لا يصاب الإنسان بالغرور،فيتكبر عن الحمد حين يرى الخيرات.

فَأَنْشَأْنٰا لَكُمْ بِهِ جَنّٰاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنٰابٍ لَكُمْ فِيهٰا فَوٰاكِهُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْهٰا تَأْكُلُونَ فبالاضافه الى الأكل الذى يحصل عليه الإنسان من الجنات و البساتين،هناك

نعم اخرى فى الأشجار،أو ليست الغابات و المزارع تستمطر السماء،و تزيد من قدره الأرض على تخزين المياه بسبب تكوّن الأحواض تحتها،و توفر لحوم الطيور و غذاء الانعام،و تمنع زحف الصحراء برمالها الخطيره على المدن، كما تحجز الرياح السامه،و تلطف الهواء فى الصيف و الشتاء و هى-بالاضافه الى كل ذلک-تعتبر المواد الاوليه للصناعات المختلفه.و كان الإنسان يعتمد عليها فى بناء المساكن، و تهيئه الملابس،و تعبيد الطرق،و بناء الجسور،و ما أشبه؟! و بعد كل ذلک تزرع المساحات الخضراء البهجه فى افئده الصغار و الكبار.

هذا خلق اللّه،فكيف ترانا نشكره؟! [۲۰] وَ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنٰاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَ صِبْغٍ لِلْآكِلِينَ الشجره هى الزيتون،و الطور الجبل الصغير،و سيناء اسم للجبل الذى فيه حقل الزيتون،و كل مكان تزرع فيه أشجار الزيتون يسمى فى اللغه العربيه(سيناء)، و هى شجره نافعه،من فوائدها:انها تعطى الدهن،و تشكل غذاء جيدا«صبغ للآكلين».

و فى هذه الآيات يذكر اللّه بثلاث ثمار هى(التمر،و العنب،و الزيتون)و هى فى الواقع أنفع الثمار للإنسان و فيها حاجاته المختلفه.

[۲۱]و كما الفواكه نجد ان الحيوانات أيضا خلقت بشكل يمكننا الاستفاده منها،و تسخيرها.

وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعٰامِ لَعِبْرَةً و العبره كلمه مأخوذه من العبور،و يعنى ان لا نقف على حدود الأشياء،بل

نتحول منها الى دلالاتها،فاذا رأينا الإبل يتحمل العطش و الجوع مده طويله، يساعده ذلك على حملنا فى المفاوز المترامیه الأطراف،و ان له من المنافع الشیء الکثیر،فلا یجب علینا ان نقف إجلالا لهذا الإبل أو نعبده،بل یجب علینا ان نکبّر خالقه.

نُسْقِیکُمْ مِمّٰا فِی بُطُونِهٰا من حلیبها و مشتقاته.

وَ لَکُمْ فِیهٰا مَنٰافِعُ کَثِیرَهٌ من و برها،و صوفها،و جلدها و..و..

وَ مِنْهٰا تَأْکُلُونَ لحمها و شحمها.

[۲۲]و بعضها کالجمال،و الحمیر،و البغال،و الخیول تصلح ان تکون وسیله للتنقل علیها.

وَ عَلَیْهٰا وَ عَلَى الْفُلْکِ تُحْمَلُونَ و هکذا نجد الحیاه ملیئه بنعم اللّه،فالدواب تحملنا فى البر،حتى إذا وصلنا الى البحر وجدنا السفینه تحملنا فى عرضه.

و کلمه اخیره:

ان القلب الطاهر،و الاذن الواعیه،و العین البصیره،شرط لاستقبال نور المعرفه الالهیه،المنبثق من آیاته الظاهره،فانّى نظرت،رأیت تناسقا،و تنظیما،و تدبیرا،

و رأیت عمق الصله بین المخلوقات،و بالذات بین الإنسان،و سائر ما خلق له.

انه یخلق من سلاله من طین،و تقیده ید الرب فی تطوراته،ثم إذا خرج الی الدنیا وجد امامه کل حاجاته.وجد السماء سقفا محفوظا،و وجد الماء یهبط له منها،و هو أصل کل خیر،و وجد الزراعه تتناسب و حاجاته المختلفه، و وجد الحیوانات مسخره له.أ فلا یدعوه ذلک الی الخضوع و التسلیم لرب العالمین؟!

ص:۱۶۶

[سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٢٣ الی ٣٩]

اشاره

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اُعْبُدُوا اَللّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ (٢٣) فَقالَ اَلْمَلَأُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما هذا
إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَ لَوْ شاءَ اَللّهُ لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً ما سَمِعْنا بِهذا فِي آبائِنَا اَلْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلاّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ
فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتّى حِينٍ (٢٥) قالَ رَبِّ اُنْصُرْنِي بِما كَذَّبُونِ (٢٦) فَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ أَنِ اِصْنَعِ اَلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَ وَحْيِنا فَإِذا جاءَ أَمْرُنا وَ فارَ
اَلتَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اِثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلاّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ اَلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَ لا تُخاطِبْنِي فِي اَلَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٢٧)
فَإِذَا اِسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَ مَنْ مَعَكَ عَلَى اَلْفُلْكِ فَقُلِ اَلْحَمْدُ لِلّهِ اَلَّذِي نَجّانا مِنَ اَلْقَوْمِ اَلظّالِمِينَ (٢٨) وَ قُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبارَكاً وَ
أَنْتَ خَيْرُ اَلْمُنْزِلِينَ (٢٩) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ وَ إِنْ كُنّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠) ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنا فِيهِمْ رَسُولاً
مِنْهُمْ أَنِ اُعْبُدُوا اَللّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ (٣٢) وَ قالَ اَلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اَلْآخِرَةِ وَ أَتْرَفْناهُمْ فِي
اَلْحَياةِ اَلدُّنْيا ما هذا إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَ يَشْرَبُ مِمّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ
(٣٤) أَ يَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُراباً وَ عِظاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هَيْهاتَ هَيْهاتَ لِما تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِيَ إِلاّ حَياتُنَا اَلدُّنْيا
نَمُوتُ وَ نَحْيا وَ ما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلاّ رَجُلٌ اِفْتَرى عَلَى اَللّهِ كَذِباً وَ ما نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قالَ رَبِّ اُنْصُرْنِي بِما
كَذَّبُونِ (٣٩)

اللغه

٢٥[جنّه]:جنون.

ص:١۶٧

ربی انصرنی بما کذبون

هدی من الآیات:

فی سیاق الحدیث عن الایمان فی هذه السوره یحدثنا هذا الدرس عن عاقبه الذین استکبروا علی اللّه،و لم یؤمنوا بالرساله الإلهیه أو من یمثلها،و یأتی هذا الدرس بعد تذکیر القرآن بآیات اللّه،بهدف تذلیل العقبات التی تعترض طریق الایمان باللّه، و أبرزها الاستکبار،و کان یمثل الولایه فی الأرض آنئذ رسول اللّه نوح علیه السلام حیث استکبر قومه فلم یسمعوا له،زاعمین بأنه ما دام بشرا،فلا یمکن الخضوع له، و علوا فی الأرض،فما ذا کانت عاقبتهم؟ لقد أمر اللّه نوحا ان یصنع الفلک،فلما اکتملت جری الطوفان،فأنجی اللّه من فی السفینه،و أغرق الباقین،و قد تجلی علم اللّه،و قدرته علی ید نوح فی الأرض، و هذا یکفی دلیلا علی انه یمثل ولایه اللّه الحق.

اذن لا داعی للاستکبار علی من یمثل هذه الولایه،و لا نعتقد یوما ان رفضنا له سیغیر من الواقع شیئا،إذ سیبقی ولیّا قبلنا أم رفضنا،و إذا لم نقبل بولایته تشریعیا

ص:۱۶۹

بالطوع.فسنقبلها تكوينيا بالإكراه،و لنا فی الماضین عبره.

ان ولایه نوح لم تکن ذاتیه،و انما کانت بأمر اللّه و قدرته،و لذلک دعا ربه ان ینزله منزلا مبارکا.فیه الخیر و الامان.

و تکررت قصه قوم نوح مع آخرین بعدهم،إذ لم یتعظوا بمن قبلهم-و هذه سنه الهیه عامه-فقد اهلکهم اللّه لأنهم کذبوا بالرسول،و استکبروا علی الرساله، و الأسباب هی:

۱-انهم کانوا ینظرون للرسول نظره مادیه.حیث أرادوه صاحب مال و منصب،أما ان یکون مثلهم،فقد زعموا انهم سوف یخسرون لو أطاعوه،و غاب عنهم ان القیمه الحقیقیه للإنسان هی بما یملک من قیم و سلوک صالح،و بالتالی اذن اللّه.

۲-کانت تلک عقبه الاستکبار،و العقبه الثانیه فی طریق الایمان بالرسالات:

الریب فی البعث،فقالوا:انه یعدکم بالنشور بعد ان تموتوا،و تصبحوا ترابا، و عظاما.انه وعد بعید،ثم قالوا:بل هو وعد کاذب،و انما هی الحیاه الدنیا نموت و نحیا فیها.

و تمادوا فی غیهم،فکذبوه،و قالوا:انه مفتر علی اللّه،و عقدوا العزم علی عدم الایمان به أبدا.

لقد کان التکذیب عظیما علی قلب نوح علیه السلام ذلک العبد الصالح،الذی غمرت معرفه الرب أرجاء قلبه الخاشع،و لم یجد لنفسه من نفسه قوه،فدعا ربه قائلا:

« رَبِّ انْصُرْنِی بِمٰا کَذَّبُونِ ».

بینات من الآیات:

[۲۳]فی آیات آنفه رأینا نعم اللّه علی البشر،و لکن لماذا نجد الإنسان بالرغم

من تجلى اللّه له فى كل شىء،يكفر به،و يجعل بينه و بين معرفته حجبا زائفه، معرضا عن آياته تعالى.

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ فَقٰالَ يٰا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مٰا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَ فَلاٰ تَتَّقُونَ ان خضوع الإنسان لقوى اخرى هو الـذى يبعده عن معرفه اللّه،و الطاعه له، و الآيه تبيّن مشكله قوم نوح انهم كانوا يخضعون لقوى أخرى،و تتعرض الآيه التاليه الى اثنتين منها:

[۲۴]الاولى:تقديس الذات الذى يقودهم الى التكبر على الحق.

فَقٰالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مٰا هٰذٰا إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَ لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ لَأَنْزَلَ مَلاٰئِكَةً و لو كان الإنسان يجعل الحق هو المقياس لا ذاته،لما همه لمن يخضع ما دام يمثل الحق رساله و سلوكا.

الثانيه:تقليد الاباء.

مٰا سَمِعْنٰا بِهٰذٰا فِي آبٰائِنَا الْأَوَّلِينَ [۲۵]و هذان السببان هما اللذان حملاهم على اتهام نبى اللّه نوح عليه السلام بالجنون.

إِنْ هُوَ إِلاّٰ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتّٰى حِينٍ ان المعرفه قريبه من الإنسان،و ميسّره له،و لكنه قد يبتلى بالكبر أو التقليد الأعمى،فيكون ابعد ما يكون عن الايمان و المعرفه،و حتى نخلق الايمان فى نفوسنا يلزم ان ننبذ الكبر،و ان نغير طائفه من عاداتنا و تقاليدنا السلبيه التى درج عليها

الأولون،بل و حتى بعض العادات الجيده قد لا يكون الأنسب توارثها تباعا لاختلاف الظروف بل الأنسب تطويرها أو تقديم غيرها عليها.

و بقى شىء لا بد من ذكره من خلال قصه نوح و قومه هو:انهم حينما أرادوا انكار القياده الالهيه العادله أنكروا اللّه من الأصل،و لكى يكتمل الايمان لا بد من الالتزام بقياده الهيه،و لذلك

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله :

«من مات و لم يعرف امام زمانه،فقد مات ميته جاهليه » و

صدق الامام على عليه السلام إذ قال:

«هلك من لم يكن له حكيم يرشده » و الذين ينكرون القياده الالهيه منحرفون،و عليهم ان يشككوا فى ايمانهم،لأنهم لو كانوا مؤمنين حقا لخضعوا لمن وضعه اللّه عليهم،و لبرمجوا حياتهم حسب ما أمر اللّه،لا حسب الالتزام بالماضى،فالاصاله جيده و لكن ليس على حساب الإبداع فى حدود موضوعيّه حقه.

[۲۶] قٰالَ رَبِّ انْصُرْنِى بِمٰا كَذَّبُونِ ان اطمئنان الرسول بحتميه نصره،و تأييده من قبل اللّه هو الذى يدفعه نحو هذا الدعاء،و ان دل هذا على شىء فانما يدل على الايمان المطلق باللّه لدى الرسل و الأنبياء و الأولياء.

[۲۷]حينما أحس نوح من قومه الكفر و الجحود،طلب من اللّه النصر ليتبيّن لهم انه بالفعل يمثل الولايه الالهيه،فجاءه النصر،و هذا يدل على انه كلما ازدادت الضغوط على الرسالى و هو يؤدى مسئوليته فى الإصلاح كلما قرب النصر،و نصر اللّه قريب ممن لم تنصره العوامل الذاتيه،و الماديه شرط ان يبذل قصارى جهده.

ص:۱۷۲

ان نصر اللّه لا يأتی دائما علی هيئه صيحات و زلازل،بل يجری قسم منه علی يد المؤمنين،أو لم يكن الرب الذی أمر السماء و الأرض ان تتفجر طوفانا هائلا فی لحظات بقادر علی ان يخلق لنوح سفينه،ثم يأمره بالصعود؟بلی.و لكنه أراد ان يشارك هو فی نجاه نفسه و من آمن معه.

و فی الأحاديث انه بعد ان دعا نوح ربه جاءه جبرائيل بنواه تمر،و قال له:

نجاتک فی هذه،ازرعها،فزرعها حتی صارت نخلا،و بعد ثلاثين سنه أمره ان يأكل الثمر و يزرع النوی،و هكذا مره ثانيه،ثم أمره ان يقطع جذوع النخل و يصنع السفينه،و عند ما بدأ بصنعها كان اللّه يرعاه بعلمه،و قدرته،و كان قومه يستهزءون به عند ما يمرون عليه،لأنه كان يصنع السفينه فی بلاد لا بحر فيها.

فَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَ وَحْيِنا نحن قريبون منك ننظر إليك،و نساعدك.

و أما قولنا:تحت عين اللّه فيعنی تحت رعايته و ظله،أما الوحی:فاشاره الی العلم و المعرفه التی زود اللّه بها نوحا عليه السلام .

فَإِذا جاءَ أَمْرُنا وَ فارَ التَّنُّورُ روی فی نور الثقلين«انه قيل لنوح:إذا رأيت الماء يفور من التنور،فاركب أنت و من معک فی السفينه،فلما نبع الماء أخبرته امرأته فركب». (١)

و لعل التنور كان يوضع فی مكان مرتفع،فاذا فار ماء دل علی أن أمرا خارقا للقوانين الطبيعيه قد وقع،و لذلک جعل ذلک علامه لنوح عليه السلام ببدء الطوفان.

فَاسْلُکْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَکَ إِلاّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ

١- ١) ج ٣ ص ٥٤٣.

فإنهم سيغرقون.

وَ لاٰ تُخٰاطِبْنِی فِی الَّذِینَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ و هـذه اشاره لحب نوح الی قومه،و کیف انه کان یأمل هـدایتهم،و لکن اللّه نهاه ان یخاطبه فی الظالمین.

[۲۸] فَإِذَا اسْتَوَیْتَ أَنْتَ وَ مَنْ مَعَکَ عَلَی الْفُلْکِ أی السفینه.

فَقُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی نَجّٰانٰا مِنَ الْقَوْمِ الظّٰالِمِینَ حینما یأتی نصر اللّه یجب ان نشکره،و نذکر ان النصر لیس من ذواتنا،و ذلک حتی لا نصاب بالغرور،و قد امر اللّه نوحا ان یحمده حتی لا یتصور قومه انه إله، و انه هو الذی أنقذهم.

[۲۹] وَ قُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِی مُنْزَلاً مُبٰارَکاً وَ أَنْتَ خَیْرُ الْمُنْزِلِینَ فلا تفکر ان حاجتک الی اللّه قـد انتهت،فأنت تحتاجه فی کل لحظه،فقد ترسوا هذه السـفینه فی منطقه قاحله،لا زرع فیها،و لا ضـرع،و کلمه البرکه تدل علی ما تدل علیه کلمتی التکامل و التنامی بإضافه مفاهیم و ایحاءات أخری،و حینما ندعوا اللّه ان یبارک لنا فی شیء،و یکمل حیاتنا به،فلندعه ان یعطینا التکامل فی أبعاد الحیاه.

و سؤال نوح ربه بالمنزل المبارک دعاء بان لا یجعل نزوله علی الأرض نهایه لنعم اللّه علیه،بل بـدایه لذلک،و بالفعل حینما نزلوا الی الأرض شرعوا فی بناء حضاره،

لا ليأكلوا على حساب ميراث السابقين،و المؤمنون حينما ينتصرون،و يسقطون الطاغوت يعرفون بأنها نقطه البدايه،و آنئذ تبدأ مسئوليتهم الأصعب فى البناء الحضارى و التكامل.

[۳۰] إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ وَ إِنْ کُنّا لَمُبْتَلِینَ الدنيا ليست على شاكله واحده،فهى مليئه بالمصاعب و المشاكل،و مسئوليتنا الاستعداد لهذه الحياه،لا ان نفقد عزيمتنا،أو تخور ارادتنا امام الشدائد.

و قوله« وَ إِنْ کُنّا لَمُبْتَلِینَ »فيه تأكيدات على البلاء.

[۳۱] ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِینَ القرن فى تعبير القرآن هو الجيل أو الامه.إذ يعاصر بعضهم بعضا،و يقرن اليه، و لا ندرى من هم هؤلاء،فلعلهم كانوا قوم ثمود،فهم الذين اهلكوا بالصيحه، و لعلهم قوم عاد،إذ هم أقرب تاريخيا الى عصر نوح.

و لعل إخفاء اسمهم كان بهدف جعلهم أقرب الى واقعنا،و ان عذاب المكذبين سنه الهيه،لا تختص بقوم دون قوم،و لا عصر دون عصر،لذلك

قال أمير المؤمنين- عليه السّلام-و هو ينصح قومه :

«ايها الناس:ان اللّه قد أعاذكم من ان يجور عليكم،و لم يعذكم من ان يبتليكم،و قد قال جل من قائل: إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ وَ إِنْ کُنّا لَمُبْتَلِینَ . » (۱)فاللّه لا يجور علينا،و لكنه يبتلينا،و علينا ان نخشاه أبدا،لأنه لا يخص قوما دون قوم فى الابتلاء.

۱- ۱) المصدر ص ۵۴۴.

[۳۲] فَأَرْسَلْنا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ ما لَكَمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ و نؤكّد مره بعد مره:ان دعوه الأنبياء لم تكن مجرده أو ناقصه،بل كانت دعوه ذات وجهين:الاول:إسقاط الطغاه،و الثانى:اقامه حكم اللّه،تحت ولايه أوليائه،و يدل على ذلك جواب قومهم..

[۳۳] وَ قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الاشراف الذين كانت سلطتهم على الناس مهدده،و الذين يسميهم القرآن بالملإ،هم الذين كانوا يعارضون الرسل قبل غيرهم،و لماذا كانوا يعارضون؟يقول القرآن:

اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ الْآخِرَهِ وَ أَتْرَفْناهُمْ فِي الْحَياهِ الدُّنْيا فالأسباب ثلاثه:

۱-كفرهم،و حجبهم أنفسهم عن الحقيقه.

۲-تكذيبهم بالآخره.

۳-ترفهم فى الحياه الدنيا،و بطرهم،و غرورهم بنعمها.حيث كان ترفهم مهددّا بهذه الدعوه،لأنه قائم على الظلم،و الابتزاز،و الاستغلال،و الرسالات تعارض كل ذلك.

ما هذا إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَ يَشْرَبُ مِمّا تَشْرَبُونَ

اى ان هـذا من طبقتكم،و طبيعتكم،فلاـ تطيعوه،و إذا عرفنـا ان أكثر الطغاه كانوا يضـللون الناس البسـطاء بأن عنصـرهم أفضل من عنصـر النـاس،و أنهم متميّزون عنهم ذاتيّـا،و وراثيا،و لأنهم الأقوى و الأغنى.إذن عرفنا بعـدا من أبعاد مثل هـذه الآيه،و كان الملأ يقولون للنـاس:بـأنهم اولى بالطـاعه من الأنبياء،لان الأنبياء من طبقه المحرومين،يأكلون مثلهم،و يشـربون مثلهم،فهم لا يسـتحقون القياده، بينما هم-اى الطغاه-يتميزون عن الناس فى مأكلهم و مشربهم.

[۳۴] وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ عند ما ندرس حياه الأنبياء قد نتصور أنهم رجال ضخام،و نتخيلهم ضمن هاله من القيم الماديه،اما إذا تصورناهم رعاه للغنم،ثيابهم خلقه..و يأتى أحـدهم الى فرعون و هو جالس فى قصـره،تحيط به الجنود،و شهرته طبّقت الافاق،و يطلب منه ان يطيعه،و يسلم الأمر اليه،فاننا نعرف مدى صعوبه الايمان بهم.

[۳۵] أَ يَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُراباً وَ عِظاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ هـل من الممكن ان يعود الرميم،و تصـير العظام الباليه بشـرا؟!
[۳۶] هَيْهاتَ هَيْهاتَ لِما تُوعَدُونَ اى بعيـد ان يتحقق ما يعـده الرسل،و ان يعود الإنسان ثانيه بعد الموت،و هنا احتمال آخر لهذه الكلمه هو:ان الكفار كانوا يسوّفون،فحتى لو كان البعث حقا، فانه سيكون فى زمان بعيد جدا،و هكذا يسوف أهل المعاصى،و

جاء فى الدعاء:

«فاعنى بالبكاء على نفسى،فقد أفنيت بالتسويف و الآمال عمرى »و

جاء فى الحديث ان أكثر ما يشكو منه أهل النار«سوف. » [۳۷] إِنْ هِيَ إِلاّ حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا وَ ما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ

ص:۱۷۷

و هذه الفكره منبعها الكفر باللّه و التشكيك فى قدرته تعالى.

[۳۸]ثم وجهوا التهمه لشخص الرسول،ففى البدايه قالوا انه رجل مثلكم،ثم ادعوا ان أفكاره خاطئه،و الآن ينسبون اليه الافتراء.

إِنْ هُوَ إِلاّ رَجُلٌ افْتَرىٰ عَلَى اللّهِ كَذِباً وَ مٰا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ الايمان حق،و يوم الآخره حق،و لكن ماذا ينفع كل هذا،و من دون ان يتجسد عملا صالحا،و نظاما اجتماعيا فى الحياه الدنيا؟! هؤلاء بخبثهم،و مكرهم شأنهم شأن كل المضللين عبر التاريخ،حاولوا أن يفصلوا الدين عن الدنيا.بين الايمان باللّه من جهه،و بين تطبيق نظام دينىّ قائم على الأرض من جهه ثانيه،فقالوا:ان اللّه حق،و لكن هذا الرجل لا يمثله فى الأرض،و لا يملك ولايته.

[۳۹]و عند ما يئس منهم نبيهم دعا ربه:

قٰالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمٰا كَذَّبُونِ و هى نفس الكلمه التى قالها نوح عليه السلام و قد تركت من الآثار ما هو آيه للناس على مرّ الزمان،و هكذا ينصر اللّه كل من يجسد قيمه على نفسه.

ص:۱۷۸

[سوره المؤمنون (۲۳): الآيات ۴۰ الی ۴۹]

اشاره

قالَ عَمّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نادِمِينَ (۴۰) فَأَخَذَتْهُمُ اَلصَّيْحَهُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً فَبُعْداً لِلْقَوْمِ اَلظّالِمِينَ (۴۱) ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً
آخَرِينَ (۴۲) ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّهٍ أَجَلَها وَ ما يَسْتَأْخِرُونَ (۴۳) ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا كُلَّ ما جاءَ أُمَّهً رَسُولُها كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً
وَ جَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ (۴۴) ثُمَّ أَرْسَلْنا مُوسى وَ أَخاهُ هارُونَ بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ (۴۵) إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلاَئِهِ
فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً عالِينَ (۴۶) فَقالُوا أَ نُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا وَ قَوْمُهُما لَنا عابِدُونَ (۴۷) فَكَذَّبُوهُما فَكانُوا مِنَ اَلْمُهْلَكِينَ (۴۸) وَ
لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى اَلْكِتابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (۴۹)

ص:۱۷۹

بعدا للقوم الظالمين

هدى من الآيات:

لأن القرآن بذاته شفاء،و لان سوره(المؤمنون)تعالج النفوس المريضه،بذكر عبر الماضين لتصفى القلوب،و تتصل بنور الايمان البهى،و لان أمر التوحيد لا يخص قوما دون آخر،فان السياق القرآنى هنا يذكّر بعاقبه أولئك الذين كذبوا الرسول، فأنذرهم بأنهم سيصبحون نادمين حين ينزل اللّه بهم العقاب،و يعرفون انه جزاء أفعالهم،و هكذا أخذتهم الصيحه،جزاء عادلا لغفلتهم،و جحودهم،فاذا بهم غثاء كغثاء السيل،تلاحقهم اللعنه،فبعدا لهم لأنهم كانوا ظالمين.

و خلق اللّه قوما غيرهم،و مضت سنته تعالى فيهم،كلما كذبوا امهلهم حتى ينتهى أجلهم،أما إذا جاء أجلهم،فلا يتقدم و لا يتأخر،و الرسل يتعاقبون رسولا بعد رسول،و لكنهم كانوا يكذبونهم،فجعل اللّه بعضهم يتبع بعضا فى الهلاك.

حتى أصبحوا جميعا أحاديث تروى،و لا أثر لهم فى الحياه الا ما تحمله ذاكره التاريخ من عبرهم،و أمثالهم،و لعنات اللّه لهم،فبعدا لهم لأنهم لم يؤمنوا.

ص:۱۸۰

و يبـدو أن حياه هؤلاء كـانت متشـابهه،و لكنهـا تطـورت عنـد فرعـون و ملأه و لـذلك أفرد بالـذكر،فهـذا موسـى و أخـوه هارون،يرسلهما الرب إليهم،فيستكبرون و يعلون فى الأرض طغيانا و يقولون:عجبا!كيف يأمراننا بالايمان،و الطاعه لهما،و قومهما يعبدوننا؟!و هذا التكبر أرداهم،حيث أنهم كذبوهما،فجرت عليهم سنه اللّه فى هلاك المكذبين.

و لكن اللّه لم يرد هلاكهم انما أراد هدايتهم.إذ بعث فيهم رسولا،و آتاه كتابا.

بينات من الآيات:

[۴۰]بعد ان دعا أحدهما(هودا أو صالحا)قومه،و استكبروا عليه،سأل اللّه ان ينصره عليهم،فجاء الخطاب الالهى:

قٰالَ عَمّٰا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نٰادِمِينَ فنهايتهم قريبه،و سيعرفون انها نتيجه لعملهم،و سيندمون،و قال اللّه«عما قليل»لأنهم استبعدوا الجزاء بقولهم«هيهات هيهات».

[۴۱] فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ كثيرا ما تتكرر كلمه«بالحق»فى القرآن،قال تعالى:

«انا أرسلنا رسلنا بالحق».

« إِنّٰا أَرْسَلْنٰاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً ».

و هكذا.و توحى كلمه«بالحق»بعده أفكار:

ص:۱۸۱

١-ان الحياه قائمه على أساس سنن،و قوانين لا تحيد عنها،و ان علينا ان نكيف أنفسنا معها،و الا فان اراده اللّه اقتضت ان نتكيف معها،كالكافر الذى لا يسجد اللّه،و لكن ظلاله رغما عنه يسجد له.

٢-ان هذه القوانين و الانظمه ليست عبثا،و بلا حكمه،و أنها لن تتساهل، فاذا خالفها الإنسان هلك.

٣-ان قدره اللّه و تدبيره غير محدودين،و لكنه-تعالى-لا يعمل شيئا دون تلك القوانين و السنن التى وضعها الا فى حالات خاصه لأنه فوق كل ذلك،فمن الناحيه النظريه قدره اللّه فوق كل قدره،و لكنه عمليا أبى أن يجرى العداله فى الكون الا برحمته و حكمته،فاذا أراد العذاب لإنسان ما أنزله بقدر ذنبه،و بالطريقه المتناسبه معه.

فالذى كان يعبد الماء يغرقه بالنيل،و الذى كان يفتخر بالقوه تقتلعه الرياح، و المتكبر تأتيه الصيحه من فوقه،و الصيحه التى يتحدث عنها هذا الدرس كانت حقّا،و جاءت لتطبق الحق.

فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً الغثاء هو ما يجتمع حين السيول،أو وراء حواجز الأنهار.من أوساخ لا ينتفع بها الإنسان،و هكذا تكون نهايه المتكبرين،و لن يقرر هلاكهم عطف أحد،لأنهم ظالمون،بل تلاحقهم اللعنه ليل نهار.

فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظّالِمِينَ [۴٢]و اللّه حين يهلك هؤلاء فانه لا يعبأ بهم،لأنهم لم يكونوا يزيدون فى ملكه شيئا،و لم يحدثوا فراغا بهلاكهم،لأن« أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »

ص:١٨٢

لذلک فقد خلق غيرهم.

ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِينَ [۴۳]و لکل امه من هذه القرون أجل محدود.

ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها وَ ما يَسْتَأْخِرُونَ ان يقين الإنسان بأن فرصته فى الدنيا محدوده و انه حين يأتى أجله لا يقدر على تأخيره،يجعله يخشى ربه و يتقيه،علما بأن نهايه الأجل غير معروفه له،فقد يعاجله العذاب فى أيه لحظه.

و الآيات القرآنيه عاده ما تشير الى الجماعه(الامه-الشعوب-الطائفه،...) لان الإنسان يتحمل مسئوليه امام الآخرين.شاء أم رفض.

[۴۴]و سنه اللّه فى الحياه انه يرسل الى کل أمّه هاديا و رسولا.

ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا يؤيد بعضهم بعضا فى ذات النهج،و لذات الهدف.

کُلَّ ما جاءَ أُمَّةً رَسُولُها کَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً کما ان اللّه يرسل الرسل واحدا بعد الآخر،کذلک يهلک الأمم المکذبه الواحده تلو الأخرى.

وَ جَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ و الأحاديث جمع أحدوثه،و ليس جمع حديث،و الاحدوثه هى الحادثه النکراء التى تتناقلها الألسن،و هى عبره لهم.

ص:۱۸۳

فَبُعْداً لِقَوْمٍ لاٰ يُؤْمِنُونَ تعسا لهم و ابعادا عن الرحمه و الحق.

[۴۵]و من الأمم التى بعث اللّه إليها الرسل فكذبوهم امه فرعون:

ثُمَّ أَرْسَلْنٰا مُوسىٰ وَ أَخٰاهُ هٰارُونَ بِآيٰاتِنٰا وَ سُلْطٰانٍ مُبِينٍ الآيات هى التوراه،اما سلطان اللّه عند موسى فهو الثعبان،و سائر الآيات.

[۴۶] إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلاَئِهِ و هنا مقابله،ففى طرف يقف موسى و هارون،و فى الطرف الآخر فرعون و ملأه،و هكذا أرسل كل الأنبياء الى طواغيت زمانهم،و من يلف لفّهم من المرتزقه و أصحاب المصالح.

و الذى يتدبر فى قصه موسى و فرعون يهتدى الى ان القضيه كانت كبيره جدا.

حيث يرسل اللّه اثنين(موسى و هارون)و ذلك لعظم المسؤوليه.حيث انها نقله حضاريه من ذلك المستنقع الآسن الذى تردّى اليه فرعون و جماعته،الى القمه السامقه من التوحيد و الايمان،و موسى من أعظم أنبياء اللّه،و قصص موسى قريبه من واقع الامه الاسلاميه،فلا تزال البشريه تعيش ظروفا مشابهه لتلك التى عاشها قوم موسى،حيث لا يزال المستكبرون من ملأ فراعنه الأرض يستضعفون سائر الناس، و يجعلونهم شيعا،و يعلون فى الأرض بغير الحق،فنحن بحاجه الى التدبر فى هذه القصه لنزداد وعيا،و عزما،و جهادا حتى يأذن اللّه لنا بالنصر،و لذلك يذكر القرآن هذه القصص زهاء سبعين مره.

و لكن هل استجاب فرعون و ملأه لرسول اللّه موسى و لأخيه هارون عليه السلام ؟كلا..

فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً عالِينَ الإنسان ربما يستكبر و لكنه لا يملك شيئا من مقومات الاستكبار،فنراه فقيرا، و ذليلا...إلخ،و حينا آخر يستكبر الإنسان و هو يمتلك المقومات الظاهريه لذلك، كفرعون الذى كانت تجرى الأنهار من تحت قصره،و الذى يسيطر على شعب مصر.

[۴۷]لذلک لما جاءهم موسى و اخوه كذبوهما:

فَقالُوا أَ نُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا وَ قَوْمُهُما لَنا عابِدُونَ و لم يقل و هما لنا عابدان؟ لعله لأنهما فى الواقع ما عبدوا،و ما خضعوا للطاغوت،و انما قومهما(بنو إسرائيل)هم الذين خضعوا لفرعون و ملأه.

[۴۸] فَكَذَّبُوهُما فَكانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ بالاغراق.

[۴۹] وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ الكتاب الذى أرسل إليهم عبر موسى كان يهدف هدايتهم الى الصراط المستقيم،و لكنهم لم ينتفعوا بهذا الكتاب.

ان اللّه لم يخلق الناس،ليهلكهم،بل ليرحمهم بالفلاح،و الهدى فى الدنيا، و الجنه فى الآخره،و لكن الناس هم الذين يرفضون ذلك.

و كل هذه الآيات دعوه لنا للتفكير فيها و تطبيقها على أنفسنا و مجتمعاتنا.

فبامكاننا ان نصير موسى،و بامكاننا أن نصير فرعون،و ذلك إذا حملنا رساله موسى

فی الحیاه،أو سلکنا مسلک فرعون.

جاء فی الحدیث :

«طوبی لمن عصی فرعون هواه،و أطاع موسی تقواه » و مهما اختلفت طرق العذاب،و الانتقام الالهی فان الحقیقه واحده،و یجب أن لا نستبعد العذاب عن أنفسنا إذا انحرفنا عن هدی اللّه.

ص:۱۸۶

[سوره المؤمنون (۲۳): الآيات ۵۰ الی ۶۲]

اشاره

وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً وَ آوَيْنَاهُمَا إِلىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَ مَعِينٍ (۵۰) يَا أَيُّهَا اَلرُّسُلُ كُلُوا مِنَ اَلطَّيِّبَاتِ وَ اِعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (۵۱) وَ إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (۵۲) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ
(۵۳) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتّٰى حِينٍ (۵۴) أَ يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَ بَنِينَ (۵۵) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي اَلْخَيْرَاتِ بَلْ لاٰ يَشْعُرُونَ
(۵۶) إِنَّ اَلَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (۵۷) وَ اَلَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (۵۸) وَ اَلَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لاٰ يُشْرِكُونَ (۵۹) وَ
اَلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (۶۰) أُولٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي اَلْخَيْرَاتِ وَ هُمْ لَهَا سَابِقُونَ (۶۱) وَ لاٰ
نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاّٰ وُسْعَهَا وَ لَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ (۶۲)

اللغه

۵۳[زبرا]:كتبا.

ص:۱۸۷

من هم المؤمنون

هدى من الآيات:

لأن سوره(المؤمنون)تذكرنا بواقع الايمان،فان هذا الدرس فيها-كما يبدو -قد خصص لبيان المقياس الحق للمؤمن.بعد ان ذكّرت الدروس الماضيه بعاقبه الإنكار و الجحود.

فهذه مريم و ابنها آيتان،حيث آواهما الرب الى مرتفع من الأرض فيه القرار و الماء،و هذا دليل على ان للّه-سبحانه-انما أرسل الأنبياء لراحه البشر،لذلك أمرهم بان يأكلوا من الطيبات و يعملوا صالحا.

و منهج الرسل واحد،و انما اختلف أهل الكتاب،و تفرقوا أحزابا لفرحهم بما أوتوا من أموال و بنين،و زعموا أن اللّه يسارع لهم فى الخيرات،و هم لا يشعرون، فلعله استدراج لهم حتى يأخذهم عند ما يحين أجلهم.

أما قدره الايمان فنجدها فى الذين يشفقون،و جلين من خشيه اللّه،و يستجيبون لآياته،و لا يشركون بربهم،و حتى عطاؤهم فى اللّه لا يطمئنون اليه، بل لا يزالون

وجلين لإيمانهم بأنهم الى ربهم راجعون.فهم لذلك يسارعون فى الخيرات، و يتسابقون إليها.

و لا يعنى ذلك ان اللّه ينهكهم بالمسؤوليات،بل ربنا الرحيم لا يكلف نفسا الا ما تقدر عليه،و تطيقه،و ان اللّه يكتب لهم أعمالهم كلها و هم لا يظلمون.

هذا هدى المؤمنين.دعنا نقتدى به.

و نجد فى آيات هذا الدرس:مقاييس لا تخطئ للايمان.

بينات من الآيات:

[٥٠]ان الهدف من التجمع المؤمن ليس اشقاء الناس،بل تزكيتهم،و جعلهم صالحين لينتفعوا أكثر،بنعم اللّه،و بالتالى ليرحمهم اللّه،و ذلك بأن يجسد افراده حياه عيسى و امه مريم عليهاالسلام ،اللذين جعل اللّه ربوه تحتضنهم،و تسقيهم من معين سائغ شرابه،و كذلك يريد اللّه للرسل و من يشكل امتدادا لخطهم من المؤمنين،ان يأكلوا الطيبات،و يعملوا الصالحات،و يشكروا اللّه.

و حرام على إنسان يأكل نعم اللّه ان يعصيه بعمل الخبائث،كما لا يستطيع آكل الحرام ان يعمل الصالحات بصوره كامله،أو لم يقل ربنا سبحانه:

« وَ الَّذِى خَبُثَ لاٰ يَخْرُجُ إِلاّٰ نَكِداً »؟! وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً فمريم ولدت عيسى من غير زوج،كما ان عيسى كلّم الناس و هو فى المهد صبيّا.

وَ آوَيْنٰاهُمٰا إِلىٰ رَبْوَةٍ ذٰاتِ قَرٰارٍ وَ مَعِينٍ

بعد ان كانا يفتقران الى المسكن،و فر اللّه لهما الربوه،و هى المرتفع من الأرض،و لها ميزات:انها بعيده عن الهوام و الأسقام،و هكذا عند ما يأمر ربنا بالتيمم يقول:

« فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً ».

و من معانى الصعيد المرتفع من الأرض،و فى علم طبقات الأرض ان المرتفعات التى فيها الماء هى أفضل المواقع.أمنيا و زراعيا و صحيا.

و يتساءل المفسرون:اين كانت هذه الربوه؟هل كانت مدينه الناصره فى فلسطين.حيث التجأت إليها مريم-عليها السّلام-خشيه أعداء ابنها عيسى- عليه السّلام-من اليهود؟ أم كانت منطقه خاصه فى مصر.حيث عاشت مريم و ابنها هناك ردحا من الزمن؟ أم انها كانت فى(دمشق)أم مدينه(رمله)حيث عاشا فيهما أيضا فتره من الوقت؟ أم انها لم تكن سوى ذلك الموقع الذى وضعت مريم ابنها فيه،فى أطراف بيت المقدس ذاته. (۱)

و فى روايه مأثوره عن الإمامين الباقر و الصادق-عليهما السّلام- :

«ان الربوه:حيره الكوفه،و سوادها،و القرار مسجد الكوفه،و المعين الفرات. » (۲)

۱- ۱) راجع تفسير(نمونه)ص ۲۵۲ ج ۱۴.

۲- ۲) نور الثقلين ج ۳ ص ۵۴۴.

و علی ای حال:فان فی الآیه درسا فی اختیار الموقع المناسب للمسکن،کما ان الآیه التالیه تذکرنا:بضروره اختیار الطیبات للطعام.

[۵۱]و لم تکن هـذه النعم الا ـ لکی تقیم أود الإنسـان،و لکن الهـدف الأبعـد منهـا ان یسـتخدم جسـده فی خیر نفسه و الناس،من خلال الصالحات.

و قد کان هذا نداء اللّه لکل الرسل،و من بعدهم للمؤمنین،ان یأکلوا لا لیعیشوا أو یتلذذوا بالنعم-فحسب-بل لیعملوا الصالحات.

یٰا أَیُّهَا الرُّسُلُ کُلُوا مِنَ الطَّیِّبٰاتِ وَ اعْمَلُوا صٰالِحاً إِنِّی بِمٰا تَعْمَلُونَ عَلِیمٌ کما ان المهم فی العمل ان یکون خالصا لوجه اللّه حتی یـأتی بثمـاره-دنیا و آخره-و هل یخلص للّه الا الـذین یتحسـسون برقابته،و علمه بهم؟! و یجب علی المؤمنین ان یعملوا بما یملیه علیهم الشرع و العقل دون ان ینتظروا رضی الناس.

و یبدو ان الإسلام یرجع الناس الی عقولهم.البعیده عن الهوی و الضغوط، و التی جعلها اللّه حجه بینه و بین العباد،فتکون الطیبات التی تدعونا إلیها هذه الآیه هی التی یحکم بها العقل،و هکذا العمل الصالح،و انما الشرع یثیر العقل و یبلوره.

جاء فی الحدیث:

«العقـل رسول بـاطن و الرسول عقـل ظاهر » [۵۲]ان المقـاییس الایمانیه التی وضـعها اللّه سـبحانه،هی التی تکشف حقیقه الکثیر ممن یدّعون الایمان،إذ ان مقیاس الایمان و حقیقته لیس ما یدّعیه البشر أو یعتقد به،بل ما یضعه اللّه سنّه،و ما یعلمه من واقع کل إنسان و مجتمع.

ص:۱۹۱

و المشكله ان الإنسان الذى يغمره احساس ساذج بالايمان الصادق لا يكتشف خطأ ادعائه الا بعد فوات الأوان.حيث ينقله الموت من دار البلاء و العمل،الى دار الحساب و الجزاء،فلا يستطيع ان يغيّر من أمره شيئا.

اذن لا بد ان نضع مقاييسنا الذاتيه جانبا،و نبحث عن الموازين الحق الالهيه لتكون حجه بيننا و بين اللّه سبحانه،عند الحساب و الجزاء.لا-لكى نقنع الآخرين باننا مؤمنون،لأنهم يقتنعون منا،بما يقتنعون من أنفسهم من ممارسه الشعائر الظاهره،ثم ماذا تجدى الإنسان قناعه الناس سوى بعض المصالح المحدوده فى الدنيا؟و لعله يظهر على حقيقته يوما عند الناس أيضا ان المهم هو ان يكون اللّه راضيا عنا.

و فى هذه الآيه يضع القرآن الحكيم المقياس الاجتماعى الذى يميز المنافق عن المؤمن،و هو مقياس الوحده الايمانيه،فلو ادعى جماعه انهم مؤمنون،ثم تفرقوا أحزابا و شيعا.انطلاقا من أهوائهم و مصالحهم،فان ادعاء هم سيكون باطلا و سخيفا،لان المؤمنين تجمعهم كلمه واحده هى كلمه التوحيد،و ان التقوى هى محور نشاطهم، و صبغه أعمالهم و حياتهم.

وَ إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وٰاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ [۵۳] فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً لكى نعرف المؤمنين،لا-بد ان نعرف المنافقين الذين يتناقضون معهم،فبينما يتجه المؤمنون للوحده على أساس القيم و القياده الرساليه.نرى هؤلاء فى سعى حثيث للنيل من الوحده بتمام معنى الكلمه،و كلمه«فتقطعوا»مبالغه فى التقطيع،فهؤلاء يسيرون فى نفق التقسيم،و الفرقه.بحيث تنقسم كل جماعه على نفسها باستمرار.

كُلُّ حِزْبٍ بِمٰا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ان الأساس فى هـذه الفرقه،و هـذا الانقسام هو اغترار كلّ بما لـديه من رجال، و مال،و أفكار،بينما نجد المؤمنين مشفقين من خشيه ربهم، و الفرح هو آيه الغرور،و يبدو انه يعكس حاله الرضا عن النفس.

و ان الفرح هـو السـبب المباشـر للتحزب.حيـث ان قصـر نظر الفرد،و حرج صـدره،و ضـيقه،و تفـاهه اهـدافه،و تحقيره لنفسـه،و لقـدراتها.كل ذلـك يجعله معجبـا بنفسه،و بمـا يملـك،و يزعم انه و مـا يتصـل به أفضـل مما سواه،فيتقوقع على ذاته،و لا يعترف للآخرين بفضل،و لا يرى الأهداف العظيمه التى تحتاج الى الوحده، و تراكم الجهود.

[۵۴]و يشبه القرآن هؤلاء حينما يطغى عليهم الاعجاب،و الفرح بالغريق الذى يغمره الماء من كل ناحيه.

فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتّٰى حِينٍ فلا توقظهم إلا صاعقه العذاب.تأتيهم بغته.

[۵۶-۵۵]و السؤال لماذا يفرح هؤلاء؟ لأن غايه ما يطمحون له ان يصـبحوا أصـحاب مال و بنين،و لفرط حبهم لذاتهم،و لما يتعلق بهم خـاصه من مـال و بنين تراهم يجعلونهمـا مقياسـا للخير و الصـلاح،و يزعمون بـأنه لو لم تكن أفكـارهم صائبه،و لم يكن اللّه راضـيا عنهم إذا لم يكونوا يحصـلون على المال و البنين،و بالتالى ان حصولهم عليهما فى الدنيا دليل صـلاحهم،و حصولهم على الفلاح فى الآخره،كما قال قائل منهم:

« وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلىٰ رَبِّی لَأَجِدَنَّ خَیْراً مِنْهٰا مُنْقَلَباً ».

و لا يزال العالم المادى اليوم يعتبر ميزان التقدم الدخل القومى،و يزعم بعضهم ان اللّه معه،لأنه أصبح أشد بطشا و ارهابا فى الأرض،و يكتب على دولاراته- بالاعتماد على اللّه،ثم يتلاعب بمصير الشعوب بتلك الأموال-حاشا اللّه-انه لا يسلط الظالمين على البشريه،و يرضى عنهم.

أَ يَحْسَبُونَ أَنَّمٰا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مٰالٍ وَ بَنِينَ* نُسٰارِعُ لَهُمْ فِی الْخَیْرٰاتِ هل يتصور هؤلاء ان الخير و الكمال هو المال و الرجال؟و اننا حين نعطيهم ذلك يعتبر حبا منا لهم أو رضى بهم؟! بَلْ لاٰ يَشْعُرُونَ لان الخير الحقيقى هو فيما يقوله القرآن،لا ما يملكون،و هو أيضا ما يجسده الذين تتحدث عنهم الآيات التاليه:

[۵۷] إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ فالمؤمنون يعملون،و لكنهم لا يغترون بعطائهم،بل يشفقون على أنفسهم، لأنهم يعرفون أن هذه الأجساد لا تحتمل لهب النار،فيبقى همهم و شغلهم الشاغل هو إنقاذ أنفسهم من جهنم،و تتكرر فى الدعاء هذه العباره:« وَ قِنٰا عَذٰابَ النّٰارِ » و فى الآيه القرآنيه:

« فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النّٰارِ وَ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فٰازَ ».

و تؤكد هذه الآيه و ما بعدها على الفروق بين التجمع المؤمن،و الآخر المصلحى

القائم على أساس المال و الرجال،و هی:

الف/الإشفاق من العمل،فدائما ما یستقل المؤمنون أعمالهم،و یساورهم هاجس التقصیر،بما یحسسهم انها قد لا تبلغ مرضاه اللّه،مما یزیدهم عزیمه و إصرارا علی العطاء الأکثر،و الإخلاص الأنقی،أما المنافقون فإنهم یفرحون بأعمالهم و یکبرونها،فلا یقبلون الانتقاد بما یرونه فی ذواتهم من کمال و عصمه،بینما یرحب أولئک بکل انتقاد بناء.حیث أنهم یتهمون أنفسهم بالتقصیر،فلعلهم اخطأوا أو غفلوا،و محور هذه المقارنه هو الخشیه عند فریق دون الفریق الآخر،فکلما عمل المؤمنون لا تزال فیهم بقیه اراده،و عزیمه خشیه التقصیر،و انهم لما یفکوا رقابهم من النار.

جاء فی نهج البلاغه عن الامام علی-علیه السّلام-و هو یصف المؤمنین :

«فلو رخص اللّه فی الکبر لأحد،لرخص فیه لخاصه أنبیائه،و أولیائه، و رسله،و لکنه سبحانه کره لهم التکابر،و رضی لهم التواضع،فالصقوا بالأرض خدودهم،و عفروا فی التراب وجوههم،و خفضوا أجنحتهم للمؤمنین و کانوا قوما مستضعفین قد اختبرهم اللّه بالمخمصه،و ابتلاهم بالمجهده،و امتحنهم بالمخاوف،و محصهم بالمکاره،فلا تعتبروا الرضا و السخط بالمال و الولد.جهلا بمواقع الفتنه،و الاختبار فی موضع الغنی و الاقتصار ». (۱)

و قد نصح لقمان ابنه فقال له فیما قال:

«خف اللّه-جل و عز-خیفه لو جئته ببرّ الثقلین لعذبک،و ارج اللّه رجاء لو جئته بذنوب الثقلین لرحمک». (۲)

۱- ۱) المصدر ص ۵۴۵.

۲- ۲) المصدر ص ۵۴۷.

و نحن نقرأ فی سیره أولیاء اللّه ما یجعلنا نتصاغر فی أنفسنا.این نحن من واجبنا،و الی متی نغفل عن مصیرنا،و نحن لا نعلم هل خلقنا للجنه،أم ان عاقبتنا النار؟! فهذا زید بن علی بن الحسین-علیه السّلام-یقص علینا سیرته سعید بن جبیر قال:

قلت لمحمد بن خالد:کیف زید بن علی فی قلوب أهل العراق؟فقال:لا أحدثک عن أهل العراق،و لکن أحدثک عن رجل یقال له النازلی بالمدینه قال:

صحبت زیدا ما بین مکه و المدینه،و کان یصلی الفریضه ثم یصلی ما بین الصلاه الی الصلاه،و یصلی اللیل کله،و یکثر التسبیح،و یردد:

« وَ جٰاءَتْ سَکْرَهُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذٰلِکَ مٰا کُنْتَ مِنْهُ تَحِیدُ » (1)فصلی بنا لیله،ثم ردد هذه الآیه الی قریب من نصف اللیل،فانتبهت و هو رافع یده الی السماء و یقول:الهی عذاب الدنیا أیسر من عذاب الآخره،ثم انتحب،فقمت الیه،و قلت: یا ابن رسول اللّه لقد جزعت فی لیلتک هذه جزعا ما کنت أعرفه؟قال:ویحک یا نازلی انی رأیت اللیله و انا فی سجودی إذ رفع لی زمره من الناس علیهم ثیاب ما رأته الأبصار،حتی أحاطوا بی و انا ساجد،فقال کبیرهم الذی یسمعون منه:اهو ذلک؟قالوا:نعم،قال:أبشر یا زید فانک مقتول فی اللّه،و مصلوب و محروق بالنار،و لا تمسک النار بعدها أبدا فانتبهت و انا فزع،و اللّه یا نازلی لوددت انی أحرقت بالنار،ثم أحرقت بالنار،و ان اللّه أصلح لهذه الامه أمرها. (2)

1- 1) سوره(ق)-آیه(19).

2- 2) بحار الأنوار-ج 46-ص 308.

باء/الاستجابه للحق،فلو كانوا على خطأ سرعان ما يتذكرون و يعودون عنه، لأنهم يجعلون الحق-و ليس ذواتهم-محور حياتهم،لأنهم يعرفون خشوع الايمان، و التسليم للحق فى الدنيا خير من خشوع الذل فى نار جهنم.

[۵۸] وَ الَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ فهم منفتحون على الحقائق التى يجدونها فى آيات اللّه،و لا يمنعون أنفسهم خيرات الحق بالعصبيات و التقاليد و التحزب،بل يبحثون عن الحق انّى كان، حتى لو خالف مصالحهم أو تقاليدهم أو عزه أنفسهم.

[۵۹] وَ الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لاٰ يُشْرِكُونَ جيم/و توحيدهم للّه يتجلى فى سائر جوانب الحياه،السياسيه و الاجتماعيه و..

و..،فاذا اختاروا قياده فانما يختارونها بدافع ايمانهم لا بعامل الهوى،فليس لان فلان من بلده،أو حزبه،أو طائفته فاذن هو قائده،كلا..انما المقياس الوحيد عندهم هو ما يقوله اللّه و ما يرتضيه.

خوف التقصير:

[۶۰] وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مٰا آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلىٰ رَبِّهِمْ رٰاجِعُونَ دال/و بينما المنافقون يفرحون بقليل ما يصدر عنهم،تجد هؤلاء فى حاله عطاء دائم مصحوب بوجل،و خوف من التقصير،لان المسأله لو كانت متوقفه على رضى الناس عنهم لنالوه بعطائهم الظاهر،و لكنهم يبحثون عن رضى اللّه،الذى لا ينال الا بالإخلاص،و انّى لهم اليقين بقبول اللّه لأعمالهم و هو القائل عز و جل:

« إِنَّمٰا يَتَقَبَّلُ اللّٰهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ».

و يدفعهم خوف التقصير الى المزيد من العطاء،ذلك ان الشعور بالكمال يمنع مسيره التقدم،و الاستمرار فى العطاء،و

حينما يسأل رجل الامام الصادق عن سبب خوف هؤلاء،و وجلهم يجيبه«انهم يخشون ان لا تقبل حسناتهم،و ان لا تغفر سيئاتهم »و ما أكثر الثغرات فى الحسنات التى نعملها،و قد يكون بعضها سبب فى عدم قبولها.

فنحن لا نستطيع ان نتأكد من أننا قد فزنا.اذن دعنا لا نقف عند حدّ فى عطائنا و إنفاقنا،و لا نفرح،لان الفرح من جنود الشيطان.

[۶۱]ان خوف هؤلاء من التقصير يدفعهم نحو العمل،بل المبادره اليه.

هاء/ أُولٰئِكَ يُسٰارِعُونَ فِي الْخَيْرٰاتِ التسابق بين هؤلاء ليس فى الشهره،بل فى عمل الخير،و هذه صفه نقيضه لما يعيشه التجمع المنافق،فبينما يلهى أولئك التكاثر فى الأموال و الأولاد،ترى هؤلاء يتسابقون الى الخيرات.

وَ هُمْ لَهٰا سٰابِقُونَ و هذه الآيه تحتمل معنيين:

الاول:ان أنفسهم مجبوله على الخير،و العطاء،و العمل،و هذه الصّفات ليست وليده ظرف معين،بل وليده صفه راسخه فى النفس،فمع أنهم يتصدقون الآن مثلا،و لكن أنفسهم قبل هذه الصدقه كانت تحمل هذا المعنى الخيّر(مساعده الضعيف).

الثانى:المبادره فهم دائما يسبقون غيرهم للخير،إذ يكتشفون مجالات و وسائل جديده للعمل الرسالى،و هذا ناتج عن الهمّ الذى يحملونه لتطوير مسيرتهم

و تحركهم،مما يدفعهم باتجاه البحث عن المجالات و الابعاد الجديده للتقدم بمسيره العمل،أو لمواجهه العقبات و المشاكل التى تعترضه.

ان هؤلاء يسعون دائما لنيل رضى اللّه،فيفكرون فى أساليب جديده للعمل و يطبقونها.

[۶۲] وَ لاٰ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاّٰ وُسْعَهٰا اللّه هو الذى خلق الإنسان،و هو أعرف بقدرته و طاقته،فلا يكلفه إلاّ بقدرها، و على الإنسان أن يسعى فى طريق الخير قدر جهده و تمكنه،فإذا فعل ذلك سقط عنه التكليف،و إلاّ فما دامت به بقيه مقدره فهو مسئول.

فما دام الإنسان قادرا يجب ان يعمل،و بقدر الاستطاعه يجب ان يعطى، و بقدر وسعه يجب ان يسعى،فلا يقل أحدنا:انى عملت،و أنجزت المهمه الكذائيه و كفى،و انما ينجز مهمه لينتقل الى غيرها،كما قال اللّه تعالى:

« فَإِذٰا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ».

فاذا انتهيت من عمل فانصب الى غيره،و لا يقل أحدنا انه انتهى الواجب فقد قال تعالى:

« وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتّٰى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ».

فالعمل واجب حتى الموت.

و نستفيد من الآيه الكريمه ان مسئوليه كل إنسان حسب قدرته،فالقوى تختلف مسئوليته عن الضعيف،و العالم عن الجاهل،و المسؤول عن الفرد العادى و..و..

و لعل الآيه تشير أيضا الى الرفق بالنفس فى العمل،فلا يهلكن أحدنا نفسه،و لا

يحملها فوق طاقتها،

فقد قال أمير المؤمنين لولده الحسن-عليهما السّلام-و قد وجده يجتهد فى العباده :

«يا بنى!ان هذا الدين متين،فأوغل فيه برفق » و البعد الآخر للآيه:الواقعيه فى الطموحات الرساليه.إذ ينبغى ان تكون اهداف المسلم بقدر طاقاته،فلا يتكلف ما لم يكلفه الرب به.

وَ لَدَيْنا كِتابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ فلو ادعى شخص انه تعب،فان اللّه يحتج عليه:بأنه أعطاه القدره التى لم يستغلها كلها حتى يدعى ذلك،و يحتج عليه بالآخرين الذين يمتلكون مثله من القدرات،و لكنهم لا يزالون يعطون و يعملون دون تراجع،و فى مقابل هذا التشدد فى المسؤوليه هناك رحمه الهيه تتمثل فى عدل اللّه،و فضله.

وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ فاللّه يجزى الإنسان على كل خير.صغيرا كان أو كبيرا،جزاء مضاعفا.حيث تتحول الحسنه الى عشر أمثالها.

ص:٢٠٠

[سوره المؤمنون (۲۳): الآيات ۶۳ الى ۷۱]

اشاره

بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هٰذٰا وَ لَهُمْ أَعْمٰالٌ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ هُمْ لَهٰا عٰامِلُونَ (۶۳) حَتّٰى إِذٰا أَخَذْنٰا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذٰابِ إِذٰا هُمْ يَجْأَرُونَ (۶۴) لاٰ تَجْأَرُوا اَلْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنّٰا لاٰ تُنْصَرُونَ (۶۵) قَدْ كٰانَتْ آيٰاتِي تُتْلىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلىٰ أَعْقٰابِكُمْ تَنْكِصُونَ (۶۶) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سٰامِراً تَهْجُرُونَ (۶۷) أَ فَلَمْ يَدَّبَّرُوا اَلْقَوْلَ أَمْ جٰاءَهُمْ مٰا لَمْ يَأْتِ آبٰاءَهُمُ اَلْأَوَّلِينَ (۶۸) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (۶۹) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جٰاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كٰارِهُونَ (۷۰) وَ لَوِ اِتَّبَعَ اَلْحَقُّ أَهْوٰاءَهُمْ لَفَسَدَتِ اَلسَّمٰاوٰاتُ وَ اَلْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنٰاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (۷۱)

اللغه

۶۷[سامرا]:السمر الحديث ليلا.

ص:۲۰۱

و أكثرهم للحق كارهون

هدى من الآيات:

فى سياق حديث سوره(المؤمنون)عن محوريه الحق فى الحياه،يذكرنا القرآن بأن أولئك الكفار يعيشون فى غمرات الشهوات و الضلاله،بعيدين عن الحق، يمارسون أعمالا- إجراميه، و يستمرون عليها حتى يأخذ اللّه مترفيهم(و هم قياداتهم المفسدون)بالعذاب،فإذ بهم يتضرعون من هول العذاب،و لكن من الذى يعذب فى الدنيا؟انهم المترفون،الذين يأتيهم الخطاب:لا- تتضرعوا،فإن الضّراعه عند نزول العذاب لا تنفع،و لا ينصرهم اللّه.أ فلم يكونوا يتولون هار بين كلما تليت عليهم آيات اللّه و هم يستكبرون بها،و عند ما يسهرون بالليالى يقولون:كلاما تافها ضدها؟! و لماذا الاستكبار على الحق،و لماذا لا يتدبرون فى القرآن ليجدوا انه يهديهم الى الحق الذى دعا اليه كل الرسل و الصالحين(ممن تعترف البشر بفضلهم)و هذا الرسول يعرفونه بإخلاصه،و صدقه،و أمانته،فلما ذا ينكرونه،و هل يعقل ان يكون

ص:۲۰۲

به جنه؟!کلا..إنما سبب جحودهم له دعوته الی الحق،و الحق یکرهه أکثر الناس(بجهالتهم و اتباعهم للشهوات).

ثم إنّ الکون قد خلق وفق سنن و أنظمه،بعضها نعرفها نسمیها القوانین الطبیعیه.کجاذبیه الأرض،و انسیاب النور،و انفلاق الحبه من التربه الصالحه، و بعضها الآخر قوانین غیبیه مثل غفران اللّه للمذنبین التائبین،أو تعذیبه للمجرمین.

و سواء هذا أو ذاک،فان هذه القوانین هی الحق.الذی خلق اللّه وفقه السماوات و الأرض،و الذی لو زال و حلّ مکانه الهوی و الباطل لفسد الکون فی لحظه.

و علی الإنسان أن یستجیب للحق الذی قامت به السموات و الأرض،و یکفینا دلیلا علی ذلک حیاه الإنسان،فهو یعیش ضمن سنن لا یحید عنها کالجوع، و العطش،و النوم،الا سنه واحده اعطی الاختیار فیها بین آلاف السنن و القوانین، بعد أن بیّن اللّه له أبعادها،و مع ذلک فانه قد یحطم نفسه و الأرض بهذا الاختیار.

و أنت أیها الإنسان اعتبر بهذه الحقیقه،فإنک لو أعرضت عن الحق،و اتبعت الباطل و الهوی فإنّ حیاتک ستفسد،و ستفسد الآخرین.

بینات من الآیات:

[۶۳] بَلْ قُلُوبُهُمْ فِی غَمْرَهٍ مِنْ هٰذٰا تلفها الشهوات،من کل جانب،کما لو أنها رسبت فی لجه آسنه.

وَ لَهُمْ أَعْمٰالٌ مِنْ دُونِ ذٰلِکَ هُمْ لَهٰا عٰامِلُونَ أعمال الإنسان تنطلق من فکره و قلبه،و ما دامت قلوب هؤلاء مغموره فی

الشهوات فإنّها لا يصدر عنها الا السيئات،و لعل كلمه« مِنْ دُونِ ذٰلِکَ »تشير الى هذه الحقيقه،أو الى ان الأعمال الاجراميه التى يمارسونها على فضاعتها تعتبر دون أفكارهم الضاله،فإن خبث العقائد الفاسده أشد من خبث الأفعال المنكره.

[۶۴] حَتّٰى إِذٰا أَخَذْنٰا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذٰابِ إِذٰا هُمْ يَجْأَرُونَ و لم يقل اللّه(حتى إذا أخذنا هم بالعذاب)و هذا التحويل فى لحن السياق القرآنى لعلّه يدل على فكره معينه هى أن اللّه لا يأخذ كل المغموره قلوبهم بالعذاب،بل يأخذ المترفين منهم،و الآيات التى تلى هذه الآيه تفسرها،و هذه من خصائص السياق القرآنى أنه يفسر بعضه بعضا.

و الجأر هو:نهايه حاله الضراعه،و الطلب الملح.

[۶۵]و لكن ليس ينفع المترف دعاؤه حين يحل به العذاب.

لاٰ تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنّٰا لاٰ تُنْصَرُونَ [۶۶]و الآيه التاليه،جواب على سؤال يفترض أنه يصدر عن المترفين،حين يجدون أنفسهم بين يدى العذاب،إذ يتساءلون عن سبب رد اللّه لاستجارتهم و تضرعهم،فيأتيهم الجواب:

قَدْ كٰانَتْ آيٰاتِي تُتْلىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلىٰ أَعْقٰابِكُمْ تَنْكِصُونَ ان الآيات القرآنيه و هى وقود الانطلاق و التقدم،يفترض انها تدفع الإنسان نحو الأمام،أما إذا كان قلبه مطبوعا بالتخلف و الانحراف فهى لا تنفع معه أبدا، بل تزيده طغيانا و كفرا،و النكوص على الأعقاب،كنايه عن المشى القهقرى.

[۶۷]لذلک يقول القرآن:

مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ اى بالقرآن.

سامِراً تَهْجُرُونَ ان تكبر الإنسان على القرآن شيء،و تكبره بالقرآن شيء آخر-و هو أعظم- حيث تتحول هذه الرساله الإلهيه العظيمه إلى أداه للاستكبار، و هذا نقيض أهداف القرآن فى تحرير الإنسان من عبوديه الجبت و الطاغوت،و قد فسر بعضهم كلمه«به»هنا بالكعبه،حيث ان المشركين اتخذوها وسيله استكبارهم فى الأرض،بينما فسره البعض بالقرآن الذى تشير اليه كلمه«آيات»و تدل عليه كلمه«القول»فى هذا السياق.

و كانوا إذا جن عليهم الليل و اختلط ظلامه بنور القمر الهادئ،و هيئت لهم ظروف السمر،تحلقوا حول الكعبه،و أخذوا يتداولون كلاما هجرا،كأنه هذيان المرضى،لا يقصدون به معنى حقيقيّا.

ذلك الكلام الفارغ الذى كان يكشف عن مدى غفلتهم و خوضهم فى غمرات -اللهو،و الهوى،و اللاهدفيه-أرداهم الى هذا الحضيض السافل من العذاب، الذى لا خلاص لهم منه.تدبروا فى حالتى-الجأر و الهجر..

[۶۸] أَ فَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ فى مقابل هؤلاء نرى المؤمنين الذين يتدبرون القرآن،و التدبر من كلمه الدبر، أى النهايه فمن القرآن يبدأ المؤمن فيسير بعقله،و على ضوء الآيه،الى الحقائق، فيرى ماذا تريد الآيه و أين هو واقعها الخارجى،و تطبيقها الحى.

إن القرآن لم يكن بدعه،فهو امتداد لرسالات اللّه لبنى البشر.عبر الزّمان و لا

حجّه لأولئك الذين يتنصلون عن تطبيقه أو يتكبرون عليه،و يفرغونه من معانيه.

أَمْ جٰاءَهُمْ مٰا لَمْ يَأْتِ آبٰاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ان البشر يقدّر-عاده-السلف الصالح،و تزخر ذاكرته بقصص الأتقياء و المصلحين و فى طليعتهم الرسل و لكنه-فى ذات الوقت-يكفر بالرسول الذى يأتيه بآيات اللّه،و يتساءل عن صحه رسالته،و انما هى تكميل للرسالات السابقه.

[۶۹] أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ كلا..فالناس كانوا يعرفون رسول اللّه بصدقه و أمانته و أخلاقه،و الرساله التى جاءهم بها هى عينها التى تدعوا إليها عقولهم،و اللّه الذى يبعث بقرآن من السماء قد انشأ عقلا فى داخل الإنسان يصدّقه،فيعرف الإنسان أن الذى جاء به هو الحق،و هكذا يستطيع كلّ إنسان بشىء من التعقل ان يهتدى الى رسول اللّه،و ان الذى ينصحه هل هو رسول اللّه أم داعى الشيطان؟و لكن بشرط أن يخرج من سجن الشهوات التى تغمره،و عند ذلك فقط سوف يرى الحقائق بوضوح.

[۷۰] أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ و هل هذا قول مجنون،و فيه من ينابيع الحكمه،و خزائن المعرفه،و برامج الحياه،ما يعجز عن اكتناهه أولو الألباب؟! و هل المجنون يفعل ما قام به الرسول من تنظيم الحياه الناس،ثم قياده المجتمع على أفضل وجه؟! بَلْ جٰاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كٰارِهُونَ كلا..انهم يكرهون الحق و لذلك يجادلون فيه، و ينكرون الرسول الداعى

اليه،و لا يتـدبرون فى القول الـذى يحتويه و لماذا يكره الحق أكثرهم؟لأنهم يعيشون فى غمره منه تحيط بهم شـهواتهم،و هذا هو الفرق بين المؤمنين و الكافرين.

[٧١] وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوٰاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ ليس فقـط من النـاحيه الغيبيه الإلـهيه فقط،بل من الناحيه الواقعيه أيضـا لأن الحق الـذى تنزّل به القرآن تعبير عن حقـائق الإنسـان و الحيـاه،فالعـدل يقيم الحيـاه، بينما الظلم يؤدى بها إلى الدمار،و الصدق يعود على الناس بالنفع بينما الكذب يعود عليهم بالضرر،و هكذا سائر القيم السلبيه و الإيجابيه.

بَلْ أَتَيْنٰاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ البعض يفسر هـذه الآيه بـان:القرآن جـاء شـرفا للنـاس،و لكنهم معرضـون عن شرفهم،و هـذا صـحيح،امـا التفسـير الآخر-حسـبما ارى انه أقرب-فهـو ان القرآن جـاء مـذكرا لهم بمـا نسوه،و غفلوا عنه،و لكى ينورهم فلما ذا يعرضون عنه؟! و هـذا التفسـير تأكيـد للفكره السابقه و هى:ان اللّه الـذى يرسل رساله على يـد رسول،أودع رساله اخرى فى قلب الإنسان،و انطباق هاتين الرسالتين دليل على صدق الرسول.

ص:٢٠٧

[سوره المؤمنون (۲۳): الآیات ۷۲ الی ۸۳]

اشاره

أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرٰاجُ رَبِّکَ خَیْرٌ وَ هُوَ خَیْرُ اَلرّٰازِقِینَ (۷۲) وَ إِنَّکَ لَتَدْعُوهُمْ إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ (۷۳) وَ إِنَّ اَلَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ عَنِ اَلصِّرٰاطِ لَنٰاکِبُونَ (۷۴) وَ لَوْ رَحِمْنٰاهُمْ وَ کَشَفْنٰا مٰا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِی طُغْیٰانِهِمْ یَعْمَهُونَ (۷۵) وَ لَقَدْ أَخَذْنٰاهُمْ بِالْعَذٰابِ فَمَا اسْتَکٰانُوا لِرَبِّهِمْ وَ مٰا یَتَضَرَّعُونَ (۷۶) حَتّٰی إِذٰا فَتَحْنٰا عَلَیْهِمْ بٰاباً ذٰا عَذٰابٍ شَدِیدٍ إِذٰا هُمْ فِیهِ مُبْلِسُونَ (۷۷) وَ هُوَ اَلَّذِی أَنْشَأَ لَکُمُ اَلسَّمْعَ وَ اَلْأَبْصٰارَ وَ اَلْأَفْئِدَهَ قَلِیلاً مٰا تَشْکُرُونَ (۷۸) وَ هُوَ اَلَّذِی ذَرَأَکُمْ فِی اَلْأَرْضِ وَ إِلَیْهِ تُحْشَرُونَ (۷۹) وَ هُوَ اَلَّذِی یُحْیِی وَ یُمِیتُ وَ لَهُ اِخْتِلاٰفُ اَللَّیْلِ وَ اَلنَّهٰارِ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ (۸۰) بَلْ قٰالُوا مِثْلَ مٰا قٰالَ اَلْأَوَّلُونَ (۸۱) قٰالُوا أَ إِذٰا مِتْنٰا وَ کُنّٰا تُرٰاباً وَ عِظٰاماً أَ إِنّٰا لَمَبْعُوثُونَ (۸۲) لَقَدْ وُعِدْنٰا نَحْنُ وَ آبٰاؤُنٰا هٰذٰا مِنْ قَبْلُ إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ أَسٰاطِیرُ اَلْأَوَّلِینَ (۸۳)

اللغه

۷۴[لناکبون]:أی عادلون و مائلون عن الحق.

۷۷[مبلسون]:آیسون من کل خیر.

ص:۲۰۸

هكذا نتحدى عقبات الايمان

هدى من الآيات:

جاءت سوره(المؤمنون)لبث روح الايمان فی القلوب،و لکن القلوب المریضه لا تستقبل هذه الروح،إذ لا بد من شفائها اولا،فی الدرس الماضی قرأنا کیف أن کراهه الحق النّاشئه من غمرات الضلاله،أفرزت الجحود بالرساله،و هنا یساعدنا السیاق لتجاوز العقبات التی تعترض طریق الایمان،و بالتالی یحبب إلینا(الحق) و یطهر القلب من وساوس الشیطان التی تصدنا عنه.

الأول:الخوف علی الثروه،و یقول القرآن:انک لا تسألهم خرجا،بل اللّه خیر الرازقین،و انه سوف یبارک لهم فی ثرواتهم لو اتبعوا الحق الذی جاء به الرسول.

الثانی:المحافظه علی التقالید،و یقول الذکر:أن سبیلهم ضال،و انک- یا رسول اللّه-تدعوهم الی الصراط المستقیم،و سبب ضلالتهم أنهم لا یؤمنون بالآخره،و فی آخر الدرس نقرأ تأکیدا علی هذا السبب.

ص:۲۱۰

الثالث:لو كانت الرساله حقّا،لكشف اللّه بها الضرّ،و لكن مقدارا من الضر يحافظ على توازن البشر الذى يطغى لو كشف اللّه عنه ضره، و بالرغم من العذاب الذى أخذهم اللّه به تراهم لا يسلّمون لربهم،و لا يتضرعون اليه.حتى ينزل عليهم عذابا شديدا،فإذا بهم فى ورطه و إبلاس.

بعد تطهير القلب من هذه الوساوس،يذكرنا الرب بنعمه التى لا تحصى.

أ و ليس قد أنشأ لنا السمع،و الأبصار،و الأفئده.أ فلا نشكره؟! و هو الذى جعل البشر يتناسل فى الأرض،و بعد الموت يحشر من جديد،و بيده الحياه و الموت،و تدبير الليل و النهار،أ فلا يكفى ذلك حجه لو انتفعنا بعقولنا؟! كلاّ..إنهم يقولون-كما قال آباؤهم الضالون-كيف يبعث اللّه من يموت و يصبح ترابا و عظاما؟!انها أساطير الأولين.حيث قد وعدوا كما وعدنا نحن أيضا بذلك! هكذا أصبح إنكارهم للبعث سببا لجحودهم برسالات اللّه،و هكذا الإنكار- بدوره-نشأ من حاله الجهل،و استبعاد حياه الإنسان من بعد الموت.و كلمه أخيره:اننا نجد السياق ينتقل من الحديث عن العقبات فى طريق الايمان،و كيفيه التغلب عليها،إلى الحديث عن آيات اللّه التى تهدينا اليه،و هذه هى الطريقه القرآنيه فى توجيه الإنسان الى ربه،و هى تختلف عن الطرق البشريه،فالطريقه القرآنيه تعتمد على مرتكزات من بينها و أهمها الأسلوب الوجدانى،فالإنسان خلق على فطره الايمان،و اللّه هو أجلى و أظهر حقيقه فى هذا الكون،و فطره الإنسان تدعوه إلى اللّه:

«فِطْرَتَ اللّٰهِ الَّتِى فَطَرَ النّٰاسَ عَلَيْهٰا لاٰ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ».

و لكن لماذا لا يؤمن البشر؟ لأن بينهم و بين اللّه حجبا.كحجاب الغفله،و حجاب الشهوه،و حجاب التقليد،و حجاب الخوف،أو الرجاء فى الأمور الدنيويه،و حجاب الشك فى الآخره.و يجب على الإنسان أن يتحدى هذه الحجب بإرادته،و بتذكير اللّه-عبر رسله-لكى يصل الى معدن الايمان،و نور اللّه البهىّ.

و هذه النظره القرآنيه نجدها موزعه فى كتاب اللّه،و المتدبر فى القرآن يجد هذا الأسلوب فى توجيه الإنسان إلى اللّه واضحا فى آيات الذكر الحكيم،و الذى أسميه بالاسلوب الوجدانى الذى يبدأ بتزكيه القلب،و إجلاء الدرن و الصدأ عنه، و يكشف عن الحجب ليتصل بنور معرفه اللّه بصوره مباشره،و آنئذ نعرف معنى

قول الامام على عليه السلام :حين يسأله رجل قائلا:يا أمير المؤمنين أو رأيت ربك؟قال:

«ويحك!و كيف أعبد ربّا لا أراه؟!»قال السائل:كيف رأيته؟قال:«لا تدركه الأبصار بملاحظه العيون،و إنما تدركه القلوب بحقيقه الايمان ».

بينات من الآيات:

[٧٢]من العقبات التى تعترض طريق البشر إلى الإيمان هو زعمه:بأن ايمانه سيكلفه التضحيه بالمال، دون ان يعلم بأن الايمان يدفع المجتمع لانتهاج شريعه متكامله توفر له التعاون،و العداله،و النشاط،و فى مثل هذا المجتمع يستطيع الإنسان كسب المزيد من الثروه،و المزيد من السعاده،و لو أنه حسب ما ينفقه فى سبيل اللّه خمسا،أو زكاه،أو نشاطا،خساره و مغرما،فلأنه لا يعلم بأن تدوير الثروه و توزيعها بالعدل يساعد على نشاط المجتمع،و بالتالى على نموه الاقتصادى.

إن نظره الإنسان للحياه من خلال معرفته بربّه،تعرفه بأن عطاءه و إنفاقه فى سبيل اللّه لا ينقصه شيئا،بل يزيده مالا و سعاده،ذلك انه سيكتشف عبر هذه

المعرفه بأن اللّه لا- يحتاج الى ماله و لا- نشاطه،و انما ينفق ذلک لنفسه،و لتدوير الثروه،و توزيعها العادل،و لتطهير قلبه من درن البخل،و المجتمع من آفه الطبقيه.

أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً شيئا ينفقونه و كأنه يخرج من أموالهم،و هو يقابل(الدخل).

فَخَرٰاجُ رَبِّکَ خَيْرٌ كيف يطلب النبى المشمول ببركه اللّه،و فيض عطائه من البشر الضعيف الفقير شيئا،بل ماذا تعنى ثروه الدنيا عند نبى تضاءلت الشمس و القمر أمامه.

وَ هُوَ خَيْرُ الرّٰازِقِينَ فاللّه الرزاق،الذى لا حد لعطائه،و لا ذلّه،و هو الغنى الحميد.

[۷۳] وَ إِنَّکَ لَتَدْعُوهُمْ إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ انک ايها الرسول تدعوهم الى انتهاج برامج صائبه لحياتهم. تتمثل فى الصراط المستقيم الذى يصل بهم لو اتبعوه الى أهدافهم،و مشكله الإنسان فى كثير من الأحيان انه يعرف هدفه،و لكنه يفتقر الى الطريق و الوسيله الصائبه فى بلوغه، و رسالات اللّه تهديه الى السبيل الأقوم إلى أهدافه الفاضله.

و أظهر مصاديق-الصراط المستقيم-بل و ميزان الصراط المستقيم.القياده الرشيده،و الامام العادل الذى نصبه اللّه للناس علما،يميزون الحق به عن الباطل، و هو متمثل فى شخص الرسول،و الائمه المعصومين من بعده عليه السلام و العلماء باللّه.

الأمناء على حلاله و حرامه من بعدهم،

و قد جاء فى حديث مأثور عن النبى-صلى اللّه عليه و آله-انه قال لعلى-عليه السّلام -:

«من أحبك لدينك،و أخذ بسبيلك،فهو ممن هدى إلى صراط مستقيم،و من رغب عن هداك،و أبغضك و انجلاك،لقى اللّه يوم القيامه لا خلاق له. » (۱)[۷۴] وَ إِنَّ الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ عَنِ الصِّرٰاطِ لَنٰاكِبُونَ ذلك أن الإيمان بالآخره يشكل حجر الزاويه فى كيان الإنسان العلمى،أو ليست معرفه النهايه تساهم فى معرفه حقائق الحياه،و من لا يعرف حقيقه الدنيا، يزعم انها دار راحه،و جزاء،و حين لا يجدهما فيها يزداد شقاء،و من لا يؤمن بالآخره لا يعرف هدف الحياه،فيهدف فيها ما يضره و لا ينفعه، أو يهبط الى مستوى العتو،و قد ينتحر،لأنه لا يجد طعما لحياته،و من لا يعتقد بالآخره يتوغل فى عباده الشهوات،و يحتجب بها عن معرفه اللّه،و لا يلتزم بشرائعه و لا يهتدى برسالاته،فهو فى ضلال بعيد،و لعله لذلك لم يقل الرب:ان الذين لا يؤمنون باللّه،بل قال:« وَ إِنَّ الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ ».

[۷۵]و ماذا يفعل اللّه بالإنسان حين يتنكب عن الصراط؟ هل يرزقه النعم و يرحمه،فاذا به يتوغل فى الطغيان؟! أم ينزل عليه النقمه فاذا به لا يرتدع و لا يتضرع الى اللّه؟! وَ لَوْ رَحِمْنٰاهُمْ وَ كَشَفْنٰا مٰا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ كالفقر،و المرض،و الخوف.

لَلَجُّوا فِي طُغْيٰانِهِمْ يَعْمَهُونَ

۱- ۱) المصدر/ص ۵۴۸. انجلاك:ترك سبيلك.أى انجلى عنك.

لجّوا بمعنى:دخلوا و توغلوا،و اللّه يشبه الطغيان فى هذه الآيه كما النفق الموحش،و هؤلاء بدل أن يرجعوا عن المسير فيه،كلما رحمهم اللّه تراهم يتوغلون فيه أكثر فأكثر،فيفقدون بصرهم و بصيرتهم.

و الواقع ان من العقبات التى تعترض طريق الايمان هو موقف الإنسان من النعم،فاذا رزقه اللّه نعمه طغى،و زعم:أن طغيانه هو السبب فيها،كما تزعم الدول الاشتراكيه المتقدمه:ان نظامها الاقتصادى،و إديولوجيتها المنحرفه هى السبب فى تقدمها،أو كما تزعم الاخرى الرأسماليه:ان نظامها سبب تقدمها و حضارتها،و قد ملأوا الدنيا ضجيجا بأن الاقتصاد الحر هو سبب التقدم.

بينما نجد الرأسماليه حين زرعوها فى العالم الثالث،لم تنبت الا مزيدا من التخلف،و كذلك الاشتراكيه حين حقنوا بها العالم النامى،لم تلد سوى الدمار، و هكذا عرفنا بأنه لا الاشتراكيه و لا الرأسماليه هما سببا تقدم هذه الدوله أو تلك.

و العمه هو:العمى الذى يصيب الشخص منذ ولادته،فلا يستطيع ان يميز شيئا أبدا،بينما الذى يدركه العمى بعد أن يكون بصيرا مده من الزمن،فانه قد يستطيع ان يميز بعض الأشياء،اعتمادا على ذاكرته و حواسه.

[۷۶-۷۷]و كذلك لو أخذهم اللّه بألوان العذاب،فإنهم لا يرجعون عن انحرافهم،و لا يتضرعون اليه،بل تجدهم يعتمدون على هذا و ذاك من دون اللّه، فالمجاعه يكون حلّها عندهم بالاعتماد على معونات الانظمه الكافره.بدل ان يكون علاجها بالعوده الى اللّه،و التضرع اليه،و تغيير الذات،و السعى،و التعاون، و العلم،و العداله.

وَ لَقَدْ أَخَذْنٰاهُمْ بِالْعَذٰابِ فَمَا اسْتَكٰانُوا لِرَبِّهِمْ وَ مٰا يَتَضَرَّعُونَ

جاء فی روایه عن الامام الباقر-علیه السّلام -:

«الاستکانه هو الخضوع،و التضرع هو رفع الیدین،و التضرع بهما. » (۱)هناک نوعان من العذاب:

۱-عذاب الابتلاء:و هدفه تغییر الإنسان« فَأَخَذْنٰاهُمْ بِالْبَأْسٰاءِ وَ الضَّرّٰاءِ لَعَلَّهُمْ یَتَضَرَّعُونَ »و عاده لا ینتفع البشر بهذا النوع من العذاب.

۲-عذاب الانتقام:و هو إذا انزل فلا مردّ له،کالعذاب الذی حل بفرعون و قومه،لأنه آمن متأخرا،و من دون فائده.و هذا النوع من العذاب یهز الإنسان من الأعماق الی درجه انه یبلس،ای تختلط مشاعره،و یبقی فی حیره،و لا یعرف کیف یتصرف.

حَتّٰی إِذٰا فَتَحْنٰا عَلَیْهِمْ بٰاباً ذٰا عَذٰابٍ شَدِیدٍ إِذٰا هُمْ فِیهِ مُبْلِسُونَ [۷۸]و بعد ان ذکرنا القرآن بالعقبات التی تعترض طریق الایمان،یذکرنا الآن باللّه و آیاته،فالإنسان إذا عرف العقبات و الحجب التی تمنعه من الایمان، و تحداها بقوه الإراده،و بتذکره اللّه،فانه یکون آنئذ مستعدا للتذکره باللّه،و یفهم القرآن،و یزداد به إیمانا.

وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصٰارَ و هما نافذتا العقل علی المعرفه.

وَ الْأَفْئِدَهَ

ص:۲۱۶

۱- ۱) المصدر/ص ۵۴۹.

و هى أهم من السمع و الأبصار،لأنه لو عطب عن العمل فلن ينفعا أبدا،إلا أننا قلّما نشكر اللّه على هذه النعم.

قَلِيلاً مٰا تَشْكُرُونَ [۷۹] وَ هُوَ الَّذِی ذَرَأَكُمْ فِی الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ذرأ بمعنى:خلق و أظهر،و لعل كلمه«فى الأرض»للدلاله على أن التراب كان أصل خلقه البشر،و أن اليه يعود،و منه ينتشر،و يحشر تاره أخرى.

[۸۰] وَ هُوَ الَّذِی يُحْيِی وَ يُمِيتُ ان العالم مع ما فيه من تقدم تكنلوجى،عاجز بأسره ان يضيف إلى الإنسان لحظه واحده من الحياه،لأن هذا الأمر بيد اللّه وحده،و هو الذى يميت أيضا،و ليس الإنسان وحده الذى يخضع لإراده اللّه،بل لا تجد ظاهره فى هذا الكون إلا و هى تنتهى اليه.

وَ لَهُ اخْتِلاٰفُ اللَّيْلِ وَ النَّهٰارِ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ فالليل و النهار يتعاقبان،ليس فقط فى التناوب الزمنى،و انما أيضا فى القصر و الطول،و من أوتى البصيره،و نظر بعين قلبه الى إتقان تدبير اللّه فى الليل و النهار تبصر أيضا بمعنى الحياه و الموت،و قدره اللّه المهيمنه عليهما.

[۸۱]الإنسان يهتدى لهذه الحقائق حينما يستفيد من عقله،اما حين يعطّله بالأسباب المختلفه،كتقليد الآباء،فانه أبعد ما يكون عن استيعاب هذه الحقائق الواضحه و القريبه منه.

بَلْ قٰالُوا مِثْلَ مٰا قٰالَ الْأَوَّلُونَ

ص:۲۱۷

[۸۲]ماذا قال الأولون؟ يرجعنا القرآن هنا الى السبب الجذرى لعدم إيمان هؤلاء، و هو الكفر بالآخره، و الذى سببه التشكيك أو الكفر بقدره اللّه،و إرادته اللاّمحدوده.

قالُوا أَ إِذا مِتْنا وَ كُنّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنّا لَمَبْعُوثُونَ يتعجبون كيف أن العظام الرميم تصير بشرا سويا؟! [۸۳] لَقَدْ وُعِدْنا نَحْنُ وَ آباؤُنا هٰذا مِنْ قَبْلُ إِنْ هٰذا إِلاّ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ لقد زعموا بأن هذه الحقيقه أفكار رجعيه متخلفه،و نسوا أن مبدأهم كان من التراب،و ان الذى خلقهم أول مره لقادر على بعثهم من التراب مره اخرى.

[سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٨۴ الی ١٠٠]

اشاره

قُلْ لِمَنِ اَلْأَرْضُ وَ مَنْ فِيها إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨۴) سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ (٨۵) قُلْ مَنْ رَبُّ اَلسَّماواتِ اَلسَّبْعِ وَ رَبُّ اَلْعَرْشِ
اَلْعَظِيمِ (٨۶) سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ أَ فَلا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ يُجِيرُ وَ لا يُجارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨)
سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ فَأَنّى تُسْحَرُونَ (٨٩) بَلْ أَتَيْناهُمْ بِالْحَقِّ وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ (٩٠) مَا اِتَّخَذَ اَللّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ ما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ
كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَ لَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ سُبْحانَ اَللّهِ عَمّا يَصِفُونَ (٩١) عالِمِ اَلْغَيْبِ وَ اَلشَّهادَهِ فَتَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ (٩٢) قُلْ رَبِّ
إِمّا تُرِيَنِّي ما يُوعَدُونَ (٩٣) رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي اَلْقَوْمِ اَلظّالِمِينَ (٩۴) وَ إِنّا عَلى أَنْ نُرِيَكَ ما نَعِدُهُمْ لَقادِرُونَ (٩۵) اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ اَلسَّيِّئَهَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَصِفُونَ (٩۶) وَ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاتِ اَلشَّياطِينِ (٩٧) وَ أَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨)
حَتّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ اَلْمَوْتُ قالَ رَبِّ اِرْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلاّ إِنَّها كَلِمَهٌ هُوَ قائِلُها وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ
إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)

اللغه

ص:٢١٩

۹۸[یحضرون]:أی یشهدونی و یقاربونی و یصدّونی عن طاعتک.

ص:۲۲۰

سیقولون للّه قل أ فلا تذکرون

هدی من الآیات:

لقد مهد السیاق القرآن فی سوره(المؤمنون)للتذکره باللّه سبحانه ببیان العقبات النفسیه التی تعترض سبیل الایمان،و بعدها جاءت الآیات تستثیر أعمق مشاعر الإنسان الفطریه. تلک التی تهدیه لربه و خالقه.عبر تساؤلات فطریه.

تفرض نفسها علی وجدان الإنسان فرضا،فمن الذی خلق السموات و الأرض؟ و من بیده حاکمیه هذه السماء المترامیه الأطراف،و الکون الذی لا نعلم حدوده؟ و من هو صاحب القدره العلیا علینا،فإلیه یلتجئ الناس عند الشدائد؟ و تجیب الآیات علی هذه التساؤلات بوضوح:انه(اللّه)القاهر فوق کل شیء، و لیس کمثله شیء،و تتوجه الیه قلوب الناس بفطرتهم التی خلقهم اللّه علیها، و کما

قال الرضا علیه السلام :

«بالفطره تثبت حجته». (۱)

ص:۲۲۱

۱- ۱) بحار الأنوار ج ۴-ص ۲۳۳.

اذن فما العائق امام ذکر اللّه؟و ما هی العقبه التی تقف أمام التقوی،و تجعلنا غافلین مره،و مسحورین أخری،قد فقدنا الإراده نتیجه لضغوط مختلفه داخلیه و خارجیه،بل قد نهوی الی حضیض التکذیب و الشرک.

هذا التسلسل الباطل یتدرج عبره الإنسان خلال مراحل هی:

۱-الغفله:فعند ما یغفل الإنسان فإنه یضع لبنه الأساس للحاجز الذی یحول بینه و بین کنه الحقیقه المنشوده،فینسیه أبرز حقیقه فی هذا الکون الواسع،التی یقول عنها تبارک و تعالی:

«قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَ فِی اللّهِ شَکٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ؟!». (۱)

مما یمهد للهوی و الشهوه ان یسدلا ستارهما امام نور العقل،و ضیاء الفطره.

۲-و الذی یجعلنا لا نتقی عذاب اللّه و سخطه بالتقوی،هی حجب الغفله و الشهوه التی تجعل الإنسان یتخبط فی ظلام الجهل و العناد مخالفا أوامر عقله، و وخزات ضمیره،و صرخات وجدانه.

۳-السحر:و هی مرحله فقدان الإراده الانسانیه،و الوعی البشری،حیث أن الضالین یحاولون تضلیل الآخرین،فیؤثّرون علی فئه من الناس بمعتقداتهم،التی ضلوا بها عن اللّه،فیجعلونهم یرتکسون فی بؤره الغفله و الشهوه،لتسلب عنهم مشاعرهم،فالأعین عمیاء لا تبصر الحقیقه،و الأذان صمّاء لا تسمع وحی اللّه- سبحانه-و حقائق الحیاه،و الألسن بکماء لا تتکلم،الا فی مجال اللهو و العبث، و الاهتمامات الشخصیه،و المشاعر الأنانیه،فیدفعهم کل ذلک للمرحله الاخیره من مسیره التسافل و السقوط.

ص:۲۲۲

۱- ۱) سوره إبراهیم/۱۰.

۴-التکذیب:و نسأل أنفسنا لماذا نکّذب بهذه الحقیقه الواضحه،و نکفر، و نسخر بهذه العقیده الراسخه فی اعماق النفس البشریه و نحن علی وعی و ادراک بهذه المسأله؟! و لکن الخالق البارئ یرجع المسأله لعواملها الأولیه،و یلقی بمسؤولیه الانحراف علی نفس الإنسان فیقول:

« قَدْ جٰاءَکُمْ بَصٰائِرُ مِنْ رَبِّکُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِیَ فَعَلَیْهٰا وَ مٰا أَنَا عَلَیْکُمْ بِحَفِیظٍ ». (۱)

۵-و تبقی هناک عقبه کأداء و هی عقبه الاعتماد علی الآلهه المزیفه،التی خلقتها شهوات النفس،و ظلام الجهل لتبریر واقعها المعاش،و الإعتقاد بان للّه ولدا،أو وسائل أخری توصل الیه-سبحانه-غیر التی بینها لهم،و بأن هناک آلهه صغارا یمکن ان یشفعوا للإنسان من دون اللّه،و یحجّهم-سبحانه-بقوله:انه لا یتخذ ولدا،و أنتم تعلمون أیها البشر بفطرتکم،و بهدی عقولکم بأن اللّه هو مالک السموات و الأرض،و صاحب العرض العظیم،و عالم الغیب و الشهاده،و الظاهر، و الباطن.فکیف لا یعلم بوجود ولد له أو شریک؟!و انکم انما تخدعون أنفسکم، و تتوهمون،و تزعمون بوجود شرکاء اللّه أو أولاد،لتخلّصوا أنفسکم،و تنقذوها من غضب اللّه.

هذه هی الحجب الخمس و المتدرجه التی لا بد ان یخرقها المؤمن بإرادته-بعد ذکر اللّه-ذلک مما نستوحیه من السیاق فی هذا الدرس حیث یقول ربنا:« أَ فَلاٰ تَذَکَّرُونَ »اشاره الی حجاب الغفله،و یشیر الی حجاب الشهوات بقوله:« أَ فَلاٰ تَتَّقُونَ »و الی حجاب التضلیل و الإسحار بقوله:« فَأَنّٰی تُسْحَرُونَ »و حجاب

۱- ۱) سوره الأنعام۱۰۴/.

التکذیب:« وَ إِنَّهُمْ لَکٰاذِبُونَ »و بالتالی الی أکبر الحجب و اخطرها و هو الشرک فیقول سبحانه:« فَتَعٰالَی عَمّٰا یُشْرِکُونَ ».

ان هذه الوساوس من همزات الشیاطین،و الهمزه مفرد همزات،و هی:الدفعه القویه،و الشیطان یدفع بالإنسان نحو الکفر،و الشرک باللّه دفعا قویّا،فعلی الإنسان-الضعیف،الغافل،الظلوم،الکّفّار-ان یتوسل بقوه اللّه و قدرته، لیقیه شر هذه الهمزات لأنه لا حول له و لا قوه الا باللّه العلی العظیم،و من دون التوکل علی اللّه،و الاعتماد علیه و الاستعاذه بقوته و الاعتصام بکلمته العلیا،فإنه سینهار أمام هذه الدفعات النفسیه الشهوانیه للشیطان-و صدق اللّه العلی العظیم- حینما یقول:

وَ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِکَ مِنْ هَمَزٰاتِ الشَّیٰاطِینِ* وَ أَعُوذُ بِکَ رَبِّ أَنْ یَحْضُرُونِ . (۱)

و یلعب الشیطان دورین فی حیاه الإنسان:

الاول:دفعه نحو الاعتقادات الخاطئه،و الممارسات المنحرفه،و لو بشکل تدریجی.

الثانی:الحضور الدائم له فی النفس البشریه،و دور المراقبه و المرافقه.حیثما تحرک و تفکر،و علی الإنسان ان یستعیذ دائما باللّه من الشیطان،و الوسواس الخناس،و اللجوء الی حصن اللّه،و التمسک بحبله،و عروته الوثقی.

و لکن کیف یستعیذ الإنسان باللّه من الشیطان؟ و کیف یتجاوز عقبه الشرک و الاعتقاد بأنّ هناک قوه أخری فی هذا الکون تطاول

۱- ۱) سوره المؤمنون۹۷/-۹۸.

قدره اللّه سبحانه و تعالی؟ ان العلاج النفسی لهذه العقبه هو تذکر الآخره،و عذاب القبر و البرزخ.

و من کلام لأمیر المؤمنین-علیه السّلام-لمحمد بن أبی بکر(رض)عن الموت و عذاب القبر :

«یا عباد اللّه ما بعد الموت-لمن لا یغفر له-أشد من الموت و القبر،فاحذروا ضیقه،و ضنکه،و ظلمته،و غربته،فأن القبر یقول کل یوم:انا بیت الغربه.انا بیت التراب.انا بیت الدود و الهوام،و القبر روضه من ریاض الجنه،أو حفره من حفر النار ».

و فی مقطع آخر یقول :

«یا عباد اللّه إن أنفسکم الضعیفه،و أجسادکم الناعمه الرقیقه.التی یکفیها الیسیر تضعف عن هذا،فان استطعتم ان تجزعوا لأجسادکم و أنفسکم بما لا طاقه لکم به،و لا صبر لکم علیه فاعلموا بما أحب اللّه،و اترکوا ما کره اللّه ».

و یصور لنا القرآن مشاهد کثیره من مشاهد الآخره،إذ یصور الإنسان عند ما تحضره الملائکه لقبض روحه،فیصیح و یقول:

« رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّی أَعْمَلُ صٰالِحاً فِیمٰا تَرَکْتُ ».

فهو یتمنی ان یعود للدنیا أیاما معدودات،یصرف فیها جمیع طاقاته، و ممتلکاته،و قدراته فی سبیل اللّه،فیصرف أمواله صدقه،و قوه جسمه للعمل الصالح،و فصاحه لسانه للدعوه و ذکر اللّه،و عینه للاعتبار بخلق اللّه،و البکاء علی ذنوبه التی اقترفها،لکن الجواب صارم،صاعق.لو نزل علی جبل لهدّه.انها کلمه کلا..،و ان الفرصه قد انتهت،و سنین حیاتک قد انصرمت.دون عوده.

ص:۲۲۵

اما کم یعیش الإنسان؟و متی تکون الساعه؟ فاللّه وحده هو العالم و لا عالم غیره،و هذه الحقیقه تکشف لنا أن هذه الآلهه المزیفه التی یعتقد الإنسان بأنها شریکه،و امتداد لقدره اللّه و قوته،یجب ان تسقط من أعیننا،و تتحطم فی داخل نفوسنا،لنعبد اللّه مخلصین،له الدین،و لو کره المشرکون.

بینات من الآیات:

[۸۴] قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِیهٰا إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ان کنتم تستفیدون من علمکم-و الاستفاده هی معیار الجهل و العلم-فالعلم یعطیه اللّه لمعظم الناس-و لو بقدر محدود-و لکن متی یکون الإنسان عالما فقط؟ عند ما یستفید من علمه و إلاّ فهو جاهل،و لو سألتهم من خالقکم و مالککم-و ما تحویه هذه السموات و الأرضون-و من بیده الحاکمیه العلیا؟ انه اللّه حیث یقول:

إِنِ الْحُکْمُ إِلاّٰ لِلّٰهِ یَقُصُّ الْحَقَّ وَ هُوَ خَیْرُ الْفٰاصِلِینَ . (۱)

و الذی عنده القدره التنفیذیه المطلقه فی الکون الواسع،لا یملک الإنسان امامه الا التسلیم و الخضوع.

[۸۵] سَیَقُولُونَ لِلّٰهِ قُلْ أَ فَلاٰ تَذَکَّرُونَ اذن فلما ذا یحجزکم حجاب الغفله عن هذا الرب العظیم،الذی یملک الأرض و من فیها؟! و هذه الکلمه لا تختص بالآخرین،بل بنا جمیعا،لأننا لا نزال نخلد إلی أرض

۱- ۱) سوره الانعام/۵۷.

الغفله،و قـد نتذكر ما دمنا فى أجواء التذكره،و لكن عند ما تواجهنا شـهوه أو يصادفنا غضب اين يصـبح ذكر اللّه؟! حينها تلتجئ النفس البشـريه فى خلق الأعـذار و التبريرات لتلقى عن كاهلها نبعه المسؤوليه،و لذلك جعل اللّه سـبحانه ذكره مسـتحبا شـرعا،و جعل من ذكره- من المؤمنين-حين قال:

اَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيٰاماً وَ قُعُوداً وَ عَلىٰ جُنُوبِهِمْ . (۱)

ففى جميع الحالات الماديه،و الظروف النفسيه،يجعل اللّه ذكره ضروريّا.

و نسأل:ما هو الذكر الذى تعنيه الآيات؟ ان الذكر هو تذكر اللّه حين تهم بالمعصـيه،أو تشرع فى ارتكاب الخطيئه.حينما تجد من يعاتبك داخل وجدانك على ما تفعل،فلا بد ان تذكر اللّه لتحسم صـراع النفس لصالحها،اما حين تفقد الذّكر يموت الوجدان،و ينتهى الإحساس،فتميل الكفه لصالح الاراده الشريره فى نفس الإنسان.

[۸۶] قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰاوٰاتِ السَّبْعِ وَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ اللّه رب السـموات السـبع،لأنه خلقها،و أكمل خلقها،طورا فطورا،و اجرى الخلق كمـا الطفـل عنـد ما ينمو،و يكبر،فهو الـذى خلقها،و هو المسـيطر عليها، و المهيمن الـذى يجرى عليها سـلطانه،و قوانينه،و انظمته،و العرش يعنى:السـلطه الفعليه على الكـون،و بهـذا التسـاؤل تكمـل مسـيره الاسـتدلال المنطقيه على وجود اللّه مخاطبـا بها العقل البشرى،و الفطره الانسانيه.

۱- ۱) سوره آل عمران۱۹۱/.

[۸۷] سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ أَ فَلاٰ تَتَّقُونَ يجب ان يخشى الإنسان من بيده السلطه،فلما ذا لا تخلع حجب التحدى و العناد و التكبر؟! و الخشيه هى الحجاب الفاصل بين التقوى و الانحراف،و الايمان و الكفر.

[۸۸] قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ الملكوت مبالغه فى الملك،كما الجبروت مبالغه فى التجبر،و الطاغوت مبالغه فى الطغيان،و ملك اللّه يشمل ما يظهر و ما يخفى،لا كسائر الملوك و السلاطين الذين يهيمنون على ظاهر الناس دون باطنهم.

وَ هُوَ يُجِيرُ وَ لاٰ يُجٰارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ان اللّه قادر ان يمنع الآخرين عنك فيجيرك،و لكن لا يستطيع أحد ان يمنع عذاب اللّه و انتقامه عنك.لو أراد ذلك،و هناك فكره تنقل عن أفلاطون و هى:إذا كانت السماء قوسا،و البلاء سهما،و الرامى هو اللّه فأين المفر؟! و قد نقلت هذه الفكره الى رسول اللّه صلى الله عليه و آله فنزلت الآيه« فَفِرُّوا إِلَى اللّهِ »و فرق بين الفكره الاولى السلبيه،و الثانيه الايجابيه التى تدعونا ان لا نقف مكتوفى الأيدى حين نرى البلاء،بل نلجأ الى اللّه،فنفر من الرامى اليه،و من غضبه الى رحمته.فنقرأ

فى الدعاء المأثور :«من أين لى الخير و لا يوجد إلاّ من عندك؟!و من أين لى النجاه و لا تستطاع الا بك؟!لا الذى أحسن استغنى عن عونك و رحمتك،و لا الذى أساء و اجترأ عليك خرج عن قدرتك ».

[۸۹]انك لو سألتهم عن كل ذلك:

سَيَقُولُونَ لِلّهِ

بفطرتهم.

قُلْ فَأَنّٰى تُسْحَرُونَ تخدعون من قبل الآخرين،و تسلب منكم مشاعركم،و إرادتكم.

[۹۰] بَلْ أَتَيْنٰاهُمْ بِالْحَقِّ وَ إِنَّهُمْ لَكٰاذِبُونَ و الكذب مرحله خطيره من الكفر و الجحود،حيث ينكر البشر الحق لا عن جهل به،و انما عن وعى بأنه الحق.

[۹۱]و من أكبر كذبهم ادعاؤهم بأن للّه ولدا أو شريكا،و القرآن ينفى هذه الكذبه إذ يقول:

مَا اتَّخَذَ اللّٰهُ مِنْ وَلَدٍ وَ مٰا كٰانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ «من»تفيد الحصر،و الآيه ردّ على الذين يزعمون بان:اللّه منح قدرته و سلطانه لبعض الناس دون بعض،و لو افترضنا أن مع اللّه آلهه أخرى:

إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمٰا خَلَقَ و جعل لخلقه نظاما خاصا به،و لكنّا نجد أن النظام الذى يحكم الذره هو الذى يحكم المجره،و لو صح ما يزعمون لحدث التناقض بين هذه الآلهه.

وَ لَعَلاٰ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ و ما دمنا نلمس وحده النظام و الخلق.اذن فالاله واحد لا شريك له،و نجد فكره تعدد الآلهه منتشره فى الأساطير اليونانيه بكثره،و الكفره العميقه فى هذا المقطع من الآيه هى:انه لو كانت توجد الهه غير اللّه لكان لكل إله قدره ذاتيه،

و لسعى لمد قدرته و سيطرته من أجل الهيمنه على غيره،و لاستحالت الحياه،و لأدى ذلك الى فساد الكون.

« لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللّهُ لَفَسَدَتا ».

سُبْحانَ اللّهِ عَمّا يَصِفُونَ و هو انزه و اقدس مما يصفه هؤلاء.

[٩٢] عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَهِ فَتَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ و لو كان ثمه آلهه غيره لكان أدرى بها،لأنه ذو العلم بما غاب و ما حضر.

[٩٣] قُلْ رَبِّ إِمّا تُرِيَنِّى ما يُوعَدُونَ حيث وعد الكفار و المشركين بالهزيمه و الدمار.

[٩۴] رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِى فِى الْقَوْمِ الظّالِمِينَ فالبلاء إذا نزل عم،و لا سبيل للتخلص من عذاب اللّه النازل على الظالمين و المشركين،الا الانفصال عنهم،و نكران أعمالهم.لا السكوت عنها لان اللّه يقول:

« وَ اتَّقُوا فِتْنَهً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّهً ».

[٩۵] وَ إِنّا عَلى أَنْ نُرِيَکَ ما نَعِدُهُمْ من العذاب و الانتقام.

لَقادِرُونَ

ص:٢٣٠

[۹۶]و لکی تتخلص من العذاب،و لا تشرک مع الظالمین،یجب ان تواجه انحرافهم بالاستقامه علی الحق،و ذنوبهم بالطاعه للّه.و لعل الآیه تعتبر صوره جلیه للتحدی،و آیه واضحه لعزه اللّه و قدرته،و عزه المؤمنین به،و قدرتهم فی مواجهه أعداء الدین.

اِدْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ السَّیِّئَهَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمٰا یَصِفُونَ صحیح ان اللّه قادر علی دفع عادیه الکفار،و صحیح انه یفعل ذلک متی ما اقتضت حکمته البالغه،و لکن ینبغی الا یسبب ذلک فی إساءه خلق المؤمنین، و تجبرهم فی الأرض،بل لا بد ان یتمتعوا بأخلاقیه سامیه فی التعامل مع الآخرین، و الصبر علی أذاهم و تحمل الصعاب الشخصیه دون تبلیغ الدعوه.

[۹۷] وَ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِکَ مِنْ هَمَزٰاتِ الشَّیٰاطِینِ و الهمزات هی الدفعات،التی یقوم بها الشیطان لتضلیل الناس و اغوائهم، و لیس ضروریا ان یکون الشیطان ذلک الموجود الخفی الذی نتصوره،بل قد یتجسد فی صوره شهوه عارضه،أو إنسان منحرف یحاول التأثیر علیک سلبیا.

[۹۸] وَ أَعُوذُ بِکَ رَبِّ أَنْ یَحْضُرُونِ یجب علی المؤمن ان یفر من مجالس الشیاطین-الانس،و الجن-کمجالس المعصیه،و الحدیث علی الناس.

[۹۹]ان الإنسان الذی لا یستعیذ باللّه من الشیطان فی الدنیا،و لا یتقی اللّه.

یدرکه الندم حین لا ینفع الندم،لذلک بعد ان حذر اللّه من الشیطان یتعرض لحال الإنسان المنحرف حین الموت قائلا:

حَتّٰى إِذٰا جٰاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قٰالَ رَبِّ ارْجِعُونِ بصيغه الجمع تعظيما للّه لعله يعيده مره أخرى لكى يبنى له مستقبلا جديدا بما يملك من طاقات.

[۱۰۰] لَعَلِّي أَعْمَلُ صٰالِحاً فِيمٰا تَرَكْتُ و لكن يا للحسره و الندامه،إذ يأتيه الجواب:

كَلاّٰ إِنَّهٰا كَلِمَةٌ هُوَ قٰائِلُهٰا و لو أعيد لما تغير،و كان حرى به ان ينتفع برساله اللّه،و بفرصه الدنيا لينقذ نفسه.

وَ مِنْ وَرٰائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ

[سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١٠١ الى ١١٨]

اشاره

فَإِذٰا نُفِخَ فِي اَلصُّورِ فَلاٰ أَنْسٰابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لاٰ يَتَسٰاءَلُونَ (١٠١) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوٰازِينُهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَ مَنْ خَفَّتْ
مَوٰازِينُهُ فَأُولٰئِكَ اَلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خٰالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ اَلنّٰارُ وَ هُمْ فِيهٰا كٰالِحُونَ (١٠٤) أَ لَمْ تَكُنْ آيٰاتِي
تُتْلىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهٰا تُكَذِّبُونَ (١٠٥) قٰالُوا رَبَّنٰا غَلَبَتْ عَلَيْنٰا شِقْوَتُنٰا وَ كُنّٰا قَوْماً ضٰالِّينَ (١٠٦) رَبَّنٰا أَخْرِجْنٰا مِنْهٰا فَإِنْ عُدْنٰا فَإِنّٰا
ظٰالِمُونَ (١٠٧) قٰالَ اِخْسَؤُا فِيهٰا وَ لاٰ تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُ كٰانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبٰادِي يَقُولُونَ رَبَّنٰا آمَنّٰا فَاغْفِرْ لَنٰا وَ اِرْحَمْنٰا وَ أَنْتَ خَيْرُ
اَلرّٰاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتّٰى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَ كُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ اَلْيَوْمَ بِمٰا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ
اَلْفٰائِزُونَ (١١١) قٰالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي اَلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قٰالُوا لَبِثْنٰا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ اَلْعٰادِّينَ (١١٣) قٰالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّٰ قَلِيلاً
لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّمٰا خَلَقْنٰاكُمْ عَبَثاً وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنٰا لاٰ تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعٰالَى اَللّٰهُ اَلْمَلِكُ اَلْحَقُّ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ
رَبُّ اَلْعَرْشِ اَلْكَرِيمِ (١١٦) وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اَللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ لاٰ بُرْهٰانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمٰا حِسٰابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاٰ يُفْلِحُ اَلْكٰافِرُونَ (١١٧) وَ قُلْ رَبِّ
اِغْفِرْ وَ اِرْحَمْ وَ أَنْتَ خَيْرُ اَلرّٰاحِمِينَ (١١٨)

اللغه

١٠۴[كالحون]:الكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان حتى تبدو.

١٠٨[اخسؤا]:خسّأت فلانا إذا زجرته ليتباعد و معناها تباعد تباعد.

ص:٢٣٣

إنه لا يفلح الكافرون

هدى من الآيات:

موقف السخريه من رسل اللّه أشد المواقف خطوره، و هو نابع من حاله اللامبالاه و الزعم بان الخلق عبث لا هدف له،و يبدو ان هذا الدرس الأخير من سوره المؤمنون،يعالج هذا الموقف،بتذكير البشر بالحساب الدقيق ثم الجزاء الأوفى الذى ينتظره بعد الموت.

و يبين السياق:

أولا:ان تلك العلاقات التى كانت سببا للجحود و الابتعاد عن اللّه،سوف تنتهى يوم القيامه(فلا أنساب بينهم)،اذن يجب على الإنسان ان لا توقفه هذه العقبه عن الايمان.

ثانيا:ان المقياس الحق لتقييم الإنسان نفسه،هو الميزان الذى يجسد القيم الحقيقه التى فطرت عليها العقول،و تذكر بها رسالات اللّه،و هو الذى نعرف عن

طريقه هل أننا بخير أم على شر،فاذا ثقلت موازين الإنسان،و كانت صالحاته أكثر من سيئاته كان من أصحاب الجنه،و الا فانه من أصحاب النار،و الآيه التى تحمل هذا المضمون(١٠٢-١٠٣)هى أكثر الآيات تحذيرا فى القرآن كما يبدو لى،إذ من الذى يستطيع ان يطمئن و لو نسبيا الى أنّ حسناته أكثر من سيئاته؟!لهذا فان المؤمنين لا يتركون وقتا الا و استغلوه للعمل الصالح.

ثم يصف لنا القرآن بعض المشاهد من يوم القيامه،يوم تلفح النار وجوه الكافرين و الظالمين،حتى تنكمش أسنانهم و تحترق وجوههم فتظهر أسنانهم كلها، و عند ما يطلبون من اللّه العوده لاستئناف العمل يأتيهم الجواب أن اخسأوا،و هى كلمه لا تقال الا للكلب، فقد كنتم تهزؤون و تسخرون من عبادى يوم كانوا يدعونكم الى عبادتى،و ها قد جزيتهم بالجنه و أنتم فى النار.

و يستمر السياق يبين لهؤلاء اخطاءهم،و التى من أهمها انهم اعتقدوا بان لا رجعه بعد الموت،و بالتالى لا مسئوليه،فتمادوا فى غيهم و انحرافهم،و فاتت عليهم فرصه الدنيا التى يفترض ان يزرعها الإنسان عملا صالحا ينفعه فى الآخره،و ذلك لن يكون دونما ايمان خالص باللّه.

و حتى لا تكون هذه الشده سببا لليأس يفتح اللّه بآخر آيه من هذه السوره بابا للامل،حينما يذكرنا بأنه أرحم الراحمين،و كم هو شقى ذلك الإنسان الذى يسد على نفسه أبواب رحمه اللّه التى وسعت كل شيء.

بينات من الآيات:

[١٠١] فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ حيث تتلاشى العلاقات النسبيه،فلا يعرف أحد أحدا،و كل ينادى نفسى نفسى الا المؤمنين قال تعالى:

اَلْأَخِلاّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ .(۶۷/الزخرف) وَ لاٰ يَتَسٰاءَلُونَ عن أنساب بعضهم،لهول الموقف،و لعدم فائده ذلک،إذ یکون لکل منهم شأن یغنیه عن شؤون الآخرین.

لقد کان أئمه الهدی علیهم السّلام یجهدون أنفسهم بالعباده بالرغم من صلتهم القریبه الی رسول اللّه صلی الله علیه و آله ،و إذا سألهم أحد عن ذلک تلو علیه هذه الآیه،

یقول طاووس الفقیه :رأیته-أی زین العابدین علیه السلام یطوف من العشاء الی سحر و یتعبد،فلما لم یر أحدا رمق السماء بطرفه،و قال:الهی غارت نجوم سماواتک، و هجعت عیون أنامک،و أبوابک مفتحات للسائلین،جئتک لتغفر لی و ترحمنی و ترینی وجه جدی محمد صلی الله علیه و آله فی عرصات القیامه،ثم بکی و قال:و عزتک و جلالک ما أردت بمعصیتی مخالفتک،و ما عصیتک إذ عصیتک و انا بک شاک،و لا بنکالک جاهل،و لا لعقوبتک متعرض،و لکن سوّلت لی نفسی،و اعاننی علی ذلک سترک المرخی به علیّ،فالآن من عذابک من یستنقذنی؟!و بحبل من اعتصم ان قطعت حبلک عنی؟!فوا سوأتاه غدا من الوقوف بین یدیک،إذا قیل للمخفین جوزوا و للمثقلین حطوا،أ مع المخفین أجوز؟!أم مع المثقلین أحط؟! ویلی کلما طال عمری کثرت خطایای و لم أتب،اما آن لی ان استحی من ربی؟!ثم بکی و انشأ یقول:

أ تحرقنی بالنار یا غایه المنی فأین رجائی ثم أین محبتی

أتیت باعمال قباح رزیه و ما فی الوری خلق جنی کجنایتی

ثم بکی و قال:سبحانک تعصی کأنک لا تری،و تحلم کأنک لم تعص،تتودد

الی خلقک بحسن الصنیع کأن بک الحاجه إلیهم،و أنت یا سیدی الغنی عنهم،ثم خر الی الأرض ساجدا،قال:فدنوت منه،و شلت برأسه و وضعته علی رکبتی، و بکیت حتی جرت دموعی علی خده،فاستوی جالسا،و قال:من الذی اشغلنی عن ذکر ربی؟!فقلت:انا طاووس یا ابن رسول اللّه.ما هذا الجزع و الفزع؟! و نحن یلزمنا ان نفعل مثل هذا و نحن عاصون جانون،أبوک الحسین بن علی و أمک فاطمه الزهراء،و جدک رسول اللّه صلی الله علیه و آله ؟!قال:فالتفت الیه و قال:هیهات هیهات یا طاووس دع عنی حدیث أبی و أمی و جدی،خلق اللّه الجنه لمن أطاعه و أحسن،و لو کان عبدا حبشیا،و خلق النار لمن عصاه و لو کان ولدا قرشیا،أما سمعت قوله تعالی:« فَإِذٰا نُفِخَ فِی الصُّورِ فَلاٰ أَنْسٰابَ بَیْنَهُمْ یَوْمَئِذٍ وَ لاٰ یَتَسٰاءَلُونَ »؟! و اللّه لا ینفعک غدا إلا تقدمه تقدمها من عمل صالح. (۱)

[۱۰۲]الجمیع یقف امام المیزان و یده علی قلبه ینتظر النتیجه،إما إلی الجنه و إما الی النار،و لعل أصدق الموازین و أنفذها حجج اللّه علی خلقه،الذین یجسدون فی الدنیا قیم الرساله و هم الرسل و الائمه.

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوٰازِینُهُ فَأُولٰئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ إذ یصیرون الی نعیم الجنه،و أهم من ذلک یصیرون الی رضوان اللّه.

[۱۰۳] وَ مَنْ خَفَّتْ مَوٰازِینُهُ فَأُولٰئِکَ الَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِی جَهَنَّمَ خٰالِدُونَ و لعل معنی خسروا أنفسهم انهم خسروا فرصتهم الوحیده فی الدنیا.

[۱۰۴]و أی عذاب یناله هؤلاء؟

ص:۲۳۸

۱- ۱) بحار الأنوار ج ۴۶ ص ۸۱.

تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النّارُ و اللفح هو ضربه السيف الشديده،ففى الآخره تضرب النار وجوههم كأنها حدّ السيف.

وَ هُمْ فِيهٰا كٰالِحُونَ اى مكشّرين عن أسنانهم بسبب احتراق شفاههم و انكماشها باللفح.

[۱۰۵]و يأتى النداء لأصحاب النار حينما يستغيثون من النار:

أَ لَمْ تَكُنْ آيٰاتِى تُتْلىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهٰا تُكَذِّبُونَ [۱۰۶] قٰالُوا رَبَّنٰا غَلَبَتْ عَلَيْنٰا شِقْوَتُنٰا وَ كُنّٰا قَوْماً ضٰالِّينَ لقد شقوا بأعمالهم و لا يخلق اللّه شخصا شقيا بطبعه.

[۱۰۷]و يضيفون:

رَبَّنٰا أَخْرِجْنٰا مِنْهٰا فَإِنْ عُدْنٰا فَإِنّٰا ظٰالِمُونَ اعطنا فرصه أخرى،و جربنا مره ثانيه،فاذا عدنا فاننا ظالمون فعلا.

[۱۰۸] قٰالَ اخْسَؤُا فِيهٰا وَ لاٰ تُكَلِّمُونِ أخسأوا:بمعنى عودوا،و هى كلمه يقولها للكلب صاحبه،حينما يتبع أحدا ليؤذيه أو غير ذلك،و يقولها اللّه لهم إهانه و تحقيرا،و الواقع إن تحقيرهم أنفسهم فى الدنيا هو الذى أهانهم فى الآخره،إذ لم يرتفعوا الى مستوى تطبيق آيات اللّه، و هبطوا الى حضيض اتباع الشيطان الرجيم المطرود من رحمه اللّه.

ص:۲۳۹

[۱۰۹] إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَ ارْحَمْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ لقد كانت جماعه منكم،و بين ظهرانيكم،يدعون ربهم و يؤمنون به،لقد آمنوا ثم اعترفوا بالتقصير،و سعوا نحو مرضاه الرب.

[۱۱۰] فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَ كُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ان الاستهزاء من المؤمنين يحمل فى طياته السخريه من مبادئهم،و لكنه يحوّل الصراع الى صراع شخصى،حيث يعادى الكفار اشخاص المؤمنين و يسقطون هيبتهم من أنفسهم،و يحقّرون كل أفعالهم و تصرفاتهم،و بالتالى،يصبح حاجزا نفسيا دون التفكير فى المبادئ التى يدعون إليها،و لعل ذلك هو ما أشار اليه القرآن هنا بقوله:« حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي ».

اما قوله:« وَ كُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ »فهو الجانب السلوكى و العملى لحالتهم النفسيه حيث كانوا يتخذونهم سخريا.

[۱۱۱]لقد كان المؤمنون فى الدنيا عرضه لالوان البلاء و المشاكل،من السخريه و الضحك و..و لكنهم استقاموا و صبروا فكان جزاؤهم الجنه.

إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ و يبدو من الآيه ان من أعظم الصبر الصبر على تجريح الشخصيه،و لذلك نجد أبرز صفات المؤمنين حقا انهم لا يأبهون باللوم و لا يخافونه.

[۱۱۲]ثم يسألهم اللّه:

ص:۲۴۰

قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِی الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ لنری کیف کانت الدنیا التی بعتم الآخره بها؟! [۱۱۳]فیأتی الجواب:

قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعادِّينَ و هذا التقدیر یأتی نتیجه الفرق بین الآخره و الدنیا من زاویه الزمان.

[۱۱۴] قالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّ قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لو کنتم تعرفون بأن الحیاه الحقیقیه و الخالده تبدأ بعد الدنیا.

إن وعی الزمن و امتداد نظر الإنسان الی أبعد نقطه فی المستقبل شرط أساسی للتکامل،و لأن أسمی التکامل الایمان فإن المؤمن یقدر الزمن فی الدنیا بمیزان الخلود الأبدی فی الآخره،و لذلک یفوز بالصبر لأنه سبق و أن أحسن التقدیر.

و یبدو ان النظر الی الزمن و مقدار وعیه یشکل أساس الایمان بالآخره،و القرآن الحکیم یعالج هذه الناحیه من نفسیه البشر،فلو کانوا یعلمون لعرفوا ان کل الفتره التی یقضونها فی الدنیا قلیله فی حساب الآخره،فلما ذا خساره الآخره بهذه الفتره القلیله؟!! [۱۱۵] أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ هل کانت حیاتکم الدنیا بلا هدف؟! أم هل من الحکمه ان یخلق الإنسان للأکل و الشرب ثم یموت؟!

[۱۱۶] فَتَعالَى اللّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ان اللّه أنزه من أن يخلق الإنسان بلا هدف.ثم إذا كان كل جزء فى الإنسان يؤدى هدفا معينا فالعين تبصر،و الاذن تسمع،و الجوارح تقوم بأدوارها المحدده، و الأعضاء الداخليه تقوم بمهامها،و الغدد و الاجهزه و كل خليه تؤدى وظيفه خلقت لها،و حتى الزائده الدوديه التى سماها كذلك الطب فى أيام طفولتهم تقوم بدور محدد،فهل من المعقول ان يكون خلق الإنسان عبثا و بلا هدف محدد؟!و نحن حين ننظر الى ما حولنا من اشعه الشمس وضوء القمر و حركه الأرض و نشاط الأحياء فيها،و انظمه سائر الموجودات نجدها جميعا تخدم وجود البشر،و كذلك خلقت بهدف محدد،فهل خلق الإنسان نفسه لغير هدف؟!سبحان اللّه!!و من هنا

يسأل أحدهم الامام الصادق عليه السلام :لم خلق اللّه الخلق؟فيقول:«ان اللّه تبارك و تعالى لم يخلق خلقه عبثا،و لم يتركهم سدى،بل خلقهم لاخطار قدرته و ليكلفهم طاعته ».

لا إِلهَ إِلاّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ فاللّه هو رب السلطه،و لكنه السلطه الكريمه و الحكيمه و ليست العبثيه حتى يخلقنا بلا هدف.

[۱۱۷] وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ فحتى لو عبد غير اللّه فانه لن يخرج بذلك عن سلطته و هيمنته و سيكون حسابه و جزاؤه عنده.

إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ

ذلـک الجزء من الآـيه يتحـدث عن الحسـاب،بينمـا يتحـدث هـذا المقطع عن الجزاء،و هنـا نجـد المعادله بين أول السوره الـذى يقول(قد أفلح المؤمنون)و بين آخرها الذى ينفى الفلاح عن الكافرين.

و الشـرک ليس بالضـروره ان يتصور الإنسان وجود خالق غير اللّه،بل قد يكون بطاعه الأشخاص،من أصحاب المال و السلطه من دون حجه من اللّه.

[۱۱۸]ان الإنسـان بطبيعته الترابيه،ينجـذب الى أرض الشـرک،و التفكير بأن من يرزقه هو أبوه و أمه،و بأن من يحكمه هو السـلطه السياسيه القائمه فى بلده،و بأن من يهديه هو الإذاعه و التلفزيون،و لكن الإنسان بعقله و إرادته و إيمانه يستطيع ان يقتلع نفسه عن هذه الطبيعه اقتلاعا،و يحلق بها عاليا فى سماء التوحيد،حتى يرى كل الأمور بيد اللّه الذى يسلم هو له.

و من مشاكـل الإنسـان ان هـذه الطبيعه تبقى معه حتى إذا صـار مؤمنا،فتاره يسـتجيب لها و تاره أخرى يتحـداها و يتغلب عليها،و الشـرک الـذى يصـيب البشـر قـد يكون خفيا فلا يخلو قلب من الشـرک،و لكنّ اللّه يعطى الإنسان المؤمن برنامجا لمواجهه هـذه المشكله فيقول:

وَ قُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَ ارْحَمْ وَ أَنْتَ خَيْرُ الرّاحِمِينَ ان وقود الإنسـان المؤمن هو الاسـتغفار و قرن الاسـتغفار بالرحمه-فى الآيه-لكى لا نيأس فنترک الاستغفار و التوبه حين الذنب كبيرا كان أو صغيرا.

و نحن بدورنا نسأله ان يرحمنا و يجعلنا من المؤمنين الفائزين بالفلاح.

سوره النور

اشاره

ص:۲۴۵

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم

فضل السوره:

جاء فی روایه عن أبی عبد اللّه الصادق علیه السّلام :

«حصنوا أموالکم و فروجکم بتلاوه سوره النور،و حصنوا نساءکم،فان من أدمن قراءتها فی کل یوم أو فی کل لیله،لم یزن أحد من أهل بیته أبدا حتی یموت،فاذا مات شیّعه الی قبره سبعون الف ملک،کلهم یدعون و یستغفرون له حتی یدخل فی قبره » (1)

ص:247

1- 1) نور الثقلین ج 3/ص 570.

الإطار العام

كما السور الرفيع يصون بيت الإنسان،شرفه و قيمه و شرائع الرب فى المجتمع.

و الاسره كمشكاه،تحفظ ضياء الفطره و نور الوحى عن عواصف الشهوه و أدران الهوى.

و نور اللّه الذى هبط من السماء أستقر فى بيوت رفعها الرب بذكره.

حول هذا المحور تدور موضوعات سوره النور المباركه،و لكن كيف؟ نقرأ فى فاتحه السوره اشاره الى السوره التى فرضها الرب،و انزل فيها آيات بينات،بهدف تذكر الناس و تلك السوره التى فرضها الرب،تصون بآياتها التى تفيض حزما فطره البشر،و ذلك:

أولا:بفرض حد الزانيه و الزانى،و تهديد مبطّن بان المؤمنه و المؤمن لا يمارسان الزنا.

ص:۲۴۸

ثانیا:بتحصین البیت من عبث الفاسقین،و فرض حد القذف علی من رمی محصنا بالزنا،من دون ان یأتی بأربعه شهداء.

ثالثا:بتشریع حکم اللعان بین الزوجه و الزوج،الذی یرمیها بالفاحشه، فعلیهما القسم أربعا،ثم التلاعن فی الخامسه.

و یعالج القرآن مرض الشائعه،التی تدور تاریخیا حول قصه الافک بینما تجری فی کل اشاعه باطله.

و هکذا یزکی القرآن الأجواء،فلا قذف و لا شائعه(و هی قذف جماعی).

و یشیر الی التطابق الاجتماعی،بین الخبیثات و الخبیثین کما بین الطیبات و الطیبین(۲۶).

و بعد ان تزکی الدروس الاولی اجواء المجتمع من لوث الزنا و القذف و الاشاعه،ینتقل السیاق الی تقریر«حرمه البیت»و«حریه الإنسان فی بیته» فینهی عن دخول البیت الا-بعد الاستیناس و السّلام علی أهله، و الرجوع عنه عند افتقاد الإذن لأنه الأزکی،الا البیوت العامه و غیر المسکونه.

و فی اطار صیانه الاسره یأمر القرآن بتنظیف الطرق و المراکز العامه من سهام إبلیس،حیث یأمر الرجال،بغض الأبصار،کما یأمر النساء بذلک و أیضا بالحجاب(۳۱).

و حین یسد الشرع الحنیف أبواب الفساد،یفتح باب النکاح و یشجع علیه، و یأمر بالعفه لمن لا یجد سبیلا الی النکاح،و یعالج وضع العبید و الإماء فیأمر بمکاتبه من علم منه الخیر من العبید و عدم إکراه الفتیات علی البغاء ان أردن تحصنا (۳۳).

ص:۲۴۹

على اى أساس متين،ترتفع قواعد البيت الطاهر؟أو ليس على الوحى الذى يهبط اليه،و ذكر اللّه الذى يصعد منه؟!بلى.و لذلك كانت سوره القرآن هى سور الاسره،و من نور الوحى ضياء البيت،و كانت الاسره مشكاه،فيها من نور الوحى مصباح تحيط به زجاجه شفافه،من اولى الأبصار-الرجال الأتقياء حفظه الاسره -يتقد شعاعا من شجره المعرفه..و كانت تلك البيوت التى أذن اللّه لها ان ترفع حصونا منيعه للوحى على مستوى الامه،كما البيت حصن القيم على مستوى الاسره (٣٨).

و الامه التى لا تكرم بيت النبوه،كما الاسره التى لا تأبه بالقيم تتساقط أطرافها و تغدو قيمها شديده الظلام(٤٠).

و نور المجتمع من بيت النبوه،و نور الاسره من ضياء القيم،و يشرق هذا النور و ذاك بنور اللّه.

و أشرقت السموات و الأرض بنور ربها،ألم ترى ان اللّه يسبح له من فى السموات و الأرض،و له الملك،و هو الذى يزجى السحاب و يبعث بالبرق،و يقلب الليل و النهار،و انه خلق كل دابه من ماء؟!بلى.انه الرب الذى أنزل آيات مبينات،و هو يهدى من يشاء الى صراط مستقيم(٤٦).

و هكذا يحيط السياق بالنواحى المعنويه للبيت الرفيع،ثم يعالج موضوع الطاعه التى تعتبر من أهم ركائز التربيه،و يقول:لا بد من التسليم لحكم اللّه و الرسول، و الرضا بالحق كان له أم عليه،و بعد ان ينعت المؤمنين بفضيله الطاعه،يلوم البعض ممن يدّعونها و يحلفون عليها،و لكنهم حين يجد الجد يخشون(٥٣).

و يأمرهم بالطاعه للّه و للرسول،ليهتدوا.و يذكر بان اللّه قد وعد المؤمنين الصالحين أعمالا باستخلافهم فى الأرض،و يأمرهم بإقامه الصلاه و إيتاء الزكاه

و طاعه الرسول،و عدم اليأس من روح اللّه،و الا يحسبوا الكفار معجزين فى الأرض (۵۷).

و يعود القرآن الى حرمه البيت،و يأمرنا بالاحتشام امام الأطفال و الخدم،فلا يدخلوا البيت-الذى هو عوره-أوقات الراحه الا بعد الاستئذان(۵۹).

و يضع عن القواعد من النساء فريضه الحجاب،كما يرفع عن الأعمى و الأعرج و المريض الحرج(لعله للتساهل معهم)،كما يرفع الحرج عن الاكل فى بيوت الأقارب و الأصدقاء،و يأمر بالسلام عند دخول البيوت.و بعد ان يبين بعض آداب المجتمع،و عدم التسلل الى البيت عند وجود الاستنفار للحرب أو ما أشبه،الا بعد اذن القياده،ينهى عن دعاء الرسول كدعاء بعضهم بعضا،و يحذر المتسللين لواذا من فتنه أو عذاب أليم.و يختم القرآن الحديث مذكرّا بأن اللّه محيط علما بالناس و انه ينبئهم بما عملوا.

ص:۲۵۱

[سوره النور (۲۴): الآیات ۱ الی ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . سُورَةٌ أَنْزَلْنٰاهٰا وَ فَرَضْنٰاهٰا وَ أَنْزَلْنٰا فِيهٰا آيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (۱) اَلزّٰانِيَةُ وَ اَلزّٰانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وٰاحِدٍ مِنْهُمٰا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَ لاٰ تَأْخُذْكُمْ بِهِمٰا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اَللّٰهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ وَ لْيَشْهَدْ عَذٰابَهُمٰا طٰائِفَةٌ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ (۲) اَلزّٰانِي لاٰ يَنْكِحُ إِلاّٰ زٰانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَ اَلزّٰانِيَةُ لاٰ يَنْكِحُهٰا إِلاّٰ زٰانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَ حُرِّمَ ذٰلِكَ عَلَى اَلْمُؤْمِنِينَ (۳) وَ اَلَّذِينَ يَرْمُونَ اَلْمُحْصَنٰاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدٰاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمٰانِينَ جَلْدَةً وَ لاٰ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهٰادَةً أَبَداً وَ أُولٰئِكَ هُمُ اَلْفٰاسِقُونَ (۴) إِلاَّ اَلَّذِينَ تٰابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۵)

الاسره سور الفضیله

هدی من الآیات:

تبدأ هذه السوره المبارکه بکلمتین:

الأولی:کلمه(سوره)و هی ما یعبر بها،عن المجموعه المتکامله،من الآیات القرآنیه.

فالسوره من جهه تشبه السور الذی یحیط بالبیت،فیجعله مستقلا عن غیره، و من جهه أخری تشبه السوار الذی یحیط بالمعصم فیعطیه زینه و جمالا،و کما ان لکل مجموعه بشریه سورا یحیط بهم،و هو الاسره التی تمثل الحجر الأساس فی بناء المجتمع.

الثانیه:کلمه(فرضناها)فالسوره القرآنیه جاءت لتکون ثابته و مستقره و مفروضه فی المجتمع البشری،و لیکون الأخذ بها و تطبیق آیاتها فرضا علی جمیع عباد اللّه.

ص:۲۵۳

عند ما ينزل الماء من السماء تذهب كل قطره منه،فى اتجاه يختلف عما ذهبت اليه القطرات الاخرى،اما الآيات القرآنيه فلم تتنزل لكى تتناثر هنا و هناک،بل قدر اللّه لها ان تكون وحده متراصه،ضمن سور واحد هو القرآن الكريم،تطبق كمجموع فلا تتبعض،بل لا يمكن الأخذ بقسم منها و ترک الآخر جانبا.هكذا فرض اللّه السوره.

و كما فرض اللّه السوره القرآنيه،فانه فرض الاسره التى هى بمثابه سور الإنسان و حصنه،الذى يلجأ اليه فى الحياه الاجتماعيه،و هذا ما تؤكده آيات هذا الدرس من سوره النور.

و حيث انه لا يمكن فرض شىء الا بالقوه،فقد فرض اللّه حرمه الاسره بقوه العقوبات،التى أوجبها بحق من يعتدى على نظامها فى المجتمع الاسلامى،حتى أننا لنلاحظ شده العقوبه عليه،إذ يجلد كل من الزانيه و الزانى مائه جلده دونما رأفه.

و كما يفرض الإسلام عقوبه صارمه على الناكح بفاحشه،كذلك يفرض على من يزنى بلسانه،فيرمى الأبرياء و البريئات بتهمه الزنا.إذ يعتبر ذلك نوعا من الاعتداء على سلامه البيت الاسرى،الذى يرتبط ارتباطا وثيقا بسمعته النظيفه، فالبيت الذى تلوكه الالسنه ليس محلا آمنا للحياه المستقيمه.

و بقدر ما يؤكد القرآن الحكيم على حرمه الزنا،فهو يؤكد على حرمه الاتهام، إذ يطالب المتهم بإثباتات كافيه،لان الاتهام ذاته قد يكون وسيله لاشاعه الفاحشه،و المجتمع الذى تسقط فيه قيمه الشرف العائلى يسهل عليه الهبوط الى حضيض الفواحش.

و بالرغم من الغلظه التى لا بد ان نقضى بها على الانحرافات الخلقيه فى

المجتمع،يؤكد القرآن على ان للتوبه بابا واسعا فتحه اللّه أمام الناس كى يصلحوا ما أفسدوه،لان اللّه سبحانه و تعالى-و هو خالق الإنسان-يعلم بما أودعه فى هذا الكائن من شحنات غريزيه تبرر الزلل و السقوط لديه،فلو لا فتح أبواب التوبه له،فانه لن يتمكن من النهوض بعد السقوط.

بينات من الآيات:

اشاره

[۱] سُورَةٌ أَنْزَلْنٰاهٰا وَ فَرَضْنٰاهٰا وَ أَنْزَلْنٰا فِيهٰا آيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ أنزل اللّه السوره فأوجبها،و حافظ عليها،برغم كل الأهواء،و الشهوات و الضغوط،التى تحاول سلب القرآن قدسيته و محتواه.و الآيات الواضحه التى جاءت فى السوره،هى التى تذكّر الإنسان.لأن قلبه مفطور على الحقائق،و انما يحتاج الى مذكر يثير فيه كوامن الفطره و دفائن العقل.

الحدود الشرعيه حصانه المجتمع:

[۲]بالرغم من ان الاسره تبدأ عمليا بالزواج،الا ان القرآن لا يبدأ بذكره،بل يذكر عقوبه الزنا أولا،و السبب أنه من دون قانون يحصن الاسره و يحفظها من الانحراف و الاعتداء،تسقط كل القوانين الاخرى،فما فائده الحصن الذى لا يحميه جدار رفيع؟ و ما هى فائده الزواج فى البلاد الغربيه،التى يجد فيها قطبا الاسره الطريق مفتوحا لإشباع الغريزه الجنسيه خارج البيت؟ إذن تبدأ الاسره فى الواقع عند ما تعطى لها حصانه،بفرض العقوبه على من يخترقها.

ص:۲۵۵

اَلزّٰانِيَهُ وَ الزّٰانِی فَاجْلِدُوا کُلَّ وٰاحِدٍ مِنْهُمٰا مِائَهَ جَلْدَهٍ الجلده هی الضربه التی تلامس جلد الإنسان،و لان ما تلذذ به الزانی کان عن طریق جلده،الذی لامس جلد الجنس الآخر،فعلیه ان یتذوق الألم عقابا له علی هذه اللذه المحرمه.صحیح ان النفس البشریه تتألم لمنظر إنسان عار یجلد مائه جلده و لکن یجب ان لا ننسی أنه انتهک حرمه دین اللّه.فاذا سمحنا له بالهرب من طائله العقوبه،فذلک یعنی ان نعرّض المجتمع کله للفساد،لذا ینهانا القرآن ان نرأف بالزناه لأن التشدید علیهم یصلحهم من جهه،و یکون رادعا للآخرین عن التورط فی هذه الجریمه البشعه من جهه أخری.

وَ لاٰ تَأْخُذْکُمْ بِهِمٰا رَأْفَهٌ فِی دِینِ اللّٰهِ و لعله لذلک أکد القرآن هذا الحکم بقوله سبحانه:

إِنْ کُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ ان الحدود الشرعیه ذات قیمه أساسیه فی المجتمع،و کثیر من الناس تأخذهم الرأفه حینما یعدم قاتل أمام أعینهم،أو یجلد الزانی،أو تقطع ید السارق،دون ان یعرفوا خلفیه هذا العمل العظیم،فاعدام القاتل-مثلا-یمنع القتل عن الکثیرین،و بالتالی یمنح الحیاه للمجتمع،و هکذا جلد الزانی یحصن الاسره،و قطع ید السارق یحافظ علی ثروات الناس.

و هکذا إذا أنتشر الزنا فی المجتمع فان بیوتا و أسرا ستتدمر،و ان أطفالا ابریاء سیضیعون،أو سوف یتربون علی العقد المتراکمه،التی تتحول الی جرائم بشعه.

أ و لیس أکثر الذین دمروا الحضارات کانوا من أبناء البیوت الفاسده التی لم تعرف شرفا للأسره؟

و لأن هذا القسم من الناس لا يعرفون كل هذه الحقائق،تأخذهم الرأفه السلبيه على حساب الدين،فقد يعطلون الحدود.و لكن من يؤمن باللّه،و يعلم بأنه أرأف بعباده منه،و انه عنـد ما يأمر بجلد الزانى،فان فى ذلك مصـلحه لكل الناس بل للزانى نفسه،لا تأخذه هذه الرأفه.

ثم يقول ربنا:

وَ لْيَشْهَدْ عَذٰابَهُمٰا طٰائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لا بـد ان يكون الجلـد فى محضـر من المؤمنين،لان قيمه العقوبه لا تكمن فى أثرها على الجانى فحسب،بل لا بـد ان تنعكس على المجتمع.و الواقع ان حـد الزنـا ليس واحـدا،بل هناك ظروف مختلفه،تختلف العقوبه بموجبها،و فيما يلى حديث شريف يجمع بين مختلف الحدود:

جاء فى تفسير على بن إبراهيم :«انه احضـر عمر بن الخطاب،سـته نفر أخذوا بالزنا،فأمر ان يقام على كل واحد منهم الحد،و كان أمير المؤمنين-صـلوات اللّه عليه-جالسـا عنـد عمر،فقال:يا عمر ليس هـذا حكمهم،قال:فأقم أنت عليهم الحـد،فقـدم واحـدا منهم فضـرب عنقه،و قـدم الثانى فرجمه،و قـدم الثالث فضـربه الحـد،و قـدم الرابع فضـربه نصف الحـد، و قـدم الخامس فعزره،و أطلق السادس،فتعجب عمر و تحير الناس.فقال عمر:يا أبا الحسن سته نفر فى قضيه واحده أقمت عليهم خمس عقوبات و أطلقت واحدا ليس منهـا حكم يشـبه الآخر؟!فقال:نعم اما الاول فكان ذميا زنى بمسـلمه فخرج عن ذمته فالحكم فيه بالسـيف،و اما الثانى فرجل محصن زنى فرجمنـاه،و اما الثالث،فغير محصن حـددناه،و اما الرابع،فرق زنى ضـربناه نصف الحـد،و اما الخامس فكان منه ذلك الفعل بالشبهه فعزرناه و أدبناه،و اما السادس مجنون مغلوب على عقله سقط

منه التكليف. » (۱)

العفه سور المجتمع:

[۳] اَلزّانِی لاٰ یَنْکِحُ إِلاّٰ زٰانِیَهً أَوْ مُشْرِکَهً وَ الزّٰانِیَهُ لاٰ یَنْکِحُهٰا إِلاّٰ زٰانٍ أَوْ مُشْرِکٌ من طبیعه الحیاه الاجتماعیه ان الشرفاء من الرجال أو النساء-لا فرق-،لا یبحثون الا عن نظائرهم،بینما نجد عکس ذلک لدی الهابطین خلقیا من الناس، الذین یبحثون عن أمثالهم،لذا و لخطوره الاختلاط،فان اللّه یرید فصل مجموعه الزناه و الزانیات عن المجتمع،لیحصنه بسور العفه و الشرف.و لعل فی ربط کلمه الشرک بالزنا،اشاره الی ان الزنا نوع من الشرک الخفی، أو لیس ینطوی علی عباده الشهوات و الهوی؟ وَ حُرِّمَ ذٰلِکَ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ

لقد جاءت فی هذه العباره القرآنیه روایه مأثوره عن الائمه علیه السلام ، فی أنه یحرم نکاح الزانیه أو الزانی و لذلک یجب علی المؤمنین الابتعاد عن مجامیع الزناه،نعم إذا تاب الزانی أو تابت الزانیه جاز نکاحهما.

فقد روی محمد ابن مسلم عن الامام أبی جعفر علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل:« اَلزّانِی لاٰ یَنْکِحُ إِلاّٰ زٰانِیَهً أَوْ مُشْرِکَهً »قال:هم رجال و النساء کانوا علی عهد رسول اللّه،مشهورین بالزنا،فنهی اللّه عن أولئک الرجال و النساء،و الناس الیوم علی تلک المنزله،من شهر شیئا من ذلک أو أقیم علیه الحد فلا تزوجوه حتی

۱- ۱) نور الثقلین ج /۳ص ۵۷۰.

تعرف توبته. (۱)

و لعل معنی کلامه علیه السلام و الناس الیوم علی تلک المنزله،ان سیره الرسول تجری علی الناس الیوم أیضا.

القذف بین الحد و التوبه:

[۴] وَ الَّذِینَ یَرْمُونَ الْمُحْصَنٰاتِ ثُمَّ لَمْ یَأْتُوا بِأَرْبَعَهِ شُهَدٰاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمٰانِینَ جَلْدَهً وَ لاٰ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهٰادَهً أَبَداً وَ أُولٰئِکَ هُمُ الْفٰاسِقُونَ هنا یفرض اللّه عقوبه شدیده علی من یرمی المحصنات،بتهمه الزنا دون أن یأتی بأربعه شهداء عدول علی ذلک،ممن شهدوا الحادثه بأم أعینهم.

و لا یکتفی بذکر هذه العقوبه الشرعیه،بل یذکر عقوبه قضائیه ردیفه لها،إذ یجب نبذ مثل هذا الإنسان بعد اجراء حد القذف علیه،بإسقاط اعتباره فی المجتمع،لأنه بعمله هذا یکون قد فقد عدالته،فلا شهاده له بعد ذلک،لیس فقط فی قضیه الزنا،بل و أیضا فی سائر القضایا الاجتماعیه،کالعقود المالیه،و إثبات الهلال،و سائر الموضوعات.و فی ذلک تأدیب معنوی له،بالاضافه الی التأدیب البدنی بالجلد.

و لا نجد کالقذف،عقوبه صارمه علی اللسان فی التشریعات الاسلامیه،فلو قال شخص:ان فلانه زنت.علیه ان یحضر العدد الشرعی من الشهود العدول،و لو شهد اثنان بالزنا ثم قالا ان هناک شخصین آخرین رأیا ما رأیناه،و هما فی الطریق لا یمهلان،انما یجلد کل منهما ثمانین جلده علی الفور،إذ لا تثبت شهادتهما الا إذا

۱- ۱) المصدر/ص ۵۷۲.

دخل أربعتهم دفعه واحده،ليشهدوا لدى الحاكم على عمليه الزنا،و الإسلام الذى فرض عقوبه الجلد أو الرجم على مرتكب الزنا،هو الذى منع قبول الشهاده لأقل من أربعه،و هل تقع عمليه الزنا علانيه حتى يتمكن هذا العدد من الشهاده عليها؟ ان الجرائم الاخرى كالقتل و السطو يمكن ان تحدث أمام الناس،أما الزنا فان الحياء البشرى الذى أودعه اللّه فى فطره كل إنسان يمنع وقوع هذه العمليه جهارا أمام الآخرين،فكيف يرى هذه العمليه أربعه و بكل وضوح؟انه لا يقع الا فى حالات نادره جدا مما يدل على ان هذه العقوبه الشديده سوف تختص واقعيا بالذين يستهترون بالحدود الشرعيه،و بآداب العرف العام، دعنا نقرأ النصوص التى تبين أحكام الشهاده على الزنا:

عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه الصادق عليه السّلام :

«لا يرجم الرجل و المرأه حتى يشهد عليهما أربعه شهداء على الجماع و الإيلاج و الإدخال كالميل فى المكحله. » (۱)و عن حكمه اشتراط الشهود الاربعه،

يروى ابو حنيفه امام المذهب الحنفى عن الامام الصادق عليه السّلام،فيقول قلت له:أيهما أشد الزنا أو القتل،قال فقال:

«القتل»،قال(ابو حنيفه)فقلت:فما بال القتل جاز فيه شاهدان،و لا يجوز فى الزنا الا أربعه؟فقال لى:«ما عندكم فيه يا أبا حنيفه؟»قال:قلت،ما عندنا فيه الا حديث عمر:ان اللّه اجرى فى الشهاده كلمتين على العباد،قال:«ليس كذلك يا أبا حنيفه،و لكن الزنا فيه حدان و لا يجوز ان يشهد كل اثنين على واحد.

لأن الرجل و المرأه جميعا عليهما الحد،و القتل انما يقام الحد على القاتل،و يدفع عن المقتول. » (۲)

ص:۲۶۰

۱- ۱) المصدر/ص ۵۶۹.

۲- ۲) المصدر/ص ۵۷۴.

و انما يقصد الإسلام من هذا التشدد فى مسأله الشهاده على الزنا،المحافظه على الحياه الاسريه فى المجتمع من التفتت،و الانهيار.و كما ان الزنا من أشد عوامل انهيار الاسره فان الاتهام به يؤدى الى ذات النتيجه تقريبا،إذ أنه من الجرائم التى يمكن الاتهام بها سريعا،و هى تدغدغ غرائز الناس خصوصا المعقدين جنسيا، و ليست مثل جريمه القتل و غيرها،لذلك شدد الإسلام على العقوبه من جهه،و على الشهاده من جهه أخرى، و كلا الأمرين يهدفان الى شىء واحد هو صيانه الاسره، و المحافظه على العفه و الشرف فى الحياه الاجتماعيه.

و قد اعتبر القرآن من يقذفون المحصنات بالزنا،دون الإتيان بأربعه شهود بأنهم فاسقون،لأنهم بعملهم هذا يوجهون أكبر ضربه لشرف المجتمع،الذى جاءت الأديان السماويه لإصلاحه،و احكام بنائه.

[٥] إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ليس جديدا على من يقرأ القرآن،ان يلحظ لحوق كلمه الإصلاح بالتوبه، فكثيرا ما تكرر ذلك فى مواضع مختلفه من القرآن الكريم ذاته،ذلك لان شرط قبول التوبه ان يصلح الإنسان ما أفسده بذنوبه،و اللّه سبحانه يؤكد لفئه التائبين،بأن مغفرته و رحمته سوف تشملهم ان هم رجعوا الى طريق الحق بعد الانحراف، و تداركوا ما فاتهم بالجهد المخلص و العمل البناء،و إصلاح ما أفسدوه بذنوبهم، فاذا اتهموا المحصنات بالفاحشه و سقط شرفهن بذلك،وجب عليهم الإعلان عن كذبهم،و الاستعداد لإجراء الحد عليهم،لإعاده الاعتبار إليهن،

فقد قال سماعه :

سألته عن شهود الزور؟قال:فقال:يجلدون حدا ليس له وقت،و ذلك الى الامام،و يطاف بهم حتى يعرفهم الناس،و اما قول اللّه عز و جل: وَ لاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا قال:قلت:كيف تعرف توبته؟قال:يكذب نفسه

على رؤوس الخلائق حتى يضرب و يستغفر ربه،و إذا فعل ذلك فقد ظهرت توبته. (1)

فمن يتوب بعد الزنا يوفر اللّه له أسباب الزواج،كما يرزق من تاب عن السرقه و أعاد الحقوق للناس رزقا حلالا،و كذلك من تاب بعد ان استسلم لضغوط السلطه التى تعرض لها،يوفر له مكانا آمنا يأوى اليه و يرفع عنه الضغوط.

و هكذا يشجع اللّه عباده على التوبه،و الرجوع اليه،حينما يعدهم بالمغفره و الرحمه إذا ما تابوا و أصلحوا.

ص:۲۶۲

۱- ۱) المصدر/ص ۵۷۵.

[سوره النور (۲۴): الآیات ۶ الی ۱۵]

اشاره

وَ اَلَّذِینَ یَرْمُونَ أَزْوٰاجَهُمْ وَ لَمْ یَکُنْ لَهُمْ شُهَدٰاءُ إِلاّٰ أَنْفُسُهُمْ فَشَهٰادَهُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهٰادٰاتٍ بِاللّٰهِ إِنَّهُ لَمِنَ اَلصّٰادِقِینَ (۶) وَ اَلْخٰامِسَهُ أَنَّ لَعْنَتَ اَللّٰهِ عَلَیْهِ إِنْ کٰانَ مِنَ اَلْکٰاذِبِینَ (۷) وَ یَدْرَؤُا عَنْهَا اَلْعَذٰابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهٰادٰاتٍ بِاللّٰهِ إِنَّهُ لَمِنَ اَلْکٰاذِبِینَ (۸) وَ اَلْخٰامِسَهَ أَنَّ غَضَبَ اَللّٰهِ عَلَیْهٰا إِنْ کٰانَ مِنَ اَلصّٰادِقِینَ (۹) وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اَللّٰهَ تَوّٰابٌ حَکِیمٌ (۱۰) إِنَّ اَلَّذِینَ جٰاؤُ بِالْإِفْکِ عُصْبَهٌ مِنْکُمْ لاٰ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَکُمْ بَلْ هُوَ خَیْرٌ لَکُمْ لِکُلِّ اِمْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اِکْتَسَبَ مِنَ اَلْإِثْمِ وَ اَلَّذِی تَوَلّٰی کِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذٰابٌ عَظِیمٌ (۱۱) لَوْ لاٰ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ اَلْمُؤْمِنُونَ وَ اَلْمُؤْمِنٰاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَیْراً وَ قٰالُوا هٰذٰا إِفْکٌ مُبِینٌ (۱۲) لَوْ لاٰ جٰاؤُ عَلَیْهِ بِأَرْبَعَهِ شُهَدٰاءَ فَإِذْ لَمْ یَأْتُوا بِالشُّهَدٰاءِ فَأُولٰئِکَ عِنْدَ اَللّٰهِ هُمُ اَلْکٰاذِبُونَ (۱۳) وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ فِی اَلدُّنْیٰا وَ اَلْآخِرَهِ لَمَسَّکُمْ فِیمٰا أَفَضْتُمْ فِیهِ عَذٰابٌ عَظِیمٌ (۱۴) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِکُمْ وَ تَقُولُونَ بِأَفْوٰاهِکُمْ مٰا لَیْسَ لَکُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ تَحْسَبُونَهُ هَیِّناً وَ هُوَ عِنْدَ اَللّٰهِ عَظِیمٌ (۱۵)

اللغه

۸[یدرأ عنها]أی یدفع عنها.

۱۱[الافک]:الکذب العظیم.

[تولی کبره]:الذی یتحمل معظمه.

ص:۲۶۳

كيف يواجه المسلمون إفك المنافقين؟

هدى من الآيات:

فى اطار فرض قانون الاسره فى المجتمع-و هو ما بينه القرآن فى الدرس السابق -بعد ما مرّ من بيان للعلاقه بين الروح الايمانيه،و بين الاسره المؤمنه فى جانب عقوبه الزنا،و عقوبه القذف به،تبين الآيات الكريمه العلاقه السليمه بين الزوج و زوجته فى هذه المسأله الحساسه،حيث شرع الإسلام اللعان حلا للذين يقذفون أزواجهم بتهمه الزنا، كبديل للشهود،و اللعان هو ان يشهد الزوج اربع شهادات بزنا زوجته،تحتسب كل واحده منها بمثابه شاهد،ثم يستنزل فى المره الخامسه لعنه اللّه عليه ان كان كاذبا هذا من ناحيه،و من ناحيه أخرى تشهد الزوجه أربع شهادات بالبراءه،و فى المره الخامسه تقول ان غضب اللّه عليها ان كان زوجها صادقا فى اتهامه لها بالزنا.

و لماذا تختلف تهمه الزوجه بالزنا عن تهمه غيرها؟انما للعلاقه الخاصه بين الزوج و زوجته.فقد يكتشف الزوج من زوجته ما لا يمكن اكتشافه من قبل الآخرين،و لو

لم يضع الإسلام قانونا خاصا لهذه العلاقه،لانهارت أسر بكاملها،لعدم وجود ما ينظم علاقه الزوج بزوجته فى حاله التهمه و القذف.

بعدئذ يتعرض السياق القرآنى لقضيه هامه و هى مسأله(الافک)و مع ان مورد النزول فى هذا المقطع القرآنى،يختص بتهمه الزنا التى ألصقها البعض بزوجه الرسول صلى الله عليه و آله (ماريه القبطيه)على أحد الأقوال،الا ان السياق يؤكد على ضروره وقف أمثال هذه التهمه،التى تشيع فى المجتمع،و الوقوف فى وجه من يختلقونها أو يروجون لها،و توحى الآيات هذه،بالحقائق التاليه:

أولا:ان انطلاق التهم،عاده ما يكون،من مجموعه يلتفون حول بعضهم، و يسمى القرآن هؤلاء(بالعصبه).

و تشكل هذه العصبه تجمعا طاغوتيا،لا يعتمد على القيم الاسلاميه فى علاقاتهم،لأنهم يختلقون التهم الباطله،و يفترون الاخبار الكاذبه،و يبثونها فى المجتمع،کما تنفث الأفعى السم فى ضحيتها.

ثانيا:ان المجتمع الصالح هو المجتمع المحصن ضد التهم و القادر على اكتشاف كذب التهمه،وردها الى صاحبها بسرعه فائقه،اما المجتمع الهزيل الذى تتلاقف أبناءه التهم الباطله،لنشرها دون العلم بما ورائها من هدف خبيث،يهدد سلامه المجتمع فانه يتحطم سريعا.إنّ حرمات أبناء المجتمع و اعراضهم مهدده بعبث المعتدين.

و هكذا يعرف المجتمع الفاضل الرشيد منذ البدء خطوره التهم الباطله،فيسعى لردها حفاظا على سلامه كل فرد من ابنائه.

ثالثا:يؤكد القرآن الحكيم على نفع هذه الشائعات بالنسبه الى المجتمع المؤمن

ص:۲۶۶

لأنها تكشف طبيعه بعض افراد المجتمع،إذ يكشف مثيری التهم،و مدی ضحاله انتمائهم للمجتمع الايمانی،كما يكشف المسرعين لاستماعها منهم،مما يعطی فرصه كبيره لإصلاحهم من قبل الموجهين.

بينات من الآيات:

حكمه اللعان فی الإسلام:

[۶] وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوٰاجَهُمْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدٰاءُ إِلاّٰ أَنْفُسُهُمْ من الصعب جدا ان يعيش شخص يتهم زوجته بتهمه كالزنا بسعاده و اطمئنان،و لكی لا تكون الاسره محلا للصراع بين الزوجين فتفرز أبناء معقدين، حاقدين علی المجتمع،لنشأتهم فی جو موبوء،بل تكون الاسره بيتا للوداعه،و دارا للأمان،لذلك شرع الإسلام اللعان الذی ينهی العلاقه بين الزوجين ابديا و يذكر الرواه قصه طريفه لنزول هذه الآيه تبين بعض أحكام اللعان.

كما تعكس كيفيه معالجه الإسلام للمشاكل الاجتماعيه.

تقول الروايه التی ينقلها المفسر المعروف علی بن إبراهيم ان الآيه نزلت فی اللعان،و كان سبب ذلك أنه لما رجع رسول اللّه صلی الله عليه و آله من غزوه تبوك جاء اليه عويمر بن ساعده العجلانی و كان من الأنصار،فقال:يا رسول اللّه ان امرأتی زنی بها شريك بن السمحاء و هی منه حامل،فأعرض عنه رسول اللّه صلی الله عليه و آله فأعاد عليه القول،فاعرض عنه،حتی فعل ذلك أربع مرات،فدخل رسول اللّه صلی الله عليه و آله منزله،فنزل عليه آيه اللعان،فخرج رسول اللّه صلی الله عليه و آله بالناس العصر و قال لعويمر:ايتنی بأهلك فقد أنزل اللّه عز و جل فيكما قرآنا،فجاء إليها فقال لها:رسول اللّه يدعوك،و كانت فی شرف من قومها فجاء معها جماعه،فلما دخلت المسجد قال رسول اللّه صلی الله عليه و آله لعويمر:تقدم الی المنبر و التعنا فقال:كيف اصنع؟فقال:تقدم و قل:اشهد باللّه انی لمن الصادقين فيما

رميتها به،فتقدم و قالها،فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله :أعدها،فأعادها حتى فعل ذلك أربع مرات،فقال له فى الخامسه:عليك لعنه اللّه ان كنت من الكاذبين فيما رميتها به،فقال له فى الخامسه: أَنَّ لَعْنَتَ اللّهِ عَلَيْهِ إِنْ كانَ مِنَ الْكاذِبِينَ فيما رماها به (۱)ثم قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله :ان اللعنه موجبه ان كنت كاذبا.

ثم قال له:تنح،ثم قال لزوجته:تشهدين كما شهد و إلا أقمت عليك حد اللّه،فنظرت فى وجوه قومها فقالت:لا اسوّد هذه الوجوه فى هذه العشيه،فتقدمت الى المنبر و قالت:اشهد باللّه ان عويمر بن ساعده من الكاذبين فيما رمانى:فقال لها رسول اللّه:أعيديها،فاعادتها حتى إعادتها أربع مرات فقال لها رسول اللّه صلى الله عليه و آله :

العنى نفسك فى الخامسه ان كان من الصادقين فيما رماك به.فقالت فى الخامسه أَنَّ غَضَبَ اللّهِ عَلَيْها إِنْ كانَ مِنَ الصّادِقِينَ فيما رمانى به،فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله :

ويلك انها موجبه ان كنت كاذبه،ثم قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله لزوجها:اذهب فلا تحل لك أبدا.قال:يا رسول اللّه فمالى الذى أعطيتها؟قال:ان كنت كاذبا فهو أبعد لك منه،و ان كنت صادقا فهو لها بما استحللت من فرجها. (۲)

و معنى الآيه ان من يتهم زوجته و لم يستطيع إحضار الشهود الشرعيين فى مثل هذا المورد،فعليه ان يحلف باللّه أربعه أيمان،بأنه صادق فى نسبه الزنا الى زوجته.

فَشَهادَهُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهاداتٍ بِاللّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ [۷] وَ الْخامِسَهُ أَنَّ لَعْنَتَ اللّهِ عَلَيْهِ إِنْ كانَ مِنَ الْكاذِبِينَ عند اللعان يقول الشخص:لعنه اللّه علىّ ان كنت من الكاذبين،و لكن اللّه

۱- ۱) المصدر/ص ۵۸۰.

۲- ۲) المصدر/ص ۵۸۰.

سبحانه و تعالی یقول: أَنَّ لَعْنَتَ اللّهِ عَلَیْهِ بضمیر هو لکی لا تظهر و کأن اللعنه علی من یقرأ القرآن.

[٨] وَ یَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهاداتٍ بِاللّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْکاذِبِینَ فاذا أقسمت باللّه أربع مرات علی کذب زوجها أرتفع عنها الحد،فلا جلد و لا رجم،و ان لم تفعل ذلک فکأنما صادقت علی تهمه زوجها لها بالزنا.

[٩] وَ الْخامِسَهَ أَنَّ غَضَبَ اللّهِ عَلَیْها إِنْ کانَ مِنَ الصّادِقِینَ فی الذی یدعیه فی حقها،و هکذا تلعن نفسها ان هی ارتکبت الزنا،و کان بالتالی اتهام زوجها لها صحیحا.

[١٠] وَ لَوْ لا فَضْلُ اللّهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللّهَ تَوّابٌ حَکِیمٌ إذ لو لا فضل اللّه و توبته لعذب من یقذفون أزواجهم،لان القذف تهمه عظیمه عند اللّه،و لا یجوز لأحد اتهام الآخرین لمجرد الظن أو حب الانتقام،و جواب«لو لا»معروف من خلال السیاق،و لعل الآیه(١۴)تشیر الیه أیضا حیث یقول ربنا سبحانه:« وَ لَوْ لا فَضْلُ اللّهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَهِ لَمَسَّکُمْ فِیما أَفَضْتُمْ فِیهِ عَذابٌ عَظِیمٌ ».

الحلف فی القانون الاسلامی:

و مما یثیر التفکیر هنا،مدی اعتماد الإسلام علی روح«الایمان»فی الانظمه الاجتماعیه التی یشرعها،إذ یشکل الحلف مثلا أحد أعمده النظام الاسلامی فی القضاء،و عند ما یفقد المجتمع روح الایمان،و یفقد الالتزام بما یقول،و ما یحلف به

اذن لا يقدر على تنفيذ قيم الرساله،و لا يمكن ان يكون بالتالى نظامه نظاما اسلاميا باى حال.

و بالرغم من ان المجتمعات البشريه اليوم،وصلت الى حد من التقدم التكنولوجى يبهر الإنسان،الا انها ما زالت فاشله فى الانظمه الاجتماعيه و الانسانيه،فلا يجد الفرد فى المجتمع غير المؤمن وازعا من الحلف باللّه كذبا من أجل بضع دنانير،بينما ميزه المجتمع المؤمن تحرج أبناءه من الحلف كاذبا.

و لو راجعنا تاريخ الرعيل الأول من المسلمين،لعرفنا الى اى حد كان النظام القضائى ناجحا آنذاك،فلقد كان المجتمع الاسلامى يسيّر من قبل الحكومه الاسلاميه،و تحل جميع مشاكله دونما اى صعوبه،و ذلك لان المؤمنين يتحرجون من جعل اللّه عرضه لايمانهم حتى و لو كانوا صادقين،و كان البعض منهم مستعدا للتنازل عن حقه،و دفع مبلغ كبير من المال،و لم يكن مستعدا للحلف باللّه العظيم.

و ننقل قصه الامام زين العابدين،كشاهد على ذلك،فلقد رفعت احدى مطلّقاته دعوى ضده عند القاضى،مطالبه إياه بالمهر الذى كان يبلغ اربعمائه دينار ذهبا،فلما ترافعا عند القاضى،و أنكر الامام انها تطلبه شيئا،طالبه القاضى بالحلف فرفض فحكم عليه،و دفع الامام المهر كاملا فلما خرج من عند القاضى سأله ابنه الامام الباقر عليه السلام قائلا:لماذا لم تحلف باللّه يا أبتاه؟أو لم تكن على الحق؟! فقال الامام عليه السلام بلى.و لكن اللّه أكبر من ان احلف به على اربعمائه دينار.

هكذا كانوا يتحرجون،و على هذا قامت قواعد المجتمع الاسلامى.

الأفاكون و مسئوليه المجتمع المسلم:

[۱۱] إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَهٌ مِنْكُمْ من الذين اتهموا زوجه الرسول؟ سؤال لا- تهمنا الاجابه عليه بالأسماء،بل تهمنا طبيعه هذه العصبه و هدفهم من التهمه،فقد كان هدفها التنقيص من كرامه الرسول صلى الله عليه و آله و العصبه هم الذين يتعصبون لبعضهم،على أساس المصالح الماديه،لا- على أساس القيم،و لاحتمال ان يعترى المؤمنين تصور خاطئ حول الأمر،فان القرآن يوجههم قائلا:

لاٰ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لان العاقبه سوف تنتهى الى خير،باعتبارها امتحان للمجتمع المؤمن،فاذا تغلب المؤمنون على هذا الأمر و أمثاله،فانه سيكون مجتمعهم فاضلا و قادرا على مقاومه الضغوط و المشاكل المختلفه.

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ كما يكون الإنسان مسئولا عن سلوكياته و تصرفاته،فان مختلقى التهمه ضد الرسول صلى الله عليه و آله سوف يتحملون مسئوليه كلامهم فى الدار الدنيا،بكشفهم و تعريه اشاعاتهم الباطله،و فى الآخره بالعذاب الأليم.

وَ الَّذِي تَوَلّٰى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذٰابٌ عَظِيمٌ و يبدو ان السياق يشير الى امام هذه العصبه،الذى يتحمل وزرها،بان له عذابا عظيما،فالعاده تقضى بوجود كبير لهذه العصبه،يكون مصدر تلفيق التهمه، أو لا أقل يعطى الشرعيه لها،و يبدو ان كبار السن الذين تنزوى عنهم الحياه،

و يشعرون بان شمس عمرهم تجنح للأفول،هم المبادرون لبث هذه التهم،لأنهم أكثر سلبيه و حسدا،و لعل المراد منه هنا هو شيخ المنافقين فی عهد الرسول صلى الله علیه و آله .

الى هنا يكون الأمر مقتصرا على(التهمه)اما الحديث الآتی فانه ينتقل الى جانب آخر،حيث يحدد اللّه فيه المسؤوليه،التی تقع على كاهل المجتمع،تجاه مثل هذا الأمر فيقول:

[۱۲] لَوْ لاٰ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنٰاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَ قٰالُوا هٰذٰا إِفْكٌ مُبِينٌ يجب على المجتمع المؤمن قبل اتخاذ ای موقف،ان يعرف خلفيات التهمه بالإفک،حيث انها لا تقتصر على شخص الرسول فحسب،بل تعنيهم أيضا،و تهدد سلامه مجتمعهم،فهؤلاء لا يهدفون التنقيص من كرامه الرسول فحسب،بل يريدون أيضا التنقيص من شرف الامه الاسلاميه،عن طريق بث التهم الباطله ضد قيادتها،و عند ما يتجاوب المؤمنون مع ما يصبو اليه هؤلاء،فيظنون بزوجه الرسول صلى الله علیه و آله سوءا.فهل يبقى بعد ذلک شرف سليم فی الامه،لا تناله ألسنه هؤلاء المنافقين؟! اذن لا بد للذين يستمعون هذه التهم من التعرف على طبيعتها،و كشف الدوائر التی تقف وراءها،و على المجتمع ان يكون رشيدا فاضلا،يقيّم الأفكار و الشخصيات.

فما يدور من صراع جاد اليوم بين الاستعمار و الحركات الرساليه-التی تهدف تقويض الكيان الاستعماری الجاهلی،و اقامه حكومه اسلاميه عادله-صوره حيه لما دار بالأمس بين المنافقين الذين كانوا يختلقون التهم،و بين المجتمع المؤمن بقياده الرسول.

إذ يسعى الاستعمار بكل ما يملك من قوى شيطانيه،للمس من كرامه الامه الاسلاميه عبر بث التهم ضد الحركات الرساليه،و واجب الامه الاسلاميه اليوم هو بالذات مسئوليه المؤمنين بالأمس،بأن تعتبر نفسها طرفا فى الصراع،و ان تكشف الدوائر الاستعماريه الواقفه خلف الأباطيل و التهم المختلفه ضد البرره من ابنائهما.

فاللّه سبحانه و تعالى يقول:ان هذه التهم تستهدف قبل كل شيء سلامه المجتمع المعنويه،و على المجتمع ان يظن بنفسه خير،و يتوجه جديا لمواجهه هذه التهم« لَوْ لاٰ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنٰاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَ قٰالُوا هٰذٰا إِفْكٌ مُبِينٌ » و يطالب المتهمين بالأدله الدامغه،فلو أتهم شخص آخر بأنه جاسوس دون أدله،فان المتهم هو الجاسوس حقا،لأن الجاسوس هو الذى يخدم المصالح الاستعماريه التى تستهدف الحركات التحرريه الرساليه،و الإسلام يأمرنا بمواجهه هؤلاء الأشخاص أمرا وجوبيا معتبرا كفريضه إسلاميه حيث يقول:

[١٣] لَوْ لاٰ جٰاؤُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَهِ شُهَدٰاءَ لاثبات ما اختلقوه ضد سلامه المجتمع و قيادته.

فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدٰاءِ فَأُولٰئِكَ عِنْدَ اللّٰهِ هُمُ الْكٰاذِبُونَ لأن كلامهم فى الواقع عار عن أىّ دليل حتى و لو كانوا صادقين،و ان نشر الفكره التى لا دليل عليها و لو كان عن سذاجه أو حسن ظن خطأ كبير.

»

و كفى بالمرء جهلا ان يقول مالا يعلم،بل كفى به جهلا ان يقول كل ما يعلم » (١)

١- ١) هذا محتوى حديث مأثور عن الامام الحسن بن على عليهما السّلام.

فنشر تهمه لا دليل عليها يؤدى الى نفس العاقبه التى يسعى إليها الكاذب.

ان الدوائر الاستعماريه اليوم تختلق التهم المختلفه،و تقذف بها فى المجتمع لتتلقفها الألسن،و تنتشر كما ينتشر الوباء،و ان المجتمع الفاضل هو الذى يتهم المتهمين،و يعتقد انهم كاذبون و لو كانوا صادقين،لان الكذب كله فى مجمل نقل القضيه،فالحط من قيمه الإنسان الفاضل-الذى خلقه اللّه كريما،و أراد له العيش بكرامه،و أن يخلف وراءه سمعه حسنه-هو الكذب بعينه.

فقد يكون الإنسان صادقا فيما يقول،و لكنه يصبح كاذبا،حينما يخطئ فى تحديد موقع الكلمه التى يلفظها،

و قد جاء فى محتوى حديث مأثور :

«الكذب فى الإصلاح صدق عند اللّه » و كلمه«عند اللّه»فى الآيه تدل على انهم و لو كانوا صادقين فى قراره أنفسهم، فأنهم كاذبون عند اللّه ينالون جزاء الكاذب،و لعل ذلك لأنهم لم يراعوا الظروف المحيطه بكلامهم.

[۱۴]و يؤكد القرآن ضخامه هذا الخطأ،فالكلمه البسيطه التى تطلقها أفواه الكثير من الناس دون علم أو تثبت تكون وراءها مخاطر كبيره جدا،و لو لا ان اللّه رحيم بهم لاخذهم بعذاب عظيم.

وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيٰا وَ الْآخِرَهِ لَمَسَّكُمْ فِيمٰا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذٰابٌ عَظِيمٌ بسبب ما تورطتم فيه من الكلام السيء.

[۱۵] إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَ تَقُولُونَ بِأَفْوٰاهِكُمْ مٰا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ

وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَ هُوَ عِنْدَ اللّهِ عَظِيمٌ لأن الإنسان يصبح خادما و بوقا للاستعمار دونما شعور،و كم تمسنا هذه الآيه الكريمه فى الصميم،فأكثرنا يقول ما يسمع،و لا يعلم انه ضد نفسه أو دينه أو مجتمعه أم لا،فيجب ان يكون الإنسان ناطقا عن علمه و تثبته،لا عن نقله من الآخرين كل ما يقولون.

و إذا اتخذنا مقياس التجمع الايمانى من طبيعه تعاملهم مع التهم،فان كثيرا من المجتمعات القائمه اليوم تخرج عن حد التجمع الايمانى،لأنها تتلقف التهم كما يتلقف الصبيان الكره،و ينشرونها بينهم،كما ينشر المجذوم و باء المرض.

[سوره النور (۲۴): الآیات ۱۶ الی ۲۲]

اشاره

وَ لَوْ لاٰ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مٰا یَکُونُ لَنٰا أَنْ نَتَکَلَّمَ بِهٰذٰا سُبْحٰانَکَ هٰذٰا بُهْتٰانٌ عَظِیمٌ (۱۶) یَعِظُکُمُ اَللّٰهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ کُنْتُمْ
مُؤْمِنِینَ (۱۷) وَ یُبَیِّنُ اَللّٰهُ لَکُمُ اَلْآیٰاتِ وَ اَللّٰهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ (۱۸) إِنَّ اَلَّذِینَ یُحِبُّونَ أَنْ تَشِیعَ اَلْفٰاحِشَةُ فِی اَلَّذِینَ آمَنُوا لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ
فِی اَلدُّنْیٰا وَ اَلْآخِرَةِ وَ اَللّٰهُ یَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ (۱۹) وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اَللّٰهَ رَؤُفٌ رَحِیمٌ (۲۰) یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ
آمَنُوا لاٰ تَتَّبِعُوا خُطُوٰاتِ اَلشَّیْطٰانِ وَ مَنْ یَتَّبِعْ خُطُوٰاتِ اَلشَّیْطٰانِ فَإِنَّهُ یَأْمُرُ بِالْفَحْشٰاءِ وَ اَلْمُنْکَرِ وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ مٰا
زَکیٰ مِنْکُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَ لٰکِنَّ اَللّٰهَ یُزَکِّی مَنْ یَشٰاءُ وَ اَللّٰهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (۲۱) وَ لاٰ یَأْتَلِ أُولُوا اَلْفَضْلِ مِنْکُمْ وَ اَلسَّعَةِ أَنْ یُؤْتُوا أُولِی
اَلْقُرْبیٰ وَ اَلْمَسٰاکِینَ وَ اَلْمُهٰاجِرِینَ فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ وَ لْیَعْفُوا وَ لْیَصْفَحُوا أَ لاٰ تُحِبُّونَ أَنْ یَغْفِرَ اَللّٰهُ لَکُمْ وَ اَللّٰهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۲۲)

ص:۲۷۶

البعد الاجتماعی للاشاعه الباطله

هدی من الآیات:

اشاره

ان من خصائص القرآن الکریم فی تناول الموضوعات المختلفه انه لا ینکفئ عن أحدها دونما بیان لشتی أبعاده،و ما یرتبط به من قضایا أخری.

فبالرغم من ان مناسبه الحدیث عن الافک و الاشاعه الباطله فی المجتمع کانت موضوع الاسره،التی یجب ان تحاط بسور منیع من السلامه المعنویه،فان القرآن الحکیم یشبع هذا الحدیث بحثا لیعطینا علما بأکثر أبعاده،و من بین الأبعاد المختلفه الذی تبحثه السوره فی هذا الدرس البعد الاجتماعی للاشاعه الباطله، و کیف یجب ان یکون موقف المجتمع الفاضل من الاشاعات،و ممن یبثها.

نقاط مضیئه:

أولا:من الضروری ان یمتلک المجتمع مواقف ثابته و محدوده سلفا من الشائعات،فقد أودع اللّه فی کل إنسان عقلا یستطیع من خلاله التعرف علی صحه

أو خطأ الأفكار التی تنتشر فی المجتمع،إذ لکل صواب نورا،فیدرک اهداف الشائعه و مصدرها.

ثانیا:علی المؤمنین الصادقین الالتفاف أکثر فأکثر حول القیاده الرشیده، لیعرفوا الاسالیب الصحیحه و الصالحه،لمقاومه الشائعات حینما تنتشر فی المجتمع.

ثالثا:علی أبناء المجتمع المؤمن ان لا یتبعوا خطوات الشیطان،لان الخطوه الاولی تجرهم الی آخر خطوه حتی ینهار المجتمع تماما.

و کمثال علی ذلک عند ما یسمع الفرد کلاما باطلا و ینشره،فانه یدافع عنه بسبب العزه بالإثم،مما یدفعه الی الانتماء للمجموعه التی اشاعت هذا الکلام، و هکذا یقع فی شرک العدو،من هنا یؤکد الإسلام بأنّ علی الإنسان المؤمن ان لا یتبع خطوات الشیطان،و ان یکون واعیا،فیتجنب الخطوه الاولی الخاطئه حتی لا یصل الی آخر خطوه.

رابعا:ان الغایه لا تبرر الوسیله فی منطق الإسلام،فلیس سلیما ان یتبع المؤمنون السبل الملتوبه فی الوصول الی اهدافهم،لأنها لیس لا تؤدی الی الاهداف فحسب،بل تصل بصاحبها الی الفحشاء و المنکر أیضا.

فلا یمکن ان یکون الباطل طریق الحق،کما لا یمکن ان تنتصر الحرکه الایمانیه عن طریق بث الأکاذیب،و محاوله التأثیر علی الناس بالخداع و التضلیل و لیس ذلک من صفات الحرکه الرسالیه،لان الدجل لا یولد الا دجلا مثله،و الفحشاء انما هی ولیده مجموعه انحرافات بسیطه تتکاثف عند الإنسان و فی واقع المجتمع.

خامسا:ان الهدف من وراء الافک و بث الشائعات الکاذبه هو النیل من وحده المجتمع المؤمن،لذا فان علی افراده ان لا یسمحوا للشخص الذی یسبب نشر

الشائعات بالتوسع،و ذلک عن طریق الصفح و الإحسان،و بالتالی المبادره للملمه أطراف المجتمع التی تناثرت بسبب الافک و الافتراء.

بینات من الآیات:

اشاره

[۱۶] وَ لَوْ لاٰ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مٰا یَکُونُ لَنٰا أَنْ نَتَکَلَّمَ بِهٰذٰا کموقف ثابت للمؤمنین،یوجب اللّه علیهم ان لا یتناقلوا الشائعات،أو یساعدوا علی انتشارها بین صفوف المجتمع،و ان لا یصدقوا ای کلام دونما تثبت، و من دون توفر الاثباتات و الشواهد الکافیه،و قوله تعالی:« وَ لَوْ لاٰ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ » یعنی:فهلا انکم حین تسمعون کلاما فیه طعن و اتهام للآخرین تواجهونه بالصمت؟ ثم یبین القرآن ضروره تقییم الشائعات تقییما نابعا من العقل لا الهوی.

سُبْحٰانَکَ هٰذٰا بُهْتٰانٌ عَظِیمٌ لیس بسیطا ان ینسب الإنسان للآخرین تهمه الافک،فهذا بهتان ما لم یقم علیه دلیل،بلی.ان المتهم بریء حتی تثبت ادانته،و کذلک القذف متهم حتی تثبت صحته.

و نتوقف قلیلا عند کلمه«سبحانک» فاننا لا ننطقها الا حینما نری شیئا کبیرا یبهرنا،فلأننا نخشی الخضوع لشیء من دون اللّه،یسلبنا فکرنا و استقلالنا و ارادتنا نقول:سبحان اللّه،لکی نقاوم حاله الانبهار التی قد تؤدی الی الشرک الخفی،فاللّه هو المنزه و هو الکبیر...إلخ،لا ما نراه أو من نراه انی بدی عظیما فی أعیننا،فلما ذا التسبیح هنا؟

الواقع ان الآيه الكريمه تشير الى ضروره التوجه الى اللّه فى حاله الخوف من التأثر بالاعلام المضاد،لان النفس نزّاعه الى تصديق كل كلام يشيع فى المجتمع، خصوصا إذا صدر من الكبار فى العمر أو فى الرتب الاجتماعيه،و علينا ان نقاوم هذه النزعه بذكر اللّه،ذلك أن ذكر اللّه يزيد من مناعه المؤمن عن التأثر بالضغوط، و الانبهار بالآخرين،و الخضوع للتضليل،أو بالتالى يعيد الإنسان الى عقله،و يعطيه فرصه للتفكر المنهجى،و هو بالتالى يعطى الإنسان استقلالا و قوه و اطمئنانا،كما المرساه التى تبقى على استقرار السفينه بين يدى الموج.

[١٧] يَعِظُكُمُ اللّٰهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ اى لا تعودوا تتأثروا بالاعلام ان كنتم مؤمنين حقا،و كأنه يخاطب الجميع مع ان الذى جاء بالإفك مجموعه صغيره منهم،و هذا ما يدل عليه قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ جٰاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ و ذلك ليشعر المجتمع المؤمن بأكمله انه المسؤول، لأنه سمح لهذه العصبه،بالانتشار فى وسطه و لم يردها من حيث أتت.

[١٨] وَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الْآيٰاتِ وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ انه يعلم بمصالحكم،فيرشدكم لما فيه سعادتكم بحكمته البالغه.

[١٩]و يبين السياق جزاء من ينشر الشائعات فى المجتمع،و هم عاده من ذوى النفوس المريضه،كما تؤكد هذا البحوث العلميه الحديثه،ذلك أن المبتلين بالعقد الجنسيه،هم الذين يسعون لبث الشائعات المختلقه عنها،فلأنهم يعانون من الإحباط الجنسى مثلا يثيرون الشائعات لينتقموا من المجتمع،و كأنه المتسبب فى إحباط هذه الغريزه فى ذواتهم،أو لا- أقل يتسلون بهذه الكلمات ليعوضوا بها عما فقدوه،و عما يشعرون به من عقده الجنس،قال تعالى:

إِنَّ الَّذِینَ یُحِبُّونَ أَنْ تَشِیعَ الْفاحِشَهُ فِی الَّذِینَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَهِ ان للفاحشه هیبه تنبعث من الحیاء و الشرف البشری،جبل علیها ضمیر الإنسان و عند ما تشیع الفاحشه فی المجتمع تسقط هیبتها من أعین الناس،فیتورطون فیها،بل لا یتورعون عن ممارستها باستمرار.

و اشاعه الفاحشه تتحقق بمجرد نقل الإنسان ما یسمعه من کلام خبیث الی الآخرین،و هذا ما یحطم جدار الشرف و الحیاء لدی أبناء المجتمع،فلا هو یدعو الإنسان المریض القلب للعمل الصالح،و لا هو ینصح الناس لما فیه خیرهم،بل یبحث عن الشائعه الباطله لینشرها،و عن الفکره الخبیثه المیته لیحییها و یذیعها،لأنه من أهل الفاحشه و ان أنکرها بلسانه أو تظاهر بکراهته لها،فلو بحثت عمیقا فی نفسه لوجدته یعبر بکلامه عن واقعه،لا عن واقع الآخرین،و یبدو ان التعبیر القرآنی ب« یُحِبُّونَ أَنْ تَشِیعَ الْفاحِشَهُ »یدل علی انعطاف نفسی عند هذا الفریق نحو اشاعه الفاحشه،أما بسبب کراهیه المجتمع،أو کراهیه الفریق المتهم منه،أو لأنهم یرتکبون فعلا الفاحشه،و یریدون ان تنتشر بین الناس جمیعا حتی یرتاحوا من لوم الناس و وخز الضمیر.

و علی الإنسان ان یقاوم هذا الحب فی نفسه،و لا یفیض فی نقل التهم بدافع هذا الحب الشیطانی.

ثم یختم القرآن حدیثه الصادق بان اللّه علیم بالحقائق.

وَ اللّهُ یَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ فأنتم لا تعلمون طبیعه الناس،و الدوافع التی تدعوهم الی خلق الافتراءات ضد

هذا و ذاک،فلا یجوز ان تثقوا بای فرد،بل علیکم التثبت عما إذا کان نقیا عن حب اشاعه الفاحشه.

[۲۰] وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ بـان بعث لکم رسولاـ و وفر لکم فرصه الهـدایه-لولاـ ذلـک-لمـا زکی أحـد منکم،ای تخلص من ورطه اتهام الآخرین بالزور و البهتان.

و یبـدو ان المراد من الفضـل هو الهـدی(القرآن و الرساله)و من الرحمه النعم المادیه(الأمن و السـلامه و کل ما یمنع الإنسان من التورط فی الجرائم المختلفه).

فلو لم تتوفر للإنسـان وسائل الهـدایه من جهه،و الوسائل المادیه کالحیاه الاسـریه الفاضـله،و المکسب الحلال،و ما الی ذلک من النعم من جهه أخری،لما تخلص من التورط فی الجرائم.

وَ أَنَّ اللّٰهَ رَؤُفٌ رَحِیمٌ و یبدو ان جواب لولا ما یشار الیه فی الآیات التالیه من قوله تعالی: مٰا زَکیٰ مِنْکُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً .

[۲۱]الشـیطان سواء الجنّی الـذی یجری من ابن آدم مجری الدم،أو الانسـی الذی تملأ أبواقه و شـبکاته حیاتنا الیوم،انه لا یدعونا الی الفواحش الظاهره مره واحده،و انما یستدرجنا إلیها خطوه فخطوه،و علینا الحذر من اتباعه فی الخطوات الاولی حتی لا یطمع فینا أکثر فأکثر.

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَتَّبِعُوا خُطُوٰاتِ الشَّیْطٰانِ و ما دام اللّه و فر للإنسان فضله و رحمته فلما ذا یتبع الشیطان؟!

ان الذى يتبع خطوات الشيطان لا يحقق سعاده الناس و هدايتهم،فكثير أولئك الذين حدثوا أنفسهم بالوصول الى الحكم،و من ثم العدل و الحريه للمستضعفين، و لكنهم تورطوا فى جرائم الإرهاب و الذبح و اشاعه الفاحشه،فما أفلحوا بل أصبحوا أفسد ممن سبقهم،فقد خدع الشيطان من انتموا الى حزب البعث فى العراق بذلك، و لكنهم بعد ما وصلوا الى الحكم دمّروا العراق و أصبحوا لعنه على الشعب.

ان السلطه التى تبنى على أساس الكذب و الافتراء،لا و لن تكون فى سبيل اللّه و المستضعفين لذا يقول القرآن:

وَ مَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ فلا يفكر الإنسان أنه سينصحه يوما،و لعل المقصود من« لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ »و سائله و سبله،فالغايه لا تبرر الوسيله،بل تحدد الغايه الوسيله المناسبه لها.

وَ لَوْ لا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ ما زَكى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً «لولا»حرف امتناع لامتناع،و هى اداه شرط فى هذا المقطع من الآيه الكريمه «و فضل»مصدر ناب عن فعل الشرط،اما جواب الشرط فقوله تعالى:«ما زكى».

و لعل هذا الجواب هو نفسه جواب لولا فى الآيه السابقه« وَ لَوْ لا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللّهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ »و الآيه تشير الى مدى صعوبه التخلص من شبكات الشيطان،و علينا إذا الا نرتاح الى ظل الغرور،و نغفل عن خطر الاستدراج بل نتوكل على اللّه،و نكون دائمى الحذر،شديدى اليقظه.

وَ لكِنَّ اللّهَ يُزَكِّى مَنْ يَشاءُ

ص:٢٨٣

و ذلک عن طریق الرسل و الهدایه و التوفیق،و بما یوفر لهم من نعم،تغنیهم عن تمنیات الشیطان.

وَ اللّٰهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ

الموقف السلیم:

[۲۲] وَ لاٰ یَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْکُمْ وَ السَّعَهِ أَنْ یُؤْتُوا أُولِی الْقُرْبیٰ وَ الْمَسٰاکِینَ وَ الْمُهٰاجِرِینَ فِی سَبِیلِ اللّٰهِ قیل:بعد ما وقعت حادثه الافک،قرر المسلمون ان یقاطعوا کل المشترکین فیها مقاطعه شامله،فلا یزوجونهم،و لا یعطونهم من المال شیئا،و لا یدعونهم یحضرون مساجدهم...إلخ،و هذا ما یطمح الیه الأعداء ان یروا المجتمع المؤمن و قد تمزق کل ممزق،فیجب ان ینتبه الواعون فی المجتمع الاسلامی الی هذه الخطوه الشیطانیه،و یقفون قبالها،لذلک نهی اللّٰه المؤمنین عن تطبیق قرار الجفاء و المقاطعه،و معنی الآیه الکریمه:انه لا یحلف أولوا الفضل بعدم العطاء وصله الرحم.

و کما قلنا:ان المقصود«بالفضل»الدین و الهدی،و«السعه»المال و النعم المادیه،فیصبح معنی الآیه بهذا التفسیر:انه علی من أنعم اللّٰه علیهم بالهدایه و المال،ان یؤتوا أولی القربی و المساکین و المهاجرین من ذلک،و لو کانوا متورطین فی جریمه الافک.

وَ لْیَعْفُوا وَ لْیَصْفَحُوا علی ما مضی،و لعل المراد من العفو هو عدم المعاقبه علی ما مضی اما الصفح فهو ما یسبب اعاده اللحمه الی المجتمع.

ص:۲۸۴

و وظيفه الامه الاسلاميه بعد حوادث الافک و ما تسببه من فرقه و خلاف هو السعی نحو الوحده لبناء کيان جديد يقوم على أساسها.

أَ لاٰ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَکُمْ وَ اللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ربما يؤاخذ المؤمنون من اختلق الافک ضدهم،و لکن هل ضمنوا لأنفسهم البراءه الخالصه من ذلک،و الکل معرض لارتکاب الخطأ بحق الآخرين؟! لذا ينبغی الصفح عن الآخرين حتی يغفر اللّه لمن يصفح،و فعلا بادر المسلمون فور نزول هذه الآيه الکريمه قائلين عفونا و صفحنا،أملا فی غفران اللّه.

[سوره النور (۲۴): الآيات ۲۳ الی ۲۹]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِينَ يَرْمُونَ اَلْمُحْصَنٰاتِ اَلْغٰافِلاٰتِ اَلْمُؤْمِنٰاتِ لُعِنُوا فِي اَلدُّنْيٰا وَ اَلْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ عَظِيمٌ (۲۳) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ
أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۲۴) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اَللّٰهُ دِينَهُمُ اَلْحَقَّ وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اَللّٰهَ هُوَ اَلْحَقُّ اَلْمُبِينُ (۲۵) اَلْخَبِيثٰاتُ لِلْخَبِيثِينَ
وَ اَلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثٰاتِ وَ اَلطَّيِّبٰاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَ اَلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبٰاتِ أُولٰئِكَ مُبَرَّؤُنَ مِمّٰا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (۲۶) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ
آمَنُوا لاٰ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتّٰى تَسْتَأْنِسُوا وَ تُسَلِّمُوا عَلىٰ أَهْلِهٰا ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (۲۷) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهٰا
أَحَداً فَلاٰ تَدْخُلُوهٰا حَتّٰى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَ إِنْ قِيلَ لَكُمُ اِرْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكىٰ لَكُمْ وَ اَللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (۲۸) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنٰاحٌ
أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهٰا مَتٰاعٌ لَكُمْ وَ اَللّٰهُ يَعْلَمُ مٰا تُبْدُونَ وَ مٰا تَكْتُمُونَ (۲۹)

اللغه

۲۶[مبرّأون]:منزّهون.

ص:۲۸۶

۲۹[جناح]:حرج و اثم.

الوازع الدینی و أثره فی تحصین المجتمع

هدی من الآیات:

یرکز السیاق هنا حول قضیتین رئیسیتین:

الاولی:إنـذار شدیـد اللهجه،یوجهه اللّه تعالی للـذین یرمون المحصـنات الغافلات،و یحذرهم من نار جهنم،یوم لا یمکنهم انکار افـتراءاتهم،و ذلـک لیحیی الوازع الـدینی فی ضـمیر النـاس،لیرتفع المجتمع عن حضـیض المهـاترات الرخیصه الی ذری الآـداب الرفیعه.

الثانیه:بعد ان حدثتنا الآیات السابقه،عن ضـروره تحصـین بیوت المسلمین معنویا، تحدثنا آیات هذا الدرس،عن ضروره تحصینها ظاهرا عن دخول الغرباء، لأنه حرم الإنسان،(کما یقول الرسول صـلی الله علیه و آله)فلا یدخله من لیس بصاحبه،الا ان یستأذن و یحصل علی الموافقه من أهله،و قبل الدخول لا بد ان یذکر اللّه مسـتأنسا،رافعا صوته بذلک،حتی یکون معروفا عند أهل البیت،و بعد ذلک یبدأ

بالسلام،فان لم يكن رد منهم فليعد من حيث أتى و لا يدخله عنوه،مدفوعا بالكبر،و مأخوذا بعزه الإثم،لان دخوله سيكون اعتداء ليس على هذا البيت فقط، بل على المجتمع بأكمله.

بينات من الآيات:

اشاره

[٢٣] إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنٰاتِ الْغٰافِلاٰتِ الْمُؤْمِنٰاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيٰا وَ الْآخِرَهِ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ عَظِيمٌ قد تكون المرأه فى أحضان الفساد و مظان الفاحشه،فلو اتهمت فانها تتحمل مسئوليه ذلك،كما المتبرجه الخليعه،التى تتنقل من بيت لآخر،و تقوم بحركات مائعه مشبوهه،فهى تضع نفسها فى دائره الاتهام،و تستجلب كلام الناس عليها.

أما المرأه الغافله عن التهمه،البعيده عن مظانها فينبغى ان تحترم أشد الاحترام،و من يتهمها فانه ملعون فى الدنيا،اى مبعد عن الخير،و منبوذ لدى المؤمنين،و ملعون فى الآخره حيث يبعده اللّه عن رضوانه،و يعذبه عذابا عظيما.

الشهاده:

[٢۴] يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ كل عضو من الأعضاء يشهد على الإنسان يوم القيامه،و فى مقدمه من يشهد على الذين يرمون المحصنات،ألسنتهم التى ستنطق بفضحهم دون إرادتهم،ثم أيديهم و هى التى يشيرون بها الى مواضع التهمه(فعاده ما يستخدم المتحدث لسانه و يده للتعبير عن مقاصده)،ثم أرجلهم الساعيه بالتهمه لتوزيعها على أكبر رقعه اجتماعيه ممكنه،كما المشاء بنميم،ليفسد ما بين الناس و يقوض صرح العلاقات

الاجتماعيه،و قد وقف قدامى المفسرين على هذه الآيه مستغربين،ليس من شهاده اللسان-فلذلک أمر طبيعى-و انما من شهاده الأرجل و الايدى.

فقال بعضهم:ان اللّه يخلق ألسنه فى كل جارحه تنطق بما عمله الإنسان،و قال البعض الآخر:ان اللّه هو الذى ينطق عن الجوارح كما كلم موسى تكليما،و لكننا اليوم و مع وجود الاجهزه الالكترونيه المتطوره،لا نحتاج الى مزيد من التفكير، لنعرف كيف تشهد الايدى و الأرجل،فقد أثبت العلم الحديث بالتجربه العمليه، ان اى كلام أو تصرف يصدر من الإنسان،ترتسم آثاره على الأشياء الموجوده حوله، كالجدار و السقف و الهواء...إلخ.

إذا شعر الإنسان بالرقابه الالهيه عليه،و نمّى لديه الوازع الدينى،فانه لن يرتكب معصيه عن علم.

[٢٥] يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللّٰهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ عند ما تنكشف لهم الحقيقه،و يتضح بطلان ما يدعون،و يعلمون بان اللّه كان يحصى عليهم كل شىء حتى مشاعرهم،و نوايا قلوبهم،ثم يعطى جزاء كل ذلک ذره بذره جزاء وفاقا.و دين الإنسان هو ما يلتزم به،فان التزم بالإسلام أعاده اللّه له يوم القيامه،و كذلک لو التزم بالجريمه فانها تأتى له تسعى يوم الحساب فيجازى عليها.

وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ لأنه أنصع الحقائق و أوضحها،إذ تتجلى هذه الحقيقه لفطره الإنسان السليمه بكل سهوله و يسر،دونما حاجه للبحوث الفلسفيه أو البراهين المعقده،و لكن الناس بأعمالهم الخاطئه،يسدلون على قلوبهم أستار الغفله،فيجهلون ربهم و أسماءه

الحسنی،عن اراده لا جبر،و عند ما تزاح عنهم هذه الأستار فی یوم القیامه،تتجلی لهم الحقیقه العظمی(اللّه)کمن یهتدی الی حقیقه لاول مره.

[۲۶] اَلْخَبِیثٰاتُ لِلْخَبِیثِینَ وَ الْخَبِیثُونَ لِلْخَبِیثٰاتِ وَ الطَّیِّبٰاتُ لِلطَّیِّبِینَ وَ الطَّیِّبُونَ لِلطَّیِّبٰاتِ أُولٰئِکَ مُبَرَّؤُنَ مِمّٰا یَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَهٌ وَ رِزْقٌ کَرِیمٌ تعددت وجهات النظر فی هذه الآیه من قبل المفسرین،فقال قسم:ان هذه الآیه تشیر الی ان الأقوال و الأفعال الخبیثه للخبثاء،و علی العکس بالنسبه للأقوال و الأفعال الطیبه،و قال قسم آخر:ان الخبیثات من النساء للرجال الخبیثین،و علی العکس بالنسبه للنساء الطیبات.

و لکن یبدو أن الآیه تؤکد حقیقه اجتماعیه مبدئیه هی:ان الإنسان لا یمکنه تسجیل اسمه فی قائمه المجرمین ثم یعیش مع الصالحین،بل لا بد ان تنتهی الحیاه به الی من سجل اسمه فی قائمتهم عملیا.

اما فی شطرها الثانی،فانها تؤکد قدره المجتمع الفاضل علی بناء کیان مستقل،بعیدا عن الالسنه البذیئه،و الافتراءات الکاذبه،و هذا ما یمهد له الحصول علی غفران اللّه و رزقه الکریم.

حرمه البیت:

[۲۷] یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَدْخُلُوا بُیُوتاً غَیْرَ بُیُوتِکُمْ حَتّٰی تَسْتَأْنِسُوا وَ تُسَلِّمُوا عَلیٰ أَهْلِهٰا ذٰلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ تطرح لنا هذه الآیه و ما یلیها مجموعه تعالیم تتصل بحرمه البیت،حیث ینبغی ان یحس المرء بالأمن داخل منزله،حیث یضع ثیابه و یتخلص من العادات الاجتماعیه المرهقه،و یستریح الی طبیعته،و یتنفس عن مشاعره المکبوته،و حیث

زوجته التی یجب ان یخلو بها،و یبث إلیها اسراره و عواطفه،و لعله یرید ان یقضی منها وطرا.فقبل ان تطأ قدماک بیتا غیر بیتک،لا بد ان تراعی آداب الدخول و التی منها:الاستیناس و إعطاء اشاره لقصد الدخول أولا،و فی التعبیر القرآنی روعه و لطف، فالاستیناس المتخذ من لفظه(الانس)یوحی بضروره رعایه الجوانب العاطفیه فلا کلمات نابیه،أو صیاح عال أو طرق شدید للباب،بل رقه و محبه و تلطف و تودد.

و جاء فی الأثر ان«الاستیناس هو وقع النعل و التسلیم » (۱)

و عن أبی أیوب الانصاری قال: قلنا یا رسول اللّه ما الاستیناس؟قال:یتکلم الرجل بالتسبیحه و التحمیده و التکبیره یتنحنح علی أهل البیت (۲)و التسلیم ثانیا اشعارا بحسن النیه و سلامه القصد.و لیس هذا النظام شاذا عن الفطره البشریه،بل متوافقا معها،و هکذا سائر الأحکام و الآداب فی الإسلام تتوافق مع فطره البشر و عقله،و هذا ما تشیر له الآیه التی تحث الإنسان علی التذکره فکثیر من الحقائق، معروفه لدی الناس،و لکنهم نسوها فاحتاجوا الی التفکیر لیتذکروها.

[۲۸] فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِیهٰا أَحَداً فَلاٰ تَدْخُلُوهٰا حَتّٰی یُؤْذَنَ لَکُمْ وَ إِنْ قِیلَ لَکُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْکیٰ لَکُمْ ان لم یکن فی البیت من یملک صلاحیه الاذن بالدخول،أو وجد من یملکها، و لکنه لم یعط إذنا بذلک فلیرجع،ففی ذلک زکاه للمجتمع،ای نمو للاخلاقیات و العلاقات الطیبه فیه،و لقد شددت النصوص الاسلامیه علی الاستیذان و آدابه قبل دخول البیوت.

فهذا الرجل یستأذن علی رسول اللّه صلی الله علیه و آله بالتنحنح،

فیقول الرسول لامرأه یقال لها روضه:قومی الی هذا فعلمیه و قولی له قل:السّلام علیکم أ أدخل؟فسمعها

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۳/ص ۵۸۵.

۲- ۲) المصدر.

الرجل فقالها فقال:ادخل. (۱)

و يسأله رجل عما إذا كان من الضروری الاستيذان علی الام و يقول:انها ليس لها خادم غيری أ فأستأذن عليها كلما دخلت؟قال:أ تحب أن تراها عريانه؟ قال الرجل لا..قال:فاستأذن عليها. (۲)

و هكذا كانت سيره النبی صلی الله عليه و آله

فقد روی جابر بن عبد اللّه الانصاری قال :

«خرج رسول اللّه يريد فاطمه عليها السّلام،و انا معه،فلما انتهيت الی الباب وضع يده فدفعه ثم قال:السّلام عليكم فقالت فاطمه عليها السّلام:عليك السّلام يا رسول اللّه،قال:أدخل؟قالت ادخل يا رسول اللّه،قال أدخل و من معی؟قالت يا رسول اللّه ليس علیّ قناع،فقال يا فاطمه خذی فضل ملحفتك فقنعی به رأسك،ففعلت ثم قال:السّلام عليكم فقالت و عليك السّلام يا رسول اللّه قال أدخل قالت نعم يا رسول اللّه قال انا و من معی؟قالت و من معك. » (۳)بهذه الرقه و التودد،أدبنا الإسلام.

و يحسن بنا الانتباه الی نهايه الآيات،فعاده ما تكون نهايتها مفاتيحها،كما تكون الآيات الاخيره فی السوره مفاتيح لها،و هنا يقول تعالی:

وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ بعد ان يطرح مجموعه من القوانين و الانظمه لماذا؟الجواب:

ص:۲۹۳

۱- ۱) المصدر/ص ۵۸۶.

۲- ۲) المصدر.

۳- ۳) المصدر ص ۵۸۷.

لعله لان للإنسان قدره التفاف هائله على القانون،و تحويله الى قشره دون اى محتوى،و لكى يحذر اللّه سبحانه الناس،من الالتفاف حول النظام الاسلامى يحثهم على الالتزام به بدقه و إخلاص،و يذكرهم بأنه يعلم حقيقه أعمالهم،فلا مناص لهم من النصح فى تطبيق الأحكام،فقد يخادع الإنسان أصحاب البيت فيوهمهم حين دخوله انه يقصد هدفا شريفا،و واقعه خلاف ذلك،و لكنه لا يستطيع ان يخدع اللّه لأنه عليم بما يعمل الناس.

و دخول كهذا،هو كما لو دخل بدون إذن لا فرق إذ لو علم أصحاب البيت بقصده السىء لما أذنوا له بالدخول.

و كثيرا ما يمتهن بعض المجرمين المهن التى تساعدهم على دخول البيوت،بحجه القيام بخدمات معينه كاصلاح الكهرباء و الهاتف أو تركيب الستائر و الأثاث، فيجدون بذلك فرصه سانحه للاطلاع على اعراض الناس،و التجسس على المؤمنين، و لا يعلمون انهم بذلك قد ارتكبوا جريمتين:

الاولى:جريمه الدخول بدون إذن،لأن هدفه سىء.

الثانيه:جريمه الإفساد فى الأرض.

و لئن أفلت هؤلاء من علم أهل البيت أو السلطات الشرعيه،فلن يفلتوا من علم اللّه.

[۲۹] لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنٰاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهٰا مَتٰاعٌ لَكُمْ لأنها وضعت لمنفعه عامه،كالفنادق،و الحمامات العامه،أو المحال التجاريه،و مكاتب الخدمات المختلفه،و ما الى ذلک،و لكن لا يجوز الدخول فيها

لغير الهدف المحدد،و ان جاز الدخول فيها بدون إذن.

وَ اللّٰهُ يَعْلَمُ مٰا تُبْدُونَ وَ مٰا تَكْتُمُونَ من النوايا و الاهداف،و هذه دعوه لتنميه الوازع الدينى فى ضمير الإنسان، انطلاقا من تحسيسه بالرقابه الالهيه عليه.

فأولئك الذين يدخلون المحال التجاريه مثلا لا ليشتروا مما يعرض فيها،بل لكى يستريحوا من تعب المشى و زحام السوق،أو ليستفيدوا من تكييف المحل فى صيف حار أو شتاء بارد،أو يدخلوا فى دائره ما،لا لكى ينجزوا معامله لهم فيها، و انما ليتحدثوا فى شؤون خاصه مع زملائهم العاملين فيها..و ما الى ذلك من الحالات الاخرى.ليعلم هؤلاء ان الإسلام لا يجوز لهم ذلك لما فيه من مضار اجتماعيه،قد لا يظهر أثرها الا مع مرور الزمن،كما انها تناقض الأخلاق الفاضله،و السجايا العاليه،و لو وضع هؤلاء أنفسهم موضع أهل هذه المحلات و البيوت،لما رضوا من غيرهم هذه الأعمال المخالفه.

ص:۲۹۵

[سوره النور (۲۴): الآیات ۳۰ الی ۳۳]

اشاره

قُلْ لِلْمُؤْمِنِینَ یَغُضُّوا مِنْ أَبْصٰارِهِمْ وَ یَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذٰلِکَ أَزْکیٰ لَهُمْ إِنَّ اَللّٰهَ خَبِیرٌ بِمٰا یَصْنَعُونَ (۳۰) وَ قُلْ لِلْمُؤْمِنٰاتِ یَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصٰارِهِنَّ وَ یَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَ لاٰ یُبْدِینَ زِینَتَهُنَّ إِلاّٰ مٰا ظَهَرَ مِنْهٰا وَ لْیَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلیٰ جُیُوبِهِنَّ وَ لاٰ یُبْدِینَ زِینَتَهُنَّ إِلاّٰ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبٰائِهِنَّ أَوْ آبٰاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنٰائِهِنَّ أَوْ أَبْنٰاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوٰانِهِنَّ أَوْ بَنِی إِخْوٰانِهِنَّ أَوْ بَنِی أَخَوٰاتِهِنَّ أَوْ نِسٰائِهِنَّ أَوْ مٰا مَلَکَتْ أَیْمٰانُهُنَّ أَوِ اَلتّٰابِعِینَ غَیْرِ أُولِی اَلْإِرْبَهِ مِنَ اَلرِّجٰالِ أَوِ اَلطِّفْلِ اَلَّذِینَ لَمْ یَظْهَرُوا عَلیٰ عَوْرٰاتِ اَلنِّسٰاءِ وَ لاٰ یَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِیُعْلَمَ مٰا یُخْفِینَ مِنْ زِینَتِهِنَّ وَ تُوبُوا إِلَی اَللّٰهِ جَمِیعاً أَیُّهَا اَلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ (۳۱) وَ أَنْکِحُوا اَلْأَیٰامیٰ مِنْکُمْ وَ اَلصّٰالِحِینَ مِنْ عِبٰادِکُمْ وَ إِمٰائِکُمْ إِنْ یَکُونُوا فُقَرٰاءَ یُغْنِهِمُ اَللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ اَللّٰهُ وٰاسِعٌ عَلِیمٌ (۳۲) وَ لْیَسْتَعْفِفِ اَلَّذِینَ لاٰ یَجِدُونَ نِکٰاحاً حَتّٰی یُغْنِیَهُمُ اَللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ اَلَّذِینَ یَبْتَغُونَ اَلْکِتٰابَ مِمّٰا مَلَکَتْ أَیْمٰانُکُمْ فَکٰاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِیهِمْ خَیْراً وَ آتُوهُمْ مِنْ مٰالِ اَللّٰهِ اَلَّذِی آتٰاکُمْ وَ لاٰ تُکْرِهُوا فَتَیٰاتِکُمْ عَلَی اَلْبِغٰاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ اَلْحَیٰاهِ اَلدُّنْیٰا وَ مَنْ یُکْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اَللّٰهَ مِنْ بَعْدِ إِکْرٰاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۳۳)

اللغه

۳۰[یغض]:الغض أصله النقصان یقال غض من صفته و من بصره أی نقص منه.

ص:۲۹۶

و انكحوا الأيامى منكم و الصالحين

هدى من الآيات:

استمرارا للحديث الماضى عن الحدود الشرعيه للغريزه الجنسيه،و بعد ان بيّن القرآن حرمه الزنا و القتل،و حرمه دخول البيوت الا بعد الاستئناس و السّلام،يبيّن هذا الدرس حدا آخرا لها هو حرمه النظر،و ضروره الحجاب،و ما يحويه هذا العنوان،من موضوعات هامه.

و انما فرض الإسلام الحجاب ليحدد الاثاره الجنسيه فى القنوات الشرعيه النافعه لها،و ليحافظ على عفه المرأه و كرامتها،و ليهبها موقعا مناسبا فى المجتمع..

و يسمح الإسلام للمرأه بالحريه فى أسرتها الصغيره أو العائله الكبيره..اى لدى زوجها أو الأب و الابن و الأخ و أبناء الأخ و الاخت و آباء الزوج،و بالتالى كل من يحرم عليها بالنسب أو السبب الزواج منها.

و لكن هل يجوز للمرأه باعتبارها(امرأه)التبرج أمام كل النساء؟

كلا..فقد حدد الإسلام بقوله«أو نسائهن» النساء اللاتى يجوز للمرأه التبرّج امامهن،فلا يجوز لها التبرّج امام غير المؤمنات و هذا ما نصت عليه النصوص الاسلاميه.

اما بالنسبه لغير ذوى الاربه من الرجال كالبله،و المجانين،فمن حق المرأه الا تلتزم بالحجاب امامهم،لان الهدف منه كما تقدم تحديد(الاثاره الجنسيه)فى المجتمع،و بما ان هؤلاء قد ماتت الغريزه فيهم تقريبا،فلا بأس بالتبرّج أمامهم، و كذلك بالنسبه للأطفال الذين لم يبلغوا مبلغ الرجال و لمّا يميزوا.

و بعد ان حدد الإسلام الغريزه الجنسيه،صار يشجع على الزواج،و لو لا ان الغريزه الجنسيه هى من أقوى الغرائز الدافعه للإنسان،لما تحمل أحد مسئوليات الزواج،اننا نرى الكثيرين يتحملون الكبت الجنسى هربا من القيام بمسؤوليه الزواج،فلو وجدت فى المجتمع قنوات أخرى لتفريغ هذه الغريزه لم يقدم الكثير على تحمل مسئولياته.

و حينما دعا الإسلام الى الزواج عالج المشاكل النفسيه التى تعترضه،و أهمها الخوف من المسؤوليات التى من أبرزها مسئوليه الإنفاق،و تأمين العيش للاسره، حيث يعد اللّه المتزوجين بان يبارك لهم،و يبعث لهم بالرزق على قدر الحاجه،و هذا ما تقتضيه سنته سبحانه و تعالى،ذلك لأنه انما يتكاسل الإنسان حينما لا يشعر بالحاجه.و لكنه عند الحاجه يفجر طاقاته،و يرزقه اللّه تعالى.

بينات من الآيات:

اشاره

[۳۰] قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصٰارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ بمطلق الحفظ و فى كل مجال،فلا يجوز للإنسان ان يستثير شهوته بأى وسيله مريبه-كما يسميها الفقهاء-فالنظر الى وجه المرأه الاجنبيه أو حتى القريبه،أو

النظر بريبه و بهدف الآثار الى الصور و الافلام كله حرام لأنه يستثير الغريزه الجنسيه،و قد أمر اللّه بحفظها.

ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ من ان يضعوا أيديهم فى مستنقعات الفساد المليئه بالميكروبات الخطيره التى يخشى ان تتسرب الى جسم الإنسان،و هل تتسرب الى جسم الإنسان إذا حفظ نفسه منها،و ابتعد عن مواضعها؟! ان الغريزه الجنسيه من أقوى غرائز البشر،فاذا أثيرت جرفت السدود أمامها، و اندفعت فى كل اتجاه،و لربما حملت صاحبها على جرائم بشعه،و عند ما نطّلع على أرقام الجرائم الجنسيه فى البلاد الغربيه حيث الميوعه و الخلاعه نصاب بالذهول، و إذا فتشنا فى أوراق المحاكم الجنائيه عن خلفيه الجرائم الكبيره،وجدنا الغريزه الجنسيه وراء كثير منها.

و إذا ملأنا الأجواء اثاره،و أشبعنا الغرائز ثوره و هياجا،فان التوتر الجنسى العالى يضغط باستمرار على الاعصاب،و يسبب أمراضا خطيره للرجال،و التشبيه منهم بالذات،ذلك لان تفريغ الغريزه لا يكون مقدورا دائما،ثم لا يقتنع الفتى الذى يستمر هيجان الغريزه فى كيانه بشريكه حياته،بل و لا بالجنس الثانى مهما كان فاتنا،بل يهبط الى درك الشذوذ،ثم يتجاوزه الى المخدرات،ذلك المهوى السافل الذى يهدد مستقبل الحضاره البشريه.

و لا تتوقف أثار التهييج الجنسى عند مفاسدها المباشره.إذ هناك آثار اخطر..

أو ليست الاثاره الجنسيه أعظم معول يهدم الشيطان به صرح الاسره،و يسبب فى شيوع الخلافات العائليه،بل و انتشار الطلاق و الزنا،و تكاثر أولاد الحرام و بالتالى ضياع الجيل الناشئ؟

ص:٣٠٠

فای نعمه کبیره أسبغها الإسلام علی البشر بحرمه النظر،و نظافه الأجواء العامه من سهام إبلیس؟!

جاء فی حدیث مأثور عن الامام أمیر المؤمنین علیه السّلام :

«لیس فی البدن شیء أقل شکرا من العین،فلا تعطوها سؤلها،فتشغلکم عن ذکر اللّه،ثم قال لکم أول نظره الی المرأه،فلا تتبعوها بنظره أخری،و احذروا الفتنه.إذا رأی أحدکم امرأه تعجبه فلیأت أهله،فان عند أهله مثل ما رأی. » (1)و قد استخدم اللّه کلمه«من أبصارهم»فی التعبیر القرآنی دلاله علی التبعیض،فلیس کل نظره حرام،و انما یحرم منها المریب،و النظر الی مالا یحله اللّه.

و الغض فی اللغه،بمعنی الخفض،و مقصود الآیه ان یحفظوا من أبصارهم، فالإنسان لا یمکنه ان یغیر العالم،و لکنه یستطیع ان یکیف نفسه حسب حکم الشرع،فاذا لحظ منظرا حراما یستطیع اجتنابه عبر طریقین:فأما أن یزیل هذا الواقع الفاسد،و أما ان یشیح ببصره عنه،و لم یأمر اللّه بإغماض العین لما فی ذلک من احتمال للضرر کالسقوط فی حفره.

إِنَّ اللّٰهَ خَبِیرٌ بِمٰا یَصْنَعُونَ فاذا التف أحد علی القانون،أو عجز الحاکم عن متابعته،فانه لن یلتف علی اللّه الخبیر الذی یعلم المطبق للقانون من المخالف له،ظاهرا أو باطنا،فمن الأصلح للإنسان ان یجعل ضمیره حارسا علیه،و مراقبا لأعماله،حتی لا یسخط اللّه،

1- 1) المصدر/ص 589.

فیستحق العذاب.

[۳۱] وَ قُلْ لِلْمُؤْمِنٰاتِ یَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصٰارِهِنَّ وَ یَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ لأن المسؤولیه مشترکه بین الرجل و المرأه،و لکنا نلاحظ ان اللّه حینما فرض الحجاب فرضه علی المرأه،و حینما أمر بغض النظر أمر الرجل أولا،لان نظر الرجل للمرأه أکثر اثاره للفتنه من نظر المرأه له.و لعل عیون المرأه،و نظراتها الفاتنه،تفسد الرجال قبل ان تفسدها.و ذلک یعود لاختلاف الترکیب الفسیولوجی،فاحتمال تجاوبه معها لو نظر لها أکبر من احتمال تجاوبها معه لو نظرت الیه.

و یربط القرآن بین غض البصر و حفظ الفرج، ذلک لأن هذین الأمرین یتظافران معا فی حفظ الرجل أو المرأه عن الفاحشه،أو لیست بدایه الفاحشه نظره خائنه؟!

الحدود الشرعیه للحجاب:

وَ لاٰ یُبْدِینَ زِینَتَهُنَّ إِلاّٰ مٰا ظَهَرَ مِنْهٰا وَ لْیَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلیٰ جُیُوبِهِنَّ یبین هذا المقطع من الآیه الحجاب الشرعی الذی یجب أن تأخذ به المرأه المسلمه.و هو کما فسره بعض الفقهاء،و جاء فی الأحادیث ان تستر المرأه کامل بدنها وجوبا عدا الوجه،و الکفین و القدمین و کحل العین و الحناء و لبس الخاتم، فان إظهارها جائز،ثم ان علی المرأه ان تلبس خمارا یستر الصدر و العنق.

جاء فی الحدیث عن أبی عبد اللّه الصادق علیه السّلام: و قد سأله بعض أصحابه،قال:قلت له:ما للرجل ان یری من المرأه إذا لم تکن له بمحرم؟قال:

«الوجه و الکفین و القدمین.» (۱)

ص:۳۰۲

۱- ۱) المصدر/ص ۵۸۹.

و لقـد كانت المرأه فى الجاهليه تختمر،الا انها تبدى زينتها للرجال،حيث تجعل خمارها خلف اذنها،لتبدو اقراطها و كانت تحسـر عن نحرها و بعض من صـدرها،و تكشف بالتالى عن مفاتنها،فجاءت الآيه تأمر نساء المؤمنين بشد الخمار،بحيث لا يبدو شـعرهن و لا آذانهن و لا نحورهن و صدورهن،

و قد جاء فى روايه مأثوره عن الامام أبى جعفر الباقر عليه السّلام ..انّ سبب نزول هذه الآيه كالتالى:

استقبل شاب من الأنصار امرأه بالمـدينه،و كان النساء يتقنعن خلف آذانهن، فنظر إليها و هى مقبله،فلما جازت نظر إليها و دخل فى زقـاق قـد سـمّاه-يعنى فلان-فجعل ينظر خلفها،و اعترض وجهه عظم فى الحائط أو زجاجه فشق وجهه،فلما مضت المرأه نظر فـاذا الـدماء تسـيل على ثـوبه و صـدره،فقـال و اللّه لآـتين رسـول اللّه،و لأـخبرنه،قـال:فأتـاه فلمـا رآه رسول اللّه قـال له:مـا هـذا؟ فأخبره،فهبط جبرئيل بهذه الآيه:« قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصٰارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذٰلِكَ أَزْكىٰ لَهُمْ إِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِمٰا يَصْنَعُونَ ». (۱)

اما الزينه فظاهره:فلا يجب سترها،

و جاء فى الحديث المأثور عن الامام الصادق عليه السلام : «انها الكحل و الخاتم ». (۲)

وَ لاٰ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاّٰ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبٰائِهِنَّ أَوْ آبٰاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنٰائِهِنَّ أَوْ أَبْنٰاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوٰانِهِنَّ أَوْ بَنِى إِخْوٰانِهِنَّ أَوْ بَنِى أَخَوٰاتِهِنَّ أَوْ نِسٰائِهِنَّ و يستوحى من هذه الآيه انه لا يجوز إظهار المفاتن لغير النساء المؤمنات،

و قد

۱- ۱) المصدر/ص ۵۸۸.

۲- ۲) المصدر/ص ۵۹۲.

جاء فی الحدیث الشریف عن أبی عبد اللّه الصادق علیه السّلام :

«لا ینبغی للمرأه ان تنکشف بین یدی الیهودیه و النصرانیه فإنهن یصفن ذلک لأزواجهن » (۱).

أَوْ مَا مَلَکَتْ أَیْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِینَ غَیْرِ أُولِی الْإِرْبَهِ مِنَ الرِّجَالِ و هم البله،و المجانین و المصابین بموت الغریزه الجنسیه کالشیوخ الطاعنین فی السن و غیرهم،ممن فقدوا الشهوه الجنسیه،أما ما یدعیه البعض من جواز إظهار المرأه زینتها للخادم و الحارس،سواء فی البیت أو المدرسه أو الدائره خطأ کبیر یخالف التعالیم القرآنیه.اذن فلا یجوز للمرأه ان تظهر زینتها الا لمن ذکرته الآیه آنفا.

أَوِ الطِّفْلِ الَّذِینَ لَمْ یَظْهَرُوا عَلیٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ فاذا بلغ الطفل مبلغ الرجال أو صار ممیزا فی هذا الجانب،حرم علی النساء إظهار زینتهن امامه.

وَ لاٰ یَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِیُعْلَمَ مٰا یُخْفِینَ مِنْ زِینَتِهِنَّ فتستثیر شهوه الرجل الجنسیه،لذلک لا ینبغی للمرأه الخروج بعطر فوّاح بین الرجال الأجانب،مما یدل علی ان الإسلام یلتفت للجوهر لا للقشور.إذ یفرض علی المرأه الحجاب الباطنی أیضا.

من هنا حرم بعض الفقهاء الاستماع لصوت المرأه الاجنبیه،أو ان تخضع المرأه فی حدیثها فان ذلک مما یستثیر الرجل،و لعله من مضامین الآیه أن تلبس المرأه حذاء

ص:۳۰۴

۱- ۱) المصدر/ص ۵۹۳.

أو نعلا،يفتعل صوتا عند مشيها،مما يلفت الانتباه لها،بينما لولاه لم يعلم بها أحد أو يلتفت إليها و هى تمر.

وَ تُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ فلم يخلق الإنسان معصوما،اذن لا غرابه ان يسقط سقطات عصيان،و لكن الغريب هو ان لا يعالجها بالتوبه.و لقد كان الرسول صلى الله عليه و آله يستغفر ربه كل يوم مائه مره.

[٣٢]و حرّض الإسلام على الزواج ليكون القناه النظيفه لأقوى غريزه عند البشر،فقال سبحانه:

وَ أَنْكِحُوا الْأَيامى مِنْكُمْ وَ الصّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَ إِمائِكُمْ لأنهم بشر يمتلكون نفس الغرائز و لديهم نفس الحاجات،و الايّم مفرد أيامى و هى كلمه تطلق على غير المتزوج،مرأه كان أو رجلا،اما توفير الوسائل و التسهيلات اللازمه للزواج فهى مسئوليه اجتماعيه كسائر المسؤوليات الأخرى.

و هذه الآيه تشمل الشاب الأعزب رقا كان أم حرا،إذ يجب على المجتمع تزويجهم جميعا.

و لأن أكبر العقبات النفسيه امام الزواج هى خشيه العيله،فان ربنا سبحانه يزيح هذه العقبه بقوله:

إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ فقدرته واسعه،و فضله واسع،و علمه محيط بكل شىء فلا يعجزه شىء،و إذا تدبرنا فى هذه الآيه،و من خلالها فى سنن اللّه فى الحياه،عرفنا ان عجله الحياه لم

نكن لتدور من دون الزواج،الذى هو أبرز مظاهر التعاون عند الجنس البشرى أ و ليست الحاجه أمّ الاختراع،أو ليس الاحساس بالمسؤوليه صاعق القوى الكامنه عند الإنسان؟!ان رزق اللّه كامن فى الأرض،و قدرات الإنسان كامنه فى نفسه، انما تتفجر تلك القدرات فتستخرج رزق اللّه بالأمل و الحاجه و السعى.

و من هنا

جاء فى روايه مأثوره عن النبى صلّى اللّه عليه و آله :

«من ترك التزويج مخافه العيله فقد أساء ظنه باللّه عز و جل،ان اللّه عز و جل يقول: إِنْ يَكُونُوا فُقَرٰاءَ يُغْنِهِمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ . » (۱)بل ان النبى كان يوصى الفقراء بالزواج لكى يوسع اللّه عليهم.

يروى الامام الصادق عليه السلام انه أتى رسول اللّه شاب من الأنصار،فشكا اليه الحاجه،فقال له:«تزوج»فقال الشاب:انى لأستحى ان أعود الى رسول اللّه، فلحقه رجل من الأنصار فقال:ان لى بنتا وسيمه،فزوجها إياه،فقال:فوسع عليه،فأتى الشاب النبى فأخبره،فقال رسول اللّه:يا معشر الشباب عليكم بالباه (اى بالنكاح). (۲)

و لقد بلغ من تحريض الإسلام على الزواج:

ان يقول الامام الصادق عليه السّلام :

«ركعتان يصليهما المتزوج أفضل من سبعين ركعه يصليهما الأعزب. » (۳)

و يروى عن رسول اللّه قوله :

۱- ۱) المصدر/ص ۵۹۵.

۲- ۲) المصدر/ص ۵۹۶.

۳- ۳) المصدر.

«من تزوج أحرز نصف دينه.» (۱)

و قال :

«رذّال موتاكم العزاب.» ۲[۳۳]عند ما لا يوفق الإنسان للزواج،أو يكون عاجزا عن ذلك فعليه ان يتعفف،و يتحصن بالايمان،لا ان يفسد فی الأرض أو يكون سببا لانتشار الفاحشه فی المجتمع.

وَ لْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاٰ يَجِدُونَ نِكٰاحاً حَتّٰى يُغْنِيَهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ

قال الرسول صلى الله عليه و آله :

«من استطاع منكم الباءه فليتزوج،و من لم يستطع فعليه بالصوم،فان الصوم له وجاء».

و بمناسبه الحديث عن مسئوليه الزواج،أخذ السياق يعالج مشكله اجتماعيه كانت حاده ذات يوم،هی مشكله الرقيق،حيث كان الذكور منهم يبقون بلا زواج،و يعيشون عناء العزوبه،و يشكلون بؤره الفساد،فأمر اللّه بمكاتبتهم، ليتحرروا،و لينكحوا مثل غيرهم.

وَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتٰابَ مِمّٰا مَلَكَتْ أَيْمٰانُكُمْ فَكٰاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً المكاتبه هی ان يأتی العبد الى سيده ليشتری نفسه منه بمقدار مقسّط من المال،

۱- ۱،۲) المصدر.

و ینبغی لکل من یملک عبدا ان یطرح علیه هذا المشروع،فان تجاوب معه،و استطاع کان حرا،و هذه ما تسمی بالمکاتبه المشروطه،و هناک مکاتبه اخری تسمی بالمطلقه:یدفع فیها العبد حسب استطاعته المبلغ الذی یفک رقبته به.

وَ آتُوهُمْ مِنْ مٰالِ اللّٰهِ الَّذِی آتٰاکُمْ من سهم«و فی الرقاب»الذین هم أحد مستحقی الزکاه.و فی الأحادیث یضع عنهم المولی الخمس أو الربع.

أما الإماء فکن فی الجاهلیه یتاجر بأجسادهن،و جاء النهی الصریح عن ذلک.

وَ لاٰ تُکْرِهُوا فَتَیٰاتِکُمْ عَلَی الْبِغٰاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا و لهذه الآیه تفسیرا ظاهر و باطن،أما الظاهر فهو ان عبد اللّه بن أبی کان یجبر فتیاته علی الزنا،لیکسب مالا من وراء بغائهن،فاشتکین امره لدی الرسول صلی الله علیه و آله فنزلت الآیه الکریمه«و لاٰ تکرهوا...»،و لهذا فانه لا یجوز ان یفسح المجتمع لمثل هؤلاء ان یمارسوا أبشع أنواع التجاره و هی(التجاره بأجساد النساء).

وَ مَنْ یُکْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللّٰهَ مِنْ بَعْدِ إِکْرٰاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِیمٌ ان المجتمع الفاسد،و الاقتصاد المنحرف،و بالتالی الفقر المدقع،کانت عوامل ألجأت النساء الشریفات بفطرتهن لممارسه الانحراف،و امتهان البغاء،و لذلک فان اللّه یقبل توبتهن الیه.

جاء فی الحدیث فی تفسیر هذه الآیه الکریمه :

«کانت العرب و قریش یشترون الإماء،و یضعون علیهم الضریبه الثقیله

و يقولون:اذهبوا و ازنوا و اکتسبوا،فنهاهم اللّه عز و جل عن ذلک. » (۱)و لعل الآیه تشیر أیضا الی ضروره رفع العقبات الاجتماعیه التی تکره الفتیات علی البغاء،مثل غلاء المهور،و وضع شروط للتزویج- مَا أَنْزَلَ اللّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ -و لقد واجه الإسلام هذه العقبات بقوه،

فقد جاء فی السیره: ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله زوج المقداد بن الأسود ضباعه بنت الزبیر بن عبد المطلب، و انما زوجه لتتضع المناکح،و لیتأسوا برسول اللّه،و لیعلموا ان أکرمهم عند اللّه أتقاهم. (۲)

و شجع الإسلام علی المساعده فی أمر الزواج لتسهیل أمر هذا المشروع الحضاری،

فقد جاء فی الحدیث المأثور عن الامام الباقر علیه السّلام :

«ثلاثه یستظلون بظل عرش اللّه یوم القیامه،یوم لا ظل الاّ ظلّه، رجل زوّج أخاه المسلم أو أخدمه،أو کتم له سرا. » (۳)

ص:۳۰۹

۱- ۱) المصدر/ص ۶۰۲.

۲- ۲) المصدر/ص ۵۹۷.

۳- ۳) المصدر/ص ۵۹۹.

[سوره النور (۲۴): الآيات ۳۴ الی ۴۰]

اشاره

وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ آياتٍ مُبَيِّناتٍ وَ مَثَلاً مِنَ اَلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (۳۴) اَللّٰهُ نُورُ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ اَلْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ اَلزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَ لا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلىٰ نُورٍ يَهْدِي اَللّٰهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ وَ يَضْرِبُ اَللّٰهُ اَلْأَمْثالَ لِلنّاسِ وَ اَللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۳۵) فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اَللّٰهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ اَلْآصالِ (۳۶) رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اَللّٰهِ وَ إِقامِ اَلصَّلاةِ وَ إِيتاءِ اَلزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ اَلْقُلُوبُ وَ اَلْأَبْصارُ (۳۷) لِيَجْزِيَهُمُ اَللّٰهُ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ اَللّٰهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ (۳۸) وَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ اَلظَّمْآنُ ماءً حَتّٰى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَ وَجَدَ اَللّٰهَ عِنْدَهُ فَوَفّاهُ حِسابَهُ وَ اَللّٰهُ سَرِيعُ اَلْحِسابِ (۳۹) أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اَللّٰهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ (۴۰)

اللغه

ص:۳۱۰

۳۹[بقیعه]:القیعه جمع قاع و هی الواسع من الأرض المنبسطه و فیه یکون السراب.

۴۰[بحر لجّی]:لجه البحر معظمه الذی یتراکب أمواجه فلا یری ساحله.

ص:۳۱۱

هدى من الآيات:

ان النور الذى يتجلى فى الطبيعه هو النور الذى يشع فى قلب البشر،لان الينبوع واحد،و هو اللّه الذى يمسك السماء و الأرض بيد من القـدره،و لو لا هيمنته تعالى لما اسـتقر حجر على حجر،و لو لا فيض رحمته لم يبق شـىء من الوجود،فهو ليس قائما بـذاته و انما بما يمده به اللّه من نور البقاء.

و كمثل على ذلك-و تعالى اللّه عن الأمثال-لو توقف المصـباح عن اشعاع النور لحل الظلام على الفور،و لا يعنى ذلك ان خلق اللّه للأشـياء هو كمـا يفيض النور من المصـباح، كلا..و انما بالإراده التى لا تحتاج الى زمان،أو شـىء من المعاناه، انما هى لحظه الاراده المخلوقه و نفحه الرحمه المعطاه.

و مـا الإسـلام الاـ حكمه قـائمه على أسـاس هـذه الفكره: «وَ أَشْـرَقَتِ الْـأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهـا» و لعلنـا نسـميها ببصـائر النور،و لا مجال للحديث عن أبعادها الاسلاميه العميقه،و انما بيّنا ذلك،لكى نعرف الجانب الآخر و هو:ان النور فى القلب

و المجتمع هو نفس النور فی حیاه الإنسان التشریعیه-و هو نفس النور فی الحیاه التکوینیه،فلو أمسک اللّه تعالی فیض نوره عن السماوات و الأرض لانعدمتا فی أقل من لحظه،کذلک لو أمسک فیض نور رسالته عن البشر فی حیاتهم التشریعیه و الاجتماعیه لساد الظلم و الظلام.

لذا فان نور اللّه فی التشریع کمصباح فی مشکاه(و المشکاه حفره شق فی الجدار یضعون المصباح فیها بعد ان یحیطوه بزجاجه تزید من اضائته)و وظیفه المشکاه هی العمل علی ترکیز النور،و أفضل الزیوت التی کانت تستخدم للاضائه فی ذلک الوقت هو زیت الزیتون الذی یزرع فوق الجبال،فلا یظلها یسار الجبل عن الشمس حین الشروق،و لا یمینه حین الغروب،فهی لا شرقیه و لا غربیه،و کلما کان الزیت أصفی کان ضوؤه أبهی..و کم تکون الاضاءه نیّره حینما یکون وقودها زیت الزیتون،و یکون المصباح فی مشکاه عبر زجاجه؟! کذلک نور اللّه الذی یهبط وحیا فیستقر فی قلب الرسول صلی الله علیه و آله الزکی،الطاهر کما المصباح یشع نورا من زیت نقی، و رسول اللّه یحیط هذا المصباح بزجاجه السنه الشریفه،لیضع الجمیع فی اطار أهل بیته الطاهرین-علیهم الصلاه و السّلام- الذین هم أشبه شیء بمشکاه نظیفه تحفظ النور و تنمّیه نورا علی نور.

ان بیوتهم التی أذن اللّه ان ترفع،کانت مشکاه للرساله لأنها ضمّت ذکر اللّه، المنبعث من قلوب أولیاء اللّه،المتّقد بوقود مبارک هو الصلاه و الزکاه و خشیه المنقلب،و هذا البیت هو المثل الأعلی للاسره المبارکه حیث یجری السیاق فی سوره النور لبیان صفاتها المثلی.

و هکذا نستوحی من هذه الآیه ضروره جعل نور الایمان فی مشکاه الاسره، و ذلک من أجل تربیه النفس البشریه و تنمیه العوامل الخیّره فیها لتتضاعف خیراتها

ص:۳۱۳

و برکاتها،کالزیتونه اللاشرقیه و اللاغربیه،تمتص من اشعه شمس الرساله أزکاها،و أنماها،و هکذا نتذکر بالآیات ان هناک سورین للاسره الفاضله:سور مادی و هو البیت الذی یحرم علی الاجنبی اقتحامه،و سور معنوی یعلو بالقیم السامیه،و البیت الذی اذن اللّه له ان یرفع انما هو الذی یحصّنه ذکر اللّه و تسبیحه، و الذی یشتغل أبناؤه بمعایشهم و لکن دون ان تشغلهم عن ذکر ربهم،و هکذا تحافظ الاسره علی مهمه الإنسان،الذی خلقه اللّه مصباحا للحیاه،یتفجر من جوانبه النور -اراده و عقلا و عواطف- فلو ترک هذا النور تلفحه ریاح الشهوه لانطفأ أو لا أقل لقلت اضاءته،و لکنک تجد من الناس من لا نور لهم أساسا، و هم یجعلون أنفسهم فی قبور من ظلمات الکفر و الجحود،کاللیل المظلم تلفّه أمواج الشهوه،و تکتنفه سحب الغفله،فلا یجد السبیل الی فهم الحقیقه أبدا.

بینات من الآیات:

اللّه نور السموات و الأرض:

[۳۴] وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَیْکُمْ آیاتٍ مُبَیِّناتٍ ان الآیات المبینات هی التی توضح الطریق للناس،و تجعلهم قریبین من الحقائق،و أسلوب القرآن فی تفهیم الحقیقه هو أسلوب التذکره،و اثاره العقل، بتوجیهه لها،فالحقائق موجوده و الإنسان یمتلک ما یکشفها،و لکنه بحاجه الی من یدله علیها،و یذکره بها،و ذلک عن طریق الآیات التی تشیر إلیها،کالعبر التاریخیه.

وَ مَثَلاً مِنَ الَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِکُمْ لتتعظوا بتجارب الآخرین،و تزدادوا معرفه و رشدا.

ص:۳۱۴

وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ الـذين يخـافون عقـاب اللّه،امـا من لا يخاف عقابه،فانه لا يسـتفيد من القرآن، فهو كالأعمى لا يسـتفيد من نور الشـمس،و هكـذا القرآن علم و حكمه و موعظه،ففيه آيـات تبيّن سـنن اللّه،ممـا يزيـد البشـر علمـا،ثم يضـرب الأمثـال من الأـمم الغابره،مما يزيد البشر حكمه،ثم يوصل ذلك العلم و تلك الحكمه بحياه القارئ مباشره فيكون موعظه لمن يتعظ.

[۳۵] اَللّٰهُ نُورُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكٰاةٍ فِيهٰا مِصْبٰاحٌ يفيض من نوره بمشيئته المطلقه على السماوات و الأرض خلقا بعـد خلق،و لحظه بلحظه،و كمـا يفعل ذلك فى عالم التكوين(الطبيعه)فانه يفعل ذلك فى عالم التشـريع(الأحكام)إذ يفيض علينا برسله و رسالاته،فيعطى الإنسان النور (العقل)لحظه بلحظه،ليفهم الرساله به.

ان نور اللّه يتجلى فى الطبيعه كما يتجلى فى التشـريع.و ربما تبين هذه الآيه المثال الثانى،فلقد جاء فى بعض التفاسير ان المقصود من المشكاه هو قلب الرسول صلى الله عليه و آله اما المصباح فانه رسالات اللّه التى أنزلها على ذلك القلب الطاهر.

اَلْمِصْبٰاحُ فِي زُجٰاجَةٍ يمكننـا تأويـل الزجـاجه بالعقـل الـذى يسـتقبل نور الرسـاله،أو ليس هو الرسول البـاطن،أو ليس هو الحجه الباطنه،و عنده تصديق ما أنزل اللّه؟!كما يمكن تأويله بالرجال الصالحين ممن يحفظون رسالات اللّه،و هذا هو المأثور.

اَلزُّجٰاجَةُ كَأَنَّهٰا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ فى نقائها و تلألئها،فعند ما تتلوث هذه الزجاجه فان النور يخبو،و هكذا الأمر

بالنسبه للعقل عند ما يتلوث بالأهواء.لا يرى الحقيقه بعينه،و لا يسمعها بأذنه، و لذا فان مصباح الوحى لا ينفعه الا قليلا،و انما يؤيد الرساله من ذكّر نفسه،و تلألأ عقله،و لم يلهه عن رسالات ربه شيء.

يُوقَدُ مِنْ شَجَرَهٍ مُبٰارَكَهٍ زَيْتُونَهٍ لأنه يحتاج الى زيت يتّقد به،و إذا أردنا ان نؤوّل الشجره المباركه نقول أنها شجره العلم أو التقوى.إذ ان المعرفه تمد مصباح الوحى بالوقود فيزداد بهاء و نورا فى مشكاه القلب،و بهذا جاءت الروايه المأثوره.

لاٰ شَرْقِيَّهٍ وَ لاٰ غَرْبِيَّهٍ بل فى مكان تنشر بركاتها على العالم أجمع،دون ان تختص بها ارض دون أخرى،و لعل هذه الكلمه تشير الى الاستقامه فى التقوى،حيث ان المتقين لا تميل بهم ضغوط الحياه يمينا أو شمالا،و قد تعددت النصوص التى فسرت هذه الآيه الكريمه،و نذكر فيما يلى

ما جاء عن الامام على بن الحسين عليه السلام فى تفسيرها :

فى قوله عز و جل« كَمِشْكٰاهٍ فِيهٰا مِصْبٰاحٌ »قال:المشكاه نور العلم فى صدر النبى صلى الله عليه و آله .

« اَلْمِصْبٰاحُ فِي زُجٰاجَهٍ »:الزجاجه صدر على،صار علم النبى الى صدر على، علّم النبى عليا.

« اَلزُّجٰاجَهُ كَأَنَّهٰا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَهٍ مُبٰارَكَهٍ »قال:نور العلم.

« لاٰ شَرْقِيَّهٍ وَ لاٰ غَرْبِيَّهٍ »قال:لا يهوديه و لا نصرانيه.

« يَكٰادُ زَيْتُهٰا يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نٰارٌ »قال:يكاد العالم من آل محمد

ص:۳۱۶

يتكلم بالعلم قبل ان يسأل.

« نُورٌ عَلىٰ نُورٍ »:يعنى إماما مؤيـدا بنور العلم و الحكمه فى أثر إمام من آل محمـد صـلى الله عليه و آله و ذلک من لدن آدم إلى أن تقوم الساعه،فهؤلاء الأوصـياء الـذين جعلهم اللّه عز و جل خلفاء فى أرضه،و حججه على خلقه،لا تخلو الأرض فى كل عصر من واحد منهم. (١)

يَكٰادُ زَيْتُهٰا يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نٰارٌ فالإنسـان السـوى-صـاحب العقـل النظيـف-يمتلـک علمـا نقيـا،بعيـدا عـن الأهـواء و الخرافـات،فنفسه الشـفافه تنتظر ادنى اشـاره لتسـتوعب الحقـائق،و الآيه تشـير -فيما يبـدو لى-الى ان التقوى-و هى زيت مصـباح الوحى الزلال النظيف- هى طريق الهـدى و سبيـل المعرفه،و مهـد الحكمه و السّداد،فانهـا تكـاد تضـىء الحقـائق للبشـر و لو لم تمسسه نار الوحى و نوره،لذلک قال ربنا بعدئذ:

نُورٌ عَلىٰ نُورٍ فنور الوحى يتقد بنور التقوى،و الوحى يتألّق بنور العقل،الا ان التوفيق للهدايه لا بد ان يأتى من اللّه سبحانه.

يَهْدِي اللّٰهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشٰاءُ فاللّه هو الذى يهدى من يشاء من عباده للنور الذى أرسـله،و هو نور الوحى و نور محمد صـلى الله عليه و آله و سنته الرشيده،و نور أهل بيته الطاهرين(عليهم السّلام).

وَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْأَمْثٰالَ لِلنّٰاسِ وَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

ص:٣١٧

١- ١) المصدر/ص ۶٠۴.

فبعلمه أضاف نور الرساله الى نور العقل،و لا يمكن لأحد ان يستفيد من هذا النور دون مشيئته،فلا بد من التوجه له حتى يفيض على الإنسان من نوره،و لا يكون ذلك الا عند ما يخلص الإنسان العبوديه له.

و لعله انما قال تعالى:«لنوره»و لم يقل:(بنوره)لأنه يهدى الإنسان بنور رسالته،لنور رحمته.

بيوت اللّه:

[۳۶]ان نور الرساله لا بد ان يوضع فى البيت الرفيع و الاسره الفاضله كى يزداد اتّقادا،أما الاسره المليئه بالعقد النفسيه،و الصفات الرذيله،فان النور ليس لا يتقد فيها فحسب،بل و يخفت حتى ينتهى الى الظلام.

ففى تلك البيوت الرفيعه تنمو النفوس الطيبه،ينمو العقل النيّر،لأنها البيوت التى يذكر فيها اسم اللّه كثيرا،فيأذن اللّه لها بالارتفاع الى سماء الوحى،فهى محل للعباده و التسبيح فى بدايات النهار و اخرياته،من رجال جعلوا ذكر اللّه فوق كل ذكر،و فوق التجاره التى لا تمنعهم عن ربهم،و لا تلهيهم عن اقام الصلاه،و إيتاء الزكاه.

فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللّٰهُ أَنْ تُرْفَعَ تلك هى بيوت الأنبياء و الصديقين و الصالحين،و لو لا ان اللّه أذن لها ان ترفع، و يكون رجالها خير الرجال،و نساؤها خير النساء،منهم الائمه و الولاه،و فيهم سيده النساء،و قدوه الصالحات و هم أهل بيت الرساله..لو لا هذا لما حق لها ذلك،ان الناس عبيد اللّه،و هو الذى يختار لهم الائمه و الساده،و لا ينبغى ان تكون للناس الخيره من أمرهم،و حتى طاعه الناس لرسل اللّه لا تكون الا بإذن اللّه،فقد قال ربنا عز و جل« وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ لِيُطٰاعَ بِإِذْنِ اللّٰهِ »

و جاء فى حديث مأثور

عن الامام الباقر علیه السلام فی تفسیر البیوت هنا :

«انها بیوت الأنبیاء و الرسل و الحکماء و أئمه الهدی. » (۱)و لکن لماذا رفعت هذه البیوت؟انما بذکر اللّه.

وَ یُذْکَرَ فِیهَا اسْمُهُ ان ذکر اللّه ینبعث من قلوب طاهره هی المشکاه لنور اللّه.

یُسَبِّحُ لَهُ فِیهٰا بِالْغُدُوِّ وَ الْآصٰالِ فعند ما یستقبلون النهار یسبحون ربهم،و یحیون صباحهم بتقدیسه حتی لا یقدسوا ما سواه، و إذا مالت الشمس الی المغیب،و استقبلوا سواد اللیل سبحوا ربهم لیغسلوا عن قلوبهم أدران الحیاه و یأووا الی فراشهم بأفئده طاهره.

[۳۷]ان نور اللّه یتجلی فی ضمیر هؤلاء المسبّحین لأنهم تعالوا عن ملهیات الحیاه،فلا خشیه الخساره فی التجاره،و لا تبادل المصالح بالبیع یمکن لهما ان یلهیاهم عن ذکر اللّه،و أداء واجباتهم.

رِجٰالٌ لاٰ تُلْهِیهِمْ تِجٰارَهٌ وَ لاٰ بَیْعٌ عَنْ ذِکْرِ اللّٰهِ فلذلک تراهم یبصرون الحیاه من خلال نافذه الوحی،و یجرون علیها شرائع الدین،فلا تمنعهم ضغوط المعیشه عن تنفیذ الأحکام.

وَ إِقٰامِ الصَّلاٰهِ وَ إِیتٰاءِ الزَّکٰاهِ لان خشیه المعاد تفوق عندهم خشیه الخساره فی التجاره و البیع.

۱- ۱) المصدر/ص ۶۰۸.

يَخٰافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصٰارُ فهم حذرون أبدا لأنهم يخشون ان يبعثوا على غير دين اللّه،و ألاّ تقبل حسناتهم و لا تغفر سيئاتهم.

[۳۸] لِيَجْزِيَهُمُ اللّٰهُ أَحْسَنَ مٰا عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللّٰهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشٰاءُ بِغَيْرِ حِسٰابٍ فلا يكتفى بأن يجزيهم على أحسن أعمالهم، بل يزيدهم من فضله لأنه الغنى الذى لا تزيده كثره العطاء الا جودا و كرما.

[۳۹] وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمٰالُهُمْ كَسَرٰابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مٰاءً حَتّٰى إِذٰا جٰاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَ وَجَدَ اللّٰهَ عِنْدَهُ فَوَفّٰاهُ حِسٰابَهُ وَ اللّٰهُ سَرِيعُ الْحِسٰابِ فبغضّ النظر عن ايمان الإنسان أو كفره،و استقامته أو انحرافه،فانه يسعى دؤوبا لتكون اعماله مثمره تصل به الى اهدافه و طموحاته،و لكن الإنسان المؤمن الذى يتبع تعاليم السماء هو وحده الذى يصل الى نهايه سعيده،اما الكافر فانه لا يحقق من اهدافه شيئا بالرغم من إجهاده لنفسه.

و ليت الأمر يقف عند هذا الحد،فبالاضافه الى الفشل فى الوصول الى السعاده، فانه يجد نفسه امام رب رقيب قد احصى أعماله،و أعد له عذابا شديدا جزاء كفره.

و لا يظن المرء ان حساب اللّه مختص بيوم الآخره فقط،بل قد يرى نتيجه عمله فى حياته الدنيويه ان خيرا فخير،و ان شرا فشر،و اللّه سريع الحساب.

[۴۰] أَوْ كَظُلُمٰاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشٰاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحٰابٌ ظُلُمٰاتٌ بَعْضُهٰا فَوْقَ بَعْضٍ إِذٰا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرٰاهٰا

وَ مَنْ لَمْ یَجْعَلِ اللّٰهُ لَهُ نُوراً فَمٰا لَهُ مِنْ نُورٍ کمن یغرق فی ظلمات اعماله المنحرفه،فلم یعد یری شیئا من طریقه فی الحیاه،بل یبلغ حدّا لا یری فیه یده لو قربها من عینه،و ذلک بسبب عصیانه لربه، مما سبب فی سلب النور من عقله،و سمعه،و بصره،فضلّ یتخبط فی دیاجیر الظلام الدامس،و الآیه الکریمه تبین ان اعمال الکافر هی بذاتها ظلام،و هل یهتدی من لم یجعل اللّه له نورا فی الحیاه؟!.

و کلمه أخیره:نجد فی آیات هذا الدرس غره الجمال و غایه الروعه،فبعد ان ذکّرتنا الآیه الاولی بان القرآن آیات مبینات،و مثل و موعظه،بصرّتنا الآیه الثانیه تجلیات نور اللّه فی السماوات و الأرض..و مثلا منها تجلی بالوحی فی مشکاه قلب الرسول فاذا به نور علی نور،و بعد ان ذکرتنا آیه النور-التی سمیت السوره بها- بتفاصیل هذا النور فسرتها بالمثل الواقعی لتجسید هذا النور:

الف-فهذه بیوت النبوه سمت بذکر اللّه،انه مثل للمشکاه تستقبل المصباح، « مَثَلُ نُورِهِ کَمِشْکٰاةٍ ».

باء-و یزهر فیها ذکر اللّه کما المصباح یشع فی المشکاه«فیها مصباح».

جیم-و الصالحون فی هذه البیوت هم سور ذکر اللّه،کما الزجاجه للمصباح، و هم فی ذات الوقت حصون الدین،و أوتاد العلم و الفضیله« اَلْمِصْبٰاحُ فِی زُجٰاجَةٍ ».

لذلک هم یسبحون ربهم بالغدو و الآصال لا تلهیهم تجاره و لا بیع.

دال-و تعلو شعائر اللّه علی أکتافهم من اقام الصلاه و إیتاء الزکاه، و تلک الشعائر و قود مسیره التوحید،و زیت اتقاد نور الوحی فی الآفاق« یُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبٰارَکَةٍ ».

هاء-ثم يبصّرنا السياق بجزاء هؤلاء و ان اللّه يزيدهم من فضله« نُورٌ عَلىٰ نُورٍ ».

و يبيّن القرآن صفات الكفر فی الطرف الآخر من الصوره ليرينا مدی اتساع الهوّه بين الطرفين:

الف-فبينما نجد هنا المشكاه أو البيوت الرفيعه،لا نجد هنالك الا سرابا لا حقيقه له فی قيعه،لا سور و لا حدود واضحه،و لا موانع طبيعيه.

باء-و هنا يتسع النور،اما هنالك فظلمات فوقها ظلمات.أمواج البحر تغشاها سحب الليل.

جيم-و هنالك بيوت رفيعه،يجللها نور الرساله،و يسمو بها ذكر الرب علی شفاه رجال متعالين عن الدنيا،يجب علی العباد احترامها،و تعظيم أهلها، و طاعتهم،أما هنا فظلمات بعضها فوق بعض،لا تأوی من شر و لا تحمی من خطر،و هم الطغاه و ولاتهم الظلمه الذين يجب البراءه منهم،و

قد جاء فی تفسير أئمه الهدی ان الظلمات«فتن بنی أميه» (1)،و يجری فيمن يتبع النهج الأموی الجاهلی من الطغاه و الظلمه.

۱- ۱) المصدر/ص ۶۱۱.

[سوره النور (۲۴): الآیات ۴۱ الی ۴۴]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَللّٰهَ یُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اَلطَّیْرُ صَافّٰاتٍ کُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاٰتَهُ وَ تَسْبِیحَهُ وَ اَللّٰهُ عَلِیمٌ بِمٰا یَفْعَلُونَ (۴۱) وَ لِلّٰهِ مُلْکُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ إِلَی اَللّٰهِ اَلْمَصِیرُ (۴۲) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَللّٰهَ یُزْجِی سَحٰاباً ثُمَّ یُؤَلِّفُ بَیْنَهُ ثُمَّ یَجْعَلُهُ رُکٰاماً فَتَرَی اَلْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلاٰلِهِ وَ یُنَزِّلُ مِنَ اَلسَّمٰاءِ مِنْ جِبٰالٍ فِیهٰا مِنْ بَرَدٍ فَیُصِیبُ بِهِ مَنْ یَشٰاءُ وَ یَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ یَشٰاءُ یَکٰادُ سَنٰا بَرْقِهِ یَذْهَبُ بِالْأَبْصٰارِ (۴۳) یُقَلِّبُ اَللّٰهُ اَللَّیْلَ وَ اَلنَّهٰارَ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَعِبْرَةً لِأُولِی اَلْأَبْصٰارِ (۴۴)

اللغه

۴۳[یزجی]:الإزجاء و التزجیه الدفع و السوق.

[رکاما]:أی متراکما علی بعضه.

[سنا]:الضوء و اللمعان.

ص:۳۲۳

كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاٰتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ

هدى من الآيات:

كيف نعى الحقيقه الهامه التى ختمت بها آيات الدرس الآنف:« وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّٰهُ لَهُ نُوراً فَمٰا لَهُ مِنْ نُورٍ »؟و كيف نسمو بأنفسنا الى شأو الرجال الـذين يسـبحون اللّه بالغـدو و الآصال،دون ان يلهيهم عنه شـیء؟ يجيب السـياق فی هـذا الدرس:بالاسـتماع الى سبحات الخلائق،« أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ.. ».

تعال و انظر الى الطير صافات،تسبح ربها بألحان مختلفه،و اللّه قد علم صلاتها و تسبيحها،و علم ماذا تفعل.

و قد بسط اللّه ملكه و سلطانه على السموات و الأرض،و هو إذ يشأ يقبضهما اليه،و اليه المصير.

و هو الذی يسوق السحاب ثم يؤلفه ثم يركزه و يكثفه فاذا بالمطر ينبعث من

خلاله،فیسقی به الرب من یشاء من عباده و یمنعه عمن یشاء،و إذا التقی السحابان یولدان البرق الذی یکاد ضیاؤه یذهب بالأبصار.

و هکذا یدبر اللّه اللیل و النهار،یختلفاه،و فی ذلک عبره لأولی الأبصار.

و هکذا یهدیک اللّه الی ذاته ببالغ حجته:

فأولا:یریک الحقیقه التی تتجلی فی کل شیء،و علی لسان کل حی الا و هی تسبیح اللّه و تقدیسه.

و ثانیا:یذکرک بملکه و سلطانه.

و ثالثا:یبصّرک بلطائف نظمه و حسن تدبیره.

فإن صرت من ذوی الأبصار فان العبره هذه تکفیک هدی.

بینات من الآیات:

تدبیر اللّه آیه ملکه:

[۴۱]یتجلی ملک اللّه و سلطانه الشامل فی تدبیره لشؤون الوجود،و التقلبات المستمره التی نشاهدها فیه،فالکون لیس ثابتا،بل هو فی حرکه دائمه،اللیل یخلف النهار،و النهار یغشاه اللیل،و السحب تأتی و تذهب و الأمطار تتراوح بین الهطول و الانقطاع.

و هذه الحرکه بذاتها دلیل علی من یحرکها،و النظام فیها دلیل حکمته و واسع قدرته،فمن الذی یسیّر السحاب فی هذا الاتجاه أو ذاک؟

و لماذا يتراكم على ارتفاعات ثابته و لا يذهب الى اعماق الفضاء؟و لماذا لا تعود السحب الى المحيطات التى انطلقت منها فتمطر فيها بدل ان تتوجه الى الأرض اليابسه فترويها؟و لماذا لا يحصل اضطراب فى تعاقب الليل و النهار؟و لماذا..

و لماذا...؟إلخ.

ان هذه الظواهر الطبيعيه(و كثير غيرها)دليل الحكمه البالغه للخالق المبدع سبحانه،و لعل فى قوله تعالى:« يُقَلِّبُ اللّٰهُ اللَّيْلَ وَ النَّهٰارَ »اشاره الى ضروره ملاحظه تحولات الحياه،و تقلباتها،فلحظه الشروق..لحظه الأصيل..لحظات حلول الربيع و الخريف..لحظات المطر..و ما الى ذلک تهدی الإنسان الى سر الحياه.

و هكذا التحولات الاجتماعيه و السياسيه الكبيره،كنشوب الحروب و سقوط دول و قيام أخرى،تعكس سنن اللّه فى المجتمع،لأن قوانين الحياه و انظمتها انما تكتشف فى هذه اللحظات،فهل يعرف المنظرون السياسيون القوانين التى تحكم عالم السياسه الا من خلال الاحداث و التحولات الهامه؟ ينزل المطر،و تدب الحياه الى الأرض الجرداء فتخضر،و تغنى الطبيعه على أديمها و تنشط فيها الدواب و الطيور.إن هذه التحولات تفيض معانى جديده،على القلوب الطاهره.فتسبح ربها و تكبره.

و حين يعلم الإنسان زخارف الحياه و مباهجها تتغير باستمرار،فلا ملک يدوم و لا ثروه تبقى و لا جاه يستمر فيها،آنئذ لا يطمئن إليها،بل يطمئن الى الحى الذى لا يموت،فلو عقل الملک زوال الحكم،و الغنى زوال الثروه،لما استبد أو بخل،و لما استكانت نفسه أو اطمأنت الا الى خالقه،الحق الذى لا يتغيّر.

و هكذا يذكرنا الرب بسبحات الخلائق فيقول:

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الطَّیْرُ صَافّاتٍ تسبح بحمد اللّه،و هذه الآیه تدل علی ان کل مخلوق قادر علی التسبیح،و انما وصف اللّه غیر ذوی العقول بوصف ذوی العقول،لیدلنا علی ان لکل حی شعورا بقدره یسبح به ربه قال تعالی:« وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّ یُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لکِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِیحَهُمْ ».

ان رهافه سمع اولی الأبصار تجعلهم یسمعون تسبیح کل حی فی السموات و الأرض،لأنهم یتجاوزون المظهر الی اللب،و یعبرون الدلالات الی الحق و الشواهد الی الغیب،فبالنسبه إلیهم لا تعنی حرکه الأسماک فی البحار،و لا صراع الوحوش فی الغابات،و لا رفرفه الطیور فی الفضاء،مجرد نشاط عابث من أجل البقاء،انما فیه أیضا محتوی ربّانیّ،و ابعاد فوق مادیه،انه تسبیح و صلاه و سعی نحو الأعلی..

کیف لا یسبح ذلک القلب الزکی الذی لا یلتفت الی حی حتی یسمع منه التسبیح،و یری منه الصلاه و التبتل و إذا وجد بلاء یصیب واحدا من الأحیاء عرف انما أصیب لأنه نسی ذکر اللّه.

جاء فی روایه عن أبی عبد اللّه الصادق علیه السّلام :

«ما من طیر یصاد فی بر و لا بحر و لا یصاد شیء من الوحش الا بتضییعه التسبیح. » (1)کُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِیحَهُ وَ اللّهُ عَلِیمٌ بِما یَفْعَلُونَ

ص:327

1- 1) المصدر/ص 613.

من الـذكر و التسبيـح و عموم العبـاده و الأفعـال الصالحه الاخرى،و هـذا ما يـدعو الإنسان الى الاهتمام بالعباده و التوجه الى رب العالمين.

و هكذا

روى عن الامام أبى جعفر الباقر عليه السّلام فى تفسير هذه الآيه :

«ان للّه عز و جل ملكـا على صوره ديـك ابيض رأسه تحت العرش،و رجلاه فى تخوم الأرض السـابعه،له جناح فى المشـرق و جناح فى المغرب،لا تصيح الديوك حتى يصيح،فاذا صاح خفق بجناحيه ثم قال:سبحان اللّه،سبحان اللّه، سبحان اللّه العظيم الذى ليس كمثله شـىء،قـال فيجيبه اللّه عز و جل فيقول:لا يحلف بى كاذبـا من يعرف مـا تقول. » (1) و تـذكّرنا هـذه الآيه بعلم اللّه المحيط بكل شىء حتى بخبايا نيه الطيور.

[42] وَ لِلّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ فكما كانت منه البدايه كذلك تكون النهايه اليه،و فى هذه الحقيقه-التى تقوم على إثباتهـا كـل الشواهـد العقليه،و تظهر تجلياتها فى كل الطبيعه-أعظم موعظه للمتـدبر الـذى لم يسـمح لحجب الغفله أو الشـهوه ان تغطى بصـره و بصـيرته،و أكبر دافع نحو توجهه الى العزيز الحكيم بـأن يجعـل عمله خالصـا لوجه ربه الكريم،لا يريد جزاء و لا شكورا من أحد غيره،و لا يخشى أو يخاف أحدا سواه.

و تهدينا الآيه الى سلطان اللّه الفعلى على جوهر الأشياء.و انه الذى يمسك بقدرته ناصيه الحقائق ان تزول و تنعدم.

[43] أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يُزْجِي سَحاباً

1- 1) المصدر.

فلا موضع للصدفه التی هی اکذوبه الجاحدین،و لا یمکن ان یکون هذا النظام بلا مدبّر حکیم و هو اللّه الذی یحمل الریاح السحب التی تزن ملایین الاطنان، تتحرک بکل خفه و سهوله فی طبقات الجو العلیا..

ثُمَّ یُؤَلِّفُ بَیْنَهُ فلو لا تکاثف السحب لما هبط المطر،ثم ان السحاب مؤلف من شحنات سالبه و موجبه،و لو لا ذلک لما نفع الزرع،فالبرق الذی یفرز المواد الضروریه لنمو النباتات انما تؤلفه الأمواج الکهربائیه القویه التی یولدها الاحتکاک بین هذه الأمواج.

ثُمَّ یَجْعَلُهُ رُکاماً کی ینزل المطر،فبدون ان یتکثف السحاب لا ینزل المطر.و تکثفه لا یتم الا عبر قوانین یجریها اللّه سبحانه فیها.

فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلاٰلِهِ و هو المطر حاله تکونه و خروجه،من بین ثنایا السحاب.

وَ یُنَزِّلُ مِنَ السَّمٰاءِ مِنْ جِبٰالٍ فِیهٰا مِنْ بَرَدٍ فالسحب فی الفضاء کما الجبال فی الأرض،من حیث ضخامه کتلتها و تفاوت ارتفاعاتها،و یمکن للإنسان الاطلاع علی هذه الحقیقه عند ما یطیر مسافرا من بلد لآخر فوق الغمام.

و لعل فی الآیه اشاره الی حقیقه یذکرها العلماء:ان طریقه تکون(البرد)هی ان قطره من الماء ینزل من السحاب،ثم تمر بطبقه بارده فتتجمد،ثم تحمله الریاح الشدیده الی الأعلی من جدید.و تتقلب بین جبال السحب،کلما مرت سحابه

حملت قدرا أكبر من الماء،فنزلت فحملتها الرياح-مره أخرى-الى الأعلى حتى تثقل و تهبط الى الأرض.و قد تنزل حبات البرد بحجم البيضه.

فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشٰاءُ من عباده،و عموم خلقه،اذن فليس ذلك بالصدفه.

يَكٰادُ سَنٰا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصٰارِ لشده الوميض الخاطف الصادر عن تفريغ شحنات كهربائيه هائله بين السحاب..و هكذا فاننا نجد فى هذه الظاهره الطبيعيه بشاره خير بنزول رحمه اللّه (المطر)،و إنذارا صارما بعقاب اللّه الذى لو نزل فانه لا يبقى و لا يذر و لأفنى الأحياء.

بين الايمان و العلم:

[۴۴] يُقَلِّبُ اللّٰهُ اللَّيْلَ وَ النَّهٰارَ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصٰارِ اللّه سبحانه هو الذى بيده الليل و النهار يقلبهما بقدرته،و هذه عبره لأصحاب البصائر النافذه،و العقول النيّره.الم يقل اللّه:« وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّٰهُ لَهُ نُوراً فَمٰا لَهُ مِنْ نُورٍ »و أ لم يقل عن الكفار:« أَوْ كَظُلُمٰاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ »؟..

و هذا يعنى ان من لا يملك الايمان لا يفهم سر الحياه،كما لا يدرك التحولات و التقلبات الاجتماعيه،و لا يفهم ان اللّه هو الذى يقلب الليل و النهار الا اولو الأبصار،الذين يمتلكون البصر الحقيقى النابع من الايمان،و هذا يدل على ان معرفه اللّه بدايه كل معرفه،و ان الكفر باللّه انحراف يستدرج الإنسان الى كل انحراف.

[سوره النور (۲۴): الآيات ۴۵ الى ۵۲]

اشاره

وَ اَللّٰهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مٰاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلىٰ بَطْنِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلىٰ رِجْلَيْنِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اَللّٰهُ مٰا يَشٰاءُ إِنَّ اَللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۴۵) لَقَدْ أَنْزَلْنٰا آيٰاتٍ مُبَيِّنٰاتٍ وَ اَللّٰهُ يَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ (۴۶) وَ يَقُولُونَ آمَنّٰا بِاللّٰهِ وَ بِالرَّسُولِ وَ أَطَعْنٰا ثُمَّ يَتَوَلّٰى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَ مٰا أُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (۴۷) وَ إِذٰا دُعُوا إِلَى اَللّٰهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذٰا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (۴۸) وَ إِنْ يَكُنْ لَهُمُ اَلْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (۴۹) أَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ اِرْتٰابُوا أَمْ يَخٰافُونَ أَنْ يَحِيفَ اَللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَ رَسُولُهُ بَلْ أُولٰئِكَ هُمُ اَلظّٰالِمُونَ (۵۰) إِنَّمٰا كٰانَ قَوْلَ اَلْمُؤْمِنِينَ إِذٰا دُعُوا إِلَى اَللّٰهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنٰا وَ أَطَعْنٰا وَ أُولٰئِكَ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ (۵۱) وَ مَنْ يُطِعِ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَخْشَ اَللّٰهَ وَ يَتَّقْهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ اَلْفٰائِزُونَ (۵۲)

اللغه

۴۹[مذعنين]:منقادين.

۵۰[يحيف]:الجور بنقص الحق.

ص:۳۳۱

هدی من الآیات:

یبصرنا الرب بملکه و اقتداره عبر تذکیرنا بخلقه الأحیاء،أ لم یخلق کل شیء من ماء؟و لکن انظر الی مدی التباین بین الدواب،فمنهم من یمشی علی بطنه کالحیات و منهم من یمشی علی رجلین و منهم من یمشی علی أربع،هکذا ینشئ الملیک المقتدر ما یرید،لیعرفنا بواسع قدرته المحیطه بکل شیء.

و هذه آیات القرآن تبین لنا و تذکرنا بالرب و یهدی اللّه من یشاء الی صراط مستقیم.

و الهدایه لا تعنی مجرد الاعتراف اللسانی بل لا بد ان تصدقه الطاعه عند القضاء،فهنالک من یدعی الطاعه فاذا خالف الحق هواه أو مصالحه تولی.کلا..

لیس هؤلاء بالمؤمنین فلیس الایمان هو الإذعان عند توافق المصلحه و التولی عند مخالفتها،و لکن لماذا هذا التفریق؟هل فی قلوبهم مرض الجسد و الحقد و حب الدنیا أم هم فی ریب من صدق الرساله؟أم یخافون من ان یظلمهم الرب فی الحکم

الذی یصدره الرسول؟الواقع أنهم یظلمون أنفسهم حین یتولون عن العداله الالهیه.

ما هی علامه الایمان؟انها الطاعه عند ما یدعوهم الرسول لیحکم بینهم،و هذا یوفر لهم الفلاح و الفوز أیضا ان هم أطاعوا اللّه و رسوله و خافوا اللّه و اتقوه.

و یبقی السؤال التالی:

ما هی علاقه هذه الآیات بالمحور الرئیسی لسوره النور(الذی کان الاسره و ما یدور حولها من قضایا اجتماعیه و تربویه)؟ و للاجابه علی هذا السؤال یمکننا أن نقول:

أولا:ان القرآن لا یکتفی ببیان المعالجات التی ترفع الانحرافات الاجتماعیه، بل هو بذاته علاج لها و شفاء لما فی الصدور،و هدی و رحمه للمؤمنین و لا یکتفی القرآن بإعطاء العلاجات الفوقیه،بل یسعی لعلاج الانحرافات جدریا،من هنا نجد ان الآیه القرآنیه الواحده تذکرنا بالحکم الشرعی،کما تذکرنا بعقوبه اللّه أو بثوابه.

فالحکم بیان للعلاج،و لکن التهدید بالعقاب و الترغیب فی الثواب هو ذاته علاج،لان کلا من التریب و الترهیب یعطی النفس البشریه سحنه من الاراده القویه التی تقاوم الانحراف.

و فی هذه السوره بالذات یحدثنا القرآن عن الاسره الفاضله و التی من میزاتها انها تؤمن باللّه،و ان البیت الذی یحویها هو بیت الایمان الذی یذکر فیه اسم اللّه کثیرا..و هذا علاج للانحراف الذی قد یقع فی الاسره داخل المجتمع،و العلاج هو:ان الانحرافات البشریه یجب ان یزیلها الایمان باللّه مع الذکر و التسبیح.

ص:۳۳۳

بيد ان القرآن لا يكتفى بذلك،بل يقوم بإعطاء العلاج ذاته عبر بث روح الايمان فى قلب الناس،فنراه يحدثنا طويلا عن الايمان باللّه،و عن التذكره بالقيم الحقيقه،و عن التوجه الى رب السماوات و الأرض..إلخ.

ثانيا:ان كل انحراف فى البشر نابع من انحراف آخر،و تتسلسل الانحرافات الواحده تلو الاخرى،حتى تصل الى الانحرافه الكبرى فى حياه الإنسان و هى الكفر باللّه،و الابتعاد عن هداه،و ذلك هو الضلال البعيد.

و فى الوقت الذى يعالج القرآن تلك الانحرافات الفرعيه يعالج الضلال البعيد ذاته(و هو الكفر)،لذلك نجد القرآن-سوره و آياته دروسه و عبره-تبتدئ بذكر اللّه،و تختتم به،لأنه المحور الحقيقى الذى تدور حوله كل القضايا.

ثالثا:ان أهم صفه من صفات الإنسان فى الاسره الفاضله،و التى يجب على الاسره ان تسعى من أجل تركيزها و تنميتها فى ابنائها،هى صفه الطاعه المستقيمه للحق.

ذلك ان الأسنان فى الطاعه مختلف:

أ-فقد ينمو الإنسان متمردا على النظام و على ايه سلطه حتى و لو كانت السلطه سلطه شرعيه،بل و يتمرد ضد ايه نصيحه مما يجعله أشبه ما يكون بالوحش الهائج.

ب-و قد ينمو ذليلا يعطى قياده لاى كان،و يخضع لكل الناس و لكل الانظمه،و يصغى لكل الأوامر و التعليمات،و هذا أشبه ما يكون بالبضاعه يشتريها من أراد..

ج-و قد ينمو الإنسان و يتربى على طاعه الأهواء و الشهوات و بالتالى طاعه كل من يشبع فهم رغباته،بغضّ النظر عن استقامته أو انحرافه،و عدالته أو ظلمه،

و أكثر الناس فى الواقع هم من هذا النموذج،إذ يطيعون من بيده المال أو السلطه، و هؤلاء أيضا فاسدون كغيرهم.

د-انما الفريق الرابع فهو الذى يطيع،و لكن لا للشهوات و المصالح،و لا حبا فى الطاعه العمياء،و انما يطيع القيم،فطاعته لاى أحد نابعه من ولائه للحق، و ايمانه بالقيم الساميه،و هذا هو الإنسان الذى يجب ان تسعى الاسره الفاضله من أجل تربيته و تنميه مواهبه،و بلوره شخصيته.

و يحدثنا القرآن الحكيم فى منتصف هذه السوره عن ضروره الطاعه،و انها يجب ان تكون للّه لا للمصالح،و ليس خوفا من إرهاب اى سلطه بشريه،و هذه هى النقطه المحوريه لبناء الإنسان الفاضل فى الاسره الفاضله..

ثم ان الاسره الفاضله تبتدئ من الإنسان المطيع للّه،و تنتهى اليه،فالأب الذى لا يخضع لشهواته العاجله،و لا لمصالحه الخادعه،و لا للشركاء من دون اللّه كسلطان الجور،و أصحاب المال:انه هو الذى يستطيع تربيه ابنائه على شاكلته، اما الآخر الذى تمتلئ حياته بالطاعه العمياء،للمال و لأصحاب المال،أو السلطه و لأصحاب السلطه،أو للارهاب،فانه لا يستطيع تربيه ابنائه أحرارا،يقاومون انحراف النفس و المجتمع.

رابعا-لو بحثنا بعمق عن الأسباب الحقيقيه للانحرافات البشريه،لوجدناها تنطلق من طاعه الإنسان للشهوات،فالذى لا يطيع شهواته لا يسرق،لان من يسرق انما يسرق لكى يصبح أكثر ثراء من غيره،أو ليست هذه شهوه؟ و هكذا يكذب الإنسان و يظلم أو يخاف من الناس،و هو يعلم ان كل ذلك طريق للانحدار و التردى.

و إذا ما عالج الإنسان هذا المرض عنده فان سائر الانحرافات التى يعانى منها

ستشفى طبيعيا تباعا لعلاج الجذر.

بينات من الآيات:

اشاره

[۴۵] وَ اللّٰهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مٰاءٍ لا بد ان كل إنسان قد شاهد النمله التى لا تكاد العين تراها،كيف تبحث عن رزقها و كيف تمتلك ما تملكه الحيوانات الضخمه من أجهزه داخليه و أعضاء مختلفه؟و هى تعرف بما أودع اللّه فيها من الهدى ان الحبه التى تحصل عليها يجب ان تفلقها الى عده أجزاء قبل ان تختزنها،لكى لا تنمو ثانيه و هى فى بطن التراب، و الاغرب من ذلك انها تفلق الحبوب الى قسمين الا حبه الذره،فانها تفلقها الى اربع أقسام بنظرتها التى أودعها اللّه فيها،و كأنها تعلم لو انها فلقتها الى قسمين لا مكن لكن جزء منها ان ينبت لوحده دون سواها من الحبوب،و إذا رأت مكانا فيه غذاء فانها تذهب و سرعان ما تعود و معها جيش من النمل ليتعاونوا جميعا على نقله، و ادخاره،ترى كيف أبلغتهم بالأمر و بأى لغه تكلمت؟ هذه النمله الصغيره خلقها اللّه من الماء،و ذلك الفيل الضخم الذى إذا رأيته هالك منظره،هو خلقه اللّه من السماء أيضا،و هكذا سائر الحيوانات البريه و البحريه،و الطيور و الحشرات بالاضافه الى البشر.

ان تنويع الخلقه،و التركيز على ان كل نوع منها يسير وفق سلسله معينه فى تدرج الحياه يعطينا ايمانا باللّه،و بقدرته اللامتناهيه حيث خلقها جميعا من الماء..

فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلىٰ بَطْنِهِ كالزواحف.

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلىٰ رِجْلَيْنِ

كالإنسان.

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلىٰ أَرْبَعٍ كالدواب.

يَخْلُقُ اللّٰهُ مٰا يَشٰاءُ إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

سأل رجل الامام الصادق عليه السلام لماذا خلق اللّه كل هذه الأحياء؟ فأجابه عليه السلام :بأن اللّه عز و جل خلق أنواع الخلقه حتى لا يقول الإنسان لو كان اللّه قادرا لخلق حيوانا بالصفات الفلانيه،فكل ما يمكن ان يتصوره الإنسان من أنواع الحيوانات يجده مخلوقا،ان لم يكن فى عصره،ففى العصور الغابره،و ان لم يكن فى بيئته،ففى البيئات الأخرى. (۱)

فربنا الذى شاء و كانت مشيئته هى الغالبه،و أنت بدورك محكوم بإراده اللّه، فلما ذا التمرد و لماذا العصيان؟ [۴۶]و فى الوقت الذى أنزل اللّه الآيات التى تذكرنا بآياته،فان البشر بحاجه الى الهدايه المباشره من قبل اللّه برحمه يخص بها من يشاء منهم ليهتدوا الى الصراط المستقيم،ذلك ان الهدايه نعمه عظيمه و هدف رفيع لا ينالها كل الناس.

لَقَدْ أَنْزَلْنٰا آيٰاتٍ مُبَيِّنٰاتٍ وَ اللّٰهُ يَهْدِى مَنْ يَشٰاءُ إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ اذن فعليك ان تسعى من أجل الحصول على هدايه اللّه بطاعته و التقرب اليه بالأعمال الصالحه.

ص:۳۳۷

۱- ۱) الحديث منقول بمضمونه لا نصه.

[۴۷]بيد ان هناک أناسا يدّعون الايمان و لكن واقعهم يخالف ما يدعون.

وَ يَقُولُونَ آمَنّا بِاللّهِ وَ بِالرَّسُولِ وَ أَطَعْنا ثُمَّ يَتَوَلّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَ ما أُولئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ [۴۸]ان أصوب مقياس للايمان هو الطاعه عند الصراع،فاذا أسلم للحق الذى يخالف هداه و مصلحته و قبل العداله التى تكون الى جانب خصومه،و تنازل طواعيه عن دعاويه إذا حكم القاضى العادل ضده،فان ايمانه حق،و الا فان دعوى الايمان غير مقبوله.

وَ إِذا دُعُوا إِلَى اللّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ [۴۹]و لان طاعتهم للّه و الرسول نابعه من مصالحهم الماديه،فاذا كان الأمر لصالحهم أطاعوا و دعوا الناس الى الطاعه،اما إذا لم يكن الأمر كذلک فإنهم يخالفون حكم اللّه و يعرضون عن شريعته فاذا عرف أحدهم انه لو ذهب الى الحاكم الشرعى فانه سيحكم ضده،فانه يذهب إلى المحاكم الجائره ليتسنى له التلاعب بالقوانين عبر الرشاوى.

اما المحاكم الاسلاميه الحاسمه التى تقضى بالحق فانه لا يذهب لها الا إذا علم بان قضيته رابحه،و يكون فى هذه الحاله أسرع الناس الى حكم الإسلام،و أكثر الناس دعوه الى الأخذ به.

وَ إِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ [۵۰]و هذا نوع من أنواع الطاعه المصلحيه،و الايمان المنفعى المرفوض فى الإسلام،و لكن ما هو الدافع لهذا الايمان؟

أَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتٰابُوا أَمْ یَخٰافُونَ أَنْ یَحِیفَ اللّٰهُ عَلَیْهِمْ وَ رَسُولُهُ بَلْ أُولٰئِکَ هُمُ الظّٰالِمُونَ ان الـذین یخشون العوده الی طاعه اللّه،و حکم الرسول هم أحد أولئک التالیه صفاتهم:

أولا:مرضی القلوب:

الذین یخالفون قیاده الرسول،استکبارا فی الأرض،و تمردا علی هذه القیاده الشرعیه،فلقد کان بنوا أمیه و غیرهم من بطون قریش یحسدون النبی محمد صلی الله علیه و آله - القیاده الشرعیه-لأنه کان من عائله بنی هاشم،التی أثبتت سیادتها و تفوقها علی غیرها،مما دفعهم لحسدها و من ثم حسدوا الرساله و القیاده المنبعثه عنها.

و هذا نوع من امراض القلب،حیث یسارع صاحبه الی اتخاذ موقف النفور و الکراهیه ضد کل من یتحلی الطیبه و الأخلاق الفاضله،لمجرد انه یستقطب الناس حوله و یتفوق علیه.

ثانیا:الریبه:

حیث تستبد بقلب البعض حاله الشک فیکون شخصیه قلقه یشک فی کل شیء، و هکذا یشک فی القیاده الرسالیه أیضا لشکه الاساسی فی الدین.

ثالثا:الخوف من الحیف:

و هناک فریق ثالث یتمردون علی القیاده الرسالیه بسبب خوفهم من ان تسبب لهم الضرر،کما لو أرادت اعاده حقوق المظلومین و یعتبرون ذلک ظلما لهم،فی حین ان الظالم الحقیقی هو الذی یمتّص دماء المستضعفین،و یترف علی حساب المحرومین،و لیس حیفا ان یسترد اللّه حقوق المستضعفین من المستکبرین،انما هو

العدل و الإنصاف بعينه،و حاشا للّه ان يظلم أحدا أو رسوله،بل الذين يخالفون اللّه و رسوله،لهذه الأسباب هم الظالمون.

[۵۱]و فى مقابل هؤلاء الذين يقولون أطعنا،ثم يخالفون القياده الرساليه فى ساعه الجد،و يميلون الى مصالحهم و أهوائهم الشخصيه،نرى أولئك المؤمنين الصادقين و الذين إذا قالوا أطعنا استقاموا على ذلك،و ثبتوا مضحّين بمصالحهم الشخصيه لصالح الإسلام و المسلمين،و استجابوا لكل الأوامر القياديه على الرغم من شدتها و صرامتها.

إِنَّما كانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذا دُعُوا إِلَى اللّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [۵۲]لأنهم يتلقون احكام اللّه و تشريعاته و تعاليم نبيه الأكرم،و يعملون بموجبها فى معاملاتهم الاقتصاديه و السياسيه و القضائيه و غيرها،-تماما-كما يفعلون ذلك فى شؤونهم التعبديه كالصلاه و الصوم و غيرها،فما من واقعه الا و للّه فيها حكم يتبعونه،و هكذا يجب على أبناء الامه الاسلاميه ان يستجيبوا لنداء علماء الإسلام عند ما يدعونهم لمنهج اللّه فى الحكم و السياسه،أو الاقتصاد،و سائر شؤون الحياه،لا أن يهرعوا الى الغرب تاره و الى الشرق تاره أخرى،يبحثون عن المناهج و الأحكام عندهم.

وَ مَنْ يُطِعِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَخْشَ اللّهَ وَ يَتَّقْهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ ذلك لأن من يمتلكون هذه الصفات الثلاث(الطاعه،الخشيه،التقوى) يكونون قد استكملوا أسباب الايمان الحقيقى،فيحصلون على الفوز من اللّه.

أنهم يطيعون اللّه و رسوله خشيه من عقابه المهين،و عذابه الأليم،و لأن الخشيه

شعور مؤقت قد يخبو مع الزمن فى النفس البشريه،فإنهم يدعمونها بالتقوى،و هى الالتزام الدقيق بالتعاليم الاسلاميه صغيرها و كبيرها،و الاهتمام البالغ بكل الأوامر الالهيه.

ص:٣٤١

[سوره النور (۲۴): الآيات ۵۳ الی ۵۷]

اشاره

وَ أَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمٰانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لاٰ تُقْسِمُوا طٰاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اَللّٰهَ خَبِيرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ (۵۳) قُلْ أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمٰا عَلَيْهِ مٰا حُمِّلَ وَ عَلَيْكُمْ مٰا حُمِّلْتُمْ وَ إِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَ مٰا عَلَى اَلرَّسُولِ إِلاَّ اَلْبَلاٰغُ اَلْمُبِينُ (۵۴) وَعَدَ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى اَلْأَرْضِ كَمَا اِسْتَخْلَفَ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ اَلَّذِى اِرْتَضىٰ لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لاٰ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ اَلْفٰاسِقُونَ (۵۵) وَ أَقِيمُوا اَلصَّلاٰةَ وَ آتُوا اَلزَّكٰاةَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (۵۶) لاٰ تَحْسَبَنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِى اَلْأَرْضِ وَ مَأْوٰاهُمُ اَلنّٰارُ وَ لَبِئْسَ اَلْمَصِيرُ (۵۷)

ص:۳۴۲

وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً

هدى من الآيات:

فی اطار الحدیث السابق عن الطاعه للقیاده الشرعیه التی أمر اللّه بها-تلک الطاعه التی هی أحد اهداف التربیه السلیمه-یبین هذا الدرس:ان هناک مقیاسا واحدا و حقیقیا لمعرفه مدی تسلیم الإنسان لربه،و بالتالی لمعرفه مدی عمق الایمان و صدقه،و ذلک المقیاس هو:مدی طاعه الإنسان لقیادته الرسالیه التی تجسد أوامر اللّه سبحانه.

و الطاعه المقصوده هی الطاعه المستقیمه فی أوقات الشده و الرخاء لا فی الرخاء فحسب،لأن الإنسان قد یکون مستعدا للطاعه،و لکن فی حدود القضایا البسیطه التی لا تکلّفه شیئا من الجهد،أما حینما یؤمر باقتحام الصعوبات فی الحیاه کالجهاد،فانه ینکص علی عقبیه،خسر الدنیا و الآخره، و کثیر أولئک الذین یتظاهرون بالایمان بل و یحلفون بأغلظ الأیمان و أشدها انهم یطیعون القیاده عند الشده الا أنهم حین تأمرهم القیاده بالخروج الی الحری ینکثون فاذا بادعائهم مجرد حلف غطاء لنفاقهم.

و يؤكـد ربنا سـبحانه و تعالى على ضـروره الطاعه للقياده الشـرعيه، كالرسول صـلى الله عليه و آله ،و اولى الأمر،و انه يجب ان لا يقلق الإنسان بعد ذلك على المستقبل،لان اللّه قد ضمنه للمؤمنين الذين يعملون الصالحات،حيث وعدهم بالنصر و التأييد،و أكد ان الرسول قد حمل الرساله،و أنتم حملتم طاعته.

ففى ساعه النصـر ينسـى الإنسان كل لحظات الصعوبه التى مر بها،لذلك أكد اللّه سبحانه للمسلمين المؤمنين انه سيجعلهم خلفاء فى الأرض،بعد ان يهلك أعداءهم،كما حقق ذلك للذين آمنوا و عملوا الصالحات من قبلهم،و الخلافه لا تشكل هدفا لذاتها،بل هى وسيله لهدف اسمى،هو تطبيق حكم اللّه،و من ثم عباده اللّه وحده و إسقاط سلطه الآلهه الباطله.

و ينهى القرآن الحـديث فى هـذا الـدرس بتسـفيه فكر الكفار الذين يعتقدون بقدرتهم على فعل كل شـىء،إذ لا يمكن لأحد ان يقف أمـام المـد الايمـانى،الـذى تقوده رسـاله اللّه،و يتصـدره المؤمنون الصـادقون،فليس الكفـار بمعجزين فى الأـرض، و ليسوا بقادرين على ان يمنعوا حركه التاريخ من المضى قدما ضمن سنن اللّه فى الطبيعه و المجتمع.

بينات من الآيات:

اشاره

[۵۳] وَ أَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ الى معترك الحرب و سوح الجهاد،فقد أقسـموا على ذلك بأغلظ الايمان الممكنه، و هـل يحتـاج الإنسـان الصادق للحلف حتى يفى بالوعـد؟! قُلْ لا تُقْسِمُوا طاعَهٌ مَعْرُوفَهٌ الطاعه الحق معروفه لان العمل يصدقها و لا تحتاج الى القسم،فهل يحتاج

الإنسان فی البدیهیات الحیاتیه الی القسم؟!بالطبع کلا..لأنها قضایا معروفه لا داعی للحلف فیها،لذلک ینبغی ان تکون الطاعه أساسا ثابتا فی حیاه المسلم، و جزءا من کیانه،فلا داعی لأن یجعلها فی خانه الشواذ،التی یحتاج صاحبها للحلف حتی یبرهن علی صدقه فیها،بل یجب تحویلها الی صبغه ثابته فی حیاته.

إِنَّ اللّٰهَ خَبِیرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ فاذا خادعتم القیاده الرسالیه بقسمکم،فلن تخدعوا ربکم و هو الخبیر بما تعملون،و إذا کان عملکم ردیئا فلن یغیّر القسم من طبیعته شیئا،مهما کان مؤکّدا و مغلّظا.

دور القیاده و مسئولیه الامه:

[۵۴] قُلْ أَطِیعُوا اللّٰهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمٰا عَلَیْهِ مٰا حُمِّلَ وَ عَلَیْکُمْ مٰا حُمِّلْتُمْ ان طاعه الرسول-و هکذا القیاده الشرعیه من بعده-هی الطریق الی طاعه اللّه سبحانه،و لا تعنی طاعه اللّه شیئا من دون الطاعه للرسول،و یخطئون أولئک الذین یقولون حسبنا کتاب اللّه،رافضین طاعه القیاده الرسالیه التی فرضها اللّه علیهم کی تحدد لهم المناهج الدقیقه و التفصیلیه لمختلف التغییرات الحیاتیه.

هذا الموقف و ان حاول أصحابه إعطاءه صبغه شرعیه،الا انه-فی الواقع- نوع من التمرد علی اللّه،لذا تتکرر فی الآیات القرآنیه کلمه(الطاعه)..

و لم یقل تعالی:قل أطیعوا اللّه و الرسول،بالرغم من ان طاعه الرسول امتدادا لطاعه اللّه،بل کرر کلمه«أطیعوا»لیؤکد علی الطاعه الثانیه تأکیدا مباشرا، و ذلک لصعوبتها علی کثیر من الناس.

ان طاعه اللّه قد تكون فى الأمور الثابته،اما طاعه الرسول-التى هى أيضا طاعه اللّه-فهى اتباع منهج اللّه العملى فى القضايا السياسيه،و الشرعيه،و فى متغيرات الحياه العامه،كما فى الحوادث الواقعه(الجديده).

و من لم يفهم هذه الحقيقه فانه معرض للتمرد على الرسول،و لمن يخلفه من بعده.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمٰا عَلَيْهِ مٰا حُمِّلَ و هو تبليغ الرساله.

وَ عَلَيْكُمْ مٰا حُمِّلْتُمْ و هو الاستجابه له فيما يأمر به.

و اللّه يجازى كل إنسان على حده،دون ان يجعل مسئوليه الناس على عاتق الرسول صلى الله عليه و آله ،كما انه لا يكلف الرسول بان يفرض الطاعه عليهم.

وَ إِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا لأنكم تصلون بذلك الى فهم حقيقه الحياه.

و نستوحى من هذه الآيه تأويل قوله سبحانه فى آيه مضت آنفا:« وَ اللّٰهُ يَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ »حيث نعرف ان طاعه الرسل و أوصياءهم وسيله للهدايه،و ان مخالفتهم طريق الضلال.

وَ مٰا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاٰغُ الْمُبِينُ و بالرغم من أننا نعتقد بهذه الفكره بصفتنا مسلمين،الا أننا حين نضعها موضع

التطبيق يثقل علينا الأمر،لان الإنسان بطبيعته يحاول التهرب من المسؤوليه،و إلقاء الاخطاء على كاهل الآخرين،أو يلقى بمسؤوليه عدم قيامه بواجباته على عاتق القياده،أيّا كانت،فالابن يلقى التبعه على الأب،و التلميذ على الأستاذ، و المدارس على اداره المدرسه،و اداره المدرسه على الوزاره المختصه بها،و هكذا..

فلكى يتنصل كل واحد منا من ثقل المسؤوليه التى أشفقت منها السماوات و الأرض و الجبال تجده يوزع الاتهامات يمينا و شمالا،و لا يبخل بها حتى على قيادته،بل انها تنال الحظ الأوفر منها،و هذه فكره ضلال فى نفس الوقت.

هدف الدوله الاسلاميه:

[۵۵] وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ و هنا ثلاثه اسئله لا بد من الاجابه عليها:

الاول:ما هو الربط بين هذا الوعد بعد الأمر بالطاعه؟ الثانى:لماذا أكّد القرآن على كلمه«منكم»؟ الثالث:ما معنى الاستخلاف فى الأرض؟ الجواب أولا:لان الطاعه للقياده أمر صعب جدا،و لا يمكن ان يلتزم الإنسان بها مخلصا تمام الإخلاص،الا ان يكون وراءه هدف محدد.

و حينما تسعى جماعه مؤمنه لتحقيق الاستخلاف فى الأرض،فان الإفراد يتنازلون مرحليا عن انانيّتهم،و يذوّبون أنفسهم فى بوتقه القياده،و هذا يجعل كل واحد منهم يلبس شخصيه جديده،هى شخصيه المجموع،و يتمثل بالتالى شخصيه

ص:۳۴۷

القياده.

ثانيا:جاءت كلمه«منكم»لتبين بأنّ الاستخلاف سنّه جرت فی السابقين،و هی ليست حكرا على أولئك،بل تجری فينا أيضا،و من سيأتی بعدنا من المؤمنين،إذ ليست هذه السنّه حكرا على فئه محدّده فی زمن محدد،بل يكفی أن يحقّق شرطا«الايمان و العمل الصالح»لتأخذ هذه السنّه مجراها فی أیّ مجتمع.

أما الجواب عن السؤال الثالث:

أ-فقال جماعه من المفسّرين إنّ الاستخلاف يعنی ذهاب طائفه من الناس، و حلول أخرى محلّها.

ب-و قال آخرون إنّ معنى الاستخلاف هو إكرام اللّه المؤمنين بجعلهم أئمه الناس،ليقوموا بتطبيق الشريعه،كما استخلف الأنبياء و الأوصياء و الصّالحين من المؤمنين من قبلهم.

و الواقع إنّ الخلافه كما جاء فی(أ)،فهذا هو المعنى الضيّق للكلمه،فكل الناس خلفاء لمن سبقهم،حتى الكفار منهم،فلا داعی للتخصيص،لأن اللّه وعد المؤمنين بالخلافه عامّه.

و عموما فإن الخلافه فی الأرض هی القياده التی يهبها اللّه لفئه من الناس، لأنهم يتبعون ما أنزل عليهم من قيم.

إذن فواقع الاستخلاف يعنی أمرين:

الاول:انّ اللّه يعطی السلطه للمؤمنين و يمكّن لهم تمكينا.

الثانی:ان هذه السلطه لا تكون الا بإذن اللّه الذی يحققها و يعطيها الشرعيه.

ص:۳۴۸

وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضىٰ لَهُمْ فسلطتهم ليست كأىّ سلطه ماديه،بل هى سلطه روحيه تهديها القيم الرساله.

وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ الذى عاشوه فى ظل السلطات الجائره و هم يقاومونها حتى يقيموا دوله الحق.

أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاٰ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ان الهدف الحقيقى للحكم الذى يعطيه اللّه للإنسان،ليس التسلط على رقاب الناس،فهو ليس هدفا بذاته،بل الحكمه منه هو عباده اللّه و عدم الشرك به.

ان توفّر ظروف التخلص من الضغوط الشركيه حيث يرتاح الإنسان من شبكات الاستعباد التضليليه و الماليه و السلطويه هى أعظم نعمه يهبها اللّه للإنسان.

و من المعروف ان الشرك لا يتحقق بعبوديه الصنم،بقدر ما يتحقق بعباده الطاغوت و الخضوع لسلطته الجائره،أو بعباده المال،و الأرض،و العنصر...إلخ.

و رفض الشرك انما هو رفض للقيم التى يتغذى منها،و لعل هذا ما نلاحظه فى التعبير القرآنى،إذ لم يقل تعالى:«لا يشركون بى شخصا»مثلا،و انما أطلق و قال:(شيئا)،ذلك لان من يخضع للطاغوت لا يعبد جسده،و انما يعبد الصولجان الذى بيده،و القوه التى تحت سيطرته،و هكذا من يخضع للأثرياء،انما يعبد الدينار و الدرهم.

وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفٰاسِقُونَ فاذا قامت السلطه السياسيه(الشرعيه)فان كل من يكفر يكون فاسقا،إذ لا

یملک ای تبریر لکفره.

و الواقع ان التأویل الحق و الشامل لهذه الآیه انما یکون عند تحقق وعد اللّه بالتمکین التام للدین المختار،فی کل أقطار الأرض،کما

جاء فی أحادیث مأثوره عن النبی صلّی اللّه علیه و آله انه قال :

«زویت لی الأرض،فأریت مشارقها و مغاربها،و سیبلغ أمتی ما زوی لی منها. »

و قال-صلّی اللّه علیه و آله- :

«لا یبقی فی الأرض بیت مدر و لا وبر الا ادخله اللّه کلمه الإسلام بعز عزیز، أو ذل ذلیل،أما ان یعزهم اللّه فیجعلهم من أهلها،و اما أن یذلهم فیدینون بها. » (1)أما متی یتحقق ذلک؟فانه إنما یتحقق عند قیام المهدی من آل محمد حیث

جاء فی حدیث اتفق علیه المسلمون :

«لو لم یبق من الدنیا الا یوم،لطوّل اللّه ذلک الیوم حتی یلی رجل من عترتی،اسمه اسمی،یملأ الأرض عدلا و قسطا کما ملئت ظلما و جورا. » (2)[56] وَ أَقِیمُوا الصَّلاٰهَ وَ آتُوا الزَّکٰاهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّکُمْ تُرْحَمُونَ ان اقامه الصلاه و إیتاء الزکاه من التشریعات الالهیه التی تدخل ضمن نطاق طاعه اللّه سبحانه،لذلک فهما لا یکفیان دون طاعه الرسول،و لعل المراد بالرحمه

ص:350

1- 1) المصدر/ص 621.

2- 2) تفسیر«نمونه»/ج 14/ص 530.

هنا النصر على الأعداء.

الانتصار وليد الثقه:

لا تنتصر أمه لا تثق بطاقاتها و قدرتها على الانتصار.

فلاـ ينبغى ان يقف حاجزا بين المؤمنين و اقامه حكومه الإسلام و سلطه الشرع فى الأرض ما يجدونه من قوه الطغاه،و ثروه الأغنياء،أو جهل الناس،بل اعتقادهم بأن الكفار قد سلبوا قدرتهم و إرادتهم على الصراع و الانتصار باطل.

فلاـ تخشى ايها المؤمن الكفار! [۵۷] لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِی الْأَرْضِ لاـ تظنوا ان السلطات الكافره قد سلبتكم الإراده،و أوصلتكم الى حافه العجز.

وَ مَأْواهُمُ النّارُ وَ لَبِئْسَ الْمَصِيرُ فمن الناحيه الماديه لاـ قوه لهم تمنع المؤمنين من أخذهم حقهم،و من الناحيه المعنويه فان مصيرهم الى النار و بئس المصير،و هذا يعنى ان اللّه قد رفع عنهم دعمه،فلن يجدوا من ينصرهم على المؤمنين،« ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ أَنَّ الْكافِرِينَ لاٰ مَوْلىٰ لَهُمْ ».

و يا ليتنا نحن المسلمين اليوم،نتخذ هذه الآيه الكريمه شعارا فى حياتنا السياسيه،و تحركاتنا الاجتماعيه،فنقاوم أكبر عقبه كأداء فى حياه المسلمين الذين يعتقدون بتفوق الكفار عليهم،و انهم قادرون على منعهم من أخذ حقوقهم،و تحقيق اهدافهم،مع أن الواقع عكس ذلك تماما.

ص:۳۵۱

و اللّه يفند هذا الاعتقاد الباطل،بوعده المؤمنين بالانتصار،و ببيان ان الكفار عاجزين و ضعفاء.

ص:٣٥٢

[سوره النور (۲۴): الآیات ۵۸ الی ۶۱]

اشاره

یا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا لِیَسْتَأْذِنْکُمُ اَلَّذِینَ مَلَکَتْ أَیْمانُکُمْ وَ اَلَّذِینَ لَمْ یَبْلُغُوا اَلْحُلُمَ مِنْکُمْ ثَلاثَ مَرّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاهِ اَلْفَجْرِ وَ حِینَ تَضَعُونَ ثِیابَکُمْ مِنَ اَلظَّهِیرَهِ وَ مِنْ بَعْدِ صَلاهِ اَلْعِشاءِ ثَلاثُ عَوْراتٍ لَکُمْ لَیْسَ عَلَیْکُمْ وَ لا عَلَیْهِمْ جُناحٌ بَعْدَهُنَّ طَوّافُونَ عَلَیْکُمْ بَعْضُکُمْ عَلی بَعْضٍ کَذلِکَ یُبَیِّنُ اَللّهُ لَکُمُ اَلْآیاتِ وَ اَللّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ (۵۸) وَ إِذا بَلَغَ اَلْأَطْفالُ مِنْکُمُ اَلْحُلُمَ فَلْیَسْتَأْذِنُوا کَمَا اِسْتَأْذَنَ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ کَذلِکَ یُبَیِّنُ اَللّهُ لَکُمْ آیاتِهِ وَ اَللّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ (۵۹) وَ اَلْقَواعِدُ مِنَ اَلنِّساءِ اَللاّتِی لا یَرْجُونَ نِکاحاً فَلَیْسَ عَلَیْهِنَّ جُناحٌ أَنْ یَضَعْنَ ثِیابَهُنَّ غَیْرَ مُتَبَرِّجاتٍ بِزِینَهٍ وَ أَنْ یَسْتَعْفِفْنَ خَیْرٌ لَهُنَّ وَ اَللّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (۶۰) لَیْسَ عَلَی اَلْأَعْمی حَرَجٌ وَ لا عَلَی اَلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَ لا عَلَی اَلْمَرِیضِ حَرَجٌ وَ لا عَلی أَنْفُسِکُمْ أَنْ تَأْکُلُوا مِنْ بُیُوتِکُمْ أَوْ بُیُوتِ آبائِکُمْ أَوْ بُیُوتِ أُمَّهاتِکُمْ أَوْ بُیُوتِ إِخْوانِکُمْ أَوْ بُیُوتِ أَخَواتِکُمْ أَوْ بُیُوتِ أَعْمامِکُمْ أَوْ بُیُوتِ عَمّاتِکُمْ أَوْ بُیُوتِ أَخْوالِکُمْ أَوْ بُیُوتِ خالاتِکُمْ أَوْ ما مَلَکْتُمْ مَفاتِحَهُ أَوْ صَدِیقِکُمْ لَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ أَنْ تَأْکُلُوا جَمِیعاً أَوْ أَشْتاتاً فَإِذا دَخَلْتُمْ بُیُوتاً فَسَلِّمُوا عَلی أَنْفُسِکُمْ تَحِیَّهً مِنْ عِنْدِ اَللّهِ مُبارَکَهً طَیِّبَهً کَذلِکَ یُبَیِّنُ اَللّهُ لَکُمُ اَلْآیاتِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ (۶۱)

تعاليم الإسلام فى دخول البيوت

هدى من الآيات:

فى اطار حديث سوره النور عن العلاقات الاسريه،و ضروره تنظيمها،يحدثنا ربنا فى هذا الدرس عن بعض القضايا التى تبدو جزئيه،و لكنها-فى الواقع- هامه،لأنها ترسم حدود الاسره،و التى من بينها ضروره تنظيم التزاور بحيث تستطيع الاسره ان تبقى آمنه فى مأواها،بعيده عن العيون الغريبه،فيحرم على المملوك و الأطفال دخول الغرف،الا بعد الاستئذان،و ذلك فى أوقات الاستراحه فى الليل و عند الظهيره و من قبل صلاه الفجر.

و ينهى الأطفال الذين يبلغون الحلم،ان يسترسلوا على عادتهم فى دخول البيوت بلا استيذان فى غير الأوقات الثلاث.

و لان أعظم حكمه فى ذلك هو المحافظه على العفه الاجتماعيه،يحدثنا السياق بهذه المناسبه عن القواعد من النساء،و هى اللاتى لا يرغب فى زواجهن أحد لكبر سنهن،فيسوغ لهن وضع ثيابهن الظاهره كالخمار و الجلباب بشرط عدم التبرج بزينه

من أجل اثاره شهوه الرجال.

ثم يبين السياق حكم الدخول فى البيوت و الاكل منها بالنسبه الى العائله الكبيره،و يبدأ ببيان حكم ذوى العاهات فيجوز دخولهم جميعا البيوت و تناول الطعام بلا استيذان.

بينات من الآيات:

[۵۸]لتزكى اجواء المجتمع،و يبقى الاحتشام و العفاف فى البيئه الاسريه،لا ينبغى السماح للعبيد و الأطفال باقتحام غرف النوم و الراحه من دون الاذن.

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمٰانُكُمْ من العبيد و الإماء.

وَ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ و هم الأطفال من العائله،إذ يجب عليهم استئذان أصحاب البيوت فى أوقات معينه،و هى:

ثَلاٰثَ مَرّٰاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاٰهِ الْفَجْرِ وَ حِينَ تَضَعُونَ ثِيٰابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَهِ وَ مِنْ بَعْدِ صَلاٰهِ الْعِشٰاءِ لأنها أوقات الراحه التى يتواجد الناس حينها فى بيوتهم،بعد ان يكونوا قد حضروا صلاه الجماعه فى المساجد،أو قاموا بأعمالهم المختلفه و نشاطاتهم المتنوعه لكسب الرزق،و تحقيق المعاش،و هكذا ينظم الإسلام الوقت بدقه،فجزء لاجتماع المسلمين فى المساجد كى يؤدوا الفرائض و يتبادلوا الأفكار و الخبرات بينهم،و جزء للسعى و العمل،و جزء للراحه و الاستجمام،حيث يستعيدوا القوه و النشاط و يكملوا

دوره الحیاه.

ثَلاثُ عَوْراتٍ لَكُمْ أحوال یجب ان لا یظهر علیها الآخرون،لأنها أوقات الراحه،و كم یرتاح الإنسان نفسیا حین یطمئن بأن لا أحد یدخل علیه إذ یضع عن نفسه الكلفه.

لَیْسَ عَلَیْكُمْ وَ لا عَلَیْهِمْ جُناحٌ بَعْدَهُنَّ و أما بعد هذه الأوقات فلا مؤاخذه علیكم و لا علیهم و لا علیهم ای الأطفال و العبید و الإماء أن یدخلوا علیكم دون استئذان.

طَوّافُونَ عَلَیْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلی بَعْضٍ ای تأخذ حركه الدخول و الزیارات مجراها علیكم بعد المنع و التوقف،و بالطبع ان الدخول بلا استئذان یختص بالمتعلقین بالشخص دون الأجانب.

كَذلِكَ یُبَیِّنُ اللّهُ لَكُمُ الْآیاتِ وَ اللّهُ عَلِیمٌ حَكِیمٌ فهو علیم بمصالحكم،و حكیم إذ یضع لكم هذه الأحكام الرشیده،

و جاء فی النص المروی عن الامام الباقر علیه السّلام فی تفسیر الآیه :

«فلا یلج علی أمه و لا علی أخته،و لا علی ابنته و لا علی من سوی ذلك الا بإذن،و لا یأذن لأحد حتی یسلم،فان السّلام طاعه الرحمن. » (۱)فما هی فائده هذا الحكم؟ قبل ان نبین الاجابه علی ذلك نورد ملاحظه هامه هی:ان الإنسان قد یكون

۱- ۱) نور الثقلین/ج /۳ص ۶۲۲.

مهتما بحدود التنظيم الاجتماعی و قیوده،دون أن یهتم بجوهره و محتواه،و قد یعکس فیکون مهتما بجوهر التنظیم و هدفه،و لکنه یتجاهل الحدود التی هی وسائل تحقیق الهدف و یعتقد بأنها غیر هامه أو قشریه.

بینما یرید الإسلام من ابنائه الاهتمام بجوهر التنظیم و بحدوده،ای بهدفه و بالوسائل التی تحقق هذا الهدف.

ان جوهر التنظیم الاجتماعی هو الطاعه الخالصه للّه تعالی،و البعیده عن الأهواء و المصالح الآنیه،و کل أنواع العصبیات الجاهلیه،و تبرز أعلی مظاهر الطاعه للّه،فی الطاعه للقیاده الرسالیه و تتدرج هابطا حتی تصل الی ولی الأمر الحاکم الشرعی، و کذا ولی الاسره و رؤساء کافه التنظیمات الاجتماعیه و السیاسیه الشرعیه.

و الاسره الفاضله هی الاسره القائمه علی أساس التعاون البنّاء،و لا یأتی ذلک الا عن طریق الطاعه السلیمه للقیم الحق،بحیث لا تکون هذه الطاعه خالیه من قانون یحددها، بل یجب ان تصب فی قنوات قانونیه،فلا یکتفی الإنسان المنظم بالطاعه لقیادته أو ولی أمره أو رب أسرته،بل ان یلتزم أیضا بحدود القوانین الاجتماعیه المفروضه،فقد لا تبدو هذه القوانین ذات اهمیه،و لکنها حینما تطبق فی الحیاه الاجتماعیه تصبح ذات نفع عظیم،مثلا حینما یلزم الإسلام المسلم الوفاء بالعهد و الالتزام بالوعد،أ تدری کم ینظم هذا الأمر حیاه المجتمع،أو کم یحافظ علی الوقت الذی یذهب هدرا؟و الی ای حد یحافظ علی علاقات الناس متینه و طیبه؟ و هکذا حین یفرض الإسلام تنظیم الوقت،فلأنه حاجه اجتماعیه،و ضروره حیاتیه،إذ لا یمکن للإنسان العمل فی أی وقت یرید،أو التبضع متی شاء،أو حتی النوم متی یرغب،بل هناک أوقات محدوده لکل نشاطات الحیاه و شؤونها،

و بالرغم من ان تنظيم الوقت يبدو لكثير من الناس عملا ثانويا،الا انه أشبه ما يكون بالقناه التى تحافظ على مياه المطر من التشتت،لأنه يحافظ على طاقات الإنسان من التشتت و يجمع طاقات الجماهير ليصبها فى قناه واحده.

من هنا نجد تأكيدا فى هذه الآيات على ضروره ملاحظه أوقات الراحه للإنسان،و التى عاده ما تكون قبل صلاه الفجر و عند الظهر،و كذا بعد العشاء، و بمعنى آخر ضروره مراعاه أوقات الآخرين و برامجهم.

و حتى الأطفال يجب عليهم الاستئذان فى هذه الفترات لتبقى البيوت محلا آمنا يستطيع الإنسان الاستراحه فيه أنى شاء.

و لتنفصل أوقات الراحه عن أوقات العمل،كى يكون هناك وقت للراحه، كما ان هناك وقتا للسعى و الكدح ابتغاء فضل اللّه.و الذى يجد وقتا كافيا للراحه، يستطيع الجد و الإبداع عند العمل،إذ يجب ان تكون أوقات الراحه-كالقيلوله فى الظهر-منطلقا للتحرك نحو العمل من جديد،و بروح نشطه.

و هذا القانون يوفر على الإنسان مزيدا من الوقت المنظم،مما يعنى مزيدا من التقدم الحضارى.

و كلمه أخيره:

ان حكمه هذا التشريع الهام هى ابعاد الأطفال عن بعض المظاهر غير المناسبه المحتشمه فى غرف النوم،حيث تثيرهم و تزرع فى نفوسهم حب الزنا،أو حتى عداوه أحد الوالدين،مما يتسبب فى العقد الجنسيه،و ما تتبعها من نتائج خطيره.

و لقد حذرت النصوص الشرعيه من ذلك و اعتبرته نوعا من التشجيع على الزنا، إذ يسقط الحياء و تصبح المعاشره الجنسيه عملا عاديا عندهم،و سوف يمارسونها عند

أول بوادر الحاجه الفسيولوجيه إليها.

حتى

جاء فى حديث مأثور عن النبى صلى الله عليه و آله :

«إياكم و ان يجامع الرجل امرأته،و الصبى فى المهد ينظر إليهما. » (۱)اما غير الأطفال و العبيد فعليهم الاستئذان،و قد سبق الحديث عن ذلک فى آيات مضت و على الأطفال إذا بلغوا سن الرشد ان يتوقفوا عن دخول الغرف الا بإذن.

[۵۹] وَ إِذٰا بَلَغَ الْأَطْفٰالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا فى الدخول.

كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من الأحرار.

كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ آيٰاتِهِ وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ و هذا التكرار تأكيد على أهميه هذه الأوامر الالهيه،و انها ذات أثر عميق فى المجتمع،و ان لم يستطع الإنسان الاحاطه علما بجميع أبعادها،و آثارها الآنيّه، و المستقبليه،لقله علمه و ضعف عقله،مما يجعله يستهين بها،فلا يبذل جهدا للالتزام بها و تطبيقها بدقه.

لهذا يجب ان تكون حكمه اللّه و علمه مقياسا لقوانين المجتمع البشرى،لا أهواء الإنسان و تخرصاته.

[۶۰] وَ الْقَوٰاعِدُ مِنَ النِّسٰاءِ اللاّتِي لاٰ يَرْجُونَ نِكٰاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنٰاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيٰابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجٰاتٍ بِزِينَةٍ

۱- ۱) تفسير نمونه/ج /۱۴ص ۵۴۶ نقلا عن موسوعه بحار الأنوار ج /۱۰۳ص ۲۹۵.

حیث یجیز الشارع المقدس للمرأه الکبیره فی السن،ان تضع بعض ثیابها مثل جلبابها و خمارها مما یغطی رأسها ما دام لا یرغب أحد فی نکاحها،بشرط ان لا تتبرج بإظهار مواضع زینتها،و لکن الأفضل ان تسود المجتمع الاسلامی کله حاله من العفاف و الاحتشام.

وَ أَنْ یَسْتَعْفِفْنَ خَیْرٌ لَهُنَّ فالمرأه و ان کبرت و بلغت سن الیأس،فان الحجاب أکثر هیبه لها،کما ان ذلک یشجع الشابات علی ان یتمسکن بالحجاب.

وَ اللّٰهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ فلا یجوز لها ان تقول کلاما تثیر به شهوه الرجال،أو تنوی القیام بحرکه معینه حراما،إذ ان اللّه سمیع للقول الظاهر علیم بالنیه الباطنه.

[۶۱] لَیْسَ عَلَی الْأَعْمیٰ حَرَجٌ وَ لاٰ عَلَی الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَ لاٰ عَلَی الْمَرِیضِ حَرَجٌ قال بعض المفسرین:ان الناس کانوا یتحرجون من التعامل مع هذه الطوائف الثلاث فی الجاهلیه،لأنهم کانوا یعتقدون ان اللّه قد غضب علی من ابتلی بهذه الحالات،فیبتعدون عنهم،و جاءت هذه الآیه لتبین الحقیقه بأن اللّه لم یغضب علی هؤلاء،بل من الضروری معاشرتهم بالإحسان،

جاء فی الروایه المأثوره عن الامام الباقر علیه السّلام :

ان أهل المدینه قبل ان یسلموا کانوا یعزلون الأعمی و الأعرج و المریض ان یأکلوا معهم-کانوا لا یأکلون معهم-و کان الأنصار فیهم تیه و تکرّم:فقالوا ان

الأعمى لا يبصر الطعام،و الأعرج لا يستطيع الزحام على الطعام،و المريض لا يأكل كما يأكل الصحيح،فعزلوا لهم طعامهم على ناحيه،و كانوا يرون عليهم فى مؤاكلتهم جناح،و كان الأعمى و الأعرج و المريض يقولون:لعلنا نؤذيهم إذا أكلنا معهم،فاعتزلوا من مؤاكلتهم،فلما قدم النبى سألوه عن ذلك فأنزل اللّه عز و جل:« لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنٰاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتٰاتاً . » (۱) و لعلنا نستوحى من السياق أيضا ان نفى الحرج هنا يعنى جواز الاكل،فيكون المفهوم من الآيه ليس على الأعمى حرج،و لا على الأعرج حرج،و لا على المريض حرج،أن يأكل من بيوت الناس،أما أنتم فليس عليكم حرج أن تأكلوا من بيوتكم،أو بيوت أقاربكم.

و الحكمه فى ذلك:ان هؤلاء هم العناصر الضعيفه الذين يعجزون عاده عن كسب رزقهم،فعلى الأصحاء كفالتهم و السماح لهم بالدخول الى بيوتهم للطعام و برهم.

وَ لاٰ عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبٰائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهٰاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوٰانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوٰاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمٰامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمّٰاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوٰالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خٰالاٰتِكُمْ تذكر هذه الآيه بالتفصيل البيوت التى لا حرج على الإنسان فى دخولها و الاكل منها.

و يبدو أنها ليست فى مقام إعطاء الاذن فحسب،بل فى مقام التشجيع على ذلك أيضا،فربما يتحرج الإنسان من الدخول الى بيوت أقاربه أو معارفه من الأصدقاء، فيرفع النص،هذا الحرج،لتنمو الالفه و المحبه بين الأسر المختلفه،و كما

يقول

۱- ۱) نور الثقلين/ج /۳ص ۶۲۴.

الحديث الشريف عن الائمه علیه السلام :

«أحبکم إلینا أکثرکم اکلا فی بیوتنا ».

لان الجلوس الی مائده الطعام فی البیت یفتح القلوب علی بعضها،و یمتن العلاقات،و بالتالی یفتح طریق التعاون بین افراد المجتمع.

فکم من تعاون بدأ من جلسه طعام،حتی الثورات الرسالیه کثیرا ما تنطلق من مثل هذه المناسبات،فحینما تقترب النفوس و ترتفع الحجب بین الإنسان و أخیه و بعیدا عن انظار الناس و أسماعهم،هنالک یبدأ الإنسان بالحدیث عما یعانیه، فیبث همومه و مشاکله لأخیه و بالتالی تتوفر الأجواء الملائمه للمناقشه و تبادل الأفکار مما یکون مناسبا لجمع الامکانات و الکفاءات المختلفه و ازاله الصعوبات،فربما جلس أناس مؤمنون لبعضهم کی یأکلوا،و لکنهم قاموا من علی مائده الطعام لینجزوا أعمالا عظیمه فی سبیل اللّه.

إن التجمعات الأسریه فی الإسلام هی اللبنات الاولی و الأساسیه فی صرح الصمود و التضحیه فی المجتمع الاسلامی،فلا یستطیع الإنسان الصمود أمام تحدیات الزمن و عنجهیه الطغاه،و تحقیق النصر لوحده،و لکنه یستطیع ذلک حینما یجلس الی أقاربه و معارفه و یتفاعل معهم حیث یشعر بالقوه فیندفع بحماس لمواجهه کل التحدیات.

و لما فی الجلوس الی الموائد من فوائد اجتماعیه عظیمه،نجد الإسلام یشجع علیها،و لو کانت العلاقات الاجتماعیه فی البلاد التی یحکمها الطاغوت متینه و فعاله لشلّ سیف الطغیان فیها،لان الطاغوت حینئذ لا یضرب واحدا واحدا، و انما یضرب اسره اسره،و الاسره القویه المتفاعله صخره صماء لا تتفتت،فلو وقف المجتمع بأسره المتعاونه مع بعضها عبر قیاداتها لسقط الطاغوت المتسلط علی رقاب

الناس.

ثم يبين القرآن الكريم حكما آخر يعطى العلاقات الاجتماعيه حراره و دفئا فيقول:

أَوْ مٰا مَلَكْتُمْ مَفٰاتِحَهُ فاذا اعطى المالك مفتاح بيته لأحد،يجوز له تناول الطعام الذى فيه -بالفحوى-لما ينبئ ذلك عن رضى قلبى.

جاء فى التاريخ:

إذا بعث رسول اللّه أحدا من أصحابه فى غزاه أو سريه،يدفع الرجل مفتاح بيته الى أخيه فى الدين(و هو الذى آخى النبى بينه و بينه)،و يقول له:خذ ما شئت و كل ما شئت،فكانوا يمتنعون من ذلك حتى ربما فسد الطعام فى البيت،فأنزل اللّه هذه الآيه. (۱)

و اعطى الإسلام الصديق الوفى حكم القريب فقال:

أَوْ صَدِيقِكُمْ

و جاء فى الحديث عن الامام الصادق عليه السلام :

«من عظم حرمه الصديق ان جعله من الانس و الثقه،و الانبساط و طرح الحشمه،بمنزله النفس و الأب و الأخ و الأبن » (۲)لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنٰاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتٰاتاً

۱- ۱) المصدر/ص ۶۲۵.

۲- ۲) المصدر/ص ۶۲۶.

فبإمكان الاسره ان تجتمع بأكملها حول مائده الطعام،أو يحضر افراد منها فقط كأن يأكل الأخ مع أخيه و الصديق مع صديقه.

فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللّهِ مُبارَكَةً طَيِّبَةً يجب ان تكون القلوب متحابه متآلفه،و مجنده فى جيش واحد، و السّلام هو رمز تآلف القلوب،و عند ما يسلم المرء على أخيه،فانه يربط نفسه معه برابطه المحبه و يتعهد بأن يكون مسالما له فى حضوره و غيابه.

لذلك يؤكد القرآن قائلا:« فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ »اى انكم تشكلون نفسا واحده،« تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللّهِ »فحينما يقول الإنسان لأخيه السّلام عليكم يقول اللّه أيضا السّلام عليك ايها المجتمع الذى يتسالم افراده و يتبادل أبناؤه السّلام،إنى سوف امنحكم السّلام تحيه،«مباركه طيبه»و هذا السّلام يسبب البركه اى النمو الاجتماعى و المعنوى،الذى يختلف عن النمو المادى الفاسد لدى المترفين أو الحكام الطغاه،بل هو تكامل طيب و مستقبله عظيم.

كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ فكلما كانت الأحكام القرآنيه حساسه و عميقه،كلما وجدنا بعدها مباشره مثل هذه الكلمات:لعلكم تعقلون،لعلكم تتفكرون،لحاجه الأمر الى التعقل و التفكر حتى يعرف المؤمنون أهميته،و انه لا يمكن فهم ذلك الا إذا استشار الإنسان عقله،و قدح زناد أفكاره.

ص:۳۶۵

[سوره النور (۲۴): الآيات ۶۲ الى ۶۴]

اشاره

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۶۲) لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (۶۳) أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَ يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۶۴)

بين القياده الرساليه و الامه المؤمنه

هدى من الآيات:

فی ختـام هـذه السوره التی تتحـدث عن الاسـره الفاضـله،و عن القیم التی ینبغی ان تنمو فیها،و التی من أبرزها الطاعه لولیّ الأمر انطلاقـا من الطـاعه للقیم الحق، یؤکـد ربنـا فی هـذه الآیـات الکریمه علی ضـروره الطـاعه للقیاده الرسالیه فی القضایا الاجتماعیه المختلفه.

فاذا کان المسـلمون مجتمعین علی أمر کالحرب أو البناء أو ای عمل آخر فلا یجوز لأحد منهم ان یتسـلل من الاجتماع فی خلسه و یذهب لأعماله الخاصه،حتی و لو کانت هناک حاجه تدعوه الی ذلک،لان حاجه المجتمع أهم من حاجته الشخصیه.

نعم له ان یسـتأذن القیـاده،فاذا أذنت له فلیـذهب و الا فلا..و القیاده- بـدورها-تسـتطیع ان تأذن لمن شاءت إذا عرفت الکفایه فی الباقین،و مع ذلک تستغفر القیاده له،لأن استئذانه فی مثل هذا الوقت نوع من الذنب،إذ هو هروب

من المسؤوليه الاجتماعيه.

و بعدئذ يؤكد القرآن على ضروره تمييز الرسول عن الآخرين باعتباره القائد، و المبلغ للرساله،مما يجعله شخصيه ذات تأثير فعّال فی فرض الأوامر و التعليمات، و يحذر بشده أولئك الذين يخالفون عن أمره بأن تصيبهم فتنه،و أبرز الفتن سيطره الطغاه،أو عذاب اليم فی الآخره.

و يحذرنا اللّه نفسه،أو ليس له ما فی السموات و الأرض،و هو عالم بما نحن عليه من خير أو شر؟!و حين نعود اليه يخبرنا بأعمالنا و هو بكل شیء عليم،فلما ذا التبرير و النفاق و الخداع الذاتی؟

بينات من الآيات:

[۶۲]ان الإسلام يريد لمجتمعه ان يكون مجتمعا متكافلا متكاملا موحّدا، و القياده هی الرابط الاجتماعی الذی يعصم المجتمع من الانهيار و التشتت،و هنا تكمن اهميه الوحده،و عدم شق عصاها،فلا يجوز للفرد ان يعتنق رأيا يفصله عن المسيره العامه للأمه،و هذا هو المقياس الصحيح لمدی ارتباط المسلم بالمجتمع الاسلامی و انتمائه الحقيقی له.

أما الإفراد الذين يرسمون لأنفسهم خططا،يفرضونها على المجتمع،شاءت القياده أم أبت،فلا يمكن ان يكونوا منتمين الی المجتمع،و هؤلاء هم المنافقون فی منطق القرآن الحكيم.

لذلك نجد التعبير القرآنی يقول:« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ »للتأكيد على ان هؤلاء وحدهم الذين ينتمون الی مجتمع الايمان،اما الآخرون فلا.

و هكذا يريد الإسلام ترسيخ الشعور بالمسؤوليه فی نفوس المؤمنين،و يبدو من

هذه الآيات ان بعض الناس كانوا يريدون التنصل من مسئولياتهم.

و كثيرا ما ينفر الإنسان من تحمل المسؤوليه حينما يشعر بثقلها،أو خطورتها على مصالحه،و حتى يخفى هذا الشعور يصنع دثارا من المبررات لنفسه،و لكى يعالج الإسلام هذه النزعه فقد فرض على الإنسان المسلم ان يتحلى بصفتين اساسيتين هما:

١-الطاعه و التسليم.

٢-التنفيذ الجاد لقرارات القياده.

و لو عرف الإنسان المسلم نوعيه فكر القياده الرساليه،و كذلك توجهها،فانه سيسلم نفسه لها تسليما عميقا يذوب بسببه كليا فى خطها،و لا ـ يكتفى باتباع القرارات الظاهره فقط،بل سيتبع روح القرار و اهداف القياده،حتى من دون ان تحدد هى ذلك بالضبط،و هنا ننقل قصه حدثت فى إيران:

جاء رجل الى أحد قاده الثوره يستأذنه فى قتل أحد افراد الساواك-و هى مؤسسه ارهابيه تجسسيه كانت تابعه للنظام الشاهنشاهى المقبور-فأجابه القائد بالنفى،مما أثار إعجاب الجالسين،فما كان منهم الا ان سألوه و لماذا و هو يستأذنك فى قتل مجرم طالما قتل الناس و أفسد فى الأرض و فعل كذا و كذا؟!فقال لهم:ان مثل هذا الإنسان ليس لهذه المهمه،لأنه لو كان لها لما أتى يسألنى اقتله أم لا! و هو عاقل يعرف الأحكام الشرعيه و التوجه العام لاحاديثى الجماهيريه.

و كذلك بنو إسرائيل لما قال لهم موسى عليه السلام ان اللّه يأمركم ان تذبحوا بقره امطروه بوابل من الأسئله:ما هذه البقره؟ما لونها؟ما شكلها؟ما..ما.إلخ؟ « فَذَبَحُوهٰا وَ مٰا كٰادُوا يَفْعَلُونَ »لان التسليم النفسى لم يكن موجودا عندهم بما

فيه الكفايه،فكانوا يريدون التنصل من المسؤوليه بأيه وسيله كانت.

و لا يكتمل إيمان المؤمن حتى يذوّب شخصيته فى شخصيه الامه،و يبيع نفسه و توجهاته فى الحياه للقياده الرساليه،بان يكون رهن أوامرها،كما لا يكتفى بتنفيذ ظاهرها فقط،و انما يغوص الى الاعماق،ليكتشف أبعادها،و يطبقها بالشكل الأكمل،بخضوع قلبىّ تام،و قد وصف القرآن المؤمنين بذلك حيث قال:« فَلاَ وَ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتّٰى يُحَكِّمُوكَ فِيمٰا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاٰ يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّٰا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً »،و التسليم هو الانصياع النفسى التام.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ فلا يشكّل الايمان بالله وحده قيمه حقيقيه ما لم يكن مقترنا بالايمان بالرسول، و ما يترتب على ذلك من تلقّى الأوامر و التعليمات و التشريعات الالهيه منه، و هذا ما يميّز المؤمن الحقيقى عن المؤمن الظاهرى.

وَ إِذٰا كٰانُوا مَعَهُ عَلىٰ أَمْرٍ جٰامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتّٰى يَسْتَأْذِنُوهُ أى إنهم لا يتصرفون وفق رغباتهم الشخصيه،انما يدعون القرار الحاسم بيد القياده.

إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ قد تحتاج الى هذا الشخص فيجوز لك ان تأذن له.

وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لأن ذهابهم و ان كان بأمر الرسول الا أنه نوع من الذنب،لذلك ينبغى للرسول

الاستغفار لهم حتی یغفر اللّه لهم من جهه،و حتی یکون ذلک اشعارا للآخرین بأن لا یطلبوا أذنا مماثلا،و بالتالی ینفض الناس شیئا فشیئا و یبقی الرسول وحیدا فی الساحه.

و جاء فی التاریخ:«ان هذه الآیه نزلت فی قوم کانوا إذا جمعهم رسول اللّه لأمر من الأمور-فی بعث یبعثه،أو حرب قد حضرت- یتفرقون بغیر اذنه، فنهاهم اللّه عز و جل عن ذلک». (۱)

و

جاء فی نص آخر: ان الآیه نزلت فی حنظله بن أبی عیاش و ذلک انه تزوج فی اللیله التی کان فی صبیحتها حرب أحد،فاستأذن رسول اللّه،ان یقیم عند أهله،فانزل اللّه عز و جل هذه الآیه« فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ »فأقام عند أهله، ثم أصبح و هو جنب،فحضر القتال و استشهد،فقال رسول اللّه،رأیت الملائکه تغسل حنظله بماء المزن فی صحائف فضه بین السماء و الأرض فکان یسمّی غسیل الملائکه. (۲)

[۶۳]ان احترام القیاده فی قراراتها یجب ان ینعکس علی احترامها فی الظاهر أیضا،فلو نطقت باسم الرسول،أو باسم قیادتک کما تنطق باسم الآخرین دون ایّ احترام،أو إذا جلست الی الرسول ترفع صوتک أمامه،کما ترفعه أمام الآخرین أو تنادیه من وراء الحجرات کما تنادی الآخرین،فانک لن تکون مستعدا بعد ذلک لتلقّی أوامره و من ثم تنفیذها،إذا لا بد من اعداد نفسی کامل سلفا،لتلقّی أوامر الرسول أو القیاده الرسالیه التی تمثله علی الواقع،کأن یتوضّأ الفرد قبل الذهاب الی مجلس الرسول،أو یغتسل ان کان علیه غسل،ثم یجلس فی محضره مجلس المستفید، لیقتبس من علمه بترکیز تفکیره فی کلامه،و تفریغ نفسه لتطبیق تعالیمه..و هکذا

۱- ۱) المصدر/ص ۶۲۸ نقلا عن تفسیر علی بن إبراهیم.

۲- ۲) المصدر.

حتی ینتهی الأمر به الی تنفیذ أوامر القیاده بشکل دقیق جدا.

فحینما تحترم القیاده تطبق أوامرها و توجیهاتها، و علی العکس فانک تأخذ أوامرها و توجیهاتها مأخذ الهزل لو لم تکن تحترمها.

لاَ تَجْعَلُوا دُعٰاءَ الرَّسُولِ بَیْنَکُمْ کَدُعٰاءِ بَعْضِکُمْ بَعْضاً و لهذا المقطع من الآیه وجهان:أحدهما ظاهر و الآخر باطن.

أما الظاهر فهو:ان لا یسمّی الإنسان رسول اللّه باسمه الخاص،بل بکنیته، و حینما جاءت هذه الآیه حرم علی المسلمین ان ینادوا رسول اللّه باسمه،فأخذوا ینادونه یا رسول اللّه أی باسمه القیادی.

و اما الوجه الباطن فهو:ضروره تهیّؤ المسلم نفسیا لتقبل قیاده الرسول صلی الله علیه و آله و کل من جلس مجلسه و حکم باسمه،و لا یقول هذا إنسان و انا إنسان،بلی انه بشر،و لکنه یمتلک صفه اعتباریه أنت لا تملکها،هی جلوسه مجلس الرسول،لذلک قال کثیر من فقهائنا:(إذا حکم ولی الأمر المجتهد الجامع للشرائط بحکم ما، وجب علی الناس-سواء منهم المقلّدون لهذا المجتهد أو غیرهم-اتباع حکمه،بل و حتی علی المجتهدین ان یتبعوه فی حکمه)،لأنه حینما یحکم فإنه یحکم باسم منصبه،و اهانه حکمه اهانه لمرکزه،و الاهانه لمرکزه اهانه للدین،و بالتالی للّه سبحانه و تعالی،و کما

یقول الحدیث فی حق الائمه :

«الراد علیهم کالراد علینا و الراد علینا کالراد علی اللّه » قَدْ یَعْلَمُ اللّٰهُ الَّذِینَ یَتَسَلَّلُونَ مِنْکُمْ لِوٰاذاً ای یتسللون خلسه دون ان یشعر بهم الرسول أو یرأهم و هم یخرجون من مجلسه.

فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ان المقصود من« اَلَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ »ليس فقط مخالفه الأوامر الظاهره، بل أيضا مخالفه روح القياده.

أنهم استطاعوا ان يتسللوا لواذا و ان يهربوا خلسه،و لكن هل أصبحوا فى مأمن كما يزعمون؟! كلا..بل إنهم يعرضون أنفسهم للفتنه،و للعذاب الأليم،فاذا استدعاهم الرسول فى يوم ما،و أصدر إليهم أوامرا مباشره بحمل السلاح،و التوجه الى الغزو مثلا،فإنهم فى هذه الحاله أمام موقفين،فإما الانصياع الى الأوامر،و هذا خلاف ما يريدون،و أما الرفض فيخرجون-بذلك-ظاهرا و باطنا عن الإسلام، و يضعون أنفسهم تحت طائله العقاب الشرعى فى الدنيا و فى الآخره.

و على فرض أنهم اختاروا الأمر الاول،فإنهم سيجدون صعوبه بالغه فى تنفيذ الأوامر،لان الذى لم يربّ نفسه على تنفيذ الأوامر الصغيره لا يستطيع ذلك فى القضايا الكبيره،و الذى يهرب اليوم من الحر و البرد،و سهر الليل و مشاكل التدريب و ما أشبه،كيف لا يهرب غدا من الحرب و القتال؟! اذن فعلى الإنسان ان يربّى نفسه على الطاعه و الانضباط و تحمل الصعاب حتى يكون على أتم الاستعداد نفسيا و بدنيا لتطبيق الأوامر الهامه.

أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ

جاء فى حديث مأثور عن الامام الصادق عليه السّلام :

«يسلط عليهم سلطانا جائرا،أو عذابا أليما فى الآخره » (۱)

۱- ۱) المصدر/ص ۶۲۹.

و الواقع:ان هناک رابطه وثيقه بين سيطره الطغاه و بين مخالفه أوامر القياده الشرعيه.

[۶۴] أَلاٰ إِنَّ لِلّٰهِ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مٰا أَنْتُمْ عَلَيْهِ أى ان اللّه و بكل تأكيد يعلم بكل ما تفعلونه،و هو قادر على محاسبتكم و مجازاتكم لأنه مالك الكون و الوجود.

وَ يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمٰا عَمِلُوا وَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ و غدا يخبركم بكل ما فعلتم،لان علمه محيط بالإنسان،و معرفه الإنسان بهذه الحقيقه تجعله مسئولا عن أقواله و أعماله،فيعمل على إصلاحها و تحسينها،ليكسب ثواب اللّه،و يتجنب عقابه.

ص:۳۷۴

سوره الفرقان

اشاره

ص:۳۷۵

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

فضل السوره:

عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال :

«من قرأ سوره الفرقان بعث يوم القيامه و هو مؤمن، أَنَّ السّٰاعَةَ آتِيَةٌ لاٰ رَيْبَ فِيهٰا وَ أَنَّ اللّٰهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ » (نور الثقلين/ص /۲ج ۴)

عن الامام الرضا عليه السلام قال :

«يا ابن عمار لا تدع قراءه« تَبٰارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقٰانَ عَلىٰ عَبْدِهِ »فان من قرأها فى كل ليله لم يعذبه اللّه أبدا،و لم يحاسبه،و كان منزلته فى الفردوس الأعلى» (مجمع البيان/ص /۱۵۹ج ۷)

الاسم:

لأن هذه السوره تبيّن حقائق عن الوحى،و لأن أهم ميزه للوحى هو تفريقه بين الحق و الباطل فقد سميت ب(الفرقان)الذى يشير الى الآيات المحكمات فى القرآن.

ص:۳۷۷

الإطار العام

انها رساله،و عظمه الرساله أولا تأتی من جانب مرسلها.

و الدرس الأول من هذه السوره التی یبدو انها تبین حقائق الوحی و تنسف العقبات التی تعترض طریق الأیمان به،یذکرنا بمن أرسل الکتاب،و بالکتاب، و بالرسول الذی أرسل معه.

أولا:اللّه هو الذی انزل الفرقان،و هو رب السماوات و الأرض الذی أرسل الکتاب.

انه اللّه الذی تبارک و تعالی.أو لیس خیره عمیم ثابت یغنی و لا یتناقص و له وحده ملک السموات و الأرض و هو الذی قدر کل شیء.

ثانیا:و من آمن باللّه عرف رسالاته،أما من اتخذ من دونه شرکاء فسوف لا یحظی بالایمان بالرساله،لذلک تراهم یتهمون الرساله بالافتراء،و یزعمون:انها أساطیر.

ص:۳۷۸

بينما الذى يعرف اللّه،و انه العليم بسر الخلق يؤمن بالرساله التى تكشف جانبا من ذلك السرّ.

ثالثا:قالوا:كيف يبعث اللّه بشرا رسولا.إنه يأكل و يكتسب معيشته، و قالوا:لماذا لم ينزل معه ملك،و لم يلق اليه كنز،ثم قالوا:انه رجل مسحور.

و هكذا ضلوا عن السبيل بسبب ضربهم الأمثال للرسول.

و بعد ان يجيب السياق عن افتراءاتهم بأنه قادر على ان يجعل للرسول ما يملأ عيونهم من الجنات و القصور،يبيّن جذر الكفر بالرساله المتمثل:

أولا:فى تكذيب الساعه،ينذرهم بها حيث تستدعيهم من بعيد بزفير و تغيظ، فاذا اقحموا فيها تنادوا بالهلاك،و يقارنها الذكر بالجنات التى وعد المتقون.

ثانيا:باعتمادهم على شركائهم.حيث يذكرنا الرب بأن الأنداد لا يغنون عنا شيئا فى ذلك اليوم الذى يقفون امام المحكمه،و يتبرءون ممن كانوا يعبدونهم.

ثالثا:ان من أسباب الكفر بالرساله نسيان الذكر بسبب تطاول العمر و استمرار النعم،فكان سببا لهلاكهم.

و يعود الذكر الى رد شبهاتهم التى سبقت الواحده تلو الأخرى.

أولا:قالوا:لماذا يأكل رسولنا الطعام و يمشى فى الأسواق،فقال الرب:انّ المرسلين سابقا كانوا أيضا يأكلون الطعام،و يمشون فى الأسواق،و انّ ابتلاء الناس ببعضهم سنه اللّه التى تمضى فى الخلق لمعرفه من يصبر،و هو البصير بهم.

ثانيا:قالوا:لماذا لم ينزل معه ملك نذيرا،يقول ربنا:انه الاستكبار و العتو.

أ و لاـ يعلمون انه لو تنزلت الملائكه،و انكشف الغطاء فقـد لزمهم الجزاء، و لا بشـرى لهم يومئـذ،و تنتشـر أعمالهم فلا تنفعهم،و يمضى السياق فى بيان أهوال الساعه التى كذبوا بها لعلهم يتذكرون.

ثالثا:من أسـباب الكفر بالوحى خله السوء حيث يعض الظالم-آنئـذ-على يـديه،و ينادى بالويل على نفسه على ما اتخذ من اخلّاء سوء اضلوه عن الذكر.

رابعا:يأتى الرسول يوم القيامه يشكو الى ربه من قومه الذين اتخذوا القرآن مهجورا.

خامسا:و قالوا:لولا أنزل القرآن جمله واحده،و يجيب السياق بان الحكمه هى تثبيت الفؤاد،و مقاومه أمثلتهم الباطله بالحق المبين.

و يحـدث السـياق عن مثـل للرسـاله الالـهيه حيث بعث اللّه موسـى الى فرعون رسولا،كما بعث نوحا الى قومه،و أرسل الى عاد و ثمـود و أصـحاب الرس،فمـا ذا كـانت عـاقبه الـذين كـذبوا بالرسـاله.ان مصـير القريـه الـتى أمطرت مثلاـ واحـدا لعـاقبه أولئك المكـذبين.أ فلا يعتبر هؤلاء بهم و يكفّون عن تكـذيبهم؟! سادسا:و يتخـذون الرسول هزوا،و لكنهم يعترفون بمدى تأثيره فيهم،و الواقع:

انّ الهـدى من اللّه و ليس الرسول وكيلا عنهم،و لا يهـديهم اللّه إذ أنهم اتخـذوا أهواءهم آلهتهم،و يبيّن القرآن ان اللّه هو الذى جعل الشمس دليل الظل،و أحيى ميت البلاد،و صرّف الأمثال فهو الهادى و المذكر،و لكن أكثر الناس يكفرون.

و اللّه سـبحانه المالـك المقتـدر،و قـد أمر الرسول بجهـادهم جهـادا كبيرا،و بيّن آيـات قـدرته البالغه،حيث مرج البحرين،و جعل بينهما حاجزا و قد خلق من الماء بشرا.

و لعلّ الآيات توحى بانّ من يكفر بالرساله سوف يتعرض لمعاداه المؤمنين،و لا ينفعه الأنداد شيئا،كما انهم لا يضرونه إذا خالفهم.

و فى المقابل لا يطلب الرسول اجرا،و لا يعتمد الاّ على اللّه.

و يأمر اللّه الرسول بالتوكل على الحى القيوم،و يذكره بأسمائه الحسنى،فقد خلق السموات و الأرض فى سته أيام،ثم استوى على عرش القدره،ينشر رحمته على عباده و هم ينفرون من السجود للرحمن بكفرهم! و فى الدرس الأخير يذكرنا القرآن باسم«تبارك»الذى به جعل فى السماء بروجا،و جعل فيها سراجا منيرا،ثم يضرب مثلا من واقع عباد الرحمن الذين صاغهم الوحى،فهم يمشون على الأرض هونا،و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، و هم يبيتون لربهم سجدا و قياما،و يحذرون عذاب الآخره،و يقتصدون فى الإنفاق،و لا يدعون مع اللّه إلها آخر،و لا يقتلون النفس التى حرّم اللّه الاّ بالحق، و يتوبون الى اللّه،و لا يشهدون الزور،و يمرون باللغو كراما،و تعى افئدتهم آيات ربهم،و يتطلعون الى ان يصبحوا إماما للمتقين،فيجزيهم اللّه الغرفه بما صبروا، و يلقون فيها تحيه و سلاما.

و فى الآيه الأخيره يذكرنا السياق بدور الدعاء،و لعل السبب يتلخص فى انه ردّ التحيه من قبل العبد لرسالات الرب.

ص:۳۸۱

[سوره الفرقان (۲۵): الآیات ۱ الی ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ . تَبٰارَکَ اَلَّذِی نَزَّلَ اَلْفُرْقٰانَ عَلیٰ عَبْدِهِ لِیَکُونَ لِلْعٰالَمِینَ نَذِیراً (۱) اَلَّذِی لَهُ مُلْکُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ لَمْ یَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ یَکُنْ لَهُ شَرِیکٌ فِی اَلْمُلْکِ وَ خَلَقَ کُلَّ شَیْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِیراً (۲) وَ اِتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لاٰ یَخْلُقُونَ شَیْئاً وَ هُمْ یُخْلَقُونَ وَ لاٰ یَمْلِکُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَ لاٰ نَفْعاً وَ لاٰ یَمْلِکُونَ مَوْتاً وَ لاٰ حَیٰاةً وَ لاٰ نُشُوراً (۳) وَ قٰالَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ إِفْکٌ اِفْتَرٰاهُ وَ أَعٰانَهُ عَلَیْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جٰاؤُ ظُلْماً وَ زُوراً (۴) وَ قٰالُوا أَسٰاطِیرُ اَلْأَوَّلِینَ اِکْتَتَبَهٰا فَهِیَ تُمْلیٰ عَلَیْهِ بُکْرَةً وَ أَصِیلاً (۵) قُلْ أَنْزَلَهُ اَلَّذِی یَعْلَمُ اَلسِّرَّ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ إِنَّهُ کٰانَ غَفُوراً رَحِیماً (۶)

تبارک الذی نزّل الفرقان

هدی من الآیات:

فی الدرس الأول من هذه السوره التی تبیّن حقائق عن الوحی،یذکرنا ربنا بأنّ من انزل الفرقان هو اللّه الذی تنوعت و کثرت برکاته،و الهدف من الفرقان الذی أنزله علی عبده و رسوله محمد صلّی اللّه علیه و آله هو إنذار کافه الناس.

و یفصّل الذکر حدیثه عمن انزل الفرقان.أو لیس خطر شأن الرساله إنما یکون بمن أرسلها؟و ها هو الملیک المقتدر الواحد بلا شریک و المقدر لکل شیء ینزل ما یهدینا الی حقیقه الأشیاء.

بینما الضالون الذین یهتدون بالقرآن یشرکون بربهم من لا یخلق شیئا،و لا یملک لنفسه ضرا فیدفعه أو نفعا فیجلبه،و لا یملکون موتا و لا حیاه و لا نشورا.

و شرکهم اللّه یجعلهم یکفرون بالفرقان و یزعمون انه لیس إلاّ إفک صنعه الرسول بالتعاون مع آخرین.هکذا یظلمون الرسول،و هکذا یقولون باطلا.

ص:۳۸۳

و يقولون:انها مجموعه أفكار السابقين تملى عليه فيكتبها بكره و أصيلا.

كلاّ..انما انزل الفرقان الخبير بسر السموات و الأرض.أو ليس اللّه هو الغفور الرحيم يتجاوز عن ذنوب عباده و يرحمهم بانزال الوحى إليهم؟!

بينات من الآيات:

اشاره

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

تَبٰارَکَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقٰانَ :

[۱]ان من أبرز مميزات القرآن الكريم انّ الحكمه تتجلى فيه،لأنه من لدنّ حكيم خبير،فلا تجد لفظه من ألفاضه على صيغه معيّنه الا لحمه.

و لعل سبب تسميه هذه السوره بسوره«الفرقان»هو التالى:

أولا:لاشتمالها على هذه الكلمه فى بدايتها.

ثانيا:بما ان الإنسان خلق للبقاء فى حياه أخرى لا تفنى،و إنما جيء به الى الدنيا لتتكامل نفسه،و يعدّ لتلك الحياه،و طريق التكامل الوحى،و سوره الفرقان تحدثنا عن الوحى،و ضروره الايمان به،و كيفيه تجاوز العقبات التى تعترض طريق الأيمان به،و نقرأ فى نهايه السوره عرضا لأبرز صفات المؤمنين به،و التى تبين-فى ذات الوقت-صوره عن الإنسان المتكامل الذى يعده الفرقان للجنه،و من هنا سمّى الوحى هنا بالفرقان لأنه يميّز الإنسان المتكامل المعدّ للجنه عن البشر الناقص الذى يلقى فى النار،فالفرقان هو القرآن الذى يعمل به،و تصاغ عبره شخصيه أصحاب الجنه.

فبالقرآن يعرف الحق من الباطل،و الخير من الشر،و من اهتدى به أوتى الفرقان،و ارتفع إلى درجه الولايه على الناس تشريعيا،إذ يستخلفه اللّه على أرضه، لا لميزه ذاتيه،بل لأنه يجسّد-أكثر من غيره-رساله اللّه فى سلوكه و تصرفاته، كما أنه يسمو لمستوى الولايه التكوينيه،لأنه قد طبق بنود الرساله على نفسه مما يعطيه القدره على تسخير الأرض و ما فيها.

و عند ما تبدأ آيات هذه السوره المباركه بكلمه«تبارك»و التى تعنى التكامل فى الحياه،فلكى تشير الى حقيقه عظيمه تهم الإنسان كمسؤول عن حياته و مصيره، فلو طمح يوما إلى التكامل،فلا بد له من ادراك هذه الحقيقه،و إلاّ فانه سيظل عاجزا عن بلوغ الهدف الكبير.

تلك الحقيقه هى أن الإنسان لا يمتلك القدره الذاتيه على التكامل،و لا سبيل له إلى ذلك الا بالارتباط بينبوع التكامل و البركه و هو رحمه اللّه-جل شأنه-عبر التمسك بحبله الممدود من السماء الى الأرض،و هو القرآن،حيث يسمو بالإنسان نحو مدارج الكمال،و يفجّر طاقاته الخيّره التى أودعها ربنا فيه.

لذا نجد هذه الكلمه تتكرر ثلاث مرات أو أكثر بعبارات مختلفه فى هذه السوره،التى يستوقف الإنسان سياقها فى الآيه الاولى ليبيّن ان الهدف الأساس من الوحى هو الإنذار لأن الإنسان أقرب الى دفع الشر عن نفسه منه عن جلب الخير،فلو علم بعدوّ يريد اقتحام البيت تراه يتحرك استعدادا للدفاع بنشاط أكبر مما لو علم بوجود فرصه امامه للكسب،و لربما كان هذا السبب الذى يجعل الإنذار يسبق التبشير.

القرآن رساله الى العالمين:

و تشير الآيه الكريمه الى أنّ القرآن ليس رساله موجهه الى طائفه من بنى البشر

دون أخرى،انما هی رساله مترامیه الابعاد،تسع البشریه کلّها،فهی شامله و عامه،و هذه المیزه من أکبر الدلائل الواضحه علی أنها وحی أرسله اللّه سبحانه، و انها لیس من اصطناع الرسول(صلّی اللّه علیه و آله و سلم)لأن الإنسان لا یمکنه الوصول الی مستوی متقدم من التجرد عن الذات و المصلحه العنصریه و الاقلیمیه و غیرها من الانتماءات المادیه،و انما یستطیع ذلک عند ما یتصل بمشکاه النور، و یتنصّل من ای انتماء مادی،و یرتبط باللّه المهیمن علی جمیع الحدود و القیود و الولاءات.

فکون القرآن حدیثا للبشریه دلیل علی صدقه،و انه مرسل من عند اللّه،ثم إنّ من یضع المنهج للحیاه،و یفرضه علی الإنسان لا بد أن یکون مطّلعا علی شیئین:

الإنسان و الکون،فلا بد ان یعرف طبیعه الإنسان،و مکنوناته من الطاقات و التطلعات،أما الکون فلا بد أن یکون مهیمنا علیه،عارفا بسننه و انظمته،و لا یتسنی هذا الأمر لغیر اللّه-سبحانه-الذی أودع السنن و الانظمه و قدرها تقدیرا.

تَبَارَكَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَیٰ عَبْدِهِ لِیَكُونَ لِلْعَالَمِینَ نَذِیراً لماذا اختار اللّه سبحانه کلمه«عبده»؟ یبدو لی أن الهدف من هذا التعبیر أمران،هما:

أولا:ان عظمه الرسول صلی الله علیه و آله نابعه من عبودیته لربه،و إخلاصه له سبحانه.

ثانیا:ان القرآن لیس من فکر الرسول،و لا هو إفراز طبیعی یعلمه،و کمال عقله،أو دلیل علی اختلاف عنصره.

«الفرقان»کلمه مشتقه من فرق یفرق مفارقه،و قد سمّی الذکر فرقانا لأنه

ص:۳۸۶

يهب الإنسان قدره على التمييز،و عليه مسئوليه الاختيار.

جاء فى النص المأثور عن أبى عبد اللّه عليه السلام فى معنى الفرقان :

فى قوله« أَنْزَلَ الْفُرْقانَ »قال:

«هو محكم،و الكتاب هو جمله القرآن،الذى يصدقه من كان قبله من الأنبياء. » (١)

و فى الصحيفه السجاديه عن أبى محمد الباقر زين العابدين-عليهما السّلام -:

«و فرقانا فرّقت به بين حلالك و حرامك،و قرآنا أعربت به عن شرائع أحكامك. » (٢)[٢]و إذا عرف الإنسان رب العزه الذى انزل الفرقان عرف صدق هذا الكتاب،و كلما زادت معرفته بربه كلما زادت قدرته على الاستفاده من كتابه، و تحول الكتاب عنده الى مقياس سليم لمعرفه الخير و الشر،و النفع و الضر.ذلك لأن من عرف ربّه بأسمائه الحسنى ثم تليت عليه آيات الكتاب،رأى تجليات ربه فيها،و عرف انه لا يكون مثل هذا الكتاب الاّ من اللّه الخبير،فلا يخالجه ريب فى صدق رساله ربّه.

و هكذا ذكرتنا سوره الفرقان أولا بمن انزل الكتاب.

اَلَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً

١- ١) تفسير نور الثقلين/ج ١/ص ٣١٠.

٢- ٢) المصدر.

إن من النـاس من يعبـد الآخرين باعتقاد ذواتهم الالوهيه-كما يزعمون-أو ان شـرعيتهم نابعه من اللّه ذاتا،كالاعتقاد بأن السـلطان ظل اللّه فی الأرض،أو أن اللّه أمر بعباده التراب،و تقديس القوم و العشيره.

و عند ما ينسف اللّه هاتين الفكرتين،فانه ينسف بذلک قاعده التمايز الطبيعی بين العناصر البشريه،أو القوميات و الوطنيات،أو أیّ شیء آخر.

و يـأتی عجز الآيه الكريمه مكملاـ-بتنـاغم و تنـاسب-مع كلمه«الفرقـان» التی مر ذكرهـا فی الآيه الاولی،فهی ليست بعيـده عما تهـدف اليه كلمتی« فَقَـدَّرَهُ تَقْـدِيراً »فی آخر هـذه الآيه،لأن الفرقان جاء لتعريف الإنسان بالتقـديرات الالهيه، و الأنظمه الربانيه،و التقادير هی الانظمه و السنن.

و قد أضافت الأحاديث فی معنی التقدير و حدوده و نذكر فيما يلی بعضا منها:

روی عن علی بن إبراهيم الهاشمی قال:سمعت أبا الحسن موسی بن جعفر عليهما السّلام يقول :

«لا يكون شیء الا ما شاء اللّه و أراد و قدر و قضی».

قلت:ما معنی شاء؟قال:«ابتدأ الفعل».

قلت:ما معنی قدر؟قال:«تقدير الشیء من طوله و عرضه».

قلت:ما معنی قضی؟قال:«إذا قضی أمضاه فذلک الذی لا مرد له » (۱)

۱- ۱) المصدر/ج /۴ص ۳.

و التقدير الالهی سبق الخلق بمده طویله،هکذا

یروی مسندا عن أبی علی بن موسی الرضا عن آبائه عن علی(علیهم السّلام)قال قال رسول اللّه(صلی اللّه علیه و آله) :

«ان اللّه عز و جل قدر المقادیر،و دبر التدابیر قبل ان یخلق آدم بألفی عام » (۱)

و قال الامام الرضا علیه السّلام لیونس :

«تدری ما التقدیر؟قلت:لا،قال:هو وضع الحدود من الآجال و الأرزاق و البقاء و الفناء » (۲)

وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَهً:

[۳] وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَهً لاٰ یَخْلُقُونَ شَیْئاً وَ هُمْ یُخْلَقُونَ و ینساب السیاق القرآنی لیطهر الافئده من الأساطیر الجاهلیه،فلا آلهه من دون اللّه تخلق و تصنع.کلّا..انما هی التی تخلق و تصنع،بل قد یکون الإنسان هو الذی یصنعها کما تشیر الیه آیات أخری،و التی توحی بأن اللّه یخلق الآلهه خلقا أولیا من العدم،و لکن الإنسان یعطیها منصب الألوهیه،و لیس اللّه الذی لبس رداء الوحدانیه،و تسربل بالعزه و الفردانیه،و لا من قبل أنفسهم.

اننا نجد هجوما قرآنیا شدیدا بین الحین و الآخر علی الأساطیر و الخرافات انما لإبطالها،و الأخذ بید الإنسان الی الحقیقه بعد إسقاط الآلهه الکاذبه التی نبتت فی مستنقع أوهام البشر البدائی،الإنسان ذو الذهنیه الساذجه و المحدوده.

تخلف الإنسان هو المسؤول الاول و الأخیر عن ضلالاته و فساده سواء علی صعید

۱- ۱) المصدر/ص ۴.

۲- ۲) المصدر/ص ۵.

الإفراد و المجتمعات و الأمم،إذ لا وجود لهذه الآلهه المزيّفه لولا جهله و ضيق أفقه، و توجهاته المنحرفه فى قوالب الشهوه و المصلحه.

و الا فما تفسير ظاهره الطغيان.إذ يعتلى فرد أو تتكبر جماعه لتتحكم بمصير مجاميع بشريه هائله و كأنها آلهه،فيتزلف له أولهم الناس،و يتسكعون على أبوابه، متناسين الحقيقه العظمى فى هذا الكون،و متغافلين عن واقع الذين يعبدونهم بأنهم أناس مثلهم،خلقوا من طين لازب،و هم الآن من لحم و شحم،و عظم و دم.

تحكمهم ذات القوانين و الانظمه الجسديه و النفسيه التى تحكم سائر الناس،و انما أصبحوا بهذه الهاله من التقديس الأجوف بخوف الناس منهم،و رغبتهم فى خيرهم.

و إذا أراد مجتمع ما ان يكتشف هذه الحقيقه،فما عليه الا ان ينفض غبار التخلف عن نفسه،و ينتفض للّه ضاربا بالخوف عرض الحائط،متنازلا عن المصلحه و الشهوه العاجله فى سبيل هدف مقدس هو رضوان اللّه،فان الطاغوت آنئذ لا يمكنه الوقوف على عرش السلطه لحظه واحده،لان عوامل انهياره موجوده-إذا -فى ضمير الإنسان و المجتمع و فى سنن الحياه.

و لا يقصد بالآلهه المزيفه الحاكمين فقط بقدر ما يعنى بهذه الكلمه كل شىء يقدسه الإنسان الى حد العبوديه له،سواء تجسد ذلك فى الحاكم كفرعون،أو القبيله كقريش،أو العنصر كاليهود،أو الإقليم أو الحزب أو ما أشبه.

فلربما يشرد بالإنسان خياله فى مغبات الانحراف ليصور له الوطن شيئا قائما بذاته،أو العلم المصنوع من القماش هو الذى يحفظ البلاد و الإنسان،هكذا قد يتصور الإنسان قطعه القماش التى لا تعدو كونها رمزا لما فى قلوب الناس من حب مكنون للوطن.

ص:٣٩٠

فاذا أصبح حب الوطن بغضا للاوطان الاخرى،أو التضحيه من أجله بطشا و عدوانا على الآخرين بغير الحق،فانه بذلک يصبح إلها يعبد من دون اللّه.

و يدرک البشر بفطرته ان لا إله فى الكون الا اللّه،فهو خالقه،و مقدر سننه، و المهيمن عليه،و انه قد بعث نبيّه برساله تبيّن تلک السنن،إلّا أن الإنسان قد يستجيب لدعوات الشيطان و النفس التى تتحول إلى آلهه مقدسه بعد تبلورها فى الواقع الخارجى.

و لو وقف الإنسان ساعه تفكر لنفسه،و عرض دعوات الشيطان،و ضغوط النفس على ضوء الفطره و العقل لتبدد ظلام الانحراف عن قلبه،و لوجد الآلهه التى تعبد من دون اللّه لا تملک شيئا،بل اللّه يملكها و من يعبدها من دونه.

و ينثنى السياق ليهتف بالإنسان قائلا:ما دمت أنت الذى تعطى لهذه الآلهه الشرعيه،فلما ذا تخضع لها تاره خوف البطش،و تستجيب لها أخرى رغبه فى الخير؟!و لكن لا يستجيب لهذا الهتاف المقدس الا من هدى اللّه قلبه للايمان،اما من غرق فى بحر الجحود و الكفر،و توغل فى الضلاله و الهوى،فانه بالاضافه الى رفضه هذا النداء،يتهم القرآن بالإفک و الرسول بالافتراء،و انما يأفک الإنسان الذى يفترى على اللّه تكذيبا و زورا،من أجل لذه عابره،إذ لا يكذب كذّاب لغير مصلحه و رغبه.

أما الرسول ذلک الإنسان العظيم الذى تجرد عن رغباته و ذاته،فأصبح موضوعيا فى كل شىء لا يمكنه ان يختلق هذه الفريه الكبيره،و لماذا يختلقها و قد تجرد عن المصلحه؟! و انه من السخف ان يتهم أحد رسول اللّه بالفريه و الكذب،فان القرآن لا يولى اهتماما بالغا لتهمه هؤلاء الرسول بذلک،بل يمر عليها مرور الكرام،و اى مصلحه

له من ذلك و قد وهب حياته كلها و ما يملك من أجل الناس؟! و كذلك لا يولى اهتماما لمن اتهموا الرسول بأنه يقتبس هذا القرآن ليلا-من مجموعه عبيد كانوا فى مكه بينهم عبد بن طحىّ«مولى طحىّ»،و رحب«مولى عبد شمس»و أناس آخرين لم يكونوا يميزون الهر من البر،لقصور افكارهم عن إنتاج فكرى أقل من انتاج إنسان عادى،فكيف بالقرآن العظيم الذى هو ضمير الحياه،لان من خلق الحياه هو الذى بعث رسوله محمدا صلى الله عليه و آله به؟! إن القرآن حق لا ريب فيه،و كلما توغل الإنسان فى الحياه أكثر،و تدبر فى آيات الذكر أكثر كلما اكتشف العلاقه الوثيقه بين السر الذى يكتشفه عند ما يتوغل فى الحياه،و الآخر الذى يعثر عليه عند ما يتدبر فى القرآن،و كلما نمى عقل الإنسان و زاد علمه،و تكاملت شخصيته كلما كان أقرب الى فهم القرآن و معرفه آياته الكريمه.

و يبقى الإنسان هو المسؤول عن تسلط الآلهه،و تلبّسها بالقداسه المزيّفه،و هى ليست أكثر من حجر يتحطم بضربه.

و صدق أبو ذر الغفارى(رضوان اللّه عليه)حيث قال عند ما رأى الثعلب- الثعلبان-يبول على رأس صنم قبيلته:

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد هان من بالت عليه الثعالب

وَ لاٰ يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَ لاٰ نَفْعاً إذا كانوا لا يملكون دفع الضر عن أنفسهم،فكيف يستطيعون الحاق الضر بغيرهم؟!

انهم أعجز،و لكن الثقافه الجاهليه هى التى تهول الأصنام و تعظيمها،و هى التى ترمز للقوى الاجتماعيه الحاكمه حتى اننا نقرأ فى التاريخ:ان بعض القبائل العربيه كانت تدخل الإسلام و لكنها ترفض تحطيم أصنامها بأيديهم خشيه نزول العذاب عليهم ان هم كسروا تلك الأحجار التى صنعتها أيديهم،و فى التاريخ ان الرسول(صلى اللّه عليه و آله)قبل من ثقيف شرطهم عليه الا يتولوا هم تكسير أصنامهم،فأمر بعض أصحابه بذلك،و كانوا يزعمون ان الجدب و البلاء سيحلان بهم لو أهانوا تلك الأحجار الصماء بسبب كثافه الاعلام السلطوى الذى مارسه بحقهم المترفون الذين كانوا يحكمون البسطاء باسم تلك الأصنام.

و اليوم نرى بعض الشعوب تقدس أصناما بشريه،و يظنّون انهم مصدر الاستقرار و الرخاء،فمنهم من يقول:«اللّه يعز الملك»أو«اللّه يعز الشيوخ»أو «اللّه،المليک،الوطن»بدلا من التوجه الى اللّه،و الدعاء للمؤمنين،ثم من هو الملك و من هو الرئيس و من هو الأمير حتى نعتقد انه أساس كل خير و بركه؟! بلى.ان سلبيه الناس هو انسحابهم من الساحه السياسيه،و هى التى صنعت الأجواء المناسبه لنمو الانظمه الفاسده،و انتفاخ الطاغوت.

و لعلّ المقصود من الآلهه التى ذكرها القرآن فى قوله:« وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً » الرموز الاجتماعيه المعبوده من دون اللّه لا الأصنام الحجريه،إذ ليس للصنم موت و لا حياه،بل هما من طبيعه الإنسان.
وَ لاٰ يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَ لاٰ حَيٰاةً وَ لاٰ نُشُوراً

و النشور هو البعث بعد الموت،و كيف يعبد من لا يملك لنفسه ذلك؟ [۴] وَ قٰالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ إِفْكٌ افْتَرٰاهُ وَ أَعٰانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ

آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُ ظُلْماً وَ زُوراً من الناحيه اللغويه الافک هو:الکذب،و الافتراء هو:اصطناع الکذب من غیر أساس.

و کما هی العاده یسم الکفار الرسول بهـذه الخصال الردیئه،و لا یکتفون بذلک بل یدّعون اعانه مجموعه من موالی مکه للرسول علی هـذه الأمور،و لا یستمهلهم القرآن دون ردّ،بل یجیبهم:انکم جئتم ظلما و زورا،و لعلّ الآیه تشیر الی ان الانحراف هو ولید الظلم العملی و الزور الفکری.

[۵] وَ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً اتهموا الرسول بأنه یتلقی القرآن من جماعه تأتیه أول النهار و آخره،ثم یطلع علیهم لیسمیها وحیا نازلا من عند اللّه،و لا لشیء الا لتبریر الکفر و الجحود بآیات اللّه،إذ ان اعترافهم بالقرآن و الرسول-انهما من عند اللّه-یکلفهم الکثیر.

[۶] قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً لان اللّه عالم السرّ فی السماوات و الأرض و لأنه غفور رحیم،یرید الغفران لذنوبنا،و الرحمه لنا.لهذا و ذاک کشف لنا سر الحیاه دون ان یجهدنا فی البحث عنه،و کان ذلک عبر رسوله محمد صلی الله علیه و آله و الصالحین من أولیائه الذین جعلهم نورا و سراجا منیرا،کی ینقذوا الناس من الضلاله و الضیاع.

فکیف یکون من أساطیر الأولین التی لا تکشف سرا و لا تهب نورا؟!

[سوره الفرقان (۲۵): الآيات ۷ الی ۱۶]

اشاره

وَ قالُوا ما لِهٰذَا الرَّسُولِ یَأْکُلُ الطَّعامَ وَ یَمْشِی فِی الْأَسْواقِ لَوْ لا أُنْزِلَ إِلَیْهِ مَلَکٌ فَیَکُونَ مَعَهُ نَذِیراً (۷) أَوْ یُلْقی إِلَیْهِ کَنْزٌ أَوْ تَکُونُ لَهُ
جَنَّةٌ یَأْکُلُ مِنْها وَ قالَ الظّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّ رَجُلاً مَسْحُوراً (۸) اُنْظُرْ کَیْفَ ضَرَبُوا لَکَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا یَسْتَطِیعُونَ سَبِیلاً (۹)
تَبارَکَ الَّذِی إِنْ شاءَ جَعَلَ لَکَ خَیْراً مِنْ ذٰلِکَ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَ یَجْعَلْ لَکَ قُصُوراً (۱۰) بَلْ کَذَّبُوا بِالسّاعَةِ وَ
أَعْتَدْنا لِمَنْ کَذَّبَ بِالسّاعَةِ سَعِیراً (۱۱) إِذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَکانٍ بَعِیدٍ سَمِعُوا لَها تَغَیُّظاً وَ زَفِیراً (۱۲) وَ إِذا أُلْقُوا مِنْها مَکاناً ضَیِّقاً مُقَرَّنِینَ
دَعَوْا هُنالِکَ ثُبُوراً (۱۳) لا تَدْعُوا الْیَوْمَ ثُبُوراً واحِداً وَ ادْعُوا ثُبُوراً کَثِیراً (۱۴) قُلْ أَ ذٰلِکَ خَیْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِی وُعِدَ الْمُتَّقُونَ
کانَتْ لَهُمْ جَزاءً وَ مَصِیراً (۱۵) لَهُمْ فِیها ما یَشاؤُنَ خالِدِینَ کانَ عَلی رَبِّکَ وَعْداً مَسْؤُلاً (۱۶)

ص:۳۹۵

أُنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثٰالَ

هدى من الآيات:

بعـد أن ذكّرنـا الرب بمن أنزل الفرقـان ليهـدينا-كمـا يبـدو لی-إلی المنهـج القويم لمعرفه الكتاب،و للتصـديق به بعدئـذ.دحض تبريرات الكافرين بالرساله،و لا يزال يفندها السياق.الواحد تلو الآخر.

لقد قالوا:كيف يبعث اللّه إلينا بشرا رسولا يحتاج إلی الطعام،بل و إلی اكتساب المعيشه من الأسواق،فلو لا انزل إليه ملك ليكون معه نذيرا.

أو يستغنی عن اكتساب رزقه بأن يلقی إليه كنز أو لا أقل تكون له جنه يأكل منها.

و تطرف الظالمون فقالوا:ليس هذا الذين تتبعونه سوی رجل مسحور.

و يعالج القرآن هذه الأفكار المريضه:

ص:۳۹۷

أولا:بأن قياس الرسول بأنفسهم و ضربهم الأمثال له،جعلهم يضلون السبيل.و لعلهم لو تجردوا عن الأحكام المسبقه لم يضلوا عنه.

ثانيا:إن القرآن نزل فعلا-من عند اللّه تبارك خيره،و عظم فضله،فلو شاء و قضت حكمته البالغه لجعل لرسوله خيرا من ذلك،جنات تجرى من تحتها الأنهار (فى الآخره،أو حتى فى الدنيا عند ما جرت ثروات الأرض على أقوام تابعيه بما لم يحلموا به،و لا تخيله أولئك الجاهلون الذين كفروا برسالته أول مره).

ثالثا:إن سبب جحودهم إحساسهم بالأمن من عذاب اللّه،فهم قد كذّبوا بالساعه،و لقد أعدّ لهم الرب سعيرا ملتهبا.يدعوهم إلى نفسه من بعيد،و يستقبلهم بالتغيظ و الزفير.

إنه مكان ضيق.محلهم فيه كمحل الوتد فى الحائط،و هم مغلولون ببعضهم مع شياطينهم،و ينادون بالويل،و يناديهم الملائكه:ألا أدعوا ويلا كثيرا.

ما قيمه الكنز و البستان،فى مقابل قيمه الخلاص من نار جهنم؟!و أيضا قيمه الجنه التى وعد المتقون كانت لهم جزاء و مصيرا،لهم فيها ما يشاءون خالدين.

هكذا يعالج القرآن النظره الماديه اللامسؤوله بتذكير النفس البشريه بعذاب الساعه،و ثواب اللّه فى الجنه.

و هكذا ينسف العقبات و يزيلها عن طريق الإيمان بالفرقان.

بينات من الآيات:

المقاييس الخاطئه:

[۷]لقد أراد الكفار أن يكون الرسول الذى بعث إليهم كأحد قياداتهم

المزیفه،أو بالأحری آلهتهم التی تعبد من دون اللّه، و بالتالی خاضعا للمقاییس الجاهلیه لاختیار القیاده،و من أهم المقاییس التی کانوا یعتمدونها فی تمییز القیاده:

۱-القوه البشریه(عدد التابعین و الأصحاب).

۲-القوه الاقتصادیه(الثروه و المال).

۳-السیطره السیاسیه،و عاده ما تکون نابعه من القوتین السابقتین.

و ما دام الرسول لا یمتلک الجنود المجنده حتی یخضعوا لقمعها،و لا تلک الثروه التی تستعبدهم بها الطبقه الرأسمالیه،و لا تلک الأراضی الواسعه حتی یحترموه کما یحترمون اقطاعییهم الکبار،فهو لا یستحق-إذا-قیادتهم،و لکنهم لم یعلموا أن هناک فرقا شاسعا بین الرسول و قادتهم الجاهلیین،فقد ضلوا السبیل لمّا ضربوا له الأمثال.

وَ قٰالُوا مٰا لِهٰذَا الرَّسُولِ یَأْکُلُ الطَّعٰامَ وَ یَمْشِی فِی الْأَسْوٰاقِ لَوْ لاٰ أُنْزِلَ إِلَیْهِ مَلَکٌ فَیَکُونَ مَعَهُ نَذِیراً فمن جانب یتعجبون لان الرسول صلی الله علیه و آله یشبههم فی حیاتهم و معیشتهم،یأکل الطعام،و یبحث عن رزقه فی الأسواق-و کأنهم کانوا یریدون له الاقامه فی البروج العاجیه،و أن یجعل بینه و بینهم عشرات الحجب،کما یفعل الملوک و السلاطین-و من جانب آخر یتساءلون لماذا لم ینزل معه مخلوق غیبی،یتوعد کل من یعرض عن دعوه الرسول، و لعلّنا نستوحی من قوله تعالی«نذیرا»عن لسان الکفار،و لم یقولوا«بشیرا» انهم أرادوا أن یکون للرسول قوه قامعه تدعم الرساله بإذلال الرقاب،و کانوا یریدونها قوه مادیه یشاهدونها بأعینهم،أما أن تکون قوه الغیب الالهیه هی السند، فهذا ما لم تستوعبه عقولهم التی لم تتحرر من قید المفاهیم المادیه.

[٨] أَوْ يُلْقىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهٰا و إذا لـم تهبـط عليـه الـثروه بصـوره كنز يلقى له من السـماء ليجعله من طبقه الأثرياء،فليكن عنده بستان يدر عليه من الدخل ما يغنيه عن الاكتساب لطعامه الخاص؟! و قد أغفل هؤلاء بهذه التخرصات كرامه الإنسان التى هى فوق القوه و المال و ما تغله الأرض من ثمرات.

وَ قٰالَ الظّٰالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّٰ رَجُلاً مَسْحُوراً و قد نسب القرآن صفه الظلم لهم دون الاكتفاء بضمير يعود على ما تقدم ذكره لان لكلامهم جانبين:

الأول:المطالبه بحجه قاطعه على صدق الرساله،و قد يتصور لها جانب الموضوعيه.

الثانى:اتهامهم الرسول بأنه رجل مسـحور.أى فاقد العقل و الاراده الحقيقيين، و هذا ظلم فى حق الرسول،و من يدعى باطلا مقابل الحق يتحول من مجرد منكر باللسان إلى محارب بكل معنى الكلمه،و حين يـدعو شـخص أحـدا إلى فكره فإمّا يرفض أو يقبل،و امّا أن يعلن الحرب ضده،و يتهمه بالجنون،فإنه الظلم ذاته؟ لأن عدم اقتناعه بالدعوه-لو افترضـناه-لا يسـمح له أن يمنع الناس من قبولها.

[٩]عند ما بدّل الكفار المقاييس،ضـربوا الأمثال لمقاييسـهم الخاطئه،حيث أرادوا الرسول قياده كقياداتهم،كى يستجيبوا له،فطالبوا بملك كرمز لقياده أصحاب القوه،أو كنز كرمز لقياده أصحاب الثروه،أو جنّه كرمز لقياده أصحاب

الأرض،و لكن ماذا كانت تبعه هذا الخطأ الفادح؟إنها الضلاله لا غير.

أُنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً و حينما قاسوا قياده الرسول بالقوى الماديه،حرموا أنفسهم من فهم الحقيقه،و لا سبيل لهدايتهم ما دامت الأفكار الجاهليه تستبد بعقولهم.

[١٠] تَبارَكَ الَّذِى إِنْ شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذلِكَ جَنّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَ يَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً إذا شاء اللّه جعل للرسول جنات و قصورا و لكن أين كل ذلك؟ قال بعض من المفسرين:ان المراد من ذلك-جنّات و قصورا-فى الدنيا و ذلك محتمل،إلا أن الأفضل القول:بأن ربنا يذكّر بالآخره،فليست الدنيا آخر المطاف بالنسبه للإنسان.

لهذا جاء الرد الالهى بأن الرسول كريم على اللّه و هو يحبه،و لكنه لا يعطى له الدنيا جزاء لعمله،لعدم كونها فى مستواه،بما فيها من زخرف و زينه،و كذلك يتعامل اللّه مع المؤمنين،و يسند هذا الرأى قوله تعالى مباشره بعد هذه الآيه:

[١١] بَلْ كَذَّبُوا بِالسّاعَهِ وَ أَعْتَدْنا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسّاعَهِ سَعِيراً فهم انما اقتصروا فى مقاييسهم على الدنيا لتكذيبهم بالعالم الآخر، و ما جزاؤهم سوى السعير.

إن آيات الذكر تعالج الأمراض النفسيه التى تصيب القلب و تمنع عنه الرؤيه.

أ رأيت من غرق فى لجه،و تكاثفت عليه الأمواج،هل يقدر على الاستقرار،أو السيطره على نفسه.كذلك الذى تتقاذفه أمواج الشهوات،و تعصف به عواصف

العداوه و الغيظ.

فلكى يستقر هذا القلب الذى يتقلّب على كف الشهوه و الغضب،حتى يفكر بموضوعيه،و يستضىء بنور العقل المودع فيه،و يعود إلى فطرته التى خلق عليها.لا بدّ له من مرساه يحفظ سفينته عن هيجان الأمواج.لا بد له من قوه تصونه من التقلبات.

و ان الايمان بالساعه لهو تلك المرساه و انه لتلك القوه.

و ان الايمان بالساعه يعطى النفس موضع استقرار ينطلق منه نحو تقييم سائر الأشياء،انه يعطيه قوه،لتتعالى بها عن أمواج الشهوه و العصبيه.كيف؟ لنضرب مثلا:من لا يملك إلا دينارا واحدا و خشى عليه من السرقه،يكون كل تفكيره فى ديناره،حتى يكاد ينظر إلى الدنيا كلها من خلالها،أما من يملك مليون دينار غيره فهو يتغافل عن ذلك الدينار الواحد،فحتى لو سرق منه فله ما يسليه عنه.

هكذا الذى يؤمن بالجنه.يتسلى عن شهوات الدنيا،و يتغلب نفسيا عليها، و بالتالى يقوى على مقاومه ضغوطها.

كذلك من يخشى النار،فان قلبه يلهو عن مصيبات الدنيا.أو ليست هى حقيره جدا إذا قيست بسعير جهنم؟! و هكذا يسمو قلبه عن الحب و البغض،و عن الشهوه و الغضب،عن العصبيه و العداوه،و يتعالى على الخوف و الطمع،فيرى الحقائق كما هى لا كما توحى به مصالحه الآنيه.

كذلك الذين كفروا بالرساله لأن الرسول لا يملك كنزا أو جنه يأكل منها،أو

لم ینزل معه ملک نـذیرا.إنما هم مرضـی القلب،و لا بـدّ أن یستشـفعوا و شـفاؤهم فی التـذکره بالساعه.حیث تتضاءل عندها ثروه الدنیا و مصیباتها،و عندها تتحرر أفئدتهم من قیود الشهوات.

و من هنا کانت الآیه هذه و التی نتلوها بیانا لسبب کفرهم،و أیضا شفاء لمرض کفرهم.

و یستمر السـیاق فی وصف النار لیزداد القارئ تجردا عن أغلال القلب، و بالتالی یزداد إیمانا بالکتاب.ذلک انّ القرآن لا یجادل الکفار بالرساله فقط،و انما هو یزید ایمان المؤمنین بها عبر إنذارهم بالساعه،فکلّما وعوا حقیقه العذاب کلّما أبصـروا بنور قلوبهم حقائق الوحی أوضح و أجلی.

صور من العذاب:

[۱۲]و من صـفات جهنم انهـا تلتقـط طعمتهـا من مسافه بعیـده لقوه جـذبها،فاذا رأت أصـحابها مصـفدین بالأغلال،مستسـلمین لا یملکون حراکـا و لاـ هربـا،فانها تسـحبهم بلهیبها،و فی الوقت نفسه تسـتعر اسـتعارا شدیـدا و بصوت رهیب و هـذا هو التغیظ.کل ذلک لاستقبال أعداء اللّه و الرساله،

و فی الحدیث الشریف عن الامام الصادق علیه السّلام:

«إن جهنم تدعو أصـحابها من مسـیره سنه » (۱)إِذٰا رَأَتْهُمْ مِنْ مَکٰانٍ بَعِیـدٍ سَـمِعُوا لَهٰا تَغَیُّظاً وَ زَفِیراً و بالاضافه إلی ذلک فإنهم لا یدخلون جهنم دخولا عادیا،و انما یهوون فیها لأنها موجوده فی مکان سحیق.

۱- ۱) المصدر ص ۷.

[١٣] وَ إِذٰا أُلْقُوا مِنْهٰا مَكٰاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنٰالِكَ ثُبُوراً مقرنين:أی مصفدين بالاغلال،و الثبور:هو الهلاک.

و هنا تصور لنا الآيه الكريمه أنواعا من العذاب فی جهنم،فبالاضافه للحريق هناک:

١-الإلقاء من شاهق:و يمكن للإنسان أن يكون قريبا و لو بعض الشیء من تخيل ذلک،لو تصور شخصا يلقی من الطابق العاشر ليرتطم جسده برصيف الشارع،فتسحق عظامه،و إلا فان الإلقاء فی جهنم يوم القيامه لا يستوعبه عقل الإنسان المحدود،إذ من بين من يلقون من يهوی ألف عام حتی يصل إلی مقامه فيها.

٢-المكان الضيق:و فيه التعذيب النفسی الشديد،إذ يجلب الكآبه و الضجر لصاحبه،

و جاء فی الحديث :

«و الذی نفسی بيده:انهم يستكرهون فی النار كما يستكره الوتد فی الحائط » (١)٣-التصفيد بالاغلال:حيث معاناه المصير التعيس بثقل الأصفاد و فقدان القدره علی الحركه تماما.

۴-و ينادی المكذبون بالويل و الثبور،لهول ما يرون،فيأتيهم النداء الذی يزيدهم ألما لآلامهم.

[١۴] لاٰ تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وٰاحِداً وَ ادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً .

ص:۴٠۴

١- ١) المصدر ص ٨.

لا تتلفظون بهذا الكلام مره واحده،بل كرروه مرارا،و لن يجديكم ذلك نفعا لأنكم فى العذاب خالدون.

[۱۵] قُلْ أَ ذٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّهُ الْخُلْدِ الَّتِی وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كٰانَتْ لَهُمْ جَزٰاءً وَ مَصِيراً أيهما أفضل الدنيا بما فيها من ثمرات و كنوز.تعقبها النار و السعير،أم جنه الخلد يسبقها العمل الصالح،حيث النعيم المقيم و العز الدائم؟! بالطبع لو حكم الإنسان عقله فى هذه المسأله لأجاب الصواب،و لكن ذلك وحده لا يكفيه لدخول الجنه إلا بالعمل الصالح فى سبيل اللّه،لأنها للذين يأكلون الطعام،و يمشون فى الأسواق،غير مستكبرين على الناس،و لا مبتغين العز إلا من عند اللّه.

[۱۶] لَهُمْ فِيهٰا مٰا يَشٰاؤُنَ خٰالِدِينَ كٰانَ عَلىٰ رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤُلاً لا أحد ينكر ما بلغت إليه مدنيّه اليوم من التقنيه و المنهجيّه و العلميه،و لكنها تبقى عاجزه أمام طموحات الإنسان،فهى لم و لن تستطيع تحقيق كل ما يصبو إليه،و من كان عاجزا عن أن يهب للإنسان الحياه بعد الموت،لهو أعجز على إعطائه الخلود.

إن أسمى ما يفكر الإنسان فى الوصول إليه شيئان:

أ-أن يدرك ما يريد.

ب-الخلود و هو ما يسمى بغريزه حب البقاء.

و لا يمكن تحقيق هذه الطموحات فى الدنيا بطبيعتها،فلا بد أن يفكر الإنسان فى

الـدار التى يمكنه تحقيق طموحاته فيها،و ليست إلاّ الدار الآخره،و هذا وعد أكيد من اللّه للمتقين« وَ مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ »« وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً »؟ روى أن الفضل بن سـهل وزير المأمون العباسـى أراد تزويـج المأمون من ابنته «يوران»و كان مترفا،و جنـدوا كـل أموال الـدوله الاسـلاميه من أجـل حفـل الزفـاف،و كـذلك الطغاه يصـرفون المليارات من الـدولارات على حفلات زواجهم.

فصـنعا ما صـنعا،و من جمله ذلک صنعوا فراشا منسوجا بخيوط الذهب،و مرصعا باللآلئ و الجواهر،و عند ما أراد الأب الأخذ بيد ابنته يسـلمها إلى عريسـها-كما تقتضـى التقاليد آنذاک-قال لها:يا بنيّتى هل قصرت فى حقک؟و هل تريدين منى شيئا آخر،فقد أعددت لک کلّ ما تتمنى نفسک؟ قالت:لم تقصر فى حقى،و لکنى أريد شيئا واحدا.

و ما هو ذلک؟ أريد مسمارا و مطرقه أسمّر بهما الفلک حتى يتوقف عن الدوران،کى تبقى کلّ الليالى مثل هذه الليله.

و أنى لى بذلک؟ قالت العروس:و ما تنفع ليله واحده إذن؟ إن الإنسان مهما أوتى من نعم اللّه فى هذه الدنيا،إلا أنه سيبقى قاصرا عن بلوغ تطلعاته البعيده،فلو فكر بعقله مليّا لأدرک الجنه هدفا لا الدنيا.

ج-کلما ازدادت النعم على الإنسان فى الدنيا،کلما ازداد خوفه من زوالها.

ص:۴۰۶

أ لا ترى أنه كلما أوتى الإنسان خيرا يزداد بخلا؟

و فى الحديث :

«ما فتح اللّه على رجل بابا من الدنيا إلا و فتح عليه من الحرص ضعفيه » لأنه كلما ازدادت النعمه عليه.كلما ازداد حرصه عليها كى لا تزول،و هو يعلم فى قراره نفسه انها زائله لا محاله.

لذلك لا يمكن للإنسان أن يفرح بالنعم،و احساس عميق بخوف الزوال يساوره بين اللحظه و الأخرى،أما أصحاب الجنه فهم خالدون فيها لا يبغون عنها حولا.

ص:۴۰۷

[سوره الفرقان (۲۵): الآیات ۱۷ الی ۲۶]

اشاره

وَ یَوْمَ یَحْشُرُهُمْ وَ مٰا یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ فَیَقُولُ أَ أَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبٰادِی هٰؤُلاٰءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا اَلسَّبِیلَ (۱۷) قٰالُوا سُبْحٰانَکَ مٰا کٰانَ
یَنْبَغِی لَنٰا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِکَ مِنْ أَوْلِیٰاءَ وَ لٰکِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَ آبٰاءَهُمْ حَتّٰی نَسُوا اَلذِّکْرَ وَ کٰانُوا قَوْماً بُوراً (۱۸) فَقَدْ کَذَّبُوکُمْ بِمٰا
تَقُولُونَ فَمٰا تَسْتَطِیعُونَ صَرْفاً وَ لاٰ نَصْراً وَ مَنْ یَظْلِمْ مِنْکُمْ نُذِقْهُ عَذٰاباً کَبِیراً (۱۹) وَ مٰا أَرْسَلْنٰا قَبْلَکَ مِنَ اَلْمُرْسَلِینَ إِلاّٰ إِنَّهُمْ لَیَأْکُلُونَ
اَلطَّعٰامَ وَ یَمْشُونَ فِی اَلْأَسْوٰاقِ وَ جَعَلْنٰا بَعْضَکُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَ تَصْبِرُونَ وَ کٰانَ رَبُّکَ بَصِیراً (۲۰) وَ قٰالَ اَلَّذِینَ لاٰ یَرْجُونَ لِقٰاءَنٰا لَوْ لاٰ
أُنْزِلَ عَلَیْنَا اَلْمَلاٰئِکَةُ أَوْ نَریٰ رَبَّنٰا لَقَدِ اِسْتَکْبَرُوا فِی أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتُوًّا کَبِیراً (۲۱) یَوْمَ یَرَوْنَ اَلْمَلاٰئِکَةَ لاٰ بُشْریٰ یَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِینَ وَ
یَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً (۲۲) وَ قَدِمْنٰا إِلیٰ مٰا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنٰاهُ هَبٰاءً مَنْثُوراً (۲۳) أَصْحٰابُ اَلْجَنَّةِ یَوْمَئِذٍ خَیْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ
مَقِیلاً (۲۴) وَ یَوْمَ تَشَقَّقُ اَلسَّمٰاءُ بِالْغَمٰامِ وَ نُزِّلَ اَلْمَلاٰئِکَةُ تَنْزِیلاً (۲۵) اَلْمُلْکُ یَوْمَئِذٍ اَلْحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ وَ کٰانَ یَوْماً عَلَی اَلْکٰافِرِینَ عَسِیراً
(۲۶)

اللغه

۱۸[بورا]:البور الهلکی و هو جمع البائر.

ص:۴۰۸

۲۱[و عتو عتوا]العتو هو الخروج الى أفحش الظلم.

۲۳[هباء منثورا]:و الهباء هو الغبار يدخل الكوه من شعاع الشمس.

۲۴[مقيلا]:المقيل محل القيلوله.

ص:۴۰۹

وَ جَعَلْنٰا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً

هدى من الآيات:

لقد كفروا بالرسول،و آمنوا بالجبت و الطاغوت،و قالوا:لولا القى عليه كنز؟!و تساءلوا:لماذا يأكل الطعام،و يمشى فى الأسواق و لكن هل ينفعهم الأنداد شيئا يوم يحشرهم اللّه و ما عبدوا،فيتبرءون منهم و يقولون: سُبْحٰانَكَ..مٰا كٰانَ يَنْبَغِي لَنٰا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيٰاءَ متعتهم،و يرون أنّ طول متعتهم أنساهم الذكر،فهلكوا.

إذا:غرورهم بقيم الماده،و كفرهم بالرسول لأنه لم يلق اليه كنز أرداهم، و جعلهم قوما بورا.

و هكذا ينسف الذكر الحكيم هذه العقبه عن طريق الايمان بالوحى.و يقول:

ان سنه اللّه فى بعث الرسل مضت على أنهم يأكلون الطعام،و يمشون فى الأسواق، و أمر اللّه الناس باتباع واحد منهم ليفتنهم.فهل يصبرون على طاعته؟!و اللّه من ورائهم يبصرهم،و هو عليم رقيب.

ص:۴۱۰

ثم ينسف العقبه الأخرى،حيث قالوا:لولا أنزل علينا الملائكه،أو نرى ربنا،فيقول:انه عتوّ كبير.فكيف يطالبون برؤيه الملائكه؟!فلا بشرى يومئذ للمجرمين إذ ينزل بهم عاقبهم العاجل فى ذلك اليوم،و تراهم يقولون حجرا محجورا -اشاره الى ذلهم و استسلامهم-و يجعل اللّه أعمالهم هباء منثورا،بينما أصحاب الجنه خير مستقرا فى ذلك اليوم،الذى تشقق السماء بالغمام،و تنزل الملائكه، و يتجلى ملكوت اللّه لكل شخص،و هو يوم عسير على الكافرين.

بينات من الآيات:

متعتهم حتّى نسوا الذكر:

[۱۷]أهم عقبه تعترض الايمان بالوحى هى اتخاذ الأولياء من دون اللّه.ذلك أن الانتماء الى الجبت أو الطاغوت يجعل الإنسان يتّكئ على الشيء دون القيم، و يعتمد على الباطل و ليس الحق،و بالتالى يضلّ السبيل.

و لأن يوم القيامه هو اليوم الذى تجلو فيه الحقائق،و تتوضح السرايا،فان الحقيقه التى يبينها القرآن هنا تكون اجلى حينذاك.إذ يتنصل كلّ من العابد و المعبود كل من صاحبه،و ذلك عند ما يكتشفون أنّ هؤلاء الأولياء لا يملكون صرفا و لا نصرا، و فى ذلك اليوم لا تنفعهم معرفتهم.و انما يكشف الذكر هذه الحقيقه لينسف أساس تبريرهم الكفر بأن الرسول لا يملك كنزا أو جنه،و أنه ليس رجلا من القريتين عظيم.

ذلك ان أساس هذه التبرير هو الاتكال على القيم الماديه،غافلين عن أنها تتلاشى و لا تغنى عنهم شيئا يوم يكونون بأشد الحاجه إليها فى الآخره،بل حتى فى الدنيا إذا كشف عنها غطاء الغرور بدت خاويه زاهقه.

وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَ مٰا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ فَيَقُولُ أَ أَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ

عِبَادِی هٰؤُلاٰءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِیلَ و هـذا السؤال موجّه الی کـل من یساهم فی إضـلال الناس،کالصـحفی المأجور، و السـلطان الظالم،و علماء البلاط.و یبـدو أنّ الانتماء الی القیاده الجاهیه کان من عوامل الکفر بالرسول،الـذی هو القائد الحق المطروح علی الساحه بدیلا عن القیادات الضالّه،و لذلک نبّه الذکر الی ضروره التخلص منها،و من الولاءات الجاهلیه تمهیدا للایمان بالوحی.

[۱۸] قٰالُوا سُبْحٰانَکَ أنت المسبّح و المقدس عن أیّ شریک.

مٰا کٰانَ یَنْبَغِی لَنٰا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِکَ مِنْ أَوْلِیٰاءَ فنحن بدورنا عبید لک أیضا،فکیف نکون آلهه.

ثم بین الذکر الحکیم العامل الحقیقی للشرک و الانتماءات الجاهلیه،فقال:

وَ لٰکِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَ آبٰاءَهُمْ حَتّٰی نَسُوا الذِّکْرَ أنت الذی فتنتهم بالنعم حتّی نسوا الذکر.

وَ کٰانُوا قَوْماً بُوراً أی هالکین،و الاراضی البوار هی التی لا تصلح لشیء من الزراعه.

[۱۹]إن الطغاه المؤلهین من دون اللّه،یدرکون أنهم لیسوا آلهه.

فَقَدْ کَذَّبُوکُمْ بِمٰا تَقُولُونَ فَمٰا تَسْتَطِیعُونَ صَرْفاً

ص:۴۱۲

للعذاب عن أنفسهم أو عمن عبدوهم.

وَ لاٰ نَصْراً و لا ينصرونهم من دون اللّه.

وَ مَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذٰاباً كَبِيراً إذا لم يساهم الإنسان فى تسخير الناس لعبادته،بل عبدوه بجهلهم،فليس عليه شىء،كالنبى عيسى ابن مريم عليهاالسلام ،الذى اتخذه النصارى إلها من دون اللّه، بينما سيكون أول المتبرئين من عملهم يوم القيامه.

[۲۰]و يواصل السياق تزييف تبريرات الكافرين بالرساله بعد نسف أساسها آنفا،حيث يبطل هنا قولهم:كيف نتبع رسولا يأكل الطعام،و يمشى فى الأسواق.

أولا:بان تلك سنه اللّه التى مضت فى الاوّلين،إذ لم يبعث اللّه رسولا الاّ و هو يأكل الطعام،و يمشى فى الأسواق.

و ثانيا:بأنّ تلك وسيله لامتحان الناس،فهل يصبرون على الطاعه أم لا.

وَ مٰا أَرْسَلْنٰا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاّٰ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعٰامَ وَ يَمْشُونَ فِي الْأَسْوٰاقِ فلم يكن الرسول بدعا،و إنما جاء خاتما لمسيره مباركه ممتده.

و الجاهلون لم يستوعبوا هذه السنه لأحد الأسباب التاليه:

ألف:لجهلهم بواقع البشر،و زعمهم:أن الإنسان لا يمكن ان يكون رسولا لرب العالمين،كلاّ..الإنسان كريم عند ربه إذا عبده و أطاعه.

باء:لزعمهم:انّ الرسول ينبغى ان يكون غنيّا أو مقتدرا،و قد نسف القرآن آنفا أساس هذه الفكره القائمه على تقديس الماده.

جيم:لجهلهم بحكمه الخلق،حيث زعموا:ان اللّه يريد هدايتهم حتما، بينما اللّه شاء بحكمته البالغه ان يهديهم بطوع إرادتهم،و ليس بصوره حتميه، و هكذا امتحنهم بالرسول الذى هو منهم،و أمرهم بطاعته لينظر هل يصبرون.

وَ جَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَ تَصْبِرُونَ و منهج القرآن الكريم هو بيان الحكم عند بيان ما يناسبها،و لذلك تتسع آياته لتشمل ما وراء حدود السياق.

و هكذا نجد انّ هذه الحكمه البالغه تذكر هنا بمناسبه الحديث عن الرسول لتبيّن لنا:أن طاعه الرسول،و المخالفه لهوى النفس نوع من الفتنه بالنسبه الى الناس.

و لكنّ الآيه تعطينا أيضا بصيره نافذه تكشف الكثير من اسرار الحياه.فالغنى فتنه للفقير الذى قد يفكر فى الكذب أو الغش و السرقه كى يصبح مثله غنيا،و كذلك الغنى فتنه للفقير،فهو مبتلى به امام اللّه،اما بالبخل و الربا أو بالغرور و التكبر.

جاء رجل فقير الى رسول اللّه صلى الله عليه و آله يوما،و جلس على مقربه من رجل غنى- كان قد سبقه الى مجلس الرسول- فتنحى الغنى بعد ان لملم ثيابه بطريقه تنم عن الاحتقار،فنظر الرسول اليه و قال:اخشيت ان ينتقل غناك اليه أم فقره إليك؟ فقام الغنى و قد أدرك سوء عمله يقول:اخطأت يا رسول اللّه..اخطأت..ثم دار بوجهه الى ذلك الفقير و قال:انى أهب لك نصف مالى،فقال الفقير:أ تريدنى ان أصبح غنيا فأصنع مثل ما صنعت؟فأتكبر على الفقراء؟احفظ عليك مالك فانى لا أريد غنى هذه نهايته.

هکذا کانت الحکمه من تفاضل الناس.ابتلاؤهم ببعضهم لمعرفه مدی صمودهم أمام اغراءات الدنیا.

وَ کانَ رَبُّکَ بَصِیراً یحصی علی الناس تصرفاتهم،و یرصد سلوکهم تجاه بعضهم،و کیف لا و اللّه یعلم خائنه الأعین و ما تخفی الصدور.

[۲۱]الی هنا یکون السیاق القرآنی قد عالج العقبه الاولی فی طریق الایمان، و هی النظره الخاطئه للرسول،لذا فانه ینتقل الی علاج العقبه الثانیه و هی عقبه الکفر بالساعه.

عند ما یؤمن الإنسان بفکره ما فانه یبحث عن ای شیء لیبرر هذا الایمان،حتی لیمکننا تقسیم فکر الإنسان الی جانبین:

۱-جانب الاعتقاد:و هو الایمان بالفکره ذاتها.

۲-جانب التبریر:و ذلک للإبقاء علی الاعتقاد.

و هذا التقسیم نجده لیس لدی الکفار بالحق فحسب،بل حتی لدی المؤمنین، إذ لا بد ان یسعی کلا الطرفین لیبرر موقفه،فالتبریر له وجه ایجابی و ذلک إذا کان من أجل الحق،و له وجه سلبی عند ما یکون من أجل الباطل.

إنّ قسما من الناس یبرر رفضه للرساله بأعذار،فیسأل:إذا کان اللّه قد بعث رسولا،فلما ذا لا ینزل علینا الملائکه لتخبرنا بصدق الرساله؟أو یسأل:عن اللّه لماذا لا نراه جهره؟ وَ قالَ الَّذِینَ لا یَرْجُونَ لِقاءَنا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَیْنَا الْمَلائِکَهُ أَوْ نَری رَبَّنا لَقَدِ اسْتَکْبَرُوا فِی أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتُوًّا کَبِیراً

ص:۴۱۵

استکبروا فی أنفسهم حینما أراد کل واحد منهم ان یصبح رسولا تنزل علیه الملائکه،و عتوا حینما طالبوا برؤیه اللّه سبحانه و تعالی.

[۲۲]إن الدنیا دار اختبار،و لا یتم الاختبار من دون حرّیه القرار،و إذا ظهرت الملائکه فان ذلک إیذان بنهایه مرحله الاختبار الی مرحله الجزاء،و آنئذ لا ینفعهم شیء.

یَوْمَ یَرَوْنَ الْمَلاٰئِکَهَ لاٰ بُشْریٰ یَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِینَ وَ یَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً ان الملائکه التی یطالب هؤلاء بمجیئهم مخلوقات جبّاره،أصوات بعضهم کالرعد و نظراتهم کالبرق،یستطیع أحدهم ان ینسف الأرض بمن فیها و من علیها بنفخه واحده،إذا أوکل اللّه له ذلک.

و سیکتشف المجرمون مدی حماقتهم،حین وضعوا شرط نزول الملائکه علیهم، و سیعلمون کم أوقعهم عنادهم فی الجهل،عند ما یرون الملائکه،و سیکون قولهم آنئذ«حجرا محجورا»أی یا لیت بیننا و بینهم حاجزا یحجبهم عنا،فنتخلص من هول الموقف،الذی لا طاقه لنا به.و کانت هذه الکلمه إیذانا بالتسلیم عند العرب،و الطلب من العدو الا یضربه.

[۲۳] وَ قَدِمْنٰا إِلیٰ مٰا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنٰاهُ هَبٰاءً مَنْثُوراً فالکدح الذی کدحوه فی الدنیا،للحصول علی الثروه و الجاه،سیضیع من أیدیهم،و لن یجدوا غیر الحسره و الندامه.لأنهم کانوا یعیشون ضیق الأفق،فلم یحسبوا للآخره حسابها.و لعل فی الآیه إشاره الی أنّ الأعمال الصالحه لا تنفع من

دون طاعه الرسول و القياده الشرعيه.

[۲۴]أما ما يقدمه المؤمنون برساله اللّه،المصدقون لرسوله فان اللّه عز و جل سيحفظه لهم،و يعيده عليهم فی صوره ثواب عظيم و جزاء كريم،يدخلهم الجنه، و سيكونون فيها صالحی البال،يشعرون بالاستقرار و الطمأنينه،و ينامون ملیء أعينهم،كما ينام الإنسان وقت القيلوله لا يزعجه ألم و لا يهدده خطر:

أَصْحابُ الْجَنَّهِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلاً [۲۵] وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ ربما يكون تفسير هذا المقطع من الآيه،أن السماء تنفطر و كأنها غمام،أو أن فيها غمام ينكشف عن السماء.و كم هو مريع حين تنفطر هذه السماء المتراميه الأطراف أمام ناظری هذا الإنسان الضعيف الذی لا يتحمل أبسط الشدائد.

من جهه أخری:لقد جعل اللّه السماء سقفا محفوظا،و جعل منظرها فی النهار بهيا،و فی الليل جميلا،و جعل فؤاد البشر يطمئن إليها،و انما يسعی الإنسان للدفاع عن نفسه عبر وضع الحواجز من حوله،و لا يمكنه ان يحتاط لنفسه عن الأخطار التی تصله من السماء.لذلک كان تشقق السماء-هذا السقف المحفوظ-أشد رهبه و أعظم.

و الخطر لا ينزل بصوره عمياء كالصاعقه أو الشهب المتساقطه،كلاّ..بل يتنزل الملائكه الغلاظ الشداد،يأخذون المجرمين و يسلكونهم فی الأغلال و يسحبونهم الی النار و ساءت مصيرا.

وَ نُزِّلَ الْمَلائِكَهُ تَنْزِيلاً فئاه فئاه،و المره تلو الأخری.

ص:۴۱۷

الخوف و الرجاء:

[۲۶] اَلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ بالرغم من أن الملك للّه فى كل حين،و على كل حال،الا أن ملكوت اللّه يتجلى بصوره أظهر و أعظم فى يوم القيامه،و قد ذكرت الآيات بصفه الرحمه الإلهيه فى هذا المورد،و ليس بصفه الغضب لتشير الى انه فى الوقت الذى تتجلى قوه الرب التى لا تحدّ،يعطينا السياق أملا فى رحمته الواسعه،و لكن يحذرنا أن نضيع الفرصه و لا نستفيد من رحمته،و كم يكون الإنسان شقيا لو ترك الاستفاده من رحمه اللّه، التى وسعت كل شيء؟! وَ كٰانَ يَوْماً عَلَى الْكٰافِرِينَ عَسِيراً حينما ينظر الإنسان الى رحمه اللّه يزداد أملا و رجاء،الى حد قد يتصور أن لا عذاب عند اللّه،و أنه سيدخل الناس جميعا الى جنته الواسعه.

و لكن حينما يفكر البشر فى معاصيه،و مخالفته لربّه،يحس أن كل العذاب قليل بحقه،لهذا نجد معادله قرآنيه تتجلى فى قوله تعالى: اَلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ من جهه،و فى قوله: وَ كٰانَ يَوْماً عَلَى الْكٰافِرِينَ عَسِيراً من جهه ثانيه، و هى معادله التوازن النفسى بين الرحمه و الغضب،اللذين يجب أن ينعكسا على سلوك الإنسان.

ص:۴۱۸

[سوره الفرقان (۲۵): الآيات ۲۷ الی ۳۳]

اشاره

وَ يَوْمَ يَعَضُّ اَلظّالِمُ عَلىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِی اِتَّخَذْتُ مَعَ اَلرَّسُولِ سَبِيلاً (۲۷) يا وَيْلَتىٰ لَيْتَنِی لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً (۲۸) لَقَدْ أَضَلَّنِی
عَنِ اَلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِی وَ كانَ اَلشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولاً (۲۹) وَ قالَ اَلرَّسُولُ يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِی اِتَّخَذُوا هٰذَا اَلْقُرْآنَ مَهْجُوراً (۳۰) وَ
كَذٰلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِیٍّ عَدُوًّا مِنَ اَلْمُجْرِمِينَ وَ كَفىٰ بِرَبِّكَ هادِياً وَ نَصِيراً (۳۱) وَ قالَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ اَلْقُرْآنُ جُمْلَةً
واحِدَةً كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلاً (۳۲) وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاّ جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً (۳۳)

اللغه

۲۸[خليلا]:الخليل هو الصديق.

ص:۴۱۹

كذلک لنثبت به فؤادک

هدی من الآیات:

فی جو تشـقق السـماء،و تنزل الملائکه،و تجلّی ملکوت الرب الرحمن-الـذی مرّ آنفا-یعالـج هـذا الـدرس صـداقات السوء التی تنفصم عروتهـا یوم القیـامه حتی یقول الظالم:یا لیتنی لم أتخـذ فلانا خلیلا،و یشـتد به النّـدم حتی تراه لا یکتفی بعض سـبابته،بل یعض علی یدیه،و یقول:« يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ».

إن صدیق السوء یضل صاحبه و یبعده عن الذکر،ثم یترکه لشأنه کما یفعل الشیطان.حیث یخذل من اتبعه فی ساعه العسره.

و یجیء الرسول شاهدا علی قومه الذین هجروا القرآن،فلم یؤمنوا به،أو لم یعملوا به بعد ان تظاهروا بالایمان.

و یسدل السـیاق الستار علی مشهد القیامه المهیب.بعد ان یهدم بنیان النظم الجاهلیه للمجتمع.حیث الولاءات الجاهلیه التی لا تنفع و لا تضر،و حیث صداقات السوء التی تضل عن السبیل،و یختم کل ذلک ببیان انّ لکل رسول عدوا

من طغاه الجاهليه،و مجرمى المجتمع.

ثم يواصل القرآن ردّ شبهات الجاحدين للرساله حيث قالوا: لَوْ لاٰ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وٰاحِدَةً ،و يرده:بأنّ التنزيل المتدرج اثبت لفؤاد الرسول،و أوضح فى البيان،و أبلغ فى معارضه ثقافه الجاهليه بالحق المبين.

بينات من الآيات:

اشاره

[۲۷]الناس فى الدنيا محكومون بالضغوط الاجتماعيه التى تدعو الكثير منهم الى ترك الرساله الالهيه.

إن الشيطان يدعو الإنسان الى الانحراف،و يعده بالنصر،ثم يكون أول المتبرئين منه،حينما يواجه مصيره و عاقبه امره،و لكن من هو الشيطان؟ إن للشيطان صورتين،فتاره يتجسّد فى القوى الخفيه التى تضلّنا عن الحق، و أخرى فى القوى الظاهره و بصوره مختلفه،فقد يكون صديقا يدغدغ فينا الآمال و الشهوات،و قد يكون المجتمع الذى يضغط باتجاه التقاليد و العادات المنحرفه،و ربما يكون السلطان الحاكم،أو الاعلام المضلل،و..و...إلخ،و هؤلاء جميعا يتبرءون من البشر يوم القيامه.

وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظّٰالِمُ عَلىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يٰا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً حينما يرى الظالم أن الجنّه و النار بيد اللّه-سبحانه-و أن الطاعه أو العصيان للرسول هما المقياس عنده لدخول أحدهما،فانه يندم على ما فرّط فى جنب اللّه و رسالته،و يتمنّى لو كان متّبعا للرسول،و سبيله الحق.

[۲۸]يَا وَيْلَتَى يدعو على نفسه متندّما.

لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً الذى أضله من صديق سوء أو سلطان جائر أو ضرب شيطانى،و لكن ماذا ينفعه كل أولئك،و قد ضل بما زخرف له هؤلاء الأخلاّء،فترك رساله اللّه سبحانه، و عليه إن أراد أن يتخلص من النار،و يزحزح الى الجنه أن يتخلص من الولاءات الشيطانيه فى الدنيا،و يخلص ولاءه للّه و لمن أمر اللّه.

[۲۹] لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي و كثير أولئك الذين يتّبعون أصدقاء السوء الذين يضلّون الناس عن ذكر اللّه بدعوتهم للمعاصى،و يبدو أن مشكله أصدقاء السوء الهاء الإنسان عن ذكر اللّه ببعض التوافه،و لذلك ينبغى أن يبتعد المؤمن عن مجالس اللهو و اللغو و حفلات البطّالين و يأوى الى روضات الجنات..ألا و هى مجالس العلماء،و حلقات الذكر،و مدارس العلم،و جلسات العمل فى سبيل اللّه.

و هذا الشيطان الذى يدعوك للمعصيه هو الذى يخذلك فى ساعه العسره،و يتبرأ منك بحجّه انه يخاف اللّه رب العالمين،و قد ورد فى الحديث أن الشيطان يتفل- يبصق-فى وجوه تابعيه يوم القيامه.

وَ كَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً

لكى لا يكون الرسول خصيمنا:

[۳۰]لكى لا يكون الشفيع خصيمنا،و لا يشهد علينا سيدنا و إمامنا الذى هو

ص:۴۲۲

أرحم خلق اللّه بعباد اللّه.لا بد ان نعيش رياض القرآن فنتخذه أنيسا فی الوحده، حاكما فی التجمع،قاضيا عند الخلاف،إماما للمسيره،هاديا لدی تواتر الفتن.

فقد جاء فی الحديث المأثور عن الامام الصادق(عليه السّلام)عن آبائه عن رسول اللّه (صلّی اللّه عليه و آله و سلم)أنه قال :

«إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن،فانه شافع مشفّع،و ما حل مصدّق،و من جعله أمامه قاده الی الجنه،و من جعله خلفه ساقه الی النار،و هو الدليل يدلّ علی خير سبيل و هو كتاب فيه تفصيل،و بيان و تحصيل » (۱)وَ قٰالَ الرَّسُولُ يٰا رَبِّ إِنَّ قَوْمِی اتَّخَذُوا هٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً الرسول يقاضی أمته يوم القيامه عند ربّه إذا تركوا العمل بالقرآن.

هكذا تدل الآيه،و بهذا جاءت السنه الشريفه،

فقد روی الامام الباقر(عليه السّلام)عن جدّه الرسول(صلّی اللّه عليه و آله و سلم)أنه قال :

«أنا أول وافد علی العزيز الجبّار يوم القيامه،و كتابه،و أهل بيتی،ثم أمتی، ثم أسألهم ما فعله(فعلوه)بكتاب اللّه و بأهل بيتی » (۲)دعنا نتسائل اليوم-و قبل ضياع الفرصه-هل نحن نؤدی حق القرآن علينا.

كيف لو جاء الرسول يوم القيام ليشهد فی قومه.هل يشهد لنا أم علينا.

حقا نخشی ان يشهد علينا،فأين معارف القرآن إذن فی ثقافتنا؟!و اين

ص:۴۲۳

۱- ۱) تفسير نور الثقلين/ج /۴ص ۱۳.

۲- ۲) المصدر.

التعاليم الخلقيه فى سلوكنا؟!و اين احكامه فى سياستنا و قضائنا،و قوانين بلادنا؟! فهل نحن مسلمون قرآنيون؟!و ما الفرق بين من لا يؤمن بالقرآن،و من يهجره هجرا؟! ان قلب المؤمن يكاد يتصدع إذا استمع الى النبى و أهل بيته(عليه و عليهم صلوات الرب) و هم يؤكدون عليه الوصيه بالقرآن-أقول يكاد يتصدع قلبه خشيه الا يكون قد ادى حق كتاب ربه-.

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله :

«القرآن هدى من الضلاله،و تبيان من العمى،و استقاله من العثره،و نور من الظلمه،و ضياء من الأحداث،و عصمه من الهلكه،و رشد من الغوايه،و بيان من الفتن،و بلاغ من الدنيا فى الآخره،و فيه كمال دينكم،و ما عدل أحد من القرآن الا الى النار » (۱)

و قال الامام الصادق عليه السّلام :

«القرآن:القرآن! إنّ الآيه من القرآن و السوره لتجيء يوم القيامه حتى تصور ألف درجه(يعنى فى الجنه)فتقول:لو حفظتنى بلغت بك هاهنا » (۲)فهل نعود الى القرآن،و نبلغ تلك الدرجات العلى فى الجنه،و النجاح و السعاده فى الدنيا؟نرجو ان يوفقنا اللّه لذلك.

۱- ۱) المصدر/ص ۱۴.

۲- ۲) المصدر.

[۳۱]فی الآیات الماضیه حدیث عن القیاده المضاده للرسول فی المجتمع،و التی هی من أسباب ابتعاد الناس عن القیم الرسالیه،المتمثله فی الوحی الالهی،و الآن تصرح هذه الآیه بذلک مؤکده بأن هذه سنه الهیه أن یکون للحق سنام هو القیاده الرسالیه،و أن للباطل سنام أیضا هی قیاده الباطل،و الإنسان بین هذه و تلک یختار طریقه بنفسه.

وَ کَذٰلِکَ جَعَلْنٰا لِکُلِّ نَبِیٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِینَ کما أن اللّه سنه فی خلقه أن یبعث رسلا یحملون مسئولیه الهدایه للبشر،أو مصلحین علی رأس کل قرن و فی کل قریه،فان له سنه فی قبالتها أن یجعل فی مقابل کل قیاده حق قیاده باطل،تستقطب سلبیات الناس ضد القیاده الرسالیه،و هذه هی التی یتبرأ منها الناس یوم القیامه قائلین:لیتنا لم نتخذ فلانا خلیلا.

فهنا نظام و هنالک نظام.هنا تجمع و هنالک تجمع.هنا انتماء و هنالک انتماء، و علینا أن نختار خطّنا بوعی.

هکذا کان مع إبراهیم نمرود،و مع موسی فرعون،و مع نبینا الأکرم طغاه قریش.

وَ کَفیٰ بِرَبِّکَ هٰادِیاً وَ نَصِیراً إن فی الحیاه خطین متناقضین هما خط الحق،و خط الباطل و حتی لا یشتبه البشر فیضلوا الطریق،ثم یقولوا:یا ربنا إننا لم نعرف قیاده الحق من قیاده الباطل،فقد تکفل ربنا ببیان صفات کل منهما عبر وحیه الذی لو اتبعناه لاهتدینا الی الحق،و لانتصرنا علی الباطل بعونه تعالی.

ص:۴۲۵

حکمه التنزیل المتدرج:

[۳۲] وَ قٰالَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لاٰ نُزِّلَ عَلَیْهِ اَلْقُرْآنُ جُمْلَهً وٰاحِدَهً بعد أن فشلت کل تبریراتهم قالوا:نحن لا نؤمن لان القرآن لم ینزل جمله واحده،و ذلک دلیل علی ضعف الرسول، فلو کان من عند اللّه لما أعجزه أن یبعث به دفعه واحده،لأنهم کانوا یجهلون خلفیات التنجیم.فلما ذا جاء القرآن منجما؟ ۱-إن القرآن لیس کتابا عادیا کأی کتاب،بل هو کتاب حیاه،ینبغی أن یصنع جیلا من المتمسکین به،و لا یمکن ذلک الا إذا ترسخت أفکاره و آیاته فی نفوس الناس،و نجد اشاره الی الجیل القرآنی فی الآیات الأخیره من هذه السوره حین ذکرت صفات عباد الرحمن.

و التنزیل المتدرج هو الذی صاغ الجیل الرسالی فی الرعیل الاول من المسلمین، إذ کان المسلمون یصوغون حیاتهم وفق کل آیه تنزل علیهم،لتأتی الآیه الثانیه مکمله لسابقتها،و لتضیف تکاملا جدیدا فی شخصیتهم،إذ لم یکونوا قادرین علی صیاغه شخصیتهم وفق المنهاج القرآنی دفعه واحده،و لم یکن اللّه یرید للقرآن أن یکون تراثا فکریا و علمیا،بل منهجا عملیا لحیاه الناس.

و یهدینا ذلک الی ضروره أن یطبق کل من المجتمع و الفرد القرآن علی نفسه کلما استطاع الی ذلک سبیلا،و تشیر الی ذلک الآیه الکریمه« فَاتَّقُوا اللّٰهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ »حیث یجب تطبیق المیسور من الآیات الآن تمهیدا لتنفیذ غیرها فی المستقبل،و یوحی الی ذلک قوله تعالی: یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَقُولُوا رٰاعِنٰا وَ قُولُوا انْظُرْنٰا علی تفسیر مضی:ان معنی النظر-هنا-الانتظار لوقت الإمکان.

و یبدو أن هذه من أعظم القواعد التربویه فی الإسلام،و لا ریب أن ذلک لا

یرتبط بالواجبات الدینیه کالصلاه و الصوم،انما تختص بدرجات المعارف الالهیه أو المراتب العالیه من الطاعات.

و فی هذه الأمور یتثبّت الإنسان من خلال القرآن عند ما یرتله علی نفسه،کما رتل اللّه کتابه علی نبیه لیثبت فؤاده.

۲-إن فی ذلک بیانا لعظمه القرآن و انه من عند اللّه،فمع أنه نزل علی امتداد (۲۳)عاما و فی ظروف مختلفه.الا أن ما تهدی الیه الآیه الاولی و ما تنطلق منه،هو عین ما تهدی الیه و تنطلق منه کل الآیات،لان اللّه الذی أنزله صاغه علی نمط و منهج واحد،لا اختلاف فیه و لا تناقض.

و مع أن مراحل الدعوه قد اختلفت فی حیاه الرسول صلی الله علیه و آله حیث انتقل من مکه الی المدینه،و التی تختلف فیها الظروف و المشاکل الاجتماعیه الا أن ذلک لم یخلف و لا أثرا بسیطا علی واقع القرآن روحا و منهجا.

إن من المستشرقین ممن لا-یؤمن بالوحی حاول ربط الآیات بالاوضاع الاجتماعیه التی مرت بها الأمه آنذاک،فجمعوا الآیات حسب نزولها،فسوره العلق تسبق سوره الحمد،فلما لم یکن مرتبا بشکل جید.عرفوا بأنه من عند اللّه.حیث ان بعض الآیات من بعض السور تنزل فی مکه،و بعضها الآخر فی المدینه المنوره، بینهما فتره زمنیه لیست بالقلیله.تتخللها آیات من سور أخر،و لکننا نجدهما فی غایه التناسق،و الوحده الموضوعیه.بحیث لو أضفنا کلمه زائده الی السیاق أو حذفنا کلمه لاختلف السیاق اختلافا کبیرا،بل لا یمکن ذلک حتی مع الحفاظ علی ذات الکلمات القرآنیه مع التقدیم و التأخیر.

و کلما تدبر البشر أکثر فی القرآن الحکیم،کلما ازداد یقینا بأنه من عند اللّه، إذ یستحیل علی الإنسان أن یجد ترابطا وثیقا بین کلام ینطقه الآن و کلام نطقه منذ

ص:۴۲۷

عشرين عاما.من يحث المحتوى و نضوج الأفكار،و حتى فى الأدب و الصياغه،و قد قال ربنا تبارك و تعالى: أَ فَلاٰ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كٰانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّٰهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاٰفاً كَثِيراً .

هذا إذا ما تركنا الروايات و الأحاديث التى تحدثنا عن أسباب النزول جانبا لأن أكثرها لا ترقى الى درجه اليقين العلمى.

۳-لتثبيت قياده الرسول فى المجتمع.حيث يعود الناس اليه،و ينتظرون منه حلاّ و رأيا كلما مرت بهم حادثه.

كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤٰادَكَ و نجعلك تصيغ شخصيتك وفق آياته.

وَ رَتَّلْنٰاهُ تَرْتِيلاً آيه آيه،و مقطعا مقطعا،حتى يصير واضحا غير مختلط ببعضه،لكى يدخل فى ضمير المجتمع،و يمتد عبر الأجيال فى التاريخ.

و ينبغى أن نتلوا القرآن-إذا تلوناه-بتدبر،و نرتله بتأمل،و نستضىء بهديه فى ظلمات حياتنا،و نسلط اشعته الكاشفه على كل زاويه مظلمه.

يقول الحديث الشريف المروى عن النبى صلى الله عليه و آله انه قال لابن عباس:

يا ابن عباس إذا قرأت القرآن فرتّله ترتيلا قال:و ما الترتيل؟قال:

«بيّنه تبيانا،و لا تنثره نثر الرمل،و لا تهذّه هذّ الشعر،فقفوا عند عجائبه،

و حركوا به القلوب،و لا يكون هم أحدكم آخر السوره » (۱).

و نحن نرى أن القرآن نزل مرتين:

هبط به الروح الأمين جمله واحده على قلب النبیّ الامی صلى الله عليه و آله فى ليله القدر، حيث قال ربنا سبحانه:« إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِي لَيْلَهٍ مُبٰارَكَهٍ إِنّٰا كُنّٰا مُنْذِرِينَ » (۲)و قال:

« إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِي لَيْلَهِ الْقَدْرِ » (۳)هكذا نزل القرآن حسب الحاجه الاجتماعيه،ثم نزل مفرّقا حسب الظروف و المناسبات،حيث كان سبحانه يأمر رسوله بأن يتلو كل آيه فى مناسبتها،و ربما تدل على ذلك الآيه الكريمه: لاٰ تُحَرِّكْ بِهِ لِسٰانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنٰا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ.

[۳۳]ربنا الرحمن شافى بالقرآن امراض المجتمع البشرى المتمثله فى الثقافات الجاهليه.فكلما طرحت فكره جاهليه غامضه جاء الوحى بالحق المبين.

وَ لاٰ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاّٰ جِئْنٰاكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً ما هو المثل؟ يبدو ان كل مجموعه فكريه يعبر عنها بمثل(أو حسب تعبيرنا اليوم بشعار) و الامثله عند الناس تختزل حشدا متناسقا من الأفكار،و تعبر عن سلسله فكريه متشابكه.

و لتوضيح ذلك دعنا نضرب مثلا:

ألف:العشائريه نهج اجتماعى،و قيمه فكريه كان شعارها«انصر أخاك ظالما

۱- ۱) المصدر/ص ۱۵.

۲- ۲) الدخان/۳.

۳- ۳) القدر/۱.

أو مظلوما»أو«أنا و أخی علی ابن عمی،و أنا و أخی و ابن عمی ضد عدوی».

و لکن القرآن یقول:« کُونُوا قَوّٰامِینَ بِالْقِسْطِ شُهَدٰاءَ لِلّٰهِ وَ لَوْ عَلیٰ أَنْفُسِکُمْ أَوِ الْوٰالِدَیْنِ وَ الْأَقْرَبِینَ » (۱)ان هذا هو الحق یواجه ذلک المثل الشائع.

باء:القومیه إطار سیاسی یعبر عنه المثل ینفیه القرآن بقوله:« ءَ أَعْجَمِیٌّ وَ عَرَبِیٌّ » (۲)و تقابلها العالمیه الاسلامیه التی یقول عنها الرب:« إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُکُمْ أُمَّةً وٰاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّکُمْ فَاعْبُدُونِ ».

جیم:و هکذا عباده الأصنام منهج سیاسی عبر عنه قریش بشعارهم فی یوم أحد:اعل هبل،و قابلها الرسول بالحق حیث قال:اللّه أعلی و أجل.

و هکذا فی سائر الحقول جاء الوحی منجما لکی یواجه الثقافات الجاهلیه مثلا بمثل أحسن،و فکره باطله بحق واضح ذا تفسیر حسن بلیغ.

۱- ۱) النساء۱۳۵/.

۲- ۲) فصّلت۴۴/.

[سوره الفرقان (۲۵): الآیات ۳۴ الی ۴۴]

اشاره

اَلَّذِینَ یُحْشَرُونَ عَلیٰ وُجُوهِهِمْ إِلیٰ جَهَنَّمَ أُوْلٰئِکَ شَرٌّ مَکٰاناً وَ أَضَلُّ سَبِیلاً (۳۴) وَ لَقَدْ آتَیْنٰا مُوسَی اَلْکِتٰابَ وَ جَعَلْنٰا مَعَهُ أَخٰاهُ هٰارُونَ وَزِیراً (۳۵) فَقُلْنَا اذْهَبٰا إِلَی اَلْقَوْمِ اَلَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا فَدَمَّرْنٰاهُمْ تَدْمِیراً (۳۶) وَ قَوْمَ نُوحٍ لَمّٰا کَذَّبُوا اَلرُّسُلَ أَغْرَقْنٰاهُمْ وَ جَعَلْنٰاهُمْ لِلنّٰاسِ آیَهً وَ أَعْتَدْنٰا لِلظّٰالِمِینَ عَذٰاباً أَلِیماً (۳۷) وَ عٰاداً وَ ثَمُودَ وَ أَصْحٰابَ اَلرَّسِّ وَ قُرُوناً بَیْنَ ذٰلِکَ کَثِیراً (۳۸) وَ کُلاًّ ضَرَبْنٰا لَهُ اَلْأَمْثٰالَ وَ کُلاًّ تَبَّرْنٰا تَتْبِیراً (۳۹) وَ لَقَدْ أَتَوْا عَلَی اَلْقَرْیَهِ اَلَّتِی أُمْطِرَتْ مَطَرَ اَلسَّوْءِ أَ فَلَمْ یَکُونُوا یَرَوْنَهٰا بَلْ کٰانُوا لاٰ یَرْجُونَ نُشُوراً (۴۰) وَ إِذٰا رَأَوْکَ إِنْ یَتَّخِذُونَکَ إِلاّٰ هُزُواً أَ هٰذَا اَلَّذِی بَعَثَ اَللّٰهُ رَسُولاً (۴۱) إِنْ کٰادَ لَیُضِلُّنٰا عَنْ آلِهَتِنٰا لَوْ لاٰ أَنْ صَبَرْنٰا عَلَیْهٰا وَ سَوْفَ یَعْلَمُونَ حِینَ یَرَوْنَ اَلْعَذٰابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِیلاً (۴۲) أَ رَأَیْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوٰاهُ أَ فَأَنْتَ تَکُونُ عَلَیْهِ وَکِیلاً (۴۳) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَکْثَرَهُمْ یَسْمَعُونَ أَوْ یَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاّٰ کَالْأَنْعٰامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِیلاً (۴۴)

اللغه

۴۰[نشورا]:من النشر و هو الحیاه بعد الموت(البعث).

ص:۴۳۱

أَ رَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوٰاهُ

هدى من الآيات:

لا يزال السياق ينسف عن طريق الإيمان بالوحى العقبات التى يضعها الشيطان،و ذلك بالإنذار الشديد بعاقبه المكذّبين،و ضرب الأمثال من واقع الغابرين،و يهدينا الذكر هنا إلى أنّ واقع الإنسان الذى لا يتمسّك بالوحى فى الدنيا يشبه واقعه الذى يتجسّد له فى الآخره،فهو يمشى و وجهه إلى الأرض لا يبصر الطريق،فإن وقف وقف موقف شرّ،و إن سار كان طريقه ضلالا.

و يؤكّد القرآن أنّ من لا يؤمن بالوحى و لا يتمسّك بالرساله،ليس فقط لا يحقّق تطلّعاته،بل و يفقد بالإضافه إلى ذلك نعم اللّه عليه من عقل و علم.

إنّ اللّه منح البشر قدرا من العقل و العلم،لو استثمره عن طريق تمسّكه بالوحى الذى يثير فى قلبه دفائن العقل،لازداد عقلا و علما،و لكن إذا رفض الرساله فإنّه يفقد العقل،حيث يسلبه اللّه ما أوتى،فيمشى مكبّا على وجهه يتخبّط خبط عشواء،كالأنعام بل أضلّ سبيلا.

ص:۴۳۳

و بعـدها ينـذر القرآن من يسـمعه دون أن يتّعظوا بمصـير السـابقين كقوم نوح و عـاد، و ثمود و آل فرعون،إذ كـذّب آل فرعون موسـى و أخاه فدمرهم،لأنّهم لا يعترفون بشـرعيّه القيم،فلا يشـكّل البشـر بما يملكون من قوى و طاقات و أسـماء و شعارات وزنا عنـد اللّه لولا القيم،لأنّ الأهـم لـديه هو الإيمان و العمل الصالـح،و تفقد كلّ أمّه مبرّر وجودها عند ما تفقد هذين الأساسـين،و ما تدمير اللّه لأصحاب الرّسّ إلاّ لأنهم أمّه كفرت بالحقّ،و هذه سنّته فى الحياه.

و من النـاس من أشـرب قلبه حبّ الـدنيا،و يتجاهـل قيمه العلم و التقوى، و ينظر إلى رسول ربّه من منطلق قيمه المـاديه،فهو يكفر بالرسـاله قائلا: أَ هٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللّٰهُ رَسُولاً ؟!و يرى أنّ صبره أمام تأثير الرساله فضـيله،و لا يتـذكر أن كفره بها يكلّفه كثيرا،لأنّه يرديه إلى مهوى الضلاله.

و لكنّ منطلق هـذه النظره الخـاطئه إلى الرسول و من ثمّ الوحى نابع من عباده الهوى،فيـدعه الرسول لشأنه لأنّه ليس وكيلا عنه،و لأنه أفقد نفسه نعمه العلم و العقل،فهو أضلّ سبيلا من الأنعام و البهائم.

هكذا يبيّن القرآن هنا الحقائق التى تمسّ الوحى:

أولا:الذى يكفر بالوحى يكفر بالنور،فهو يمشى على وجهه.

ثانيا:إنّ نهايته ستكون كما الذين كفروا من قبل فدمّرهم اللّه فى الدنيا،و أعدّ لهم عذابا أليما فى الآخره.

ثالثا:من استهزأ بالرسول فكفر لذلك برسالته فقد اختار الضلال،و أضحى كالأنعام و أضل سبيلا.

بينات من الآيات:

[۳۴]إن اللّه يسلب العقول و الأبصار من الذين يكفرون بالقرآن فى الدار الدنيا

بصوره معنويه،أما فی الآخره فإنهم يفقدون كل ذلک بالصورتين المعنويه و الظاهريه،فاذا بهم يمشون مكبين على وجوههم.

اَلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلىٰ وُجُوهِهِمْ إِلىٰ جَهَنَّمَ قال بعض المفسرين:أنهم يمشون بعكس الآخرين،فتكون رؤوسهم إلى الأرض.و أرجلهم إلى السماء،و لعلّ التفسير الأحسن للآيه:انهم لا يرون أمامهم،فهم مكبون على وجوههم.

أُولٰئِكَ شَرٌّ مَكٰاناً إذا توقفوا.

وَ أَضَلُّ سَبِيلاً إذا تحركوا و ساروا،و يبدو أن الآيات التاليه شواهد تاريخيّه على حقيقه هؤلاء، و لعلّ هذه الكلمه لا تخص الآخره بل تشمل الدنيا أيضا،فإنّ للكفار بالوحی عقبى الشرّ فی الدنيا كما فی الآخره.

[۳۶-۳۵]ثم تتعرض الآيات إلى قصه قوم فرعون الذين كذبوا موسى عليه السلام كمثال على عاقبه السوء التی تنتظر المكذبين بالرسالات،و يلاحظ الاختصار الشديد فی القصه،و ذلک من أجل الاعتبار بالنهايه.إذ هی الهدف من بيان هذه القصص هنا.

وَ لَقَدْ آتَيْنٰا مُوسَى الْكِتٰابَ وَ جَعَلْنٰا مَعَهُ أَخٰاهُ هٰارُونَ وَزِيراً* فَقُلْنَا اذْهَبٰا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا فَدَمَّرْنٰاهُمْ تَدْمِيراً و يوحی هذا التصوير القرآنی البليغ بفكره هامه،و هی أن المقياس عند اللّه هو

ص:۴۳۵

الایمان بآیاته،أما السلطه و الثروه و غیرهما فلا قیمه لکل ذلک عنده تعالی.

[۳۷]و تستمر الآیات تضرب لنا الأمثال من واقع الذین هلکوا بکفرهم، و کیف أنهم دمّروا بسبب تکذیبهم لرسل اللّه و آیاته.أو لیس خلق اللّه الخلق لعبادته؟!بلی.إذن فاذا کذّبوا بالوحی فقدوا مبرر وجودهم،فلا ضیر أن یهلکهم اللّه.

وَ قَوْمَ نُوحٍ لَمّا کَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْناهُمْ بالطوفان.

وَ جَعَلْناهُمْ لِلنّاسِ آیَهً علامه و شاهدا علی مصیر المکذبین برسل اللّه و رسالاته.

وَ أَعْتَدْنا لِلظّالِمِینَ عَذاباً أَلِیماً و یبین هذا الشطر من الآیه أن العذاب لا ینحصر فی الماضین فقط،بل یطال کل من یسیر فی خطهم،و ذلک حتی لا نتصور أنفسنا فوق سنن اللّه،أو قادرین علی الفرار منها.

و لکن لماذا یقول القرآن عذابا ألیما و لیس عظیما مثلا؟ ربما لان الذی یکذب بآیات اللّه بهدف التمتع بحرام الدنیا و من یفعل ذلک لا بد و أن یؤلم بالعذاب فی الآخره،و هذه الفکره تتجلی فی مواقع کثیره من القرآن، فغالبا ما یتطرق الذکر للعذاب الألیم بعد استعراض لذه حرام مباشره،لیبین ان اللّه یؤلم الإنسان فی مقابل تلک اللذه.

ص:۴۳۶

[۳۸] وَ عٰاداً وَ ثَمُودَ وَ أَصْحٰابَ الرَّسِّ الرّس:تعنی البئر،و أصحاب الرّس قوم كانت لهم بئر يعيشون عليها، فأنذرهم رسولهم، فلم يؤمنوا،فهدم اللّه عليهم بئرهم و أهلكهم و مواشيهم.

و يظهر من حديث مفصّل

يرويه الامام الرضا عليه السلام عمّن سأل جدّه الإمام على عليه السلام و نختصره هنا :

إنّ أصحاب الرّس كانوا يعبدون اثنتى عشره شجره صنوبر،سمّوا أشهر العام باسمها(و هى الأسماء الفارسيه المتداوله للأشهر)و زعموا أن نوحا عليه السلام قد زرعها، و أنهم حرّموا على أنفسهم مياه نهر لهم،و جعلوها خاصه بتلك الأشجار المقدسه فى زعمهم! و إن اللّه بعث إليهم نبيّا من بنى إسرائيل من ولد يهودا بن يعقوب،فدعاهم إلى التوحيد فرفضوا،فدعا ربّه أن يهلك معبودهم فيبست كبرى الأشجار،فزعموا أنّها غضبت عليهم لدعوه الرسول بنبذها،و قالوا:دعنا ندفن نبيّنا تحتها حيا فلعلّها ترضى،فحفروا حفيره فى وسط النهر،و ألقوا نبيّهم فيها،و وضعوا عليها حجرا كبيرا،فغضب اللّه عليهم و عمّهم بعذاب شديد،حيث هبّت عليهم ريح عاصف، شديده الحمره،ثمّ صارت الأرض من تحتهم حجر كبريت يتوقد،و أظلّتهم سحابه سوداء فألقت عليهم كالقبه جمرا يلتهب،فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص. (۱)

و يبين حديث آخر أنّ من أفعالهم القبيحه فعل السحاق، و هو الشذوذ الجنسى عند النساء،و ذكر الإمام الصادق عليه السلام أنّ حدّها حدّ الزانيه. (۲)

ص:۴۳۷

۱- ۱) راجع تفسير نور الثقلين ج ۴ ص ۱۶-۱۹.

۲- ۲) المصدر ص ۱۹.

وَ قُرُوناً بَيْنَ ذٰلِكَ كَثِيراً فكلّ هؤلاء جرت عليهم سنه اللّه،حيث دمرهم لتكذيبهم بآياته،و رفضهم لما أتى به رسله.

و يبدو ان المقصود من كلمه القرن فى القرآن الحكيم هو الجيل حسب تعبيرنا اليوم،و هم الذين يقارن بعضهم بعضا.و قيل ان القرن مائه عام أو سبعون سنه، و قيل خمسون خريفا،و لعله أربعون عاما لأنّ الجيل من الناس يتبدلون كلّ أربعين عاما،و سبق ان فصّلنا القول فى قصّه تيه بنى إسرائيل.

[۳۹] وَ كُلاًّ ضَرَبْنٰا لَهُ الْأَمْثٰالَ و يبدو ان المراد من المثل هنا إنذارهم ببيان مصير المكذبين من قبلهم.

وَ كُلاًّ تَبَّرْنٰا تَتْبِيراً التبر هو:القطعات المفتته من الذهب،و يسمى بالتبر لأنه ينقطع،و التتبير يعنى التقطيع الكامل،فاللّه قطع هؤلاء القوم تقطيعا.

و الملاحظ تحول القرآن من أسلوب لآخر،فمره يقول«دمرنا»و أخرى« عَذٰاباً أَلِيماً »و ثالثه« تَبَّرْنٰا تَتْبِيراً »و رابعه« يُحْشَرُونَ عَلىٰ وُجُوهِهِمْ »فهل فى ذلك ما يزجرنا عن التكذيب بآيات اللّه؟ و كم يجب أن يكون قلب الإنسان قاسيا حتى يمنعه من الهدايه أو للتأثر بهذه التهديدات المتتاليه.

[۴۰] وَ لَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَهِ الَّتِى أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَ فَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهٰا بَلْ كٰانُوا لاٰ يَرْجُونَ نُشُوراً

لقد كانت القريه هذه آيه من آيات اللّه التى يجب على الإنسان الاتعاظ بها، و هى كما يذكره الحديث قريه سدوم لقوم لوط،و لكن هؤلاء لم يعتبروا بما يرون من آثارها،ليس لأنهم لم يروها و انما لأنهم يعتقدون ان الدنيا آخر المطاف،فلا حساب و لا نشور.

و لا تشمل هذه السنه من يكفرون بالوحى جمله و تفصيلا فحسب،بل كل واحد يتخذ القرآن مهجورا تشمله هذه السنه،و نذكّر بهذه الحقيقه لان مشكله الكثير منا اعتقاده باقتصار الإنذار و التبشير على الآخرين.

فنرتل القرآن ليستمعه غيرنا،و كأننا أنهينا واجبنا بمجرد لقلقه لسان اعترفنا عبرها بالشهادتين.كلا..لا بدّ أن يعرف كلّ فرد منا أنه لا يمكنه الوصول إلى درجه الايمان إلاّ بالجهد الكبير و العمل الجاد،و يعتقد كلّ منا ان القرآن حديث اللّه إليه.

فالذى لا يقرأ القرآن أو يقرأه دون تدبر،أو يتدبره دون عمل،أو يعمل ببعضه دون بعض،أو يعمل به كله دون استمرار و تحمل للصعاب،كل أولئك يشملهم قوله تعالى: إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً لان من كفر بالقرآن سابقا ليس لأنه من طينه تختلف عن طينتنا،بل مثله كأى بشر وجد صعوبه الايمان بالقرآن، و تطبيق آياته و مناهجه،فتركه و لذلك تشمله سنه العذاب.

و نحن عند ما نتبع ذات الخطوات فنحن مثله.بلى.اننا عشنا فى بيئه مسلمه تشهد بالشهادتين،و تقول بنزول القرآن من اللّه،فآمنا بذلك إيمان التقليد و الوراثه، و تتضح حقيقتنا عند ساعات الحرج التى يسميها القرآن بالعقبه،و التى من واجبنا اقتحامها،و فى الآيه إشاره إلى إن الكفر بالنشور سبب سائر مفردات الكفر.

[۴۱]و بعد أن ذكرنا الوحى بمصير المكذبين بالوحى.لعلّ القلوب تلين

فتستقبل الرساله.أخذ يداوى أمراض القلوب الجاحده.

ذلك أن مرض الاستهزاء بصاحب الرساله.يقف حاجزا دون استقبال نور الوحى.أ رأيت لو استصغرت أحدا.و استهنت بكلامه أيضا،و لكن لماذا استهزءوا بالرسول الكريم؟لأن قلوبهم أشربت بحب الماده،فلم تعد تعترف إلا بالثروه و القوه و الجاه العريض،و بهذه المقاييس و زنوا العلم و الفضيله،و أرادوا أن تكون موازين الرب تابعه لأحداثهم الشاذه،و نظراتهم الضيّقه.

و قد بيّن القرآن فى مطلع السوره هذه سخف تلك المقاييس الماديه،و لكنه-كما يبدو لى-عاد هنا إلى ذات الحديث ليذكرهم بخطإ منهجهم العلمى،فهل من الصحيح أن نرفض إنذارا وراءه التدمير و التتبير عبر الاستهزاء بمن يحمله.هب إنه كما يحسبون-حاشا للّه-فهل من العقل أن نقع فى البئر لمجرد اننا لا نكرم من أنذرنا؟ وَ إِذا رَأَوْکَ إِنْ یَتَّخِذُونَکَ إِلاّ هُزُواً أَ هٰذَا الَّذِی بَعَثَ اللّٰهُ رَسُولاً من هذا حتى نتبعه،أو نستجيب لإنذاره.

[۴۲]و كم هؤلاء غارقون فى الغباء و الضلال فلقد كاد الوحى يصل قلوبهم، و كادت أنوار الهدايه تخترق حجب العناد فى أنفسهم،و لكنهم صبروا على آلهتهم، و استقاموا على الضلال بعناد و جحود،فرأوا الهدايه ضلالا،و الإصرار على الضلال صبرا على الحق.يا ويلهم ما أكفرهم قالوا:

إِنْ کٰادَ لَیُضِلُّنٰا عَنْ آلِهَتِنٰا لَوْ لاٰ أَنْ صَبَرْنٰا عَلَیْهٰا وَ سَوْفَ یَعْلَمُونَ حِینَ یَرَوْنَ الْعَذٰابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِیلاً [۴۳]و ان هذه العقبه النفسيه منشؤها عقبه أخرى تحصل بتغيير محور الإنسان من القيم

إلی الهوی.فیتبع أهواءه بدل عقله،مما یجعله لا یمیز الحق من الباطل.

إن عباده الأهواء أساس کفر الإنسان،لان مقیاسه فی تقییم الحیاه سیکون -آنئذ-شهواته(حبّه و بغضه)لا عقله و علمه،فلأن فلانا محبوب لدیه فهو جید، و أفکاره سلیمه،فیتبعه،و لأن فلانا الآخر مبغوض عنده،فهو خبیث و کل أفکاره خاطئه،و سلوکه منحرف.

أَ رَأَیْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوٰاهُ و نری الآن و بوضوح ان أساس الانتماء و الولاء فی عالمنا الیوم قائم علی الحب و البغض و لیس العقل و العلم،و قد عرف أولوا السیاسه و أنصار الثقافه الجاهلیه،ان مفتاح شخصیه المجتمع الجاهلی هو الحب و البغض،فسعوا لزخرفه أفکارهم الخاطئه بما یثیر شهواتهم،فشوهوا تقییمهم للأفکار،و جعلوهم یلهثون وراء کل مجله تنشر الصور المثیره،و اتبعوا أجهزه الاعلام بالغناء و الرقص و صور الفاتنا،و ما یثیر شهوه الجنس أو السیطره أو الطعام و..و..

و هکذا ضلوا و أضلوا،و لم یکتفوا بتضلیل الناس فی القضایا المختلفه حتی سلبوهم قدرتهم علی أن یسمعوا أو یعقلوا.

فلو ذهب شاب مثقف إلی مکتبه ما و رأی فیها کتابا قیما یحوی أفکارا هامه، و لکنه مطبوع قبل مائتی عام و علی ورق أصفر ردیء،فانه قلما یجد دافعا لشرائه و قراءته.و ان تجشم الصعاب و ضغط علی نفسه لیقرأ بعض صفحاته،فانه یشمئز من جراء الأخطاء المطبعیه أو عدم الوضوح فی کلماته حتی لیکاد أن یخطّئه.

و کذلک إذا وصلت بیده ورقه منشور لحرکه إسلامیه،و من جماعه مؤمنه لم تسرق أموال الناس لتطبع أفکارها علی الأوراق المصقوله الجمیله،أو فی المجلات

ذات الأغلفه الملونه،فانه يتركها جانبا ليقرأ بدلا عنها مجله تمولها أجهزه الاستكبار لتضليل الناس،و تصرف عليها بعض ما سرقته من الشعوب المستضعفه،أو تمولها اعلانات المترفين الذين يمتصون ثروات الفقراء و المساكين،و ينفقون جزء منها على وسائل الاعلام الجاهليه لتبرر للناس أفعالهم القبيحه.

و هكذا تجد المجتمع الجاهلى يتردى فى بؤر الجهل بسبب طاعه أبنائه الشهوات و الأهواء بدل العقل و العلم.

و هنا يتضح أساس الخطأ فى المحور المعتمد للتقييم.فهل المحور الصحيح ان كل ما تحبه حقّ؟أم الحق هو الذى ينبغى أن تحبه؟ أَ فَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً و مثل هذا الإنسان لا تنفعه شفاعه الشافعين،و رسول اللّه لا يشفع له و لو استغفر له سبعين مره،بسبب تولّيه عن القيم و اتباعه الهوى.

[۴۴]الذى يترك عقله لهواه،و الحق لما يحب و يبغض،فانه يجعل نفسه أضل سبيلا من الأنعام،لأنها أوتيت مقدارا من الشعور و الفهم تعتمد عليه و لا تحيد عنه، فلم نر الأنعام يوما تدخل جحيما من النار أو تتبع مضرتها لحبها،و لكن الإنسان يستخدم ما يؤذيه و يتبع ما يضره.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ كلاّ إنهم لا يسمعون العلم و لا يعقلونه إن سمعوه،و هم بلا علم يستفيدونه من الآخرين و لا عقل يستوعب ذلك العلم.

إِنْ هُمْ إِلاّ كَالْأَنْعامِ

و هذه نتيجه اتباعهم الهوی.إذ جعلهم یبدلون مقاییسهم،فبدل أن یحبوا الحقّ یعتبرون ما یحبونه حقا.

و یبقی سؤال:

أیهما أفضل الأنعام تتبع شعورها القلیل،أم البشر یترکون عقلهم المنیر؟و ندع الاجابه للقرآن حیث یقول:

بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِیلاً الأنعام تعمل بغرائزها بصوره شبه إجباریه،بینما أوتی الإنسان العقل لیقوم بدور الغرائز و أفضل منها،فاذا ترک عقله هلک،لأنه لا یملک کالأنعام دافعا غریزیا،أما هو قد أفقد نفسه نعمه العقل البدیل عنه.

ص:۴۴۳

[سوره الفرقان (۲۵): الآیات ۴۵ الی ۵۰]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ إِلیٰ رَبِّکَ کَیْفَ مَدَّ اَلظِّلَّ وَ لَوْ شٰاءَ لَجَعَلَهُ سٰاکِناً ثُمَّ جَعَلْنَا اَلشَّمْسَ عَلَیْهِ دَلِیلاً (۴۵) ثُمَّ قَبَضْنٰاهُ إِلَیْنٰا قَبْضاً یَسِیراً (۴۶) وَ هُوَ اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمُ اَللَّیْلَ لِبٰاساً وَ اَلنَّوْمَ سُبٰاتاً وَ جَعَلَ اَلنَّهٰارَ نُشُوراً (۴۷) وَ هُوَ اَلَّذِی أَرْسَلَ اَلرِّیٰاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ وَ أَنْزَلْنٰا مِنَ اَلسَّمٰاءِ مٰاءً طَهُوراً (۴۸) لِنُحْیِیَ بِهِ بَلْدَةً مَیْتاً وَ نُسْقِیَهُ مِمّٰا خَلَقْنٰا أَنْعٰاماً وَ أَنٰاسِیَّ کَثِیراً (۴۹) وَ لَقَدْ صَرَّفْنٰاهُ بَیْنَهُمْ لِیَذَّکَّرُوا فَأَبیٰ أَکْثَرُ اَلنّٰاسِ إِلاّٰ کُفُوراً (۵۰)

اللغه

۴۹[اناسی]:جمع إنسان و جعلت الیاء عوضا عن النون و قیل أنها جمع أنسی.

۵۰[صرفنا]:بثثنا و وزعنا.

ص:۴۴۴

ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً

هدى من الآيات:

فی الـدرس السابق قرأنا عن أولئك الـذین اتخـذوا إلههم أهوائهم و اسـتهزءوا بالرسول فكفروا برساله اللّه..و یعالـج القرآن هـذا المرض بتذكیر البشر بربه فاذا عرفه تلاشت الآلهه من دونه.

أ فلا تنظر الی آثار ربّک فی هذا الظل الممتد؟کیف یبسـطه ثم یقبضه بتحریک الشـمس مشرقا لمغرب؟!ثم یقسم اللیل و النهار بقدر لیكون اللیل سباتا و سترا و راحه،و یتخذ النهار نشورا و نشاطا و بحثا عن المعاش.

و المعاش بدوره یدره الرب حین یرسل الریاح لتبشـر برحماته و بركاته.فاذا بالسـماء تنزل الماء الطهور.فاذا بالحیاه تدب فی البلد المیت أرضه و بشره و بهائمه.

كـل ذلـک لیتـذكر الإنسـان،و لكن أكثر الناس یكفرون.و كفرهم هـذا یـدعوهم لیتخـذوا إلههم الهوی،و یتحـدوا-بالتالی-قیاده الرسول.

ص:۴۴۵

بينات من الآيات:

و هو الذی مدّ الظلّ:

[۴۵]الايمان باللّه قاعده كل معرفه و منطلق كل ايمان،فلا يمكن للإنسان ان يؤمن بالوحی قبل الايمان بمن أنزله.

و فی أول آيه من هذا الدرس نجد قوله تعالی:« أَ لَمْ تَرَ إِلىٰ رَبِّکَ »و ذلک مما حيّر المفسرين،و جعلهم يؤولون الكلام تأويلا.أو يستطيع الإنسان-هذا الضعيف المحدود-أن ينظر الی ربه؟! فقال بعضهم:ان فی الآيه لقلبا،و معناها:ألم تر الی الظل كيف مده ربک و قال البعض ان فيه حذفا،و معناه الم تر الی فعل ربك و لكن يبدو لی:ان فی تعبير الآيه ايحاء لا نجده فی غيره،فالإنسان يری ربه بالفعل و ليس بعينيه و لا بصوره مباشره،بل يراه بقلبه المنفتح من خلال آياته فی الكون،فهی لوضوحها الشديد تعبّر عن بديع صنع اللّه،و تشهد علی ما ورائها من قوه مهيمنه عليها،و هی قوه اللّه و أسماؤه الحسنی.

و ماذا يحصل للإنسان عند ما يری شيئا ما؟ أو ليس يؤمن به ايمانا عميقا؟ و الا فلما ذا يؤمن بالشمس و ظلها،و بالأرض و ما فيها؟ بالطبع لأنه يری كل ذلک،اذن فالرؤيه تعطيه هذه المعرفه،و تصنع هذه الحاله النفسيه من الايمان و الاطمئنان لديه حتی يصل الی درجه اليقين الاعمق.

بالطبع أنه لا يری الا انعكاسا لنور الشمس عليها.

و من الشمس ماذا يرى؟ أ ليس نورها دون جرمها؟ و هكذا بالنسبه للقمر و سائر النجوم و الأشياء.

فمن النجوم ما يحتمل العلم أنها اندثرت و لا نرى منها سوى نورا انبعث قبل مليون عام ليصلنا اليوم مثلا،فلا نستطيع ان نتأكد من فناء النجم،الا بعد مليون عام.

و ماذا نرى من التفاحه التى نحملها بين أيدينا غير النور المنبعث من اى مصدر ضوئى انعكس عليها؟ و حتى جرم التفاحه لا نرى منه غير الاجزاء المحيطه به،فالثقل ظاهر محيط بالجسم لا ذات الجسم.

و هكذا الحقيقه غيب،لا يصل إليها الإنسان الا عبر الظواهر و الشواهد المرتبطه بها و الداله عليها،فهى تشبه أمواج الأثير التى لا ترى الا على شاشه التلفزيون، و أمواج اللاسلكى التى لا تلتقط و لا تسمع بغير المذياع و الاجهزه المشابهه.

و هل هناك حقيقه ترى بأحسن ما يمكن ان يرى الإنسان ربه؟ إذا كانت الشواهد هى التى تحملنا على الايمان و الاعتقاد بكل شيء و ليس الاحاطه به،و إذا كان الأمر هكذا بالنسبه لسائر الأشياء،كالأرض و السماء و ما فيها،فهل لشيء من الآيات و الشواهد و بالتالى من الظهور و الوضوح مثلما للّه سبحانه و تعالى؟! فلما ذا يجوز ان نقول رأينا الشمس و نظرنا الى القمر..إلخ و لا يجوز ان نقول رأينا

ربنا؟! ان ایماننا باللّه یجب ان یکون أقوی من ایماننا بأیّ شیء سواه،لأننا نجده فی کل شیء،(و فی کل شیء له آیه تدل علی انه واحد)..ففی کل شیء تتجلی آثار القدره و العظمه،و الحکمه و النظام،و الجمال و الروعه و هی من أسماء اللّه الحسنی.

و نحن عن طریق النور الذی ینبعث من الشمس الی الأرض نکتشفها و نؤمن بها،و الشمس أظهر الحقائق عندنا،فاذا أراد الواحد بیان وضوح شیء قال:

«کالشمس فی رابعه النهار»،و لکن هل رأینا الشمس رأی العین؟ کلا..بل ان کل ما نراه هو ظلها الممتد علی البسیطه.و قد قال بعض المفسرین ان الظل هو موجود منذ البدء فی الکون،ثم تأتی الشمس لتذهب به، فکلما ارتفعت انحسر أکثر،حتی یأتی وقت الزوال فینعدم تقریبا ثم یعود فیئا بعد دوران الأرض حول الشمس،فیصبح الوقت مساء.

الا ان هناک احتمالا آخر لمعنی الظل أطرحه لیتدبر فیه المتدبرون:إن الظلّ هو انعکاس نور الشمس،و لذلک

جاء فی الحدیث فی تفسیر علی بن إبراهیم و فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(علیه السّلام) فی قوله عز و جل: أَ لَمْ تَرَ إِلیٰ رَبِّکَ کَیْفَ مَدَّ الظِّلَّ فقال:«الظل ما بین طلوع الفجر الی طلوع الشمس ».

و إذا سمیت شبح الأشیاء ظلاّ فلأن شعاع الشمس یمتد إلیه.

و نسأل:ماذا یری الناس من ظل الشمس؟ لا یرون الا نورا منبعثا منها منبسطا علی الأرض،و هو فی انقباض و انبساط بمشیئه اللّه فبین الحین و الآخر یتبدل النهار لیلا و اللیل نهارا،و کل ذلک آیه داله علی وجود الشمس.

ص:۴۴۸

إننا نؤمن بالشمس،دون ان نرى غير ظلها،الذى نعرف من خلاله طبيعتها و قوّتها،و مدى دفئها،كما لو كانت الشمس هى التى نراها،و كذلك عن طريق أسماء اللّه و آياته فى الكون يجب ان نعرف ربنا و نتيقّن يقينا راسخا به،و كما ان الشمس هى دليل الظل بإذن اللّه و ليس العكس،كذلك الرب هو الدليل إلى ذاته بذاته،و بآياته و أسمائه و ليس العكس.

أَ لَمْ تَرَ إِلىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شٰاءَ لَجَعَلَهُ سٰاكِناً و ذلك بوقف دوران الأرض لتبقى فى ليل دائم،أو نهار مستمر.

ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً تتماوج التعابير و الإيحاءات القرآنيه لتبث حزمه نور الى القلب و توصل الإنسان الى غيب الحقائق،فما نراه ظل للشمس،و آيه من آيات اللّه،فلما ذا عن طريق الظل نكتشف الشمس و لا نعرف وجود اللّه؟!و اين نحن من ذلك الإمام الذى

قال: «ما رأيت شيئا الا رأيت اللّه قبله و معه و بعده »؟! فالمؤمن يعيش محاطا بمعرفه اللّه،لأنه أنّى ينظر يجد آيات اللّه الواضحه،مما يزيده ايمانا الى ايمانه،فان رأى الجمال و الكمال قال سبحان اللّه،و ان رأى العظمه و القدره قال اللّه أكبر. و لعل الآيه توحى الى التشابه بين شمس الطبيعه و شمس الوحى،و أن الذى جعل الشمس دليل الظل أوحى بالرساله لتكون هدى و نورا.

[۴۶] ثُمَّ قَبَضْنٰاهُ إِلَيْنٰا قَبْضاً يَسِيراً و هنا تتجلى هيمنه اللّه،و كيف أنه ينشر الظل،ثم يقبضه بصوره سهله و ميسره،دون نصب و تعب تعالى اللّه عن ذلك.

[۴۷]بین ساعه و أخری یرتدی الکون ظلمه اللیل،و یتوقف کل شیء فی مکانه،فالنور المنبعث من السماء یخفت،و زرافات الحیوانات المنطلقه من هنا و هناک تعود الی مهاجعها،و أسراب الطیور تؤوب الی و کورها،و یعود الإنسان الی بیته یبحث عن ملجأ یأوی الیه و کأنه یخشی من شیء غریب.و بعد لحظات یری الإنسان الذی کان کتله من النشاط،قد تراخی علی فراش نومه.

و لعلّ هذا التعبیر یشیر الی التعبیر الذی یحصل فی الإنسان المؤمن،فان الذی یهتدی بالقرآن کمن یعیش الصباح و النهار فکله معرفه و حرکه و نشاط،بینما یشبه الکافر و الضال من انغمس فی سبات عمیق،فی ظلمه لیل بهیم،فکله سکون عن النشاط و خوف و جمود.

و بین هاتین الحالتین یجب علی الإنسان التحرک نحو النشاط عبر الوحی،فاللّه فی هذه السوره یحدثنا عن القرآن و لکنه یختار ما یتناسب مع موضوعها من آیات الطبیعه.

وَ هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ اللَّیْلَ لِبٰاساً حیث یشبّه ربنا اللیل و کأنه لباس یشمل ملایین البشر،کما یغطی الطبیعه سهلها و جبلها،برّها و بحرها.

وَ النَّوْمَ سُبٰاتاً السبات هو الانقطاع عن العمل و الحرکه.فاذا توقفت الآله عن العمل قیل لها سبتت،و سمی یوم السبت کذلک لأن الماضین کانوا ینقطعون عن العمل فیه، و هکذا تنقطع أعضاء و جوارح الإنسان عن النشاط و الحرکه لیلا،و لذا سمّی النوم سباتا.

ص:۴۵۰

وَ جَعَلَ النَّهٰارَ نُشُوراً فهو عكس الليل لأنه انبعاث و عمل.

[۴۸] وَ هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّیٰاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ ان الإنسان لیفرح بالریاح و هی تقل له عرف الورود و الاوکسجین،کما تحمل السحب الملیئه بالمطر،فهی مصدر بشاره و سرور له.

وَ أَنْزَلْنٰا مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً طَهُوراً لقد أثبت العلم ان أفضل أنواع المیاه هو ماء المطر،لان ما ینزل من السماء بالاضافه الی کونه ماء فانه یحمل الاوکسجین النقی،فهو نظیف و منظّف،کما هو ان نزوله یزیل الأمراض.

[۴۹] لِنُحْیِیَ بِهِ بَلْدَهً مَیْتاً ان التعابیر القرآنیه هنا إشارات الی رساله اللّه-کما یبدو- فاللّه الذی یطهر الأرض بالماء الذی ینزله من السماء یطهر القلب بالوحی.

وَ نُسْقِیَهُ مِمّٰا خَلَقْنٰا أَنْعٰاماً وَ أَنٰاسِیَّ کَثِیراً خلق اللّه الماء و أودعه الأرض لیسقی به الانعام و الناس.

[۵۰] وَ لَقَدْ صَرَّفْنٰاهُ بَیْنَهُمْ لِیَذَّکَّرُوا فما ذا صرّف اللّه بینهم؟ قال البعض ان هذه العباره تدل علی تصریف اللّه للسحاب،ینزلها بإذنه علی

المناطق المختلفه من الأرض،و لو لا ذلک لتجمعت فی مکان واحد و أنزلت کل حمولتها من المطر علی بلد واحد حیث تفیض المیاه،بینما تبقی سائر البلاد قاحله لعدم وصوله لها.

و لکن القرآن یقول:« وَ لَقَدْ صَرَّفْناهُ بَیْنَهُمْ لِیَذَّکَّرُوا »و کلمه صرّفناه لا تدل علی السحب بقدر ما تدل علی الأمثال التی ضربها آنفا.

و المعنی انّا صرفنا أمثالنا و کلماتنا فبیّناها للناس کافه،و فی البلاد المختلفه أنزلنا کتابا من اللّه یحمل رسالته للبشریه عبر رسول منه.

فَأَبی أَکْثَرُ النّاسِ إِلاّ کُفُوراً و هنا نری نوع التشابه و التنسیق،بین المطر الذی ینزل من السماء،و عن طریق توزیع القنوات الطبیعیه فی الأرض یجری لیسقی الانعام و الاناسی،و بین الرساله التی تهبط من السماء فتستقر فی قلوب الناس.

ص:۴۵۲

[سوره الفرقان (۲۵): الآیات ۵۱ الی ۵۸]

اشاره

وَ لَوْ شِئْنٰا لَبَعَثْنٰا فِی کُلِّ قَرْیَهٍ نَذِیراً (۵۱) فَلاٰ تُطِعِ اَلْکٰافِرِینَ وَ جٰاهِدْهُمْ بِهِ جِهٰاداً کَبِیراً (۵۲) وَ هُوَ اَلَّذِی مَرَجَ اَلْبَحْرَیْنِ هٰذٰا عَذْبٌ فُرٰاتٌ وَ هٰذٰا مِلْحٌ أُجٰاجٌ وَ جَعَلَ بَیْنَهُمٰا بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً (۵۳) وَ هُوَ اَلَّذِی خَلَقَ مِنَ اَلْمٰاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَ کٰانَ رَبُّکَ قَدِیراً (۵۴) وَ یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ مٰا لاٰ یَنْفَعُهُمْ وَ لاٰ یَضُرُّهُمْ وَ کٰانَ اَلْکٰافِرُ عَلیٰ رَبِّهِ ظَهِیراً (۵۵) وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ إِلاّٰ مُبَشِّراً وَ نَذِیراً (۵۶) قُلْ مٰا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاّٰ مَنْ شٰاءَ أَنْ یَتَّخِذَ إِلیٰ رَبِّهِ سَبِیلاً (۵۷) وَ تَوَکَّلْ عَلَی اَلْحَیِّ اَلَّذِی لاٰ یَمُوتُ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَ کَفیٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبٰادِهِ خَبِیراً (۵۸)

اللغه

۵۳[مرج]:أصل المرج الخلط و مرج أی خلط.

وَ جٰاهِدْهُمْ بِهِ جِهٰاداً كَبِيراً

هدى من الآيات:

لم يخلق اللّه البشر عبثا،و لم يتركهم سدى،فلقد و فّر لهم سبحانه جميع وسائل الهدايه،و عند ما تكون الاكثريه هى الكافره،فان ذلك لا يدل على انعدام الفرصه امامهم،بل لان الايمان تكامل عظيم قلما يرتفع إليه إنسان.كما لا تدل قله المصلحين الاجتماعيين أو المخترعين و العلماء على عدم أهميه العلم و الاختراع،أو الإصلاح الاجتماعى،و انما هى مراتب عاليه لا يصل لها الا القليل.

و ان يرسل اللّه رسولا واحدا للعالم بأكمله لا يدل على ضآله قيمه الرساله عند اللّه حاشا،بل العكس هو الصحيح فلعظمتها اكتفى بشخص واحد يبلغها البشريه كلها.و كما تكفى الشمس ان تكون مصباحا لكل الأرض و الكواكب المحيطه بها،فان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يكفى ان يكون بشيرا لكل العالمين.

و بالطبع لا يكون ذلك الا إذا تسلح بالقرآن و تحدى الكافرين دون طاعه لهم أو تنازل عن القيم،فواحد يتسلح بالقرآن يمكنه الانتصار على الجاهليه العالميه

ص:۴۵۴

بأكملها،و يذكرنا الرب بقدرته لعلّنا نخشى إنذاره و نتبع النذير المبعوث من عنده.

انظروا الى البحرين كيف أرسل اللّه المياه فيهما من عذب فرات و ملح أجاج و جعل بينهما حاجزا لكى لا يختلطا.

و من مظاهر قدرته خلق الإنسان من الماء و تنظيم حياته عبر جعله نسبا يتصل بعضهم ببعض عبر الولاده،و صهرا يتكاملون بالزواج.

كذلك ينبغى ان نخلص له العباده و نسلم لمن أرسله،بينما يعبد الكفار من دون اللّه أصناما و أناسا لا ينفعون من أطاعهم،و لا يضرون من رفضهم،و يتظاهرون ضد رسل اللّه و رسالاته.

و ليس الرسول وكيلا عنهم انما هو مبشر و نذير،و هو لا يطالب بأجر لقاء اتعابه و انما يسعى لإسعاد الإنسان عبر هدايته الى السبيل السوى.

و لا يعتمد الرسول على قوه بشريه فانيه،انما يتوكل على الحى الذى لا يموت، و يستمد منه القوه حين يسبّح بحمده،و هو وحده الذى يحاسب عباده،و كفى به خبيرا.

بهذه الصفات ينعت القرآن رسول اللّه،و يزيل الشبهات التى ألقاها الشيطان فى قلوب البسطاء ليكفروا بالوحى.

بينات من الآيات:

الجهاد الكبير:

[۵۱] وَ لَوْ شِئْنٰا لَبَعَثْنٰا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً ان اللّه قادر على أن يبعث نذيرا فى كل قريه،و لكنه بالحكمه جعله واحدا لكل

البشر،و ليس هـذا دليل على عدم عظمه النذير،و لا هو دليل أيضا على عدم أهميه الفئه القليله الملتفه حوله من المؤمنين،بل لعله يـدل على العكس تماما..و إذا كـان القلب طاهرا و الأذن واعيه يكفى نـذير واحـد للعالمين،أما إذا كان فى الآذان صـمم و على القلوب رين فلا ينفع وجود المنذرين فى كل قريه بل و لا فى كل بيت.

[۵۲]الكـثير من المؤمنين يفقـدون احساسـهم بشخصـيتهم،و ثقتهم بـذاتهم إذا وجـدوا أنفسـهم فئه قليله، فينهـارون أمـام ضـغوط الكفار،و هنا يحذر اللّه الرسول من هذه السلبيه إذ يقول:

فَلاٰ تُطِعِ الْكٰافِرِينَ وَ جٰاهِدْهُمْ بِهِ جِهٰاداً كَبِيراً اى جاهـد الكفّار بسـلاح القرآن جهادا لا هواده فيه.و قـد قال بعض المفسـرين ان الجهاد الأكبر هنا هو جهاد الكلمه و الحجه،و لكن السـياق لا يدل على هذا التفسـير،لان التعبير فى هذا المورد اشمل من ان يدل على جهـاد الكلمه فحسب،لان المؤمن حينمـا يرفض طـاعه الكفـار أو الاستسـلام لأفكارهم و ضـغوطهم،فـذلك يجره الخوض المعـارك معهم ممـا يجعله يـدخل الصـراع بجهـاد أكبر،و من جميع الأنواع و فى مختلف الجبهات،و لا بـد ان يعرف الكفار أن مخـالفتهم للرسـاله تعرضـهم للخطر من موقعين،من عنـد اللّه و من عنـد رسوله و المؤمنين.فلا يحسـبوا ان النعم التى خشوا زوالها بالايمـان سوف تسـتمر لهم إن هم كفروا بالوحى،كلاّ..سوف يعلن الرسول جهادا كبيرا عليهم سواء بالكلمه الصاعقه أو بالسـيف الصارم أو بوسائل ضاغطه أخرى.

و نتسـاءل مـاذا تعنى كلمه«به»هنا؟الجواب:أن القرآن ذاته نهـج الجهاد الثقافى و السياسـى و الاقتصادى و العسـكرى،فالجهاد يتم بالقرآن شاملا متكاملا مستمرا.

[۵۳]و لقد حذّرنا الرب نفسه،و ابلغنا واسع قدرته،و ذكّرنا بآياته فى الخلق.

أ فلا نخشاه؟!ادعنا نقرأ فى كتاب الطبيعه أسماء ربنا العزيز المقتدر..دعنا نخرق حجب الظاهر الى غيب الحقائق..هذه المياه التى أقرب ما تكون الى الامتزاج بها، يجريها الرب فى مجاريها بحرين مختلفين هذا عذب فرات،و هذا ملح أجاج،و يجعل بينهما فاصلا يحجز هذا عن ذاك.أو ليست تلك علامات القدره و شواهد الحكمه؟!فما أكثر من يتحدى ربا هذه آياته و تلك هى أسماؤه الحسنى.

وَ هُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هٰذٰا عَذْبٌ فُرٰاتٌ وَ هٰذٰا مِلْحٌ أُجٰاجٌ وَ جَعَلَ بَيْنَهُمٰا بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً العذب هو الماء الحلو،و الفرات هو أحلى المياه،و الملح هو الماء المالح،و الأجاج هو أشد المياه ملوحه.و البرزخ هو السد الذى يمنع المائين من الاختلاط ببعضهما.

[۵۴] وَ هُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمٰاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَ كٰانَ رَبُّكَ قَدِيراً و كما جعل اللّه الاختلاف فى المياه،جعل ذلك فى بنى البشر،فالناس كلهم من ماء واحد،و ارض واحده،الا أنهم يختلفون بالنسب و الصهر عن بعضهم، فالبعض ينتسب الى الآخرين عبر النسب كالأب و الأخ و الابن..إلخ،و بعضهم ينتسب للآخرين عبر التصاهر بالزواج.

[۵۵] وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مٰا لاٰ يَنْفَعُهُمْ وَ لاٰ يَضُرُّهُمْ و تسأل:و هل عباده الإنسان للأصنام تضره أم لا؟ بالطبع أنها تضره،و لكن القرآن يقول:« وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مٰا لاٰ يَنْفَعُهُمْ وَ لاٰ يَضُرُّهُمْ »ذلك ان ما يضر الإنسان عبادته للأصنام و ليس الأصنام ذاتها،

فالطغاه من الحكام،و المترفون،و المؤسسات الثقافيه المضله..كل أولئك أصنام، و الإنسان هو الذی یلحق الضرر بنفسه عند ما یخضع لهم،و یؤیّد الشیطان و الکفّار.

و لو لا خضوع البسطاء من الناس و استسلام أصحاب المصالح لما قامت للظلم قائمه.دعنا نقرأ معا حدیثا حکیما فی ذلک:

عن علی بن أبی حمزه قال: کان لی صدیق من کتّاب بنی أمیّه فقال لی:

استأذن لی علی أبی عبد اللّه فاستأذنت له،فلمّا دخل سلّم و جلس ثمّ قال:جعلت فداک إنّی کنت فی دیوان هؤلاء القوم،فأصبت من دنیاهم مالا کثیرا و أغمضت فی مطالبه،فقال أبو عبد اللّه علیه السلام :لو لا أنّ بنی أمیه وجدوا من یکتب لهم،و یجبی لهم الفیء،و یقاتل عنهم،و یشهد جماعتهم،لما سلبونا حقّنا،و لو ترکهم الناس و ما فی أیدیهم ما وجدوا شیئا إلاّ ما وقع فی أیدیهم،فقال الفتی:جعلت فداک فهل لی من مخرج منه؟قال:إن قلت لک تفعل؟قال:أفعل،قال:أخرج من جمیع ما کسبت فی دواوینهم،فمن عرفت منهم رددت علیه ماله،و من لم تعرف تصدّقت به،و أنا أضمن لک علی اللّه الجنه،قال:فأطرق الفتی طویلا فقال:قد فعلت جعلت فداک.قال ابن أبی حمزه:فرجع الفتی معنا إلی الکوفه فما ترک شیئا علی وجه الأرض إلاّ خرج منه حتّی ثیابه الّتی کانت علی بدنه،قال:فقسمنا له قسمه،و اشترینا له ثیابا،و بعثنا له بنفقه (۱).

وَ کٰانَ الْکٰافِرُ عَلیٰ رَبِّهِ ظَهِیراً ان من یعبد الطاغوت بخضوعه یظاهره و یعاونه ضد الحق،و الا فبمن استطاع الطغاه التسلط علی رقاب الناس؟!

۱- ۱) بح /۷۵ص ۳۷۵.

۱-أ ليس بالصحفيين المأجورين و أمثالهم،ممن يتسكعون على عتبات القصور من أجل فتات الخبز و فضاله الطعام،ثم يلمعون أوجه الطغاه القبيحه بمقالاتهم السخيفه؟! ۲-أو ليس بالجنود المجنده من الشباب الذين يصرّفون طاقاتهم فى خدمه الطغاه،بدلا من ان يكون كل واحد منهم قائدا فى مجتمعه؟! ۳-أو ليس بالموظفين الذين أذلّوا أنفسهم فى دوائر السلطه كى يشبعوا بطونهم؟! ۴-ثم الأهم من كل ذلك،أ ليس بسكوت الناس عنهم،و خنوعهم عن المواجهه و الثوره ضدهم؟! اذن فالجريمه ليست من الطغاه وحدهم،بل للشعوب المستسلمه نصيب وافر من المسؤوليه أيضا.

[۵۶]الرسول ينذر و يبشر و الناس يتحملون مسئوليتهم.و إذا ساد الظلام أمه من الناس ينتمون ظاهرا الى رساله الهيه فلا يعنى أبدا أن فى رسالات اللّه نقصا..

بل أنهم هم المسؤولون لأنهم تركوا العمل الجاد بها،و تحمل مسئوليه الثوره ضد الطغاه.

وَ مٰا أَرْسَلْنٰاكَ إِلاّٰ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً إذا تسلط الطاغوت،فان البعض يحاول ان يلقى باللوم و المسؤوليه على كاهل الحركه الاسلاميه العامله،ثم ينتظرها تخلصه من هذه الازمه كلاّ و هذا خطأ.

فكما ليس من الصحيح ان ينتظر الناس الرسول أن يجاهد الطاغوت وحده،

ص:۴۵۹

ليس من الصحيح أيضا ان تنتظر الامه الاسلاميه اليوم،الطليعه الرساليه أن تقوم بهذا الدور،ذلك أن دور الرسل كما الحركات الرساليه هو قياده النضال و توجيهه، لا ـ القتال نيابه عن الناس،كما كان بنو إسرائيل ينتظرون من نبيّهم موسى عليه السلام فلما جاءهم و حمّلهم مسئوليه الجهاد« قٰالُوا أُوذِينٰا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنٰا وَ مِنْ بَعْدِ مٰا جِئْتَنٰا » (١).

فأعضاء الحركه الاسلاميه يبذلون أقصى الجهود،من كتابه،و توزيع، و مؤتمرات،لفضح الطواغيت بإبراز أعمالهم الاجراميه،متحملين فى سبيل ذلك التبعات،من السجن و التعذيب و الاعدام،حتى هتك الاعراض و الحرمات،و لكن لا يجوز للناس ان يتفرجوا و ينتظروا الانتصار.

لأن مسئوليه الطليعه من حمله الرساله هى مسئوليه الرسول نفسها،اى تبليغ الرساله للناس و قياده المعركه و على الناس المقاومه و الثوره ضد الفساد و الانحراف.

[٥٧] قُلْ مٰا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاّٰ مَنْ شٰاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً إن الرسل و من يمثلهم عبر التاريخ لا يطالبون الناس أجرا مقابل ما يقدمون لهم من خدمه البشاره و الإنذار، هذا فيما يخص الناس.

[٥٨]أما فيما يخص الرسول و حمله الرساله فان واجبهم السير فى الطريق رغم الصعاب،بالتوكل على الحى القيوم،دون التفات لقله الأنصار حولهم،أو مدى الطاعه و الرفض من قبل الناس.

وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاٰ يَمُوتُ

ص:۴۶۰

١- ١) الأعراف١٢٩/.

فاذا اعتمد البعض على قوه بشريه فان المؤمن يعتمد على اللّه الذى لا يموت وحده،و لا يعتمد حتى على الأنصار و الاصحاب،فقد تزل قدم هؤلاء أو تعثر فييأس و يترك الجهاد.

وَ سَبِّحْ بِحَمْدِهِ ان القياده أو الطليعه الرساليه هم الاقليه فى بدء الانطلاق،و هم الغرباء عن واقعهم،إذ يشعرون بالوحشه و هيبه الطريق،كما يتحسسون الفراغ الاجتماعى، و لكى يقاوموا هذه السلبيات فان عليهم التعويض عن كل ذلك بالارتباط المتين و العميق باللّه سبحانه و تعالى،لان ذلك يثلج صدورهم،و يسكن روع قلوبهم، فيعطيهم الثبات و الطمأنينه.

وَ كَفىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبٰادِهِ خَبِيراً يعنى ان اللّه قادر على إحصاء ذنوب الذين يتركون المؤمنين الحاملين للرساله، فلا تشغل الفئه المؤمنه نفسها بإحصاء سلبيات و ذنوب الآخرين من المخالفين،و لا تفكر فى رفض الناس لها و لرسالتها،و انما عليها المضى قدما على خطها،تاركه ما يجرى حولها الى اللّه،فهو الذى يحصى ذنوب الناس و كفى به خبيرا بها.

ص:۴۶۱

[سوره الفرقان (۲۵): الآيات ۵۹ الى ۶۷]

اشاره

اَلَّذِی خَلَقَ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما فِی سِتَّهِ أَیّام ثُمَّ اِسْتَوی عَلَی اَلْعَرْشِ اَلرَّحْمنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِیراً (۵۹) وَ إِذا قِیلَ لَهُمُ اُسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ قالُوا وَ مَا اَلرَّحْمنُ أَ نَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا وَ زادَهُمْ نُفُوراً (۶۰) تَبارَکَ اَلَّذِی جَعَلَ فِی اَلسَّماءِ بُرُوجاً وَ جَعَلَ فِیها سِراجاً وَ قَمَراً مُنِیراً (۶۱) وَ هُوَ اَلَّذِی جَعَلَ اَللَّیْلَ وَ اَلنَّهارَ خِلْفَهً لِمَنْ أَرادَ أَنْ یَذَّکَّرَ أَوْ أَرادَ شُکُوراً (۶۲) وَ عِبادُ اَلرَّحْمنِ اَلَّذِینَ یَمْشُونَ عَلَی اَلْأَرْضِ هَوْناً وَ إِذا خاطَبَهُمُ اَلْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً (۶۳) وَ اَلَّذِینَ یَبِیتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَ قِیاماً (۶۴) وَ اَلَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنَا اِصْرِفْ عَنّا عَذابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذابَها کانَ غَراماً (۶۵) إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً (۶۶) وَ اَلَّذِینَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ یُسْرِفُوا وَ لَمْ یَقْتُرُوا وَ کانَ بَیْنَ ذلِکَ قَواماً (۶۷)

اللغه

۶۳[هونا]:و الهون مصدر الهین فی السکینه و الوقار.

۶۵[غراما]:الغرام هو أشد العذاب.

ص:۴۶۲

عباد الرحمن

هدی من الآیات:

فی إطار التذکره بالتوحید الذی هو قاعده الإیمان بالرساله یبیّن الدرس بعض أسماء ربنا،و بالذات أسمی«الرحمن»و«تبارک».

و یتجلی اسم«الرحمن»فی خلق السموات و الأرض و تدبیر هما بالرغم من نفور الکفار من هذا الاسم الکریم،و رفضهم السجود للرب الذی أحاطت بهم رحمته،و زعموا انهم لا یسجدون لمن یأمرهم الرسول(استهزاء به و تحدیا له).

بینما یتجلی اسم«تبارک»فی ذلک البناء المتین الذی تعالی فوقنا،و السراج المنیر الذی تعلق به کالقندیل،و القمر المنیر الذی زینه و فاض نوره الهادیء علی الربایا و السهول.

و هکذا فی توالی اللیل و النهار لیکون فرصه لمن یرید ذکر اللّه،أو أراد له شکورا.

إن أسماء اللّه تتجلى فى أفئده الذاكرين الشاكرين،فيكونون عباد الرحمن حقا.

فتراهم يمشون على الأرض هونا لا أذلاء و لا متبخترين،و يواجهون الجهل بالسلام، و يبيتون الليل بالتبتل،و يتطلعون لاتقاء نار جهنم اللاهبه البئيسه،و إذا أنفقوا اقتصدوا،فلم يبخلوا و لم يترفوا.

و يواصل الدرس التالى الحديث عن سائر صفات هؤلاء الصالحين.

بينات من الآيات:

فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً :

[۵۹]يحدثنا القرآن الكريم فى هذه المجموعه من الآيات عن أمرين متقاربين:

الأول:الايمان باللّه.

الثانى:كيف يتجلى الايمان فى سلوك الإنسان الصادق.لتوضيح هذا الأمر لا بدّ أن نتذكر أن هناك فرقا بين الايمان باللّه و بين معرفته-حقا-لأن هناك درجات فى مسيره التوحيد و هناك مفارقات ينبغى أن نعرفها و هى كما يلى:

۱-فقد يكون الايمان إجماليا،كما لو عرف الإنسان أن وراء الاكمه أشجارا،أو أن وراء الجبل غابه،و ربما يؤمن بذلك عن طريق العلم بكثافه الأمطار وراء الأكمه،أو وجود الحيوانات المختلفه الآتيه من وراء الجبل،أو عن طريق مخبر صادق يثق به.

و قد يكون الايمان عرفانيا،و ذلك حينما يدخل الغابه أو يشرف عليها من قريب،و يزداد هذا العرفان كلما أحاط بما فى الغابه من جزئيات.

۲-الذين يؤمنون باللّه عبر آيه واحده من آياته،قد لا يندفعون إلى السلوك

المتكامل الذی یصوغ الایمان العرفانی به شخصیه المؤمنین.عبر معرفتهم بآیات اللّه المختلفه التی یرونها.

۳-إذا أراد الإنسان اکتشاف حقیقه ایمانه،و هل وصل إلی درجه العرفان، أم لا یزال ایمانه بسیطا یخرجه عن حدود الجحود و الکفر فقط،فان علیه أن یبحث عن آثار الایمان الصادق،فاذا کانت موجوده بصوره کامله علی سلوکه و تصرفاته کان و إلا فلا.

لذا نجد القرآن یربط بین من یؤمن باللّه إیمانا کاملا-و الذی ینعکس فی صوره توکل علی الحی الذی لا یموت-و بین سلوکیات عباد الرحمن کما تصفهم الآیات الکریمه.

۴-کلما عرف الإنسان ربه بالتقرب إلیه من خلال العباده،کلما عرف نفسه بصوره أکمل،فهاتان معرفتان متقابلتان،و سبب المقابله إن اللّه هو خالق الإنسان،فایمانه بالإله الخالق یدعوه للایمان بالعبد المخلوق.مما یجعله عارفا بمدی عبودیته و ضعفه،أو محدودیته و ضیق أفقه،و بین الأمرین(معرفه اللّه،و معرفه النفس)تتنامی نحو التکامل الشخصیه الایمانیه لدی الإنسان المؤمن.

کذلک یبصرنا القرآن بآیات ربنا المبثوثه فی الآفاق ذکری من بعد ذکری فیقول تعالی:

اَلَّذِی خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا فِی سِتَّهِ أَیّٰامٍ حینما یقف الإنسان علی ربوه تل،فیرمی ببصره نحو الأرض الممتده من تحته،أو السماء الواسعه من فوقه،فانه ینبهر بکل ذلک،و هنا و فی لحظات الانبهار بالذات،علیه أن یجعل الانبهار سبیلا إلی الایمان باللّه،فکلما وجد عظمه و قدره

و جمالا و روعه تتجلى فى الخلق،كلما تعمق إيمانه بعظمه الخالق.

و لعلّ خلق اللّه السماوات و الأرض فى سته أيام،دليل على أنه يطورهما باستمرار،حتى وصلت إلى ما هى عليه الآن،و هذا لا يدل على عجز اللّه،بل يشير إلى استمرار الهيمنه الالهيه عليهما،فلم يتركهما بعد الخلق لشأنهما سدى.

ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ و على هذا فهناك علاقه سياقيه بين كلمتى« فِي سِتَّةِ أَيّامٍ »و« ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ »حيث تشير الآيه إلى ان الذى خلق السماوات و الأرض يشرف عليهما و يدبر أمرهما.

و« ثُمَّ اسْتَوىٰ »:أى هيمن على العرش،و هو رمز التدبير بعد التقدير و الإمضاء بعد القضاء.

اَلرَّحْمٰنُ تتكرر كلمه الرحمن فى مواضع كثيره من هذه السوره،و لعلّ الحكمه فى ذلك انّ الرساله الالهيه هى أعظم منّه من ربنا علينا،و انّ السبيل إلى الإيمان بها يمر عبر الإيمان بأن اللّه هو الرحمن،و أنّ آيات رحمته فى الخلق تجعلنا نثق بل نوقن انه لن يترك عباده فى بؤر الجهل و الضلاله.تتجاذبهم شهوات المترفين،و نزوات المستكبرين.

إذا فلنؤمن برسالته التى يشكل إرسالها أكبر شاهد على رحمته.

فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً أى فاسأل بهذا الأمر(خلق السماوات و الأرض و على مراحل متتابعه

و متكامله)خبيرا يتبؤك به،و هو-كما نعرف-من خلال الآيه،اللّه و جبرائيل عليه السلام فتكون هذه الآيه مختصه بالنبى محمد صلى الله عليه و آله .

و لعلّ المراد من الخبير كل عالم من علماء الفلك و الفيزياء و الكيمياء و غيرهم ممن توصلوا إلى الاكتشافات العلميه التى تعرفنا بآثار رحمه ربنا سبحانه،و بالتالى يكون هذا استشهاد بالعلم،حيث يأخذ بأعناق المثقفين و المفكرين للايمان بآيات اللّه و الاعتراف بالرساله.

عند ما يتصور البشر ربه:

[۶۰]يتساءل الكفار:«و ما الرحمن»؟عند ما يؤمرون بالسجود له ظنّا منهم بأن الرسول يريد من وراء ذلك تعظيم نفسه،و هذا سبب رفضهم الخضوع للّه.

وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمٰنِ قٰالُوا وَ مَا الرَّحْمٰنُ أَ نَسْجُدُ لِمٰا تَأْمُرُنٰا أى هل تريد التأمر علينا بفرض السجود؟ إن المجتمع الجاهلى القائم فى علاقاته الاجتماعيه على أسس فاسده،كالعنف و الاستغلال لا يمكنه أن يؤمن برحمانيه اللّه،و هو يحسب ان العلاقات القائمه فى الكون تشبه العلاقات القائمه بين أبناء البشر،فالمجتمع الجاهلى إذا تصور اللّه فانما يتصوره حسب مزاجه النفسى المستوحى من الخيال،أو من الوضع الاجتماعى القائم.

فعند ما أراد المجتمع اليونانى تصور اللّه بادر مفكروه يضعون آلهه من التماثيل الحجريه و اللوحات الفنيه المتضاربه،فلكلّ إله جيش و شعب،و عنده حدود و إقليم،و يستخدم شعبه و جيشه فى محاربه الآلهات الأخر.

و هذا الخيال يعكس التضارب القائم فی ذلک المجتمع الاغریقی القدیم،فلأن وضعهم ملیء بالصراع،و علاقاتهم مشحونه بالبغضاء،تصوروا اللّه کذلک یشارکهم فی المزاج و الشعور(تعالی اللّه عما یصفون).

و هکذا کان یصنع المجتمع العربی قبل الإسلام فکل حزب بما لدیهم فرحون، لذا

جاء فی الحدیث المروی عن الامام الصادق علیه السلام :

«لو ان النمله تصورت ربها لتصورت له قرنین » فما دامت القضیه لا تتجاوز التصور،فان النمله تمتلک القدره علی تصور الرب، و لکن من واقعها و شعورها.

و قد وقع بعض البسطاء من المسلمین فی ذات الخطأ،فقالوا:ان اللّه شخص عنده لحیه بیضاء طویله،و یرکب الحمار لینزل الی الأرض فی لیالی الجمع،فکان بعضهم یضع حزمه علف علی سطح بیته فی کل لیله جمعه،حتی یأکل ما فیها حمار اللّه،(سبحانه و تعالی عن الأمثال).

و سبب هذه التخیلات خضوع الإنسان لخیاله المحدود عند تصور اللّه،فیتصوره تاره من واقعه و طبیعته کإنسان فیحسبه کذلک،أو من واقع المجتمع و طبیعته تاره أخری،فینعکس الوضع الاجتماعی علی تصوره للّه أیضا،فلأن علاقه المجتمع الجاهلی بالتجمع الایمانی مادیه فهی صلفه،فإنهم لم یکن بمقدورهم تصور الرحمه صفه من صفات اللّه،فلا عجب ان یرفضوا أمر الرسول لهم بالسجود للرحمن.

فقالوا:«و ما الرحمن»؟ فهذا اسم جدید علی واقعهم لیس بعیدا أن یستغربوا منه،فواقعهم مشبع بالخوف و الإرهاب و ما الی ذلک من الصفات المشینه.

ص:۴۶۹

وَ زٰادَهُمْ نُفُوراً لم يكن أمر الرسول لهم بالسجود للّه الا لجمع شتاتهم.كى تشرق عليهم شمس الرحمه،و تلفهم غمامه اللطف الالهى،و لكنهم لعمق الاحساس بالارهاب و الخوف و ما أشبه من الصفات الرذيله نفروا حتى من هذه الكلمه كما تنفر الإبل المذعوره.

و يعبر هذا النفور عن مدى الجهل الغارقين فيه،و الذى لا يزال جاهليى العصر يغرقون فيه أيضا،و لا فرق بين الجاهليتين الا أن إحداهما حديثه و الاخرى قديمه.

فلو نهض رسالى يدعو الشرق الملحد،و الغرب المشرك للسجود للرحمن،و اشاعه السّلام و العدل فى أرجاء المعموره لردوا«و ما الرحمن»؟أيضا، وَ مٰا ظَلَمَهُمُ اللّٰهُ وَ لٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .

من آيات الكون:

[۶۱] تَبٰارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمٰاءِ بُرُوجاً وَ جَعَلَ فِيهٰا سِرٰاجاً وَ قَمَراً مُنِيراً ربما تشبه كلمه البركه كلمه التكامل فى منطقنا الحديث،فالمبارك يعنى واسع الخير و ثابته،أو المتكامل الذى ينمو-و تعالى اللّه عن النمو لأنه-

«الكامل الذى لا كمال بعده.إذ ليس لصفته حد محدود،و لا نعت موجود،و لا أمد ممدود» كما قال الامام على عليه السلام .

فما معنى:« تَبٰارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمٰاءِ بُرُوجاً »؟ ان الذى اعطى البركه للسماء هو الذى يعطى البركه للإنسان،و البروج هى المواقع الظاهره و المرتفعه فى نفس الوقت،و عاده ما يكون برج المدينه رمزها،

و الشـمس و القمر و سائر الكواكب و النجوم بروج للسماء،و الذى جعل الشمس و القمر و البروج هو صاحب البركه،فالاولى أن نتوجه اليه دون غيره لأـنه الرحمن، فلما ذا لا نعرف هـذه الصـفه الحميـده من صـفات ربنا؟ [۶۲] وَ هُوَ الَّذِی جَعَلَ اللَّیْلَ وَ النَّهٰارَ خِلْفَهً لِمَنْ أَرٰادَ أَنْ یَذَّکَّرَ أَوْ أَرٰادَ شُکُوراً لقد جعل اللّه كلا من الليل و النهار يخلف أحدهما الآخر،فلو دام الليل لانعدم المعاش،و لو دام النهار لانعدمت الراحه.

و لكن متى يتذكر الإنسان؟فى الليل.

و متى يحصل على النعم فيشكر اللّه؟فى النهار.

و كم هو جميل السياق إذ يقول:جعلنا الليل لمن أراد ان يذكر! فحينما تهدأ الأصوات،و تسكن الأحياء،فيعم الصمت حيث الناس كل آوى الى فراش نومه،فينبعث ضمير المؤمن حيّا ليناجى ربه« إِنَّ نٰاشِئَهَ اللَّیْلِ هِیَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِیلًا ».

اما فى النهـار حيث ينهض الإنسـان من نومه طلبـا للرزق و المعـاش،لاـ لكى يطغى و انما ليشـكر ربه،و يصل بوظائف النعم التى وفرها له،نجد انعكاس المعرفه الايمانيه على سلوك عباد الرحمن الذين يصوغون به شخصيتهم من خلال الايمان العرفانى.

عباد الرحمن:

[۶۳]ان لعباد الرحمن الذين تتجلى أسماء اللّه و فى طليعتها(الرحمن)على

افئدتهم و سلوكهم صفات حسان كثيره أبرزها:

۱-التواضع:

وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً فعلاقتهم مع الطبيعه و الناس علاقه الرحمه،لأنهم عباد الرحمن-و لا غرابه- فقد انعكس اسم الرحمن الالهی علی شخصيتهم فصيغت بقالب هذا الإسلام المقدس،و هذا ما يدعوهم للسير هونا علی الأرض،مشيه متواضعه لا كمشيه المتكبرين علی العباد و المفسدين فی الأرض،و لا كمشيه الأذلاء و الدونيه،لذلک

جاء فی الحديث فی تفسير الآيه :

«يمشی بسجيته التی جبّل عليها لا يتكلف و لا يتبختر » (۱)فعباد الرحمن يحبون حتی الأرض التی يضعون اقدامهم عليها،و كما يقول المعرّی:

خفف الوطء فما أظن أديم الأرض الا من هذه الأجساد

و لما يتعاملون به من خفه مع الأرض،لا يسحقون حتی النمل،و لا يقتلون حتی النبته الصغيره،و لا ينفرون الحيوان،بل يمشون عارفين بمواقع اقدامهم.

هذا بالنسبه للأرض،أما بالنسبه للمجتمع فان علاقتهم علاقه رفق مع الآخرين،و خلفيه كل ذلک أنهم يتكيفون مع السنن و القوانين الالهيه الثابته،فی علاقاتهم مع الطبيعه و المجتمع،مقتنعين بوجود سبل و أساليب ينبغی العمل وفقها،

۱- ۱) المصدر/ص ۲۶.

و السير فی اطارها للاستفاده من الامکانیات الهائله المودعه من قبل اللّه فی الطبیعه، و ینعکس ذلک أیضا علی مواقفهم الاجتماعیه و السیاسیه،فلأنها نابعه من فطرتهم النقیه التی ترفض التکلف و التبختر فانها مشیه معتدله.لا تظاهر فیها و لا صخب.

جاء فی الحدیث المأثور عن الامام الباقر علیه السّلام :

«الائمه علیهم السّلام یمشون علی الأرض هونا خوفا من عدوهم » (1)و هذا خلاف ما یفعله الآخرون ممن لا تشملهم الآیه الکریمه« وَ عِبٰادُ الرَّحْمٰنِ » فانا نجد علاقتهم مع الطبیعه و المجتمع علاقه قائمه علی أسس فاسده من الخشونه و العنف،و استغلال الناس،و توجههم منصرف الی التمرد علی الانظمه و القوانین الطبیعیه،مما نری آثار ذلک فی إفساد العلاقات الاجتماعیه،و انتشار التوتر و الحروب بین الدول المختلفه.

۲-الرفق:

وَ إِذٰا خٰاطَبَهُمُ الْجٰاهِلُونَ قٰالُوا سَلاٰماً لأنّ علاقتهم علاقه السّلام و الأمن فإنهم یجیبون الجاهلیین-ممن یخاطبونهم بالجهل-بقولهم:سلاما،و قیل:ان المقصود بالسلام سلام الوداع،ای انهم ینصرفون عن الجاهل بعد السّلام علیه،عند ما یحتکون به دون مبادلته جهلا بجهل.

و لکن الأقرب الی قوله تعالی« قٰالُوا سَلاٰماً »انهم یبدءون کلامهم و علاقاتهم مع الناس عن طریق السّلام،و هو إبداء حاله من الأمن و العلاقه الایجابیه مع الطرف الآخر.

ص:۴۷۳

۱- ۱) المصدر.

۳-قیام اللیل:

[۶۴] وَ الَّذِینَ یَبِیتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَ قِیاماً قلیل هم الذین یحیون لیلهم بالعباده،مکثرین من الصلاه و الدعاء تضرعا للّه و خوفا منه.و الناس فی نوم عمیق،و الکثیر من الناس من یطمح فی الوصول الی مستوی عباد الرحمن،و لکن لا یستطیع فلما ذا؟ لأن هذا القسم من الناس یریدون إجبار أنفسهم علی الفضائل و هی لا تأتی بالإکراه،و انما بصیاغه الشخصیه،فاذا لم تنعکس آیات الرحمن علی سلوک الإنسان،فلا ینمی نفسه بالسجود له لیلا لأنه سیری نفسه عاجزا أمام هجوم النوم، أما عند ما تتجلی آیات الرحمن أمام ناظریه،و تنعکس علی سلوکه فتصوغ شخصیته، آنئذ لا یستطیع النوم لیلا بل تتجافی جنوبهم عن المضاجع.

ففی وقت متأخر من احدی لیالی صیف مضی،کنت نائما علی سطح المنزل مستلقیا علی فراشی و لما یستول علیّ النوم بعد.

و کان صاحبی علی مقربه منی و عیناه تحملقان فی آفاق السماء،و کأنه أدرک عن طریق النجوم قرب الفجر فرأیته-کمن لدغته حیه-یقفز من فراشه قفزا، و یتوضأ بسرعه لیقف یصلی،و هکذا هم عباد الرحمن.

فالأصل فی کل فضیله معرفه اللّه و إصلاح النفس،فمن لا یعرف اللّه،و من ثم لا یصلح نفسه لا یحصل من الفضائل الاخری علی شیء،إذ لیست المسأله مسأله تکلف بقدر ما هی سجیه لقلب الإنسان.

ص:۴۷۴

۴-التقوی من النار:

[۶۵] وَ الَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنّا عَذابَ جَهَنَّمَ ان شهیق جهنم و زفیرها لا یعزب عن بالهم طرفه عین أبدا،بل تتجسد صور النار أمام أعینهم فی کل لحظه،فیقول أحدهم:الهی اصرف عنی عذاب جهنم،و کأنه یری نفسه ینصلی فیه،أو لا یقول تعالی:« وَ إِنْ مِنْکُمْ إِلاّ وارِدُها کانَ عَلی رَبِّکَ حَتْماً مَقْضِیًّا ثُمَّ نُنَجِّی الَّذِینَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظّالِمِینَ فِیها جِثِیًّا ».

فکل إنسان سیمر من فوق الصراط علی جهنم،و العاقل من فتش عن سبیل للنجاه.

إِنَّ عَذابَها کانَ غَراماً ای ان عذاب جهنم یلزم الإنسان الذی یدخله،و انه لخساره کبری،فلیس الخسران الحقیقی خسران الدنیا بما فیها من لذات،و انما الخساره ان یخسر الإنسان رحمه اللّه فی یوم القیامه حیث المطاف الأخیر.

[۶۶] إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً فهی لیست مستقرا مرغوبا کی یقیم فیه الإنسان،و لیست مکانا طیبا یصلح ان یستمر فیه.

۵-الاقتصاد فی المعیشه:

[۶۷] وَ الَّذِینَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ یُسْرِفُوا وَ لَمْ یَقْتُرُوا وَ کانَ بَیْنَ ذلِکَ قَواماً

ص:۴۷۵

الکثیر من الناس من ینفق المال،و القلیل من یحصل علی الثواب،و الأقل من ینفقه کما یرید له اللّه،و هم عباد الرحمن حقا،فانفاقهم لیس بدافع الترف و الشهوه،أو الریاء و السمعه،و انما بدافع الایمان و العقل و الاراده،فلم یسرفوا و لم یقتروا و کان بین ذلک قواما.

فبین هذا و ذاک ینفقون و باعتدال ما یقیمون به حیاتهم و حیاه الآخرین.

و هکذا

یروی العیاشی یقول :استأذنت الرضا علیه السلام النفقه علی العیال؟فقال:

«بین المکروهین.قال فقلت:جعلت فداک لا و اللّه ما اعرف المکروهین،فقال:

بلی-یرحمک اللّه-أما تعرف ان اللّه تعالی کره الإسراف و کره الإقتار فقال:

« وَ الَّذِینَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ یُسْرِفُوا وَ لَمْ یَقْتُرُوا وَ کٰانَ بَیْنَ ذٰلِکَ قَوٰاماً » (۱).

و ضرب الامام الصادق علیه السّلام مثلا لذلک فأخذ قبضه من حصی و قبضه بیده فقال:هذا الإقتار-الذی ذکره اللّه عز و جل فی کتابه-ثم قبض قبضه أخری فأرخی کفه کلها ثم قال:هذا الإسراف ثم أخذ قبضه أخری فأرخی بعضها و أمسک بعضها و قال:هذا القوام.

و تربط روایه ثالثه بین الإنفاق و مستوی المعیشه فی المجتمع،بینما نجد روایه رابعه:تجعل الإنفاق فی سبیل قوام البدن و فیما یصح البدن إسرافا-مهما کان- و تأمر نصوص أخری بضروره التوسعه علی العیال،و نفهم من مجموع النصوص انّ الإقتصاد فی المعیشه یرتبط بمجموعه عوامل یحددها الشرع و العقل و العرف.

۱- ۱) المصدر/ص ۲۸.

[سوره الفرقان (۲۵): الآیات ۶۸ الی ۷۷]

اشاره

وَ اَلَّذِینَ لاٰ یَدْعُونَ مَعَ اَللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ وَ لاٰ یَقْتُلُونَ اَلنَّفْسَ اَلَّتِی حَرَّمَ اَللّٰهُ إِلاّٰ بِالْحَقِّ وَ لاٰ یَزْنُونَ وَ مَنْ یَفْعَلْ ذٰلِکَ یَلْقَ أَثٰاماً (۶۸)
یُضٰاعَفْ لَهُ اَلْعَذٰابُ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ وَ یَخْلُدْ فِیهِ مُهٰاناً (۶۹) إِلاّٰ مَنْ تٰابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلاً صٰالِحاً فَأُوْلٰئِکَ یُبَدِّلُ اَللّٰهُ سَیِّئٰاتِهِمْ حَسَنٰاتٍ
وَ کٰانَ اَللّٰهُ غَفُوراً رَحِیماً (۷۰) وَ مَنْ تٰابَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً فَإِنَّهُ یَتُوبُ إِلَی اَللّٰهِ مَتٰاباً (۷۱) وَ اَلَّذِینَ لاٰ یَشْهَدُونَ اَلزُّورَ وَ إِذٰا مَرُّوا بِاللَّغْوِ
مَرُّوا کِرٰاماً (۷۲) وَ اَلَّذِینَ إِذٰا ذُکِّرُوا بِآیٰاتِ رَبِّهِمْ لَمْ یَخِرُّوا عَلَیْهٰا صُمًّا وَ عُمْیٰاناً (۷۳) وَ اَلَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنٰا هَبْ لَنٰا مِنْ أَزْوٰاجِنٰا وَ
ذُرِّیّٰاتِنٰا قُرَّهَ أَعْیُنٍ وَ اِجْعَلْنٰا لِلْمُتَّقِینَ إِمٰاماً (۷۴) أُوْلٰئِکَ یُجْزَوْنَ اَلْغُرْفَهَ بِمٰا صَبَرُوا وَ یُلَقَّوْنَ فِیهٰا تَحِیَّهً وَ سَلاٰماً (۷۵) خٰالِدِینَ فِیهٰا
حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقٰاماً (۷۶) قُلْ مٰا یَعْبَؤُا بِکُمْ رَبِّی لَوْ لاٰ دُعٰاؤُکُمْ فَقَدْ کَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ یَکُونُ لِزٰاماً (۷۷)

اللغه

ص:۴۷۷

۷۷[لزاما]:أی أنه واقع لا محاله.

ص:۴۷۸

هدی من الآیات:

فی الغالب تلخص الآیات الأخیره من السوره أفکارها،لتزیدها إیضاحا و تبیانا،و لتزرع فی نفس القارئ،خلاصه مرکزه عما مرّ الحدیث عنه.

و فی نهایه سوره الفرقان التی خصصت لبیان الرساله و الوحی،و الایمان بهما، یوجز لنا اللّه عده موضوعات هامه ذکّرنا بها خلال السوره.

أولا:لیس الایمان بالرساله کلمه تقال،انما هو وقر عظیم و موقف حاسم یشعر کل فراد من افراد المجتمع بوطئه و خطورته.

ثانیا:ان المجتمع الذی تصنعه الرساله بعید عن السلطه،فلا یتسلط فیه أحد علی الآخر،إذ لا خضوع لغیر ولایه اللّه فیه،اما الخضوع لولی أمر اللّه کالرسول أو الامام أو الفقیه العادل العارف فحقیقته خضوع و تسلیم للّه سبحانه.إذ لا یقدس المجتمع أشخاصهم،و انما یقدس و یخضع للقیم التی یجسدونها.

ثالثا:ان هذا المجتمع تحكمه روح الاحترام المتبادل فی العلاقه بین ابنائه،فلا یقتلون النفس و لا یزنون.

و هناک علاقه بین قتل النفس من جهه،و الزنا من جهه أخری،فکلاهما یعتبر نوعا من الاعتداء علی کرامه الإنسان،و بالتالی فکلاهما قتل للنفس کما سنوضح ذلک فی البینات.

و ان الذین یفضلون سیاده سلطه غیر الهیه علیهم،فلا یحترمون النفس البشریه، و یفعلون الفاحشه سیلقون العذاب فی الدنیا و الآخره،إلی ان یتوبوا الی اللّه ربهم.

رابعا:فی المجتمع الرحمانی لا یظلم أحد أحدا أبدا.

و حتی لا یظلم الإنسان غیره،فان علیه الامتناع عن شهاده الزور،و کثیر من الذین یجدون جوا مناسبا للظلم تدفعهم شهواتهم و مصالحهم لارتکاب الجریمه، و الاعتداء علی حقوق الآخرین،أما فی المجتمع الاسلامی فان الجو العام،و القانون الالهی الحاکم لا یشجع علی الظلم أو البغی،فلو فتش ظالم عمّن یشهد فی صالحه فسوف لن یبلغ مناه.

خامسا:الجدیه من أهم ممیزات المجتمع الایمانی.

فهو بعید عن اللغو،الذی یکون عاملا من عوامل الانحرافات الاجتماعیه الفکریه و غیرها،کما اللامبالاه التی تعنی العبثیه و اللاهدف،فیجب ان یکون المجتمع جدیّا فی البحث عن اهدافه،بعیدا عن اللغو و اللامبالاه اللذان یجعلانه بعیدا عن الرحمانیه،قریبا من الجریمه و الانحراف.

و هذا المجتمع هو الذاکر الذی یتکامل بذکره للّه،إذ یجعل ذکره لخالقه معراجا لسموه المعنوی و المادی أیضا،و بتعبیر آخر هو الذی یجعله یعرج الی مستوی التحضر

و التقدم،فيصنع بذلک حضاره الایمان،کما صنعها نبی اللّه سلیمان منذ قبل.

سادسا:ان صفه التطلع من أبرز سمات المجتمع الاسلامی،الذی یصفه القرآن فی هذه السوره،فبالرغم من اعتماد ابنائه علی العناصر الفاضله من الاسره فی تربیتهم،الا أنهم لا ینسون تطلعاتهم الاجتماعیه.إذ یطمحون لإمامه المتقین، و تنتهی السوره بذکر الدعاء الذی هو ردّ التحیه من البشر لرساله الرب سبحانه.

یعنی إمامه أفضل طبقه و فئه فی المجتمع،فقد یطمح الإنسان ان یکون إماما و فقط،اما عباد الرحمن فطموحهم قیاده الطلیعه فی المجتمع،و هذا یدل علی التطلع الواسع فی البعد المستقبلی و الحاضر لأبناء المجتمع الإسلامی الرحمانی.

فمن جهه یسعون لصیاغه شخصیه أبنائهم وفق المفاهیم الصادقه،لیمتدوا عبر أولادهم کما أزواجهم عمودیا فی عمق الزمن.

و من جهه أخری فإنهم یسعون و جادین أیضا لیصبحوا قدوه لمن حولهم من الناس،لیمتدوا أفقیا عبر أبناء المجتمع،الذی یعیشون فیه و فی أوسع رقعه من المکان.

و هؤلاء بتطلعاتهم و سلوکهم هم الذین سیبنون حیاه فاضله فی الدنیا،و یجزون جزاء حسنا فی الآخره،إذ یأمر اللّه الملائکه و الطبیعه ان یکونا مسلّمین لهم،و عند ما تکون الملائکه و الطبیعه معا مسلمین لإنسان ما،فحینئذ لا یخشی هذا الإنسان من شیء،لأنه یشعر و کأن رب الطبیعه و الملائکه و خالقها من جهه،و ذات الطبیعه و الملائکه الموکله بها من جهه أخری،یحبونه و یعینونه.

ذلک لان عباد الرحمن کانوا مسالمین مع أنفسهم،و قد علموا ان دورهم بناء إنسان رسالی فاضل انطلاقا من ذواتهم،و أمه رسالیه فاضله انطلاقا من أسرتهم،

و حضاره اسلامیه متقدمه انطلاقا من مجتمعهم،و کل ذلک فی اطار السنن و القوانین الرسالیه الصحیحه.

و علی العکس فی کل ذلک من یرتکبون الجرائم و یقترفون الآثام،فیضلوا أنفسهم و أسرهم و مجتمعهم،و لا یصلون الی اهدافهم التی یطمحون إلیها،فتکون المعادله عکسیه إنسان منحرف،أمه متخلفه،نهایه حضاره أو مدنیه-کما وصل الی هذه النتیجه السابقون من الأقوام-قال تعالی:

أَ لَمْ تَرَ کَیْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِعٰادٍ* إِرَمَ ذٰاتِ الْعِمٰادِ* الَّتِی لَمْ یُخْلَقْ مِثْلُهٰا فِی الْبِلاٰدِ* وَ ثَمُودَ الَّذِینَ جٰابُوا الصَّخْرَ بِالْوٰادِ* وَ فِرْعَوْنَ ذِی الْأَوْتٰادِ* الَّذِینَ طَغَوْا فِی الْبِلاٰدِ* فَأَکْثَرُوا فِیهَا الْفَسٰادَ* فَصَبَّ عَلَیْهِمْ رَبُّکَ سَوْطَ عَذٰابٍ* إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصٰادِ» (١).

سابعا:فی نهایه هذه السوره لفته غریبه.

فسوره الفرقان التی بدأت بذکر القرآن معبره عنه بالفرقان،أی المیزان بین الحق و الباطل،نجدها تنتهی بذکر الدعاء فی قوله تعالی: قُلْ مٰا یَعْبَؤُا بِکُمْ رَبِّی لَوْ لاٰ دُعٰاؤُکُمْ .فما هی العلاقه بین القرآن و الدعاء؟

ربما یفسّر هذه العلاقه حدیث شریف یقول :

«إذا أردت ان یحدثک اللّه فاقرأ القرآن،و إذا أردت ان تحدث اللّه فاقرأ الدعاء » فقبل ان ینتظر الإنسان رساله تنزل من اللّه علیه،یجب ان یبعث رساله الی اللّه

١- ١) الفجر/۶-١۴.

عبر الدعاء،فان اللّه يحب رساله الإنسان،و يستمع إليها،فهو الذی قال:« أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذٰا دَعٰاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ »و هو الذی قال:« وَ إِذٰا سَأَلَكَ عِبٰادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّٰاعِ إِذٰا دَعٰانِ »و هو الذی يقول:«لبيک عبدی»إذا دعاه داع.

بينات من الآيات:

الوجه الآخر للقتل:

[۶۸] وَ الَّذِينَ لاٰ يَدْعُونَ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ ای لا يخضعون لسلطه ماديه أخری،انما للّه وحده،فهو صاحب السلطه المطلقه فی منطقهم لا غير.

وَ لاٰ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّٰهُ إِلاّٰ بِالْحَقِّ وَ لاٰ يَزْنُونَ يعنی لا يقتلون النفس المحترمه،و لا يرتكبون فاحشه الزنی،و لكن السؤال لماذا جاء ذكر الزنی بعد قتل النفس؟! الجواب أن قتل النفس نوعان:

۱-القتل عبر إزهاق الروح.

۲-القتل عبر سلب الروح الانسانيه بسوء التربيه و التوجيه،و أيضا بطمس العقل و الاراده فی نفس الإنسان،فاذا سلب الإنسان عواطفه الحسنه و شخصيته الايمانيه فان ذلک أشد عليه مما لو قتل بزهق روحه أو إهدار دمه.

و لقد جاء فی تفسير الآيه الكريمه« مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ كَتَبْنٰا عَلىٰ بَنِي إِسْرٰائِيلَ أَنَّهُ مَنْ

قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَ مَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ». ان من قتلها بإضلالها فكأنما قتل الناس جميعا،و من أحياها بهدايتها فكأنما أحيا الناس جميعا.

و الذى يزنى فيتسبب فى مجىء أبناء زنى يتربون فى الشوارع كأنما قتلهم،لأنهم لن يجدوا اسره تحتضنهم لتربيتهم،مما قد يحولهم الى وحوش كاسره على المجتمع،إذ تموت الصفاه الخيره و المواهب الفاضله فيهم،و تنمو مقابلها كل صفات الشر،و هذا هو القتل المعنوى.

و عند ما يسأل رجل الامام الرضا عليه السلام أيهما أشد يا ابن رسول اللّه،القتل أم الزنا؟يجيبه الامام«الزنا أشد من القتل».

فيسأل الرجل يا ابن رسول اللّه و لم ذلك؟ فيجيب عليه السلام :ان من يولد بالزنا سيكون له أولاد آخرون.

و ربما يكون هؤلاء جيل من المنحرفين،بينما إذا أزهق الرجل روح آخر يكون بذلك قد أزهق روح شخص واحد أما الاول فقد قتل اجيالا.

وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثٰاماً من الطبيعى ان يلقى جزاء عمله،

و جاء فى الحديث :

«انّ اثام واد من اوديه جهنم من صفر مذاب،قدامها حره(اى ارض ذات أحجار سود)فى جهنم يكون فيه من عبد غير اللّه تعالى،و من قتل النفس التى حرّم اللّه،و يكون فيه الزناه، و يضاعف لهم فيه العذاب » (۱)

۱- ۱) نور الثقلين/ج /۴ص ۳۱.

[۶۹] یُضٰاعَفْ لَهُ الْعَذٰابُ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ وَ یَخْلُدْ فِیهِ مُهٰاناً فکل عمل یلحقه جزاء بقدره و عذاب بامتداده،فلو کذب رجل علی آخر سأل عن طریق فأرشده الی غیره تعمدا،فانه سیجازی اولا-علی الکذب،و ثانیا علی العذاب و النصب العملی الذی سیواجه المکذوب علیه،و یکون الکاذب مسئولا لو أصاب هذا الإنسان شیء فی طریقه.

و لعلّ هذا هو معنی مضاعفه العذاب.

التوبه قرار و عمل:

[۷۰] إِلاّٰ مَنْ تٰابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلاً صٰالِحاً فَأُوْلٰئِکَ یُبَدِّلُ اللّٰهُ سَیِّئٰاتِهِمْ حَسَنٰاتٍ وَ کٰانَ اللّٰهُ غَفُوراً رَحِیماً ان رحمه اللّه واسعه جدا،فمهما فعل الإنسان من ذنوب کالزنا و القتل،الا أنه سیجد باب الرحمه مفتوحا علی مصراعیه للتائبین و المستغفرین-و لیس هذا فحسب-بل الأعظم من ذلک ان اللّه یحول سیئات التائبین الی حسنات یثابون علیها، و لعل سبب تحول السیئات الی حسنات ان التائب سیجعل تذکّره لها،و ندمه علی فعلها منطلقا للتصحیح،و المسارعه الی معرفه أکبر،و ایمان اعمق،و کلما تذکر سیئه شعر بمسؤولیه محوها،و إبدالها بعمل صالح،و الشقی الشقی من حرم غفران اللّه بإصراره علی الذنوب دون التوبه.إن ذنوب العباد مهما کبرت و کثرت لأصغر و أقل من رحمه اللّه.

جاء فی حدیث مروی عن الامام الباقر علیه السّلام فی تفسیر الآیه :

«یؤتی بالمؤمن المذنب یوم القیامه حتی یوقف بموقف الحساب فیکون اللّه تعالی هو الذی یتولی حسابه لا یطلع علی حسابه أحد من الناس فیعرفه بذنوبه، حتی إذا أقرّ بسیئاته قال اللّه عز و جل للکتبه:بدّلوها حسنات و أظهروها للناس،

فیقول الناس حینئذ:ما کان لهذا العبد سیئه واحده،ثم یأمر اللّه به الی الجنه » الخبر (۱)حقا ان الأمل فی رحمه اللّه،یجعل المؤمن یزداد لربه حبا.فیبتعد عن معاصیه.

لذلک استفاضت آیات القرآن و نصوص السنه تؤکد رضوان اللّه،و الحدیث التالی یعکس مدی تعطف الرب لعباده،کما یبیّن کیف تساهم معرفه هذه الحقیقه فی إصلاح البشر،

یروی عن الامام الرضا علیه السّلام :«قیل لرسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-هلک فلان،یعمل من الذنوب کیت و کیت فقال رسول اللّه صلی الله علیه و آله بل قد نجی،و لا یختم اللّه عمله الاّ بالحسنی،و سیمحو اللّه عنه السیئات و یبدّلها حسنات،انه کان مره یمر فی طریق عرض له مؤمن قد انکشفت عورته و هو لا یشعر فسترها علیه و لم یخبره بها مخافه ان یخجل،ثم ان ذلک المؤمن عرفه فی مهواه،فقال له:أجزل اللّه لک الثواب و أکرم لک المآب،و لا ناقشک الحساب،فاستجاب اللّه له فیه، فهذا العبد لا یختم له الا بخیر بدعاء ذلک المؤمن،فاتصل قول رسول اللّه بهذا الرجل،فتاب و أناب،و أقبل علی طاعه اللّه عز و جل،فلم یأت علیه سبعه أیام حتی أغیر علی سرح المدینه،فوجه رسول اللّه فی أثرهم جماعه-ذلک الرجل أحدهم-فاستشهد فیهم » (۲)[۷۱] وَ مَنْ تٰابَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً فَإِنَّهُ یَتُوبُ إِلَی اللّٰهِ مَتٰاباً یعنی ان الذی یتوب و یعمل صالحا،فانما یتوب الی اللّه الرحیم.

صفات عباد الرحمن:

۱- لاٰ یَشْهَدُونَ الزُّورَ :

[۷۲] وَ الَّذِینَ لاٰ یَشْهَدُونَ الزُّورَ

ص:۴۸۶

۱- ۱) راجع المصدر/ص ۳۴.

۲- ۲) المصدر/ص ۳۵.

۱-ان عبـاد الرحمن لا يشـهدون بالباطل زورا،و من جانب آخر لا يطلقون الكلمه الا فى وقتها و محلها المناسب،شـعورا منهم بان الكلام هو من عمل الإنسان،

كما قال الرسول صلى الله عليه و آله لاعرابى سأله و هل يحاسبنا اللّه على ما نقول؟ قال صلى الله عليه و آله :

«و هل يكب الناس على مناخرهم فى النار الا حصائد ألسنتهم »

و فى حديث آخر عن الامام الصادق عليه السلام قال :

«لو علم الناس ان كلامهم من عملهم لقللوا الكلام »

و فى بعض الروايات «انّ الزور هنا الغنى » (۱)

و جاء فى حديث آخر :«انه مجالس الفساق و لا يحضرون الباطل »و

روى الامامان الباقر و الصادق عليهما السّلام ،عن عيسى بن مريم عليه السّلام«إياكم و مجالس الخطائين » (۲)و

جاء فى حديث رابع «ان هؤلاء إذا ذكروا الفرج كنوا عنه لعفّه ألسنتهم ».

هكـذا تتسع دلالـه الآيه لتشـمل كـل باطـل،فهم لاـ يشـهدون لأـنهم تـدبّروا فى الحياه فعرفوا انّ هناک هـدفا مقـدسا لها،فسـعوا اليه،فعزفت أنفسهم عن الباطل.

وَ إِذٰا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرٰاماً

۲-يمرون باللغو كراما:

فلا يتشـدقون بالكلام الخاطئ أو غير الهادف،و كذلک لا يشاركون فى اجتماعات اللهو و اللعب،و الضـرب و الرقص لان وقتهم اثمن من ذلک،و لعلمهم

۱- ۱) الحديث المروى عن الامام الصادق عليه السّلام المصدر/ص ۴۱.

۲- ۲) المصدر.

ان الحیاه فرصه لا تتکرر،فلا بدّ من استغلالها،بسنینها و أیامها و ساعاتها و دقائقها،کل ذلک اتقاء لیوم الندامه علی التفریط فی فرصه العمر.

و هم یمرون کراما علی اللغو لأنهم یشعرون انهم أکرم من اللغو،فکرامتهم و شرفهم یدعوهم لتجنب مجالس اللهو.

۳-البصیره و الوعی:

[۷۳] وَ الَّذِینَ إِذٰا ذُکِّرُوا بِآیٰاتِ رَبِّهِمْ لَمْ یَخِرُّوا عَلَیْهٰا صُمًّا وَ عُمْیٰاناً البصیره من الصفات البارزه لعباد الرحمن.إذ یتفکرون فی آیات اللّه التی تتلی علیهم بحثا عن الحقیقه،و طمعا فی البصیره،متأملین فی شؤون الحیاه علی ضوئها، عاکفین علی استنباط الانظمه و التشریعات الاجتماعیه و الاقتصادیه،و السیاسیه، و التربویه و غیرها منها،علما منهم بأن من أنزل الآیات هو الذی خلق الحیاه، و سن فیها القوانین و الانظمه.

یبدو ان ترک اللغو یوفر لهم فراغا کبیرا.یملأونه بالنشاط الفکری الرشید.

جاء فی دعاء مکارم الأخلاق :

«اللهم اجعل ما یلقی الشیطان فی روعی من التمنی و التظنی و الحسد،ذکرا لعظمتک،و تفکرا فی قدرتک،و تدبیرا علی عدوک،و ما جری علی لسانی من نقطه فحش أو هجر،أو شتم عرض،أو شهاده باطل،أو اغتیاب مؤمن غائب،أو سب حاضر،و ما أشبه ذلک نطقا بالحمد للّه،و إغراقا فی الثناء علیک،و ذهابا فی تمجیدک،و شکر لنعمتک،و اعترافا بإحسانک و إحصاء لمننک .»

و روی ابو بصیر عن الامام الصادق علیه السّلام:فی تفسیر الآیه هذه قال :

«مستبصرين ليسوا بشكّاك » و لكن اين المسلمون الآن من هؤلاء؟! فلو تطلعنا الى واقع الامه الاسلاميه لرأينا أكثر المسلمين ممن يخرون على آيات اللّه صما و عميانا،يرتلونها مبدعين،و لكنهم لا يفقهون معانيها و لا يدركون مدلولاتها،بل لا يتدبرون فيها ليطبقوها على سلوكهم،و من ثم على مجتمعهم.

۴-الطموح الكبير:

[۷۴] وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَ ذُرِّيّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً ان العلاقه بين طلب الأزواج و الذريه الصالحه،و بين طلب الامامه و القياده لدى عباد الرحمن،تتجلى فى طموحهم نحو امتداد رسالتهم فى ذريتهم و أيضا فيمن يلتقون بهم من الناس،فيصبحون قدوه للمتقين،و المتقون-بدورهم-طليعه المجتمع،فهم يطمحون ان يكونوا قدوه الطليعه و ليس الطليعه فحسب.

و تدل الآيه الكريمه على ما يحملون من روحيه التنافس على الخير،ففى المجتمع الرحمانى يتطلع الكل لأن يصبح أفضل فى مجال الخير و العمل.

و جاء فى أحاديث أئمه آل البيت عليهم السّلام ان الكلام إياهم عنى،و هم تأويلها.

و جاء فى حديث شريف:عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام :

«و اللّه ما سألت ربى ولدا نضير الوجه،و لا سألته ولدا حسن القامه،و لكن سألت ربى ولدا مطيعين للّه خائفين وجلين منه،حتى إذا نظرت اليه و هو مطيع

للّه قرت به عینی قال:«و اجعلنی للمتقین إماما»قال:نقتدی بمن قبلنا من المتقین فیقتدی المتقون بنا من بعدنا. » (۱)[۷۵] أَوْلٰئِکَ یُجْزَوْنَ الْغُرْفَهَ بِمٰا صَبَرُوا وَ یُلَقَّوْنَ فِیهٰا تَحِیَّهً وَ سَلاٰماً حیث یستقبلهم اللّه بغرفات مبنیه من الذهب و الفضه،و من الیاقوت و الدرّ، و یلقّون فیها تحیه و سلاما من اللّه و ملائکته.

و توحی هذه الآیه الی فکره هامه و هی،ان تحقیق الطموح و بلوغ الاهداف یحتاج الی کثیر من الصبر،فالطموح الأجوف و التطلع المیت لا یجدی نفعا، و الإنسان لا یجزی علی تطلعه بمقدار ما یجزی علی سعیه فی تحقیق ذلک التطلع و ما نستوحیه من الآیه ان الجزاء یکون علی الصبر فی سبیل الاهداف السامیه.

[۷۶] خٰالِدِینَ فِیهٰا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقٰاماً

۵-الدعاء معراج المؤمن:

[۷۷] قُلْ مٰا یَعْبَؤُا بِکُمْ رَبِّی لَوْ لاٰ دُعٰاؤُکُمْ الدعاء هو جسر الارتباط مع اللّه،و مما یمیز عباد الرحمن دعاؤهم.فهم بجانب العمل و السعی یهتمون بالدعاء،ایمانا منهم بأن توفیق اللّه أفضل من عملهم،بل هو روح العمل التی توصله الی أبواب الجنه.

إذ لا فائده من عمل لا خشوع للّه فیه،و من طلب الحساب علی عمله دون فضل اللّه خسر،و الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله لا یدخل الجنه بعمله،و انما بفضل اللّه فلو حاسب اللّه الناس بأعمالهم ما دخل أحد الجنه.

۱- ۱) المصدر/ص ۴۴.

فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزٰاماً عند ما ينصرف الناس عن اللّه،و لا يتوجهون له بالدعاء و التضرع،فانه ينزل عليهم العذاب،و كما

فى الحديث ان :

«الصدقه تدفع البلاء و الدعاء يرد القضاء المبرم ».

ص:۴۹۱

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ١۴٢۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.